جماعة في أزمة

حوارات مع قادة ومتمردين

صلاح الدين حسن

مكتبة مدبولى

جماعة في أزمة

حوارات مع قادة ومتمردون

حسن ، صلاح الدين .
جماعة في أزمة - حوارات مع قادة ومتمردون
تأليف : صلاح الدين حسن
ط١ .- القاهرة : مكتبة مدبولي ، ٢٠١١م.
٣٩٢ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم .
تدمك : 3 _ 917 _ 208 _ 977
١ ـ الإخوان المسلمين
٢ ـ مصر - الأحوال السياسية
أ ـ العنوان .
ديوى ٦, ٢١٧
رقم الإيداع : ٢٥١١٢ - ٢٠١٠م

مكتبة مدبولي
٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة
ت : ٢٥٧٥٦٤٢١- فاكس : ٢٥٧٥٢٨٥٤
الموقع الإلكتروني : www.madboulybooks.com
البريد الإلكتروني : Info@madboulybooks.com

الإخراج الداخلي : مكتب النصر - تليفون : ٠١١١٤١٠١٣٣٢

جماعة في أزمـة

حوارات مع قادة ومتمردون

تأليف
صلاح الدين حسن

الناشر
مكتبة مدبولي
2011

مقدمة الكاتب

بين يديك عزيز القارئ حصاد حوارات ٥ سنوات من العمل في ملف جماعة الإخوان المسلمين لن أخفي عليك ما عانيته خلالها من مشقة وآلام فالحق أن حلقي لم يتذوق حلاوة البحث عن الحقيقة في هذا الملف مذ خرجت من قريتي عام ٢٠٠٦ للعمل في جريدة الدستور المصرية حتى انتقلت للعمل في شبكة إسلام أون لاين عام ٢٠٠٩ لكن مع أني لم أتذوق حلاوة إلا أنني استفدت الكثير خلال تلك السنين ولن أبخل عليك عزيزي في أن أهدي إليك حصاد معاناتي ومشقتي وأنا على يقين أن إهدائي هذا سيزيل عني مرارة ما عانيته ويسقيني كثيرا حلاوة ما افتقدته .

لكن لم يكن سهلا علي وأنا الصحفي غض الأنامل أن ادخل عش تنظيم الإخوان وأخرج هكذا دون أن أصاب بكسور وجروح وخدوش ولدوغ فمع أن كثير من القيادات التنظيمية للجماعة جذبها ضوء الكاميرات الساحر إلا أنها كانت تريد أن تقطف زهرته فقط دون أن تصاب بأشواكها وإن حدث ذلك فهي لاشك ناقمة ساخطة وهذا يعني لصحفي يسعى لتحقيق ذاته مثلي قفل هذه المصادر صنبور التصريحات والحوارات مما يهدده بالفشل ووقف الحال في جريدته ... كان علي دوما أن أجيد سياسة التوازنات لكنني لم أكن أجيدها على الإطلاق .. كنت شرسا وعنيدا ومتحديا... وكنت بين المطرقة والسندان ... مطرقة الحصول على السبق الصحفي وسندان اتهامات مسئولين وأعضاء في الجماعة بالعمالة للأمن وبالعداء للجماعة ومحاولة إيقاع الضرر بها لكني كنت اختار السبق حتى لو ضربت يداي المطرقة .

فكثير من القيادات التنظيمة الإخوانية تعتقد أن الأمن يقف محركا وموجها بل وآمرا للميكنة الإعلامية التي يبسط خيوطه عليها لشن حرب هوجاء وسافرة على الجماعة، ونتيجة لهذا التصور يتم إسقاط كل من ينتقد الجماعة في سلة الخادمين لأهداف الأمن "عدو الجماعة" ويغض رجال الجماعة الطرف عن أن الغالبية من منتقديها ينتمون إلى تيارات وطنية لا يستطيع أحد أن يجردها من إخلاصها ووطنيتها وصدق نيتها، وحتى لو شنت هذه الإقلام هجوما على الجماعة فهو حقها ولا أحد يملك الحق في إخراسها تحت وطأة الضغوطات النفسية الناتجة عن مقولات ترويجية تهدف إلى إعطاء اعتقاد بأن الحملات الإعلامية ضد الجماعة تقف ورائها الأجهزة الأمنية .

مع أن هذا التنظيم هو من وضع الجماعة في مرمى " الضربات الإعلامية ".. فالتنظيم لا يرى لأحد الحق في معرفة ما يدور بداخله ويعتبر الكتمان في حد ذاته جزءا من عقيدته الدينية شكل هذا جزء خطير وهام من المكون النفسي للجماعة وأضاف عليها صفة "المجهولة " وأضفى عليها هالة من القداسة بحيث اعتبرت أن مجرد انكشاف مشكلات وخلافات واختلافات داخلها يجرح هيبتها وعورة تحاول سترها عن قواعدها ومجتمعها .

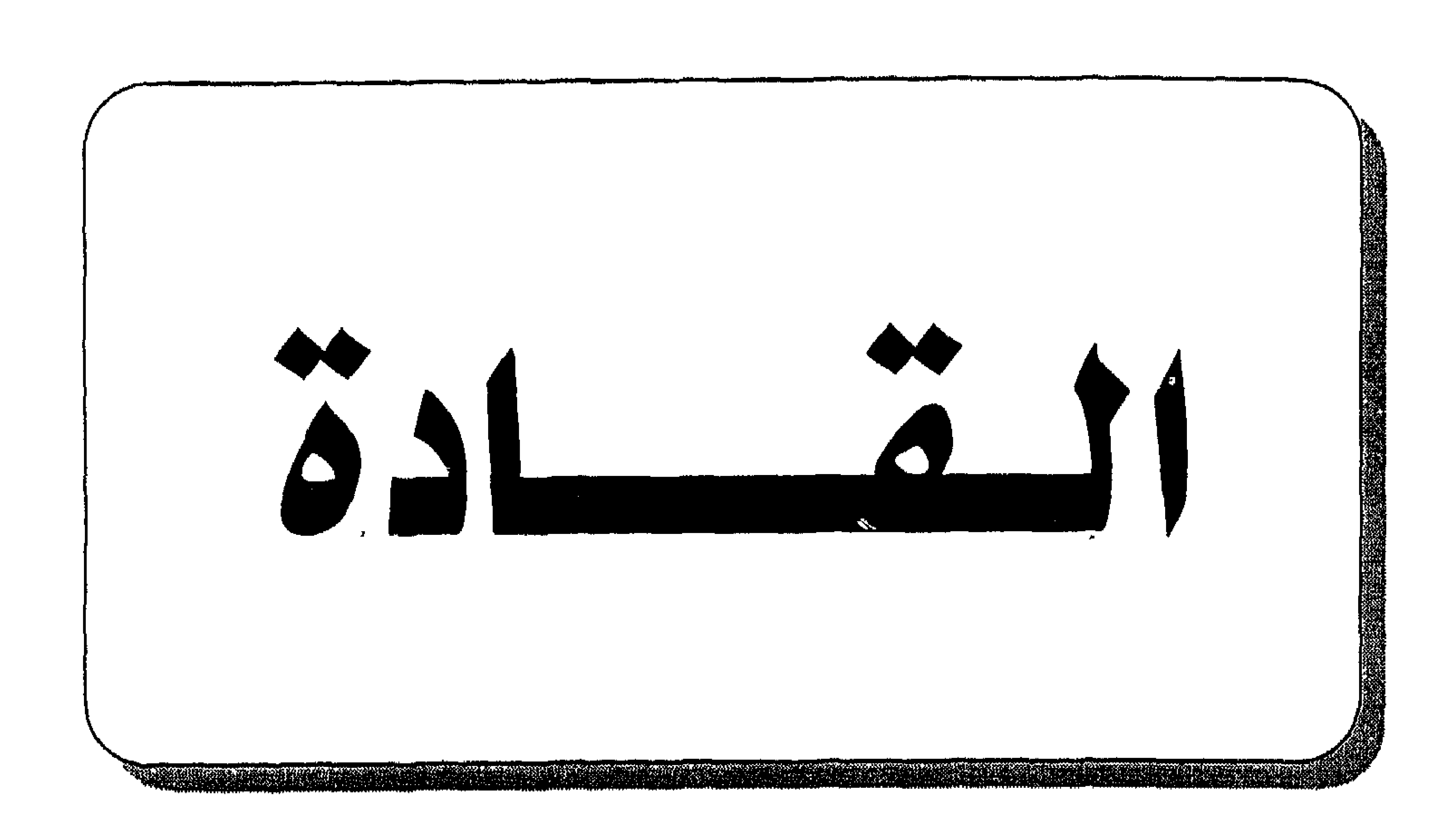
في الوقت ذاته بعدت عدسة الإعلام ومرصد الباحثين وسنان أقلام كتاب ومفكرين وصحفيين - يشكلون نخبة الأمة والعاملين في الدائرة الإعلامية الأكبر والبعيدة عن الدائرة الأصغر المشتبه فيها - عن حقيقة الوضع الداخلي للجماعة وما يدور داخلها فطاشت كثير من الكتابات والتحليلات التي كانت من الممكن بل من الأكيد أن تفيد الجماعة لو امتلكت هذه النخبة معطيات حقيقية عن أوضاعها .

في الوقت ذاته أيضا كان المخفى عنه المفترض (أجهزة الأمن) يعرف كل ما يدور داخل الجماعة باعتراف مرشد الجماعة نفسه في حوار منشور في هذا الكتاب ونشرته جريدة "الدستور المصرية " والذي صرح فيه أن كل ما يدور في مكتب

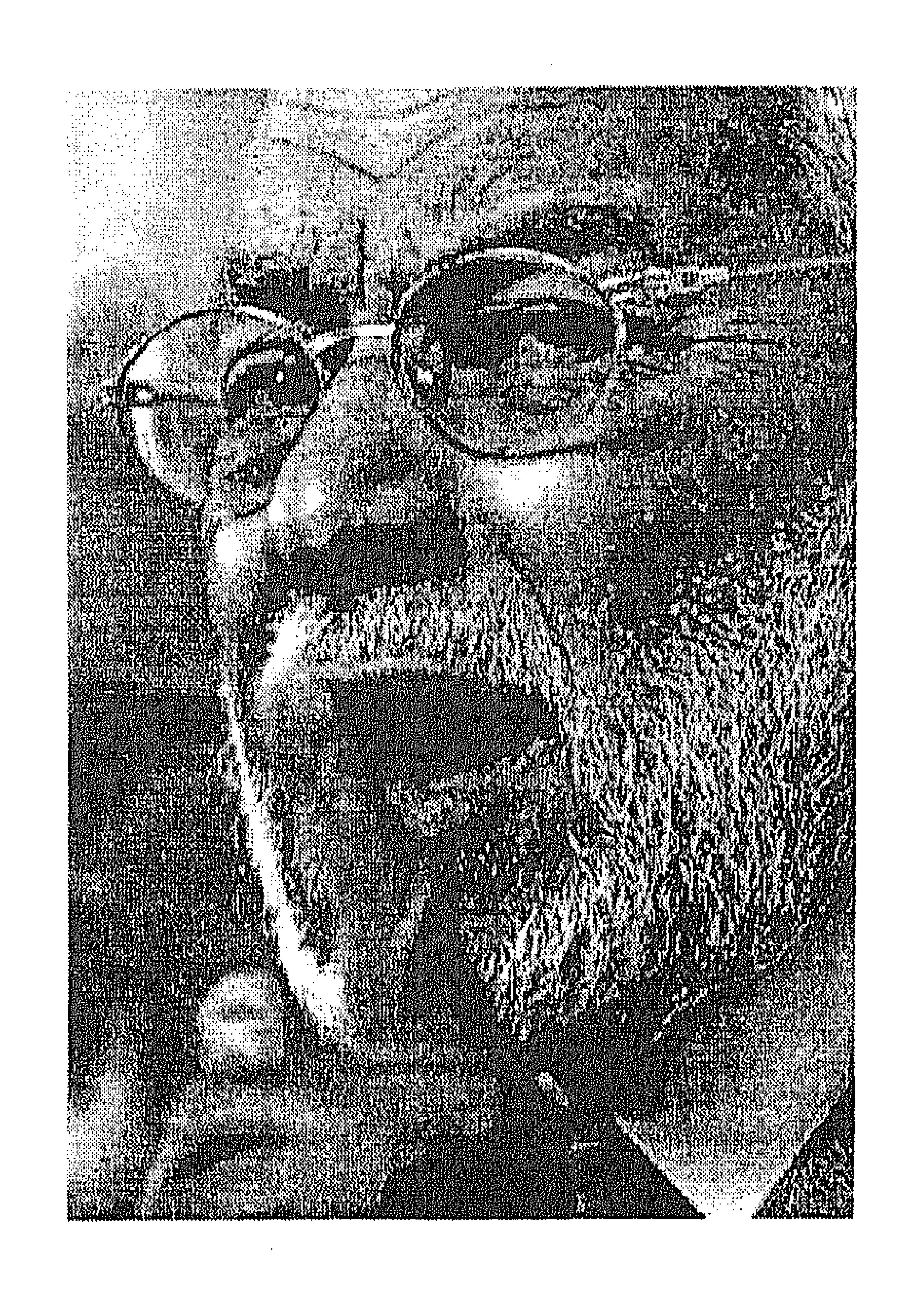
الإرشاد مسجل صوت وصورة على الهواء مباشرة من قبل أجهزة الأمن وأن ما يدور من مشادات بين أعضاء المكتب تنشره الصحف في اليوم التالي مباشرة .

ومن هنا توجه الضربة الإعلامية للجماعة بقسوة وبمنتهى السهولة على يد بضعة صحفيين -لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة ويعملون في صحف معدودة - يحصلون على المعلومات من الأجهزة الأمنية مباشرة بعد أن تخرج هذه الأجهزة لسانها للتنظيم "المحكم والقوي والعفي الذي جعل من مجرد انتزاع معلومة من بين فكيه سبق صحفي يشاد به " وبعد أن يعبث الصحفيون بالمادة المسربة إليهم فتخرج تشوه بحق صورة الجماعة ويصدق على الجماعة المثل القائل "اللي يخاف من العفريت يطلع له" هذا إذا كان العفريت عند الجماعة هو أجهزة الأمن وليس قواعدها.. وتضيع الحقيقة بين التكتم الإخواني وبين الأغراض الأمنية وتبقى الجماعة مجهولة في عيون قواعدها وشعبه

التنظيم ..أزعم أنه هو الذي كسر أجنحة الجماعة الإعلامية وليس الأمن.. فالتنظيم لم يرد في ذهنه فكرة النهوض والإسهام في بناء وتطوير واقع مهنة الصحافة بشكل عام وأن يفرخ من محاضنه كفاءات صحفية تساهم في تشكيل وعي الأمة لكن ظل دوما ينظر للإعلام ويتعامل معه على أساس أنه قنطرة تدعوا للتعاطف معه والاستقطاب إليه دون الدخول في معارك تهدف في النهاية إلى خلق حالة من البحث عن الحقيقة تصب في صالح الأمة.



القـــادة



محمد مهدي عاكف
المرشد السابق لجماعة الإخوان المسلمين

(الصفقة والمال والفخ)[1]

في الطريق إلى الروضة انتابني شيء من القلق فقد كنت كمن يحمل في جعبته أعودة كبريت ذهب ليلقيها في حجر رجلا مبلول بالبنزين كانت المحاكمات العسكرية لصفوة أبناء الجماعة وفلذات أكبادها منصوبة على أشدها وثمة من يشدد الخناق حولها فيمحو في كتاب الدستور أسطرا و يملأ مكانها بما يضمن خنق الجماعة في المرحلة القادمة كانت مستسلمة لم ينفعها تنظيمها الأخطبوطي المترامي في كل مكان فالنظام يحتجز رهائن الجماعة ويهددهم بأحكام قاسية والجماعة لا ترى جدوى من المقاومة ومشاهد نكبتها التاريخية لا تفارق مخيلتها ولا تمحى من وجدانها ...

كنت كمن ذهب إلى أهل قتيل لا معازيا بل محاسبا ومهاجما وملقيا المسئولية على أهله لا على قاتله كما أنني اخترت لهذه المهمة رأس الأسرة وعميدها المتصف- رغم طيبته - بالغضب أصلا والناقم دوما على أهل مهنتي والشاعر دوما بظلمهم له ...

لكن قدر الله لي خيراً لم يكن في حسباني فعندما عرفت الرجل بنفسي انشرح صدره وتهللت أساريره فقد صادف اسمي اسم صديق عمره البطل الذي قاوم معه الانجليز قبل الثورة وقاتل مع الإخوان في ٤٨ واستشهد في معركة الكرامة في الأردن إنه الشهيد صلاح حسن ..لكن لم يخلق هذا الجو العاطفي أي نية في التراجع عما انتويت طرحه من أسئلة وددت الجواب عليها حقا كان أولها هذا السؤال :

(١) نشر بجريدة الدستور المصرية .

لماذا فتح ولماذا أغلق ؟

- لماذا فتح النظام لكم الباب في عام ٢٠٠٥ ولماذا أغلقه الآن؟
- وجه سؤالك للنظام.
- أريد رؤيتكم الشخصية؟
- النظام فقد مصداقيته وعقله.. فقد الميزان في تعامله الذي يعمل به مع المواطنين فلم يعد له أخلاق ولا مبدأ ولا قيمة.. النظام الآن يعمل لصالح فئة محدودة لا تقل لي حسني مبارك، ولا تقل لي جمال مبارك، هناك فئة أخرى معروفة اتجاهاتها هذه الفئة لا تريد شريكا، ولا تريد لأي فئة من فئات الشعب أن يكون لها صوت؛ ولذلك ضاعت الحريات، وضاع العدل، وضاعت الأخلاق، ثم إن النظام لا يبطش بالإخوان فقط لماذا تقول الإخوان المسلمين؟ صحيح أن الإخوان مضطهدون؛ لأن لديهم تنظيمهم؛ وبالتالي يتوفر لهم وسائل الضرب، أما الشعب المصري كله فهو مضروب.. أنا أريد منك أن تنزل الشارع وتسأل هل هناك أحد مرتاح؟.. أنا أعجب كل العجب من هذا النظام أليس عنده أجهزة قياس رأي؟ أما بالله عليك وأنت رجل صحفي هل تستطيع أن تقول إن هناك قياسا للرأي في مصر يقف معها ويؤيد تصرفاتها.
- إذا لم تكن هذه الفئة لا مبارك ولا جمال فمن هذه الفئة التي تحدثت عنها.. أعتقد أن الشعب المصري لا يعرف من هي تحديدا؟
- لا لا.. لا جمال ولا غيره هم فئة منتفعة تحيط بالرئيس وجمال.
- فمن هي إذا كنت تعرفها؟
- نعم أعرفها لكني غير متأكد منها، ولذلك لا أستطيع أن أبوح بها الآن.
- ولكن هل يربطها تنظيم أم مجرد روابط ما؟

- توحدها المصلحة والاستجابة للصهاينة والأمريكان.

- هل هؤلاء يأتمرون بأوامر مباشرة من الصهاينة والأمريكان؟

- النظام المصري مخترق من ثلاث اتجاهات: الفئة المصلحية بتوع مصر، والصهاينة، والأمريكان، وتصرفات النظام لا تصب إلا في مصلحة هؤلاء.. وأنا أريد أن أسأل أي مصلحة للنظام في ضرب الإخوان وهم أناس مسالمون؟!

- النظام يخاف على نفسه؟

- من أي شيء يخاف على نفسه؟

- يخاف من إمكانية استيلائكم على الحكم؟

- هذا وهم.. أمريكا التي تصدر له هذا الوهم.. الصحافة الأمريكية ليس لها سوى الإخوان.. مرة يقولون بوش تحدث مع مهدي عاكف، ومرة واحد يقول هناك نصائح لكي تتحدث مع أمريكا؛ يعني عالم مشغول بالإخوان، وفي النهاية ليس هناك عقل.. هل الحوار محظور؟.. فرعون تحاور مع موسى، الشيطان تحاور مع ربه، الحوار مع الإخوان محظور؟

حوار النظام .... محظور!

- الحوار مع من...؟

- الحوار مع الشعب ومع الإخوان.

- هل تلوم النظام على عدم حواره معكم؟

- نعم.

- هل قدمتم مبادرة للنظام؟

- ألف مرة، وطلبنا كثير جدا، وقلت إن قلبي مفتوح وعقلي مفتوح.

- ولكن لم تقدموا للنظام مبادرة؟

- افرض أننا لم نطلب لماذا لا يأتون هم؟ يقولون ما الذي يريدونه من الإخوان، وما هي مصلحة الوطن.. في ماذا نتفق وفي ماذا نختلف؟ ما دمنا لا أسلوب لنا إلا في هذا الحوار السلمي العقلاني.. النظام مسئول عن كل فرد في البلد لو أن هناك أي مواطن رأى مني تصرفا شاذا يحاسبني أنا.. لم أجد في نفسي تصرفا شاذا، فكل تصرفاتنا عقلانية وأخلاقية، فلماذا يتصرف النظام معي هكذا؟.. هذا التصرف الذي يرفضه الشعب المصري، والأحزاب المصرية كلها رفضت أسلوب النظام في التعامل مع الإخوان حتى حزب التجمع رفض هذا الأسلوب، ورفض المحاكمات العسكرية.

- ولكن المبادرة لابد أن يكون لها أسس وتتضمن حلا فتعطون للنظام شيئا مقابل الحصول على شيء...

- كل هذا كلام فارغ، الكلام الجد أن الإخوان موجودون، وهذا هو منهجهم.. منهجهم معلن وليس سريا، وهؤلاء هم رجالهم، نحن ملء السمع والبصر في الداخل والخارج.

- لكن الحركة والتنظيم غير علنيين....؟

- إذا كنا غير علنيين فماذا نفعل هنا إذن؟

- علني كأفراد، ولكن ماذا عن تحركاتهم ومواقعهم التنظيمية النظام يريد أن تكشفوا عن تحركاتكم، وأن تتعاملون كحزب مدني..؟

- يا سلام.. يعني نحن نسير تحت الأرض؟ يا أخي هذا كلام غير صحيح، وهذا كلام أناس مأجورين، رجال أمن غير نظيفين رجال أمن مأجورين... نحن جماعة علنية ليس عندنا أي سرية سواء في المال أو الرجال أو في الحركة، هم يعلمون ذلك تماما،

والجيش العرمرم من المخبرين ورجال الأمن يتابعون كل تحركاتنا ويعلمون كل شيء عن الإخوان.. هذا أسلوب حكم غير قائم على العدل؟ بأي حق يعتقل هؤلاء بغير سبب؟ لم تكن الجماعة سرية في يوم منذ نشأتها، أنا أقول لك إن النظام فقد عقله، وفقد مصداقيته، وفقد صوابه في التعامل مع الشعب المصري، والشعب يحتاج إلى من يأخذ بيده إلى من يطعمه، وإلى من يكسوه، ويشعره بالأمن والأمان، هذه هي مهمة النظام وليس البطش والضرب.

استنفد غرضه !

- هذا هو تفسيركم لفتح النظام الباب ثم إعادة غلقه، ولكن لماذا لا نقول إن النظام أغلق الباب لأنه استنفد غرضه من فتحه لكم؟

- وما هذه الأغراض؟

- أرسل رسائله للغرب بأن البديل دائما مرفوض، وللمعارضة بأن الإخوان لا يعرفون إلا أنفسهم، وللأقباط بأننا كنظام علماني هو الحامي لكم من الحكم الإسلامي المتطرف؟

- كل هذه أكاذيب النظام دبرها لإرضاء كل من الصهاينة والأمريكان؛ لأنهم لا يريدون نهضة لمصر، ولأنهم يعلمون جيدا أنها لو نهضت سيكون لها شأن آخر، وهذه سياسة عالمية لإشعال الحرائق في كل المنطقة العربية والإسلامية.

- هل أنت مؤمن بنظرية المؤامرة؟

- ماليش دعوة بالمؤامرة.. أليس هذا واقع أن هناك حرائق في العراق وفي السودان وفي أفغانستان وفي فلسطين وفي الصومال، وأبو إلا أن يكون هناك حرائق في مصر.

- ولكننا سبب في حرائقنا لماذا نبحث دائما عن شماعة نعلق عليها أخطاءنا؟

** سواء نحن السبب أم هم؟ المهم أن القيم الإنسانية والمبادئ الأخلاقية على الساحة العالمية لم يعد لها وجود الآن، القوة الأمريكية الغاشمة والمبادئ الخاصة بها قضت على كل هذه المبادئ، والآن لن تجد عدلا ليس في مصر فقط؛ ولكن على الساحة العالمية كلها، لا أخلاق ولا مبادئ ولا قيم، ولكن المستهدف فقط هو العالم العربي والإسلامي؛ لأنهم اتخذوا الأيديولوجية الإسلامية عدوًّا بعد أن قضوا على الأيديولوجية الشيوعية وهذه هي خطتهم.. نحن نقول لهم لا.. الإسلام باق ومبادئ الإسلام باقية، ونحن ندعو كل حكام مصر والعالم العربي أن يتحدوا من أجل الذين يريدون أن يقضوا على هذا الدين وعلى الأمة العربية والإسلامية، وندعوهم أن يقفوا بجوار شعوبهم.. الشعوب العربية والإسلامية محتاجة لمن يقدم الخير لها، ومن يأخذ بيدها إلى الحرية والعدل، أنا لا أدعو الحكام إلى غير هذا، ولكن يؤسفني أن الواقع غير ذلك، ولكن لن آلو أن أدعوهم وأقول لهم اتقوا الله في شعوبكم هذا أقل شيء أن يعطوا الحرية لشعوبهم، وأن يشركوهم معهم حتى يأخذوا يد الأمة.. الحاكم وحده لا يستطيع أن يفعل شيئا.

- لكي نتجاوز هذه النقطة هل أنت مع الرأي الذي قال إن النظام استخدمكم عندما فتح لكم الباب وأرسل رسائل للغرب والمعارضة والأقباط، ثم عندما حقق هدفه قام بغلق الباب عليكم وضربكم؟

- كل هذا كلام صغير، الكلام الحقيقي كالآتي: أن الرئيس مبارك عندما أعلن برنامجه الانتخابي وقال إن عنده حريات وسيقيم ديمقراطية وغيره.. هذا الكلام لم يكن من عنده، هذا كان خوفا من الطاغية الأكبر، ولذلك تحدث عن الحريات، وأراد أن يقول له إنه سوف يعمل حريات، وبرنامجه فيه ديمقراطية، وقال وما له لما نجرب في هذا الوقت الإخوان، فقرروا أن يزودوا عدد المقاعد، ولم يكن في خاطرهم ولا خاطر النظام أنهم سيفوزون بهذا العدد من المقاعد، ولم تتجه رغبتهم إلا بالفوز بعدد

٤٠ مقعدا، ولأننا نعلم طبيعة الحكم الديكتاتوري فلم نرشح غير ١٥٠ من ٤٤٥ مقعدا؛ لأن هذا النظام معتاد على الثقافة الاستبدادية، فرشحنا عددا قليلا، ففاز الإخوان في المرحلة الأولى والثانية بـ ٧٥ مقعدا وهذا ما لم يتوقعه النظام ولا نحن فقفلوها، ومحمد حسنين هيكل نفسه تحدث في هذا وقال عندما نجح الإخوان اتصل شارون ببوش وأخبره بأنه قلق من فوز الإخوان، وطلب منه التدخل، ورئيس الوزراء نفسه قال إننا لو لم نتدخل لفاز الإخوان بـ ٤٠ مقعدا إضافيا إلى الـ٨٨. الموضوع أننا معروف أننا نقف في وجه أمريكا وإسرائيل، وهم يقطعون رقبة كل من يقف في وجه أمريكا وإسرائيل، قصة أن النظام يخوفهم منا هذه أكذوبة لأن النظام يعلم جيدا من نحن ويعلم قدراتنا، ويعلم أننا زاهدون في هذا الأمر؛ لأنه لا في خطتنا ولا في منهجنا.. لا في خطتنا أن نرشح أحدا للرئاسة ونحن نشارك في أشياء عادية جدا في خدمة الشعب، وذلك حتى يطمئن النظام.

خطة تدريجية للاستيلاء....

- ولكن المشكلة أن النظام يعتقد أن لديكم خطة تدريجية تنفذ على مراحل للوصول للحكم؟

- النظام عمره ٢٧ سنة أليست عنده خطة؟ أليس عنده منهج، أليس عنده رجال يقدمهم للشعب.. حرام يا ناس.. هذا النظام الذي ظل ٢٦ سنة لماذا يخاف من الإخوان؟ أنا عندي "رجالة" من الشعب المصري وليسوا من الخارج، أنا لدي رجال وهو لديه رجال، وللشعب أن يختار.

- ولكن منهجكم خطير.. مش سهل ممكن يطيح بالنظام؟

** أنا أقدم منهجي للناس فمن الذي يحكم أنا وأنت أم الناس؟ الناس.. الناس هي التي تحكم.. وأنا أريد أن أقول للنظام آن لك أن تعي وآن لك أن تنضج وتقدم ما

عندك للشعب.. النظام لا يستطيع أن يتحرك إلا بالأمن الحزب الوطني لا يستطيع أن يتحرك إلا بالأمن وجمال مبارك لا يستطيع أن يتحرك إلا بالأمن.. جمال مبارك يقول إن عنده فكر جديد هل هذا الفكر الجديد يعني المحاكمات العسكرية للشرفاء، والاعتقال العشوائي، وهضم حقوق الناس، هل هذا هو الفكر الجديد؟ أقول لهم اتقوا الله وعودوا إلى صوابكم، وتعاونوا مع أبناء هذه الأمة الشرفاء من كل التيارات، أنا حزين أن أرى الأحزاب بهذه الصورة.

- وماذا فعلتم للأقباط والأحزاب؟

- وأنا ما لي ومال الأحزاب؟

- لماذا لم تتعاونوا معهم وأنتم قوة كبرى، وتقدموا لهم يد العون والمساعدة؟

- لا.. نحنا تعاوننا مع الأقباط والأحزاب لكن هم غلابة، وكل ما يتمتع به الإخوان أن لهم قواعد شعبية، أما الأحزاب فقد انحسرت في مقرات.

- ولماذا لم تساعدوهم.. أربعة منهم في المجلس مقابل ٨٨ منكم؟

- أنحن الذين نساعد؟ بأي منطق؟ بأي منطق نساعد الأحزاب؟

- لكي تنشط الحياة الحزبية وهذا يصب في مصلحة الوطن.

- كل الذي باستطاعتي فعله أنه عندما يكون هنا شخصية حزبية فأنا لا أقوم بترشح أحد من الإخوان في مواجهتها.. وأنا لم أرشح سوى ١٥٠ مرشحا من ٤٤٥ فلا داعي لهذه اللغة.. أنا راجل غلبان على قدي ومن المفترض أن تساعدني الحكومة.. عندما أتى عمرو أديب إلى هنا قال "هو دا مقر المرشد العام أومال فين المليارات؟".

- المسألة ليست بالمكتب الصغير...؟

- نحن أصحاب منهج وأصحاب رسالة وأصحاب دين.

الهدنة!

- هناك من دعا الإخوان إلى فصل الدعوي عن الحزبي ، بمعنى عدم المشاركة في مؤسسات الدولة، وليس ترك السياسة بوجه عام، ودعاهم إلى الاهتمام بالعمل التوعوي والتربوي؟

- هذا ما يريدونه منا.. المطلوب أن نعيش وليس لنا علاقة، ونترك العمل السياسي.

- ترك الممارسة السياسية وليس العمل السياسي؟

- يا أخي الكريم نحن مواطنون أصحاب دعوة وأصحاب دين، ونحن نبغي من وراء العمل السياسي خدمة مجتمعنا، أنا أحترم كل الناس، وأحترم آراءهم، وهذا هو منهجي.. أخي الكريم لماذا يقبض على إخوان مثل عصام العريان؟ عصام العريان في السجن أكثر من الخارج، فماذا يفعل عصام العريان؟ هو إنسان رقيق ومحترم ومشارك في كل الفعاليات، وله علاقات ممتازة بجميع التيارات، وماذا تنكرون على محمد مهدي عاكف حتى يسلطوا عليه من يشتمونه على صفحات جرائدهم حتى إنني لم أكلف نفسي عناء الرد عليهم أو حتى القراءة لهم.. أيظنون أنهم بهذا الأسلوب يمكن أن يقضوا على الإخوان المسلمين.. رفعت السعيد الذي يشتمنا كل يوم جمعتنا به فضائية من الفضائيات، الرجل قال إن الإخوان المسلمين أصحاب رأي وأصحاب فكر ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تحارب السجون والمعتقلات الفكر والرأي، والذي يحارب الفكر هو الفكر، وفلان الفلاني (يقصدني) كم دخل السجون وكم خرج، وهو مازال محافظا على فكره ورأيه ومنهجه فقلت له متشكر يا رفعت، لكنه طيلة عمره ما كتب فينا كلمة طيبة، وجميع الأحزاب وبلا استثناء وقفوا معنا وشجبوا هذا الأسلوب غير المنطقي، كيف يستولون على أموال الناس، ويسلطون علينا هذه الألسنة التي نسأل الله عز وجل أن يعافينا منها؟

- هذه الأزمة التي شبهها البعض بأزمة ٦٥ البعض يرى أنكم لم توفقوا في التعامل معها؟

- هذا هو شغلنا نحن ليس شغلهم هم.. نحن الذين نعيش الأزمة وليس هم.. أحيانا يأتي أشخاص يقولون الإخوان قوة تقدروا تخبطوا..لا.. ونحن لا ندر خدنا الأيمن لمن يضربنا على خدنا الأيسر.. الإخوان لا يتعاملون بهذا المبدأ أيضا، ونحن أيضا لم نأخذ قلما، أنا عملي يدار كما هو بل أفضل، وإذا كان عندنا في السجن ٥٢ فالإخوان في الخارج أكثر بكثير.. كالكاتب الذي قال الإخوان انضربوا في المفاصل أقول له لا متشكرين المفاصل التي تتحدث عنها في الإخوان المفصل يصنع ألف مفصل، وأنا أعجب لهذه العقليات، هل لا يوجد في النظام أصحاب حكمة وفكر، لجنة السياسات ٣٠٠ لا يوجد أحد فيهم يمتلك بعض الحكمة، أنا عندما أسير في الشارع تمسك بيدي الناس ويقولون لي لماذا يفعل النظام معكم هكذا، ويقولون كذا وكذا، طيلة عمري ما سمعت كلمة ضد تصرفاتنا وضد منهجنا، الكل يرى أن النظام يظلمنا.

- ولكن ماذا فعلتم للحريات في مصر وهي تتدهور يوما بعد يوم؟

- ماذا تريد أن أفعل؟ قول لي؟ أعمل إيه؟ من أجل أن نقيم الحريات ودولة القانون؟

- وماذا تفعل أي قوى معارضة ونهضوية تكافح الاستبداد؟

- نحن نكافح الاستبداد بالثبات على مبادئنا وعلى الحق الذي نطالب به ونحن بلد يقودها الأمن، وأنا رجل ضد الدماء، وضد الفوضى، وضد الصدام، الثبات على الحق هو عين النصر.

- ولكن النظم المستبدة لا تزال بالسكوت..؟

- أنا لست ساكتا أنا أعلن رأيي ووجهة نظري على الساحة المحلية والعالمية، أما وجهة نظر بعض الناس أني أروح للشوارع وأعمل ثورة.. فلا؟

- وهل الثورة على المستبد غلط؟

- غلط طبعا، ونحن في بلد يحكمها الأمن.

- إذا إلى متى سيحكمنا الأمن؟

- النظام سينهار لأنه لا يستطيع أن يستمر في الظلم.

ماذا لو قامت ثورة؟

ولكن هل الأنظمة المستبدة تسقط بمفردها؟

- نعم سيسقط بمفرده.

- يعني الشعب المصري لا يثور؟

- نعم لا يثور إلا إذا قامت ثورة الجياع هذه لا يستطيع أن يقف في وجهها، ولسنا كإخوان مسلمين جياعا؛ بمعنى أننا لسنا متعجلين، أنا كل ما أخشاه أن تكون هناك ثورة بلا منطق ولا عقل.

- يعني لو هناك ثورة سيقف الإخوان ضدها؟

- كلمة لو هذه لا أحبها، أنا لا أحب أرأيت لما يبقى تحصل يبقى اسألني.

- ولكن كيف تثق الأنظمة أنكم ضد الثورات يمكن أن تكون لكم لغة خطابين واحدة تقول إنكم ضد منطق الثورات والأخرى باطنة يمكن أن تقف معه، ألم تقفوا مع ثورة يوليو، وأنتم كنتم ترددون نفس هذه النبرة، وتقولون نحن ضد الثورات، ولكن عندنا قامت الثورة وقفتم معها، بل قيل إنكم من صنعها أليس من الممكن أن تقفوا مع الثورة القادمة؟

- من الذي فعل الثورة؟ الشعب المصري هو الذي قام بالثورة.

- كانت ثورة أما انقلابا؟

- انقلاب ولكن الشعب المصري بوقوفه معها، وتمهيده لها جعلها ثورة ، الشعب المصري وقف ضد الطغيان في الجامع والشارع، فهو الذي مهد لهذا الانقلاب؛ لأن هذا الانقلاب لو قام ووقف الشعب المصري ضده لم يكن ينجح، إنما الشعب هو الذي قام به سواء أسميته انقلابا أم ثورة.

إنهم ليسوا في خاطري

هل ترى أن الهجمة الأخيرة عليكم كانت بهدف تمرير التوريث؟

- أنا لا يهمني توريث ولا يهمني جمال ولا حسني مبارك ولا غيره، إنهم ليسوا في خاطري.

- يعني عندما يسأل فضيلة المرشد نفسه قائلا: لماذا هذه الهجمة الأخيرة علينا، ماذا يقول لنفسه؟

- أنا أعرف سببها، إنه الفساد.. هذه الضغوط هي لإبقاء الفساد كما هو عليه فقط، ولذلك هم رأوا أن الإخوان أناس نظيفون، فهم يحاولون أن يقضوا عليهم.

- وماذا فعل الإخوان ضد الفساد؟

- نحن نقول نرفض الفساد، وهذه كلمة غير قادرين على سماعها ولا تحملها.

- هناك الكثير غيركم في مصر يقول نرفض الفساد؟

- الدكتور نادر الفرجاني قال لم تجتمع السلطة مع الثروة كما هي مجتمعة اليوم، وهذا الوضع يولد فسادا كبيرا شوف يا أخي الكريم، أنا منهجي واضح، وسياستي واضحة، ولن أحيد عنها يقولون يعملون لا يهمنا، والمهم أن يظل أبناؤنا على المنهج صامدين، ويقدمون الخير للأمة ويأخذون بيد من استطاعوا.

- أليس عندكم خطة لتحرير مصر من المحاكم العسكرية؟

** اقترح عليّ.. لم نكن نحن فقط من رفض المحاكمات العسكرية، وإنما الشعب المصري كله رفضتها كل مؤسسات المجتمع المدني في الداخل والخارج ورفضها وزراء ورؤساء مؤسسات، حتى إن هناك صحفية بريطانية اسمها "ايفون" جاءت لتجري معي حوارا فسرقوا الشريط من الفندق.

- لماذا؟

- لا أعرف، نحن الآن نعيش بلا عقل ولا منطق، النظام يتعامل مع الشعب المصري بنظرية اللامعقول كما يتعامل بوش مع العالم.

- هناك من أرجع الهجمة عليكم إلى ما يحدث في غزة، كما أن البعض أرجع السبب إلى تمرير التوريث أو حتى التعديلات الدستورية؟

- لا.. هذه المقولات أنا لا أهتم بها النظام بتصرفاته هذه يدل على أنه فقد توازنه وفقد عقله وفقد مصداقيته؛ لأن النظام الذي يحرص على مصلحة الأمة عليه أن يتعامل مع كل أبناء الأمة بصرف النظر عن فكرهم ومبادئهم والإخوان المسلمون أصحاب دعوة وأصحاب عقل الشعب المصري الآن فقد حريته.

- فضيلتكم ضد حصر المشكلة بين الإخوان والنظام؟

- نعم المشكلة مع الشعب المصري كله، والمشكلة ليست مع النظام فقط، ولكن المشكلة مرتبطة بتوجه عالمي.

- النظام يقلق من اتصالات نوابكم بنواب في الكونجرس ويشتم رائحة لا تريحه؟

- يقلق.. لا يقلق النظام .. أنا منهجي واضح وهؤلاء النواب كان من حقهم كبرلمانيين أن يتصلوا بنظرائهم البرلمانيين هذا في صلب عملهم البرلماني.

- هذه المقولات لا تقنع النظام؟

- أنا لست مسئولا عن إقناع النظام إنما هي القيم والمبادئ تقنعه أو لا تقنعه أنا لست ملتزما بأن أقدم شيئا لكي أقنع به.. لا.. أنا أقدم ما عندي وهو إذا كان يرى أن عنده ما يخالف ما عندي فليقدمه. وإنما يقولي جماعة محظورة.. كيف محظورة؟

- هذه أشياء سياسية؟

- أنا أبو السياسة.

لا أحب الرسائل

- أنتم ترسلون رسائلكم للغرب بأنكم لستم متطرفين، وهو أيضا يرسل ويقول إن البديل القادم ممكن أن يكون إسلاميا وأيضا الغرب يرسل؟

- أنا لا أحب هذه الرسائل.

- ولكنها السياسة.

- أنا أعلنت من أول يوم جئت فيه مرشدا هنا أنني أتحاور مع كل الدنيا أمريكا والغرب أتحاور مع مؤسساتهم وجمعياتهم وتلفزيوناتهم وإذاعاتهم ومراكز الدراسات، لكن لا أتحاور مع الحكومة، وحتى الحكومة يمكن أن أتحاور معها، ولكن عن طريق الخارجية، أتريد وضوحا في الدنيا أكثر من هذا.

- ولما لا يكون هذا هو الموقف المعلن؟

- لا يوجد عندي موقف مبطن والنظام يعلم عني هكذا، أنا رجل واضح تمام الوضوح، مكتبي هذا كل كلمة فيه مسجلة على الهواء مباشرة، وهذا الحديث مسجل عندهم، أنا أقول للنظام آن لك أن تبصر وتعلم أين مصلحة مصر، وأين مصلحة الوطن؟ هل يأتي هذا بالقبض عليهم، وتقييد حريات الناس، وتسحب منهم العدل الذي يجب أن يكون، أم مهمتك كنظام أن تنشر العدل والحريات بين

أفراد الناس وتبقى مصر التي أنجبت عقولا.. أعجب أن مصر يحدث بها كل هذا، وهي ولادة بعقول.. أعجب كل العجب، كيف أن مصر بها مثل هذه العقول العظيمة وأنا لا أريد أن أذكر أسماء، ذات مرة كتب أحد الأشخاص مقالا قلت له أعجب أن مصر فيها أمثالك، وتعيش في هذا التخلف، مصر مليئة بالمفكرين ومليئة بالحريصين عليها فلماذا لا يتعاون النظام معهم، لماذا يترك النظام هؤلاء ولا يجد إلا أعضاء لجنة السياسات الذين نسأل الله لنا ولهم العافية، مصر مليئة، فالتعاون مع الأحزاب ومع الإخوان، لم لا تتعاون مع كل فئات الشعب الأخرى، أنا لا أدعو النظام لشيء خاص بي، أنا أدعو النظام أن يتعامل مع الشعب التعاون الذي يقره القانون وتقره الأخلاق.

- هل الإخوان ضد الضغوط الخارجية حتى ولو كانت في صالح المجتمع المصري؟
- حتى ولو كانت في صالح المجتمع المصري وأنا لا أعتقد أن هناك ضغوطا خارجية تصب في مصلحة مصر؛ لأن القوى الخارجية لا تريد لمصر والأمة العربية والإسلامية أي نهضة.
- ولماذا تفترض بالضرورة أن تكون جميع الدول الغربية شريرة؟
- لا ليست الشعوب شريرة، ولكن الواقع يقول إن حكام الغرب وقفوا مع السياسة الأمريكية الغاشمة، أليس الغرب هو من احتل بلادنا معظم القرنين التاسع عشر والعشرين؛ وهذا سبب احتقانا كبيرا في المنطقة، أليس الغرب هو من اتفق مع بوش في سياسته ودخل أفغانستان والعراق على ظهور الدبابات؟ أنا لا أرى في أي ضغوط خارجية أي مصلحة للعالم العربي والإسلامي لو كانت عند الغرب بقية من قيم ما وقف الغرب ضد إخواننا في فلسطين، الغرب لا يريد إلا مصالحه فقط، لو كان عندهم عدل ومنطق لم يقفوا مع الإجرام الصهيوني في فلسطين، أنا رجل واضح الغرب كله – وبلا استثناء– وقف ضد الأمة العربية والإسلامية، ولا يرجو خيرا له، ويريد أن تظل في مستنقع الجهل والفقر والتخلف.

- وصف مارك لينش في تقرير له نشرته مجلة (فورين بوليسى) الدعوة التي وجهت إلى الدكتور الكتاتني لزيارة بيت السفير الأمريكي في القاهرة بأنها مبادرة؛ مما يجعل الأمر كأنه مخطط له ولم يأت عبثا.

- شوف كل هذه تحليلات لا شأن لي بها.

- يعني هل ممكن أن ترسلوا رسالة إلى الغرب بمقتضاها كما قال لينش تقوم بدور مقابل أن يخف النظام ضغطه عليكم على الأقل على حد تعبير لينش؟

- هذه تحليلات لا شأن لي بها هل الغرب مش عارفين مين الإخوان؟ الأمريكان يعلمون جيدا من هم الإخوان.. السفير الأمريكي في القاهرة يعرف من هم الإخوان؟

- لابد أن تكون هناك مبادرة أو إشارة أو أي شيء؟

- دعك من هذا الكلام كله الحق لا يحتاج إلى مبادرة، والوقوف ضد الظلم لا يحتاج إلى مبادرة كل المهتمين بحقوق الإنسان في العالم، وكل أصحاب الرؤى الصحيحة في العالم وصفوا ما يجري وصفا دقيقا.. سأذهب إذا وأقول والله الحقوني، لا.. أنا لا أقول ذلك، أنا أقول هذا ظلم، وهذا اعتداء على حقوق الأفراد والجماعات.

لما يبقى نأتي !

- لكن حماس رفضت الاعتراف بإسرائيل وانقلبت على السلطة والغرب قلق من تفجير المنطقة بعد حكم الإخوان أليست حماس على منهج الإخوان؟ إذن لماذا تعتبون على الغرب من خوفه منكم؟

- أنا أقول وأعلنها للعالم أنا لا أعترف بإسرائيل، أنا أقول إن هؤلاء عصابات صهيونية اعتدت على أرض ليست أرضها وطردت أهلها منها.. مصطفى البرغوثي كان يقول محاضرة وذكر كلمة إسرائيل فقلت له كانت محاضرتك رائعة، أرجو

عمل نسخة منها وتوزيعها على كل رؤساء العالم العربي، لكن لي عتب عليك، قال ماذا؟ قلت إنك ذكرت كلمة إسرائيل، وكان يجب عليك أن تقول إنها عصابات صهيونية احتلت أرضا ليست لها.

- وماذا بعد هذا الموقف يا فضيلة المرشد؟

- أنا مليش دعوة ببعدين أنا عارف أن هناك ناسا تقول لي يا أخي ليس هناك مشكلة في أن تتعامل مع الغرب وحزب العدالة تعامل.

- لكن السياسة لها ضروراتها؟

- أنا لا أريد أن أكون سياسيا، أنا أريد أن أكون صاحب مبدأ وصاحب رسالة، أما بالنسبة لليهود فهم نفسهم يقولون نحن لن نستمر أكثر من ٢٠ سنة، هم أنفسهم يقولون ذلك، وأنت تقول نتعامل مع السياسة؟.. ياه.. لو كنا تعاملنا مع السياسة لكنا زماننا حاليا إيه.. (توقف مفاجئ وصمت).

- بطريقتكم هذه عندما تصلون إلى الحكم ستلغى كامب ديفيد وستنشب الحرب؟

- لما نبقى نتولى الحكم نبقى عندها نتحدث، إنما نحن الآن ندعو إلى الله إلى منهج وإلى رسالة واضحة تماما.. ولا يحق لإنسان أن يسأل "لما يبقى تيجي هتعملوا إيه" لما يبقى نأتي.

- قلتم في حديث صحفي قبل ذلك إنه لو وصل الإخوان إلى الحكم سيطرحون كامب ديفيد في استفتاء.

- لم أقل ذلك، بل قلت عندما يأخذ الشعب حريته، ويختار حكامه، سواء كانوا إخوانا أو غير إخوان، ستطرح كامب ديفيد على الشعب يوافق عليها أو يرفضها.

- خطابكم هذا يعطي النظام المبرر ليس لقمعكم فقط، بل قمع الشعب معكم بدعوى ضمان استقرار مصر.

- النظام أنا مليش دعوة بيه، أنا أقول رأيت فقط، ورؤيتي رقم واحد الحريات.

- وكيف تأتى الحريات؟

- سأظل أطالب بها، ولا يعنيني متى تأتي.

- تحاولون أن تنشئوا حزبا الآن فلماذا تبدوا الجماعة حائرة في الإطار الذي يجب أن تتأطر فيه، ولماذا تخرجون أو تعدلون في الهيئة التي أسسها بها مرشدها؟

- قولوا ما شئتم نحن رؤيتنا واضحة تمام الوضوح، نحن نقول إننا هيئة إسلامية جامعة، سواء كانت تعليمية أو ثقافية أو إدارية، وإن كان نظام البلد يحتاج إلى أن يكون للإخوان حزب سياسي يعبر عن رؤيتهم السياسية فنحن على استعداد، المسألة واضحة جدا مفيهاش لف ولا دوران.

- هل الحزب هو مجرد طريق للحصول على الشرعية؟

- ليس طريقا للشرعية، الإخوان شريعيون رغم أنف الجميع.

- أقصد الشرعية القانونية؟

- محظورة مش كده؟

- أنا أقصد الشرعية القانونية وليست الشرعية الواقعية؟

- الدستور ينص على أنه لأي مصري أن ينشئ جمعية أو حزبا بمجرد الإخطار.

- ولماذا الحزب الآن؟

- الحزب موجود منذ عام ٨٤.

- أعلم ولكن لماذا لم يخرج إلى النور منذ ٨٤؟

- لأننا لم نجد الوقت والظروف المناسبة التي نخرجه فيها.

- مسألة تحويل الجماعة إلى حزب أو أن يكون الحزب أحد نشاطاتها.. لماذا لا يحسم الخلاف إلى الآن في مسألة مهمة كهذه؟

- هذا موضوع نقاش، ولم نتخذ فيه قرارا حتى الآن، وعندما ننشئ الحزب سنتخذ القرار، وعندما ننشر البرنامج ونرى وجهة نظر الناس ونسمع نصيحتهم.

أين المال؟ وأنت مالك

- أريد أن أسألك عن لماذا لا تكشفون مصادر تمويلكم وأوجه إنفاقها؟

- .. إنت مالك ؟ هذا ليس من حقك، عندما تكون معنا في الإخوان من حقك أن تعرف، أما غير الإخوان ليس من حقهم أن يعرفوا؟ هل طلبت منك أن تعطيني شيئا؟ يا أخي لا تتدخل فيما لا يعنيك.

- ولكن الإخوان المسلمين مؤسسة ملك مصر، كما قال لي الدكتور أبو الفتوح ذات يوم؟

- يعني الإخوان المسلمين مؤسسة ملك مصر أومال بيحاربوها ليه؟ إذا كانت ملك مصر فلماذا لا يكف النظام يده عنها.. أنا أعرف أن الجماعة ملك مصر، وأعمل معها لخدمة مصر؛ لكن لا أحب الأسئلة التي لا تصب في مصلحة مصر.

- لماذا تنظرون للاختلاف على أنه عيب؟

- بالعكس.

- فلماذا تغطون على اختلافاتكم الداخلية ولا نسمع عنها إلا عبر تسريبات إعلامية ؟

- لا.. نحن على عينيك يا تاجر، فهذا المكتب مفتوح للكل نختلف وبنزعق مع بعض والجماعة اللي هناك يقولوا دا دول هيضربوا بعض، ولكن هذه هي الشورى، لا خير فينا إن لم نسمعها ولا خيرا فيهم إن لم يقولوها، وعندما يختلف معنا أحد فبابي

مفتوح أهلا وسهلا به، وإذا كان لا يعجبه أسلوب الإخوان فله أن يترك الجماعة باختياره، فلم يجبره أحد في الدخول حتى يمنعه من الخروج، وأنا أسأل من الذي ترك الإخوان؟ واحد تلاتة وإيه يعني؟

- لكن الجماعة لابد أن تحترم العضو حتى لو كان مجرد فرد؟

- لم نفصل أحدا قبل ذلك من الجماعة، ولكن هو دخل باختياره، وله أن يخرج باختياره، لا يجبر على الدخول ولا البقاء.

- هل هناك آلية مع المختلفين أم مجرد تعامل؟

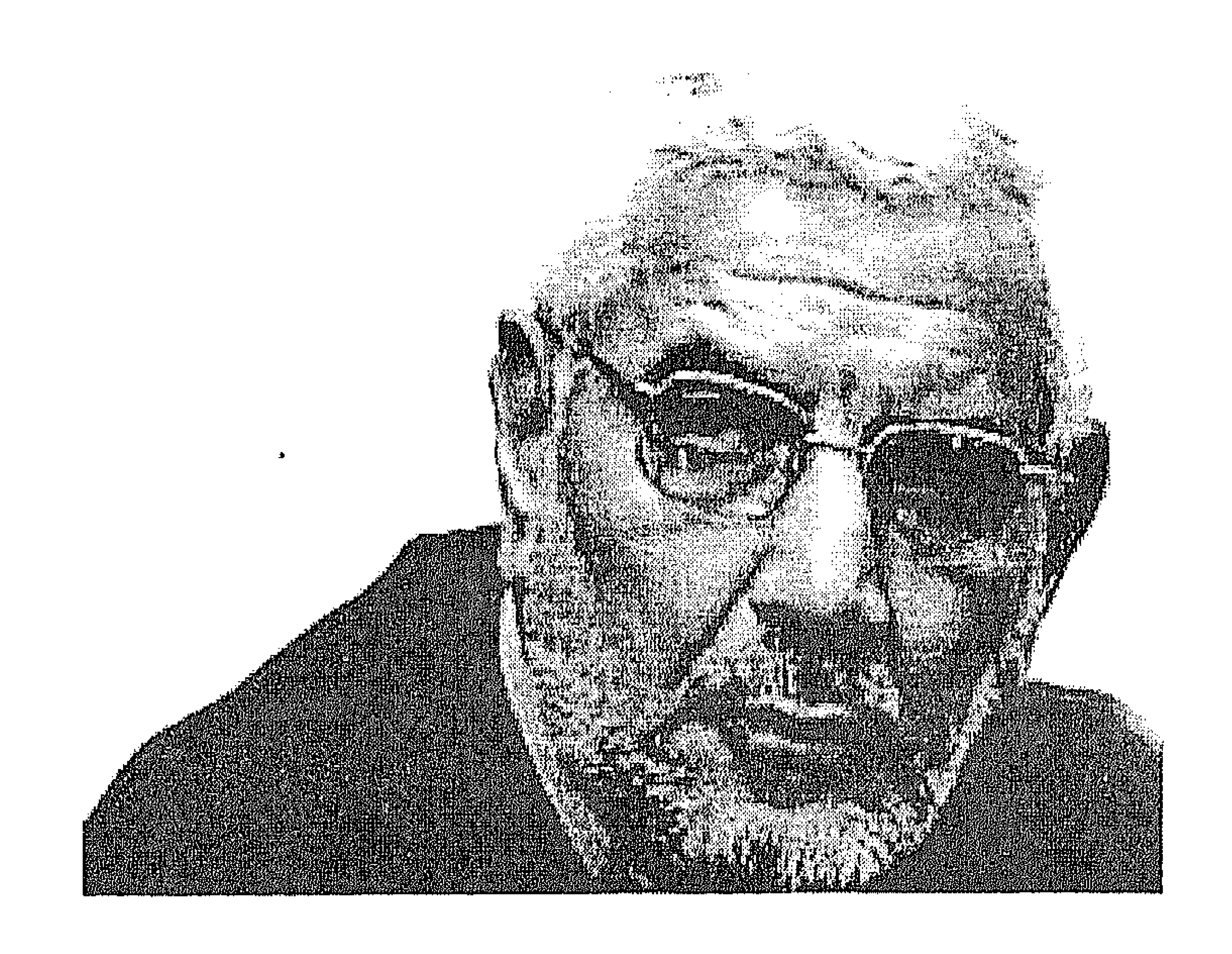
- طبعا... نحن لسنا عصابة.. نختلف ولنا آلية ونحن الآن على قلب رجل واحد؛ حتى المختلفين رغم الشتيمة التي حصلت من بعضهم وكل البلاء الذي رأيناه.

- هل نحن نسجل فعلا على الهواء مباشرة من قبل أجهزة الأمن الآن؟

- أنا أقول هنا الكلمة تطلع تاني يوم في الجرايد مكتوبة، يا حبيبي تليفوني وهذه الحوارات كلها مسجلة.

- لدرجة النشر في الصحف؟

- نعم، ولكنهم يروونه بعقيلتهم هم، فعندما يروننا "بنزعق" مع بعض يتصوروا أن الدنيا بتولع، هم لا يعرفون الإخوان، ولا يعرفون طبيعتهم، هم يرون من الخارج فقط، ولذلك أنا يا أخي الكريم أقول ما أريد، وأعلن الذي أريده، وهم يكتبون ما يشاءون، ويفبركون ما يشاءون، وكل يوم أحمد موسى يفبرك صفحة عن الإخوان، وغيره كثير من الصحافة الأمنية على حد تعبير فهمي هويدي.



حوارات عبد المنعم أبو الفتوح

كلما كنت أذهب إليه لأحاوره كي أكشف غموضا، أو أجلي غيوما، رجعت دون أن أحقق هدفي، فما زالت سماء الحقيقة تكتنفها الغيوم، لكننا لم نعدم دلالة تحتاج من القارئ أن يدقق ليستنتجها.

وأعترف أنني لم أكن أحصل على تلك النتيجة (الإشارة والدلالة) إلا في الحوار مع شخص كعبد المنعم أبو الفتوح أحد قيادات جماعة الإخوان المسلمين الموصوفين بالانفتاح، الأمر الذي كان سيغيب بلا شك مع شخص غيره؛ بسبب أن الأمر يتعدى طبائع الأفراد ليشمل طبيعة جماعة تعتبر كتمان ما يدور بداخلها مبدئا ضروريا يختلط بالأهداف الربانية، فلا تسمح بخروج إلا ما تقرر خروجهن وليس منها بالطبع خلافاتها الداخلية، وصراعاتها الخفية.

وكأنه كان يستشعر ما حدث بعد ذلك في هذا الحوار :

أبو الفتوح دعا قواعد الإخوان لانتخابات المرشد عبر الانترنت[1]

هذا الرجل لديه الكثير ليقوله وإن بدا للكثيرين أن الذي على قلبه على لسانه وأنه الأجرأ في التعبير عما يقتنع إلا أن اعتقادي ليس كذلك وإن أغضب الرجل ما أقول فهو يتبنى "سياسة" تبناها معظم جيله السبعيني قذفت بهم في النهاية إلى هامش جماعة الإخوان

المسلمين بعد أن كان بإمكانهم السيطرة عليها وقلب مسارها وربما مسار البلاد معها لكن السياسة " التقية " حالت دون ذلك ...

عندما كشف مهدي عاكف عن قراره بالاستقالة من مهامه كمرشد لجماعة الإخوان المسلمين ذهبت لأحاول أن أفهم من أبو الفتوح حقيقة مواقفهم كانفتاحيين من مرشد الجماعة مهدي عاكف، وهل وجوده حقا يحدث توازنا بينهم وبين المحافظين، وأن في غياب الرجل ضررا لا شك لاحقا بهم؟ ولماذا بدت قيادات الجماعة مرتبكة بعد تصريح عاكف بالتقاعد خلال العام وكأنها فوجئت به وهو ما يشير إلى غياب دور المؤسسات في الجماعة؟ وما تأثير شخص من سيخلف عاكف على مستقبل الجماعة، ومستقبل الإصلاحيين فيها؟ ومن يتمنى ذهاب عاكف ومن يتمنى بقاءه؟ ومن يمتلك القوة للدفع بمرشد جديد؟ ثم لماذا لا يحاسب عاكف على فترة توليه الإرشاد في الجماعة؟ ولماذا لا يتم اختيار مرشد جديد بشكل ديمقراطي كامل وسليم؟ كما سألناه عن إشكالية التنظيم الدولي، وعن السبب في عدم الإعلان عن وفاته، وغيرها من الأسئلة.. وهذا نص الحوار:

---

(١) نشرته شبكة إسلام أون لاين نت .

أين المؤسسية

- ألا يكشف قرار مهدي عاكف بالتقاعد عن غياب دور المؤسسات في الجماعة، أو عدم وجودها أصلا، فعاكف اتخذ قراره بشكل فردي، ولم يعرضه على الجماعة، وبالتالي فلم تناقشه، ولم تستعد له، حتى بدا أن قيادات الجماعة فوجئت به؟

- هذا قرار شخصي لا علاقة للمؤسسة به أصلا؛ فلا علاقة للمؤسسة بشخص ما في منصب ما داخل مؤسسة ما أن يقول إنني لن أعيد ترشيح نفسي، وبالتالي لا محل هنا لإثارته في المؤسسة أصلا، وكونه يستطلع رأي بعض المستشارين أو بعض الناس، فهذه مسألة تخصه، لكن القرار شخصي.

- المسألة أعقد من ذلك، هذا مستقبل تنظيم كبرى الجماعات الإسلامية في العالم، وقرار التقاعد له تبعات خطيرة على مستقبل التنظيم، فكيف لا تدرس المؤسسة قرارا بهذه الخطورة، وتعد آليات انتخاب مرشد جديد، وتدرس آثار مثل هذا القرار على الجماعة وغيره من الأمور؟

- أنت غير محتاج لشيء من هذا؛ لأن المرشد ستنتهي مدته غدا أو بعد غد، وعندما تنتهي له أن يرشح مع آخرين سيرشحون، وهو لن يكون المرشح الوحيد، وكونه لن يرشح نفسه فهذا قرار شخصي، وكون أن المؤسسة تدخل في إثنائه عن قراره الشخصي فمن حقه أن يستمر أو يرفض، وهذا حقه، فلا أحد يترشح بالقوة.

- إذا كنت ترى أن هذا قرار شخصي إذن فهو لا يعبر عن حالة حراك وتطور مؤسسي في الجماعة؟

- التطور ليس في هذا.. العالق في أذهان الباحثين - وللأسف معظمهم لا يدقق- أن المرشد في جماعة الإخوان المسلمين يظل مرشدا إلى أن يموت، مستصحبين تاريخ المرشدين السابقين دون تدقيق، وهذا صحيح؛ لأن المرشدين الذين ماتوا كانوا

يموتون ليس لأن اللائحة تنص على أن المرشد يبقى إلى أن يموت، فاللائحة تحدد فترة المرشد بـ ٦ سنوات، وتحدد مدد الفترات بفترتين فقط، وهذا تطور مهم لا يلحظه معظم الباحثين.

مرشد تحت الـ ٤٠

- لكن ليس هناك تحديد لسن المرشد فيتولاه شخص فوق السبعين، ولا يتركه إلى أن يموت، التغيير الحقيقي سيكون في النص، في اللائحة، على تحديد سن للمرشد؛ لكي يمنع هيمنة الحرس القديم الذي يتخيل أن في مجرد وجوده في القيادة حماية للجماعة؟

- أنا أتمنى أن يحدث هذا، ليس فقط للمرشد، أنا أتمنى أن يحدث تطوير في اللائحة، وينص فيها على أن من يتولى جميع مستويات المسئولية في الجماعة لا تتجاوز سنه الـ٥٥؛ لأن هذه سن العطاء والحيوية.. كنت أتمنى أن تكون كل المناصب في الإخوان ما بين سن العشرين إلى الأربعين، ولكن هذا لم يأت أوانه بعد.

- هل يصب تقاعد عاكف في مصلحة الجماعة؟

- نعم يصب في مصلحة الجماعة.. وهذه مسألة تقديرية، أنا أتصور أن عاكف يعطي نموذجا ومثلا، وهو أن مسئول الإخوان المسلمين لا يلهث وراء السلطة، وهو يعطي نفسه نموذجا بأن لديه فرصة ثانية، ومع ذلك يترك مكانه للآخرين، لا شك أن هذا نموذج جيد، وكون أن الجماعة تقدر في وقت الانتخاب أنها تجد أنه من المفيد أن يستمر عاكف أو غيره فهذه مسألة متروكة للمؤسسة، فتطلب منه أن يستمر، فيوافق أو يرفض وهذه مسألة أخرى؛ لأن من حقه أن يرفض.

- لكن الماكينة الإعلامية وجهت الجماعة بشكل غير مباشر، فاستجلبت تصريحا قديما وأحيته ونفخت فيه فوضعت المرشد والجماعة في موقف المحاصر؛ الذي إن تراجع

فسيوضع في الموقف الحرج، ويجلد بصوت الانتقادات التي ستشبه بموقف قادة النظم، وبالتالي فقد فرض الإعلام اعتبارات أصبح على الجماعة الأخذ بها؟

- أنا أرى هذا، وأنا مع هذا التحليل.. هناك من يقف وراء هذه الماكينة الإعلامية؛ لأن الأستاذ عاكف مرشد غير مرغوب فيه، لا أمريكيا، ولا صهيونيا، ولا من النظام المصري، فهو غير مرغوب فيه من هذه الأوساط - وليس غير مرغوب فيه إخوانيا وإلا لم يكن يأتي- فهذا الموقف المتصلب للأستاذ عاكف وكلامه ضد المشروع الأمريكي الصهيوني جعلهم يتمنون اليوم الذي يذهب فيه الأستاذ عاكف ليس وحده، لكنه ضمن الذين يعادون هذا المشروع.

عاكف غير مرغوب فيه

- لم يتجاوز كلام عاكف إطار التصريح، والأمريكان والصهاينة يعادون من يهدد مصالحهم فعليا، وعلى الأرض الواقع، لا في إطار التصريح.. فلماذا يعادون مهدي عاكف؟

- عاكف كان له موقف داعم لحزب الله؛ الذي هو حزب شيعي، شن حربا ضد إسرائيل.. حسن نصر الله نفسه قال إن أكبر موقف داعم لنا كان موقف فضيلة المرشد عاكف، وهذا لما يمثله المرشد، وليس المرشد لذاته؛ لأن المرشد كشخص مثله مثل باقي خلق الله، لكنه يمثل حركة جماهيرية كبيرة، ولها امتدادها الثقافي والفكري والدعوي على امتداد العالم، فلا يؤخذ تصريحه على أنه مجرد تصريح.

- هناك تحليلات ذهبت إلى أن بقاء عاكف يصب في مصلحة تيار الانفتاحيين الذي تمثله، والذي لا شك سيتضرر بغياب عاكف؛ لأن من سيخلفه إما متشدد أو يميل إلى المتشددين.. وهناك من يرى أن وجود عاكف يحقق توازنا بين أجيال وتيارات وخبرات؟

- هذا تحليل غير صائب.. ما يحدث توازنا في أي جماعة - الإخوان أو غيرهم- هو الإدارة المؤسسية للجماعة -وليس الشخص- والاتفاق على آليات لحسم الخلاف.. لابد على الاتفاق لآلية لحسم الخلاف، وأيضا ما يحدث توازنا هو الاتفاق على المرجعية الفكرية.

- شخصية المرشد محورية، ولها قداسة في جماعة الإخوان المسلمين؟

- دور المرشد متمم وليس منشئا، ودوره هو أن يحسن إدارة الآليات التي قلتها، وأن يحسن تفعيلها لصالح المؤسسة أو لا يحسن تفعيلها وإدارتها، لكن في غياب هذه الآليات فمهما تكن شخصيته لن يستطيع أن يفعل شيئا.. أين هي مرجعية هذا التجمع؟ كيف نحكم خلافتنا؟ كل هذه الآليات عندما تكون موجودة فدور القائد أو الرئيس يكون في تفعيل هذه الآليات، وأن يحسن استخدامها من عدمه.

- لو افترضنا نظريا أن هناك شخصا يأتي كمرشد يميل للتيار المحافظ فلا شك أنه سيحدث تقوقعا وانكفاء للتيار الإصلاحي؟

- أنا لا أريد أن أعيد تخريج المسائل، لكن لو قلت لي يؤثر أقول لك نعم يؤثر... لا أستطيع أن أقول لك لا يؤثر، لكن أن يحدث عملية انكفاء وردة وتخلف - وكل هذه الأشياء الكبيرة - أقول لك لا.. وأنا ممكن أضرب أمثلة لناس كبيرة يمكن أن يعتبرها الإعلام من التيار المحافظ، وعندما أتوا إلى مواقع المسئولية لم ينجحوا في عمل الانكفاء ولا الردة ولا التخلف؛ لأنهم لا يريدون هذا.

نعم .. انتخابات منقوصة

- انتخابات الجماعة منقوصة، وتتم بطريقة الكل مصوت والكل مرشح، وهو ما يعني عدم وجود برنامج، وبالتالي فلا محاسبة ولا شفافية، والانتخابات التصعيدية الأخيرة لمكتب الإرشاد لم يعرف حتى الآن كيف جرت؟

- نعم العملية عندنا في الإخوان عملية منقوصة؛ لأن العملية الانتخابية في ظل تنظيم محاصر ومطارد أمنيا لا تتم كما يجب أن يكون، وليس بالصورة المثلى؛ لأن العملية الانتخابية في صورتها المثلى لابد أن تسبقها حالة من انسياب المعلومات بين الجسد المنتخب كله، بحيث أني كإخواني أعرف سين وصاد وغيره من الإخوان جيدا، لكن هذه المسألة دونها القيود الأمنية للأسف الشديد.. أنت تقول منقوصة أنا أقول نعم منقوصة.

- طريقة الانتخابات هذه تعد مبدأ عند الجماعة "ألا يكون هناك مرشح يعلن نفسه"، وبالتالي فلا يوجد له برنامج؟

- هذا ليس صحيحا.. لا يوجد نص عندنا في اللائحة يمنع أحدا من الإعلان عن ترشيح نفسه، وجزء من انسياب المعلومات أن يعرف الناس برنامجك وطريقتك في الإصلاح.

- لم يحدث أن أحدا من الإخوان رشح نفسه في انتخابات داخلية للجماعة من قبل، وهذا تناقض، لأنكم ترفضون قبول مبدأ الترشح خارج إطار الجماعة، في حين تقبلونه وتطالبون به غيركم، والمبادئ لا تتجزأ؟

- لم يحدث داخل الجماعة هذه مسألة أخرى؛ بسبب دوافع نفسيه وأخلاقية أن الأخ لا يريد أن يتولى المسئولية، لكن إن أعلن أحد عن ترشيحه فلا مانع، فلن يكون أفضل من سيدنا يوسف الذي قال "اجعلني على خزائن الأرض".

- أين النموذج الذي يثبت لي أنكم كإخوان ديمقراطيون، تمارسون الديمقراطية على أنفسكم، وهذا يعطي نموذجا على حكمكم في المستقبل؟

- تحدث عن الجانب الآخر، كان يتدافع سيدنا عمر لمن يؤم الناس في الصلاة، الذي يفعل ذلك يجوز، والذي يفعل ذلك يجوز، لا تستطيع أن تقول لأيهما أنت خطأ.

أين كتب العوا والقرضاوي

- لا يوجد هناك تعميم لثقافة الديمقراطية لدى الإخوان، كما أن هذا ليس موجودا على أجندة القادة التربويين فيها.. هناك عقليات جامدة تتحكم في الجماعة وتهيمن عليها... أعضاء الإخوان في الأسر لا يدرسون إلا لأشخاص مجهولين، وبعض الكتب لسيد قطب ومصطفى مشهور، أين كتب محمد عمارة، وسليم العوا، والقرضاوي؟

- ألا يكفى القرآن والسنة نفسهما، القرآن والسنة يربيان على الشورى والديمقراطية؟

- أستشهد بها لأنها كتب لمفكرين إسلاميين المفترض أنهم لا يبعدون فكريا عن الجماعة، ومنبعهم ومرجعيتهم واحدة.. التربويون لا يدرسون كتب غيرهم، حتى في السياسة تدرس كتب فتحي شهاب الدين، وهو ليس معروفا بالفكر السياسي، ويدرس لمجرد أنه إخوان.

- شهاب تدرس كتبه؟ جيد فهو شخصية متفتحة أنا أعرف هذه التفاصيل لأول مرة.

الأزاهرة الإخوان ...والجمود

- ألا ينتج عن هذا إفراز عقليات إخوانية جامدة ومستنسخة ولا تقبل الآخر؟

- العبرة بالمضمون.. هل يربى الأخ على ألا يقرأ لأحد؟ على العكس.. هناك جزء من البرنامج التربوي هو القراءات الحرة، وهو عبارة عن فقرة ثابتة لكل أخ يقرأ ما يشاء، ويأتي ليوجز أهم المعاني التي استفادها من الإخوان، وكتب العوا أو غيره الذي من خارج مقرر الإخوان التربوي، وأيضا لكي أكون أمينا معك لا يوجد حظر على الأشخاص الذين يضعون البرامج، فلا يقال لهم ائتوا بكتب فلان أو كتب علان.

والبرامج التربوية الثقافية هي وضع الأشخاص الذين وضعوها.. أنت تسميها هيمنة، هي ليست هيمنة، الأشخاص هؤلاء الذين يضعونها معظمهم أزهريون، وهذه طبيعة التربية الأزهرية، والأزهر تراجع، ومن الذين تراجعوا الملتزمون، وقلما تجد خريجا أزهريا متفتحا، أين هو الأزهري المتفتح؟.. حالات استثنائية.. اذهب لترى فتاوى الأزهر ستجدها "شيء يكسف"، اذهب لترى فتاوى التعامل مع الأقباط والمرأة ماذا تقول؟ عندما تقرأ كتب الإخوان وكتب علماء الأزهر التي ليس لها علاقة بالإخوان ستقول إن هناك فرقا شاسعا بين هذا وذاك.

- الآن فرص الإصلاحيين قليلة بعد الانتخابات الجزئية لمكتب الإرشاد التي لم تكن في صالح الدكتور عبد المنعم؛ لأنها جاءت بأشخاص تميل للتيار المحافظ في الجماعة؟
- مكتب الإرشاد ليس له علاقة، بالمرشد يمكن أن يكون أي أخ من الإخوان، فلا يوجد شرط أن المرشح يكون من مكتب الإرشاد، ولا من مجلس الشورى، المرشح يكون أكثر من ٣٠ عاما، وأن يكون عضوا في الجماعة أكثر من ١٠ سنوات.
- هذا كلام غير عملي والمرشد يختار بالتوافق بين الـ٥ الكبار في النهاية؟
- الواقع ليس كذلك.. قصدي أقول إن هذا هو الشرط الذي في اللائحة، لكن إذا شخص قال أنا أرشح فلانا الفلاني فليس من الشروط أن يكون عضوا في مكتب الإرشاد ولا في الشورى، ولو أحد رشح نفسه فلن يقول له أحد ممنوع، لا أحد في اللائحة يمنع، لو قام الدكتور محمد حبيب وقال أنا أرشح نفسي يا جماعة سيكتب اسم، وهذا اسم، وتعقد انتخابات، هب أن أحدا لم يرشح نفسه إلا واحدا، فسيكون واحدا ويعمل انتخاب، ولازم يحوز على الأغلبية.

من المهيمن ؟

- أعلم أنكم كقيادات توصف بالانفتاحية لا تحبون أن تظهروا إعلاميا بأنكم تيار مهيمن عليه من قبل المحافظين.. ترى أن النظام يغذي هذا المعنى؟

- لا شك أن هذا يخدم النظام.. الفكر الإصلاحي مهيمن على الجماعة؛ بمعنى أنه هو الفكر السائد - الفكر الإصلاحي هو الفكر السائد- دعك من المناصب الإدارية التأثير هو التأثير على العقل وعلى الفكر وهو الأهم من التأثير على الإدارة.. من الذي يشكل عقل الناس في الإخوان المسلمين؟ الذي يتولى مسئولية ولا يستطيع أن يشكل عقل الناس؟ أم الذي يشكل عقل الناس وأفكارهم وآرائهم؟ أيهما أكثر تأثيرا الهيمنة الفكرية أم التنظيمية؟ المهيمن تنظيميا كل سلطانة على الناس هو السلطان التنظيمي.

- كل مرشد يأتي لا يذهب إلا بالوفاة، والآن عاكف يريد أن يذهب قبل أن يموت، فلماذا لا تتم محاسبته، وأن يحدث تقييم لفترة المرشد؟

- لماذا لا يحدث؟ أجيبك بأن هذا قصور، لكن هذه فكرة واقتراح جيد يجب أن نكتبه ونسطره، ويكون هناك تقييم للإيجابيات والسلبيات لفترة المرشد حتى يستفاد من هذا ويتلافى السلبيات.. هذا اقتراح جيد.

- ولماذا لا يأتي بأجندة معينة يحاسب عليها؟

- المفروض أن من يأتي لتولي منصب إداري في الجماعة أن تكون له أجندة واضحة.. هذا لا يحدث وهذا قصور.

ولم لا تكون مرشدا؟

- لم لا تأتون بمرشد مفكر أو سياسي بدلا من المرشدين التنظيميين، تتشابهون مع النظام في هذا أيضا، النظام يأتي بعسكري وأنتم تأتون بتنظيمي؟

- جماعة الإخوان المسلمين تحتاج إلى زعيم مفكر وسياسي.

- لكنه ليس موجودا؟

- أنا لا أريد أن أقول موجودا أم لا لكن هذا الشخص لا أعرفه.

- ولم لا تكون أنت مرشدا؟

- ليس عندي طاقة صحية، وهذا منصب كبير يحتاج إلى جهد كبير، أنا لا أصلح لهذا، أنا أدرى الناس بنفسي.

- لكن عندما تتخلى عنه سيأخذه راديكالي لا تتطلبه ظروف المرحلة.. ثم لماذا لا تترك حرية الاختيار للرأي العام في الجماعة؟

- أنا أتمنى أن يحدث تعديل في اللائحة، بحيث يكون انتخاب المرشد من جمهور الإخوان في مصر جميعا، ويشاركون في انتخابات المرشد؛ لأن منصب المرشد كبير ومؤثر، نحن لا نريد أن ينتخب المرشد الهيئة التأسيسية، ومن السهل حدوث هذا عن طريق النت، ويكون هناك "باص وورد" لكل أخ من الإخوان العاملين، ويمكن أن يصوت لانتخاب المرشد ٢٠٠ ألف مثلا، وهذا يعطي قوة للمرشد، ويعطي حسن اختيار، أدعوا إلى عمل تعديل في اللائحة.

- ألا تخاف من طرح مثل هذه الأفكار.. الكثير يخافون من طرح مثل هذا على مستوى الجماعة خوفا على مستقبلهم؟

- ومن الذي يخاف؟ أنا أطرحه لأول مرة؛ لأن هذه الفكرة أتتني منذ أيام فقط، وأنا أقول لك هذا وانشره.

- لماذا لا يطرح المرشد القادم أهدافا معينة يكون مسئولا عن تحقيقها خلال الـ ٦ سنوات القادمة؟

- هذه وظيفة البرنامج الذي يقدمه المرشد إلى مكتب الإرشاد، والذي يقوم بدوره بعرضه على الشورى، وهذا يحتاج إلى أن مجلس الشورى يجتمع لمدة ٣ أيام على الأقل في هدوء يناقش هذا، وهذا أصبح الآن شبه مستحيل بسبب الأمن.. فلا

يستطع الشورى أن يجتمع في مكان لمدة ٣ أيام؛ بسبب الخوف من الاعتقال، ويمكن أن يكرر الأمن هذا كما حدث معنا في عام ٩٥.

- هذه الواقعة تأخذ كمبرر يسوقه الإخوان في مواجهة المطالبة بإجراء عملية انتخابية كاملة، مع أنها كانت حالة استثنائية ولم تكرر، وليس أدل على صحة ما أقول من انتخابات مكتب الإرشاد الأخيرة التي مرت بسلام دون قلق أمني؟

- لكن النظام كررها لما اجتمع العريان في منزل نبيل مقبل، وكان بهدف التعارف، قبل انتخابات مكتب الإرشاد، وانتخابات الإرشاد الجزئية جرت بدون اجتماع.. "بالتمرير".. وأنت تقول برنامجا وليس منطقيا أن يناقش برنامج بالتمرير.. هناك فرق بين العقل الجمعي والعقل الفردي.. هناك فرق بين أن تعرض شيئا للناس ليقولوا نعم أو لا، وبين اجتماع يجب أن يتم للمناقشة.

- مكتب المرشد يجتمع كل يوم، والمكاتب الإدارية موجودة في كل المحافظات تمارس مهامها؟

- الأمن يمكن أن يرصد ٥٠ اجتماعا ويتركهم، ولكن يأتي على الاجتماع الـ٥١ ويستهدفه.. نحن نعمل مئات الاجتماعات لكن ليست اجتماعا لمجلس شورى، والأمن نفسه قال ذلك ذات مرة.

التنظيم الدولي.. من يستطيع اعلان وفاته؟

- جدد تصريح عاكف أيضا قصة التنظيم الدولي للإخوان الذي نفيت وجوده أصلا، بينما اعترفت قيادات أخرى داخل الجماعة بوجوده.. قد تكون هي المرة الأولى في التاريخ الذي يختلف فيها أعضاء تنظيم على وجوده من عدمه.. أليس غريبا؟

- هل تتحدث عن الوجود الفعلي؟ فلا يوجد وجود فعلي للتنظيم الدولي، هل تريد أن تقول إن هناك وجود نظري للتنظيم الدولي في صورة تنسيق وعلاقات ولقاءات

وهكذا؟ أقول لك نعم.. لكن كلمة تنظيم دولي عندما تقال في الحركة الإسلامية تعني إصدار قرارات هرقلية هرمية من القمة إلى القاعدة، وهذا لا يحدث في جماعة الإخوان إلا على مستوى كل قطر على حدة، فمكتب الإرشاد في مصر لا يصدر تعليمات لإخوان الأردن، لكن يتبادلوا النصائح.

- فلماذا لا يعلن تصفيته، أو يعلن عن عدم وجوده؟

- أنا أقول لك إنه غير موجود، والموجود تنسيق دولي، وسجل ما أقوله، وأقول لك دليلا على صحة ما أقوله: إخوان العراق شاركوا في مجلس الحكم، وإخوان سوريا شاركوا في مجلس الخلاص، وإخوان الجزائر بينهم خلافات، ولا يوجد سلطان لإخوان مصر على كل هؤلاء، فلماذا الإصرار على "التنظيم الدولي.. التنظيم الدولي".

- الجماعة التي تصر على ذلك، ولست أنا، وأنا أؤكد لك ذلك: عند وفاة حسن هويدي نعت الجماعة على موقعها الرسمي الرجل ووصفته بأنه نائب المرشد، وهو سوري مقيم في الأردن.. ألا يعني ذلك أن الجماعة مصرة على التمسك بالتنظيم الدولي؟

- هناك خلط بين المنصب الروحي، والمنصب السياسي والتنظيمي، بابا الفاتيكان منصب روحي، ومرشد إخوان مصر مسئول عن إخوان مصر تنظيميا وسياسيا، وليس مسئولا سياسيا وتنظيميا عن أي إخوان في أية بقعة غير مصر، مرشد الإخوان في مصر له نوع من الارتباط الروحي والفكري لكل الملتزمين بالمدرسة الإخوانية.

اللبس يأتي بسبب الخلط بين الالتزام الروحي والفكري الموجود لدى إخوان العالم كله بالالتزام التنظيمي، لكن الموجود التزام فكري وأبوي وروحي ليس أكثر من

هذا، والأجهزة في الدنيا كلها تعرف هذا، وكل اجتماعات الإخوان تحت سمع وبصر الأجهزة.

- لكنه وجد ليبقى؟

- حينما بدأ كان المطلوب أن يقوى عن هذا الوضع، لكنه لم يستطع؛ لأن هذه الفكرة ضد واقع المسائل ، فالدولة الحديثة دولة عفية ولا يمكن اختراق حدودها بأي حال من الأحوال، ولا يقبل إنسان عاقل يعيش في مصر ويأخذ تعليمات من الأردن، أو يعيش في الأردن ويأخذ تعليمات من تونس، هذا كله عبث.

- إذن فلماذا لا توفق الأوضاع ويعلن عن تمصير الجماعة؟

- الجماعة مصرية مائة في المائة، ولا تحتاج إعلانا، هل أنت تريد أن تتحدث عن الواقع أم عن الأوهام؟

- إذن لماذا لا يقال الجماعة مصرية ولا يوجد لها ارتباطات بالخارج؟

- لا.. نحن لنا ارتباطات بالخارج.. ارتباطنا بالمدرسة الإخوانية في العالم كله، إذا كانت الشيوعية مرتبطة على مستوى العالم كله، والماسونيون والروتاريون... لماذا تصر على أن تجعل من هذه المسألة مشكلة؟.. كل مرة تفجر هذه المسألة عند اختيار مرشد جديد.. الإعلام يخرج يتساءل: المرشد سيكون من مصر أم من الخارج؟

- تثار هذه النقطة بسبب اللائحة التي تؤكد وجود تنظيم دولي، فهناك لائحة عامة لإخوان العالم، وهناك مكتب إرشاد عام يضم ٤ أربعة من خارج مصر، وهناك مجلس شورى عالمي يضم إخوانا من الخارج؟

- هل تعرف قانون الجمعيات في مصر؟ قانون مصري، والجمعيات التي في مصر جمعيات مصرية لا أمريكية، مثل الجمعية الطبية المصرية، هذا القانون يسمح بوجود عدد منهم في مجالس الإدارة غير مصريين، لكن بشرط ألا يتجاوز الـ٣٠ في المائة.

- المسألة أبعد من ذلك.. هذا تنظيم سياسي، ويمكن أن يأتي مرشد من خارج مصر؟
- لا يمكن أن يكون من خارج مصر.
- اللائحة لا تمنع حدوث هذا؟
- لكن من الذي سينتخبه؟
- إذا كانت اللائحة غير عملية فلماذا لا تعدل ويعلن عن وفاة التنظيم فعليا ونظريا، وتحل الإشكاليات الناتجة عن وجوده نظريا، وعن وجود لائحته، وتبعث رسالة للنظام؛ الذي لا شك يغضبه فكرة وجود تنظيم عابر للقارات على أرضه، وخارج نطاق سيادته، خاصة إذا كان يعتبر الجماعة غير مشروعة؟
- أنت تتحدث عن تصفية شيء ليس له وجود.
- نظريا موجود فلماذا لا يعلن عن وفاته؟
- هذا شيء موجود في التاريخ مثل من يقول صفوا النظام الخاص، ليس هناك نظام خاص هذا شيء في التاريخ.

عاكف قبل الرحيل

- هل ترى أن هناك شيئا يجب أن يفعله عاكف قبل أن يرحل؟
- ليس في ذهني الآن، أنا الآن مرهق.
- أنا أذكرك، مثلا: أن ينجح في إيجاد صيغة بمقتضاها يتم الفصل بين العمل الدعوي والسياسي؟
- أنا ضد الفصل بين العمل الدعوي عن السياسي، لكن أنا مع فصل الدعوي عن الحزبي.
- كثير من الإسلاميين الذين ينتمون إلى المدرسة الإخوانية قفزوا على هذه الإشكاليات في حين أنكم ما زلتم تعانون من جمود فكري؟

- عاكف لا يستطيع أن يأخذ قرارا في هذا منفردا، لا هو ولا غيره.

- لماذا لا ينهي عاكف قصة حزب الإخوان قبل رحيله، خاصة مشكلة النص فيه على عدم السماح بتولي المرأة والأقباط رئاسة الدولة؟

- وضع هذا المسألة في البرنامج خطأ، والأصل أنها لا توضع؛ لأنه يحوله إلى برنامج فئوي، من حق الحزب الشيوعي ألا يرشح إلا امرأة هذه مسألة تخصهم، ومن حق الحزب الإخواني ألا يرشح إلا رجلا مسلما هذا شأنه، لكن هل أنت تريد أن تسعى لتغيير الدستور لوضع نص فيه أن يكون المرشح رجلا؛ لأنه يلزمك ويلزم الآخرين.. لا، نحن لن نفعل ذلك؛ لأن هذا يتنافى مع برنامج الإخوان الذي ينص على مبدأ المواطنة، فالنص في البرنامج نفسه كان غير رشيد؛ لأن ما يكتب في البرنامج هو ما نسعى لتحقيقه للمجتمع كله، وهذا يحوله إلى حزب فئوي، وهذا ضد مفهوم الحزب..

في الحوار الثاني مع أبو الفتوح :

الإخوان ستموت إن لم تراجع نفسها[1]

كان لديه حلم

* منذ ثلاثة عقود كان لجيل السبعينيات في حركة الإخوان المصرية حلم يثق أنه سيتحقق.. ثلاثون عاما مضت ولم تحققوا شيئا، بينما حركات إصلاحية حققت أهدافها فى ١٠ سنوات وتحت ظروف أسوأ من ظروفكم، فما العلة؟

- ليس هناك بلد ظروفها أسوأ من ظروف مصر، فظروفنا السياسية أسوأ من ظروف جنوب أفريقيا قبل سنوات، والحال في موزمبيق وأنجولا اليوم أفضل من حالنا، لا أتصور أن هناك ظروفا أسوأ من ظروف مصر.

* جيل السبعينيات في الحركة – الذي تنتمي إليه – هو المؤسس الثاني للجماعة، ومع ذلك أتى أشخاص يحسبون على الحرس القديم من خلفية المشهد وسيطروا على مقاليد الجماعة، واكتشف الناس فى النهاية أنكم بدون ثقل، ومجرد ظواهر إعلامية بدون أرجل تنظيمية... أنتم صنعتم الكعكة وهم قضموها.

- هذا الطرح غير صحيح؛ لأن جيل السبعينيات إذا جاز التعبير وما تلاه يشكل ٩٩٪ من مكونات الجماعة؛ وللأسف الإعلام الأمني هو الذي روج هذه المقولة، وأن هناك مجموعة من المتشددين أو القطبيين تسيطر على الجماعة، وتهمش دور الإصلاحيين أو ما يسمى بـ "مجوعة عمر التلمساني" وهذه المقولة غير صحيحة وغير دقيقة.

(١) (نشرت جريدة الدستور جزء من هذا الحوار ونشرته شبكة إسلام اون لاين نت كاملا) .

لا شك أن التيار العام للاخوان هو تيار الإمام حسن البنا ومن يحمل فكره، وهناك أفراد هنا وهناك وعدد قليل مازال مُصراً على أن يسير على أفكار سيد قطب، وهي أفكار ثورية إقصائية في جزء منها وليس كلها، وهذا نقدي على الأستاذ سيد قطب الذي كتبته وأعلنته، وقلت إن الأستاذ سيد قطب في فكره ومواقفه لا يمثل الفكر السائد فى جماعة الاخوان المسلمين، وفكره ثوري.

الفكر والتيار العام في الإخوان حتى هذه اللحظة هو الملتزم بنهج وتيار الإمام البنا الذي صاغه في رسائله، والذي اجتهدنا عليه فى بعض المواقف مثل الموقف من المرأة والتعددية الحزبية.

يمكنك أن تختار عينة من الجماعة فى أى موقع، ستجد أن التوجه العام المسيطر على فكرها هو فكر الإمام البنا وليس فكر أحد غيره، هذا ليس معناه عدم وجود أشخاص إقصائيين هنا وهناك، ولديهم فكر متطرف، لكنهم لا يشكلون إلا نسبة قليلة جدًا، وأنا لا أشكك فى إخلاصهم، لكن لديهم قناعات مخالفة للقواعد العامة للجماعة وللتيار العام داخلها.

* تريد أن تقول إن الجيل الإصلاحي هو الذي يسيطر على عصب التنظيم؟

- التيار الإقصائي المنغلق ليس الأصل في الجماعة، ولو كان الأصل لما دخلت الجماعة الانتخابات، لا في مجلس شعب ولا شورى، ولا محليات ولا نقابات؛ لأن طبيعة التيار الانغلاقي الإقصائي أنه لا يصلح للعمل العام. هل هناك فكر منغلق يدخل الانتخابات العامة!؟ ، أو يتحرك في انتخابات وهي من أكثر تجليات العمل العام والشعبي!؟.

كيف أقول إن هناك تيارا انغلاقيا؟ التيار الانغلاقي لا يريد دخول الانتخابات العامة ويريد مقاطعة القوى السياسية الأخرى، ولكن هذا لا يحدث، إذن لا دليل على أن التيار المتطرف المتخلف يسيطر على الجماعة.

* هذا ليس دليلا على أن التيار المتشدد ليس المسيطر على مقاليد الجماعة؛ لأن اقتناعه بفكرة المشاركة السياسية ليس دليلا على أنه معتدل وإصلاحي؟

- كيف؟ هذا يتناقض .. الأفكار والاعتقادات تنعكس على السلوك ..لو أن شخصا لديه أفكار لا تتجاوز جمجمته فلن يكون لأفكاره قيمة، لكن الجماعة تمارس الأفكار والأفكار خطورتها أنها تتحول لممارسة على الأرض، فالممارسة لا تنبئ عن حالة انغلاق ولا حالة إقصاء.

ضرورة الإصلاح

* ".. إما القيام طوعًا بثورة إصلاحية داخلية تخلص الجماعة من عيوبها التاريخية خصوصا ما يتعلق بالجمود الفكري والديني الذي أصابها على مدار عقود، أو التعرض لنوع من الانفجار الداخلي ربما يكون بداية الاندثار للطبيعة الكلاسيكية للجماعة بما قد يمهد الأرض لبروز تيار إسلامي جديد" .. ما رأيك ؟

- أنا أتصور أن هناك خلطاً في هذه المقولة أو هذا الطرح بين حالة الجمود في المجتمع المصري وبين حالة الإخوان المسلمين، المجتمع المصري يعاني من حالة خمول عامة نحن كإخوان مسلمين أحد ضحاياها، النظام صادر حركة المجتمع المدني كله وحاصره بداية من سنة ١٩٩٢ عندما بدأ الإرهاب والعنف، وحيوية أي مجتمع ومنظماته الأهلية أحد الأسباب الرئيسية لتكوين قيادات ولتطوير الفكر، أنت تتحدث عن مجتمع مدني ومنظمات تتحرك في المجتمع المدني مثل الإخوان والقوميين وغيرهم، نحن جزء من هذه المنظمات ونصاب كغيرنا بحالة خمول وحالة جمود.

في الطب نقول العضو الذي لا يتحرك يضعف، بل يصل الى حد الموت، فالحصار الذي فرضته الدولة على مؤسسات المجتمع المدني كلها - وبالذات الحركات الإسلامية كالإخوان المسلمين - لا شك أنها أصابتها بحالة من الجمود؛ لأن تطوير الفكر والمواقف والرؤى يأتي في سياق حركة في المجتمع موجودة.

وأنا لا أقول هذا الكلام على إطلاقه، ولا أستطيع أن أقول إن حركة الإخوان المسلمين مصابة بحالة جمود مطلق، إنما هي حالة جمود نسبي، بدليل أنك عندما تنظر إلى مكونات المجتمع المصري في السبعينيات تجد عصام العريان وحلمي الجزار وإبراهيم الزعفراني وخيرت الشاطر بالنسبة للتيار الإسلامي، وتجد حمدين صباحي ومحمد سامي في التيار الناصري، واليساريين تجد أحمد بهاء شعبان على سبيل المثال، ولكن لو سألتك أين هي قيادات الإخوان واليساريين والناصريين في الثمانينيات والتسعينيات فلن تجد اسما تقوله لي، هذا لأن المجتمع منذ ٩٢ نتيجة الإرهاب ونتيجة مزيد من سيطرة الدولة واستبدادها وفسادها وانحرافها - الذي لا يحميه إلا القبضة الأمنية - ضَّيق على المجتمع المدني، وضيق حركته فأفقده الحيوية.

لا شك أن هذا أصابنا بالجمود وأثر علينا، أنت تجدد فكرك عندما تصطدم بالمجتمع وتتحرك وتتفاعل معه فتتجدد فكرك، ما الذي جعلنا في ١٩٩٤ نجتهد على رأي الإمام البنا في مسألة التعددية الحزبية والموقف من المرأة؟، لقد كان هذا اجتهاداً على موقف الإمام البنا؛ لأن هذا كان نتيجة الحيوية والحركة التي مارسناها من ١٩٨٤ حتى ١٩٩٤ عندما دخلنا الانتخابات العامة فوجدنا أنفسنا نصطدم بقضية المرأة، وترشيحها ومشاركتها في العمل السياسي، فبحث الإخوان هذا نتيجة للاحتكاك بالواقع، وأصدروا رسالة المرأة وحقها فى المشاركة.

هل النظام متهم؟

* لماذا نعشق ترحيل مشاكلنا وعيوبنا، عندما نتحدث عن حتمية النقد الذاتي وضرورة الإصلاح نقول إن النظام هو سبب المصائب التى تنسكب على رؤوسنا!؟، راشد الغنوشي المحكوم عليه بالإعدام قفز على إشكاليات فكرية منذ سنين مازالت تواجه الإخوان إلى اليوم، ما دخل النظام بإشكالاتكم الداخلية؟ هل يستطيع النظام أن يحبس التطور الفكري داخل حركة ما؟

- هذا غير صحيح، ويمكن وصفه بالإصرار على تثبيت الاتهام الذي ليس في مكانه الصحيح، هذا لا يعني أننا لسنا "غلطانين" وأننا "كويسين" وأن الدولة مسئولة عن كل مصائب مصر، نحن لسنا برآء من هذا، لكن الدولة من باب الإنصاف والعدل تتحمل القسط الأكبر من جريمة قتل المجتمع المدني.

والطرف الآخر وهو المجتمع المدني والقوى السياسية تتحمل جزءاً من هذه الجريمة؛ لأنهم لم يقوموا بالمقاومة الواجبة إزاء هذا الجمود، أنا لا أتصور أن المقاومة التي يقوم بها الإخوان - وهي عبارة عن وقفات ومظاهرات - كافية للتغيير، هناك عمل سلمي قوي كان يمكن أن يحدث التغيير في ٢٠٠٥، وكانت هذه رؤيتي في ذلك الوقت، عمل سلمي مقاوم كان يمكن أن يحدث تغييرًا، أو ضغوطاً كبيرة على السلطة لإحداث تغيير حقيقي في البنية الأساسية للمجتمع والنظام السياسي.

* ما يمـارسه النظام مع القوى المعارضة شيء طبيعي تفعله كل النظم المستبدة، والحراك السياسي تصنعه القوى السياسية المعارضة، وإن لم يحدث حراك في المجتمع فالجمود مسئوليتكم.

- هل تريد أن تقول لي إنه في ظل هذا الضغط الذي مارسته الدولة، وفي ظل المصادرة والاعتقالات واستخدام كل هذه الأموال للصرف على جهاز الأمن، تريد أن تقول إن المجتمع يصبح بحالة صحية كاملة أو حتى نصف كاملة!!؟.

لا يمكن أن يكون هكذا، لا بد أن نؤكد على جريمة الدولة، ومحاولة بعض السياسيين والمحليين والصحفيين تبرئة النظام من الجريمة الكبرى في حق المجتمع المصري شيء خاطئ.

ومن يقول إنه من الطبيعي أن تتصدى الدولة لنا كمعارضة، أرد عليه بأن هذا الأمر ليس طبيعيًا.

كيف نقول إنه من الطبيعي أن يسرق الحرامي!؟، النظام أجرم في حق الشعب، ولابد أن نؤكد على هذا، نعم دوري أني أقاومه وفي تقديري أن القوى السياسية بما فيها الإخوان لم تقاوم بنفس القدر، هذا تقصير منا يجب أن نعترف به، لكن هذا التقصير لا يساوي أبدًا ما يقوم به النظام ضد المجتمع المصري بفساده وانحرافه واستبداده ومصادرته لحق الناس في الحياة والعمل والحركة واتهام البعض لنا بأننا "ساكتين"، لا نحن لسنا ساكتين نحن نبذل جهدنا، والقول بأننا يمكن أن نفعل أكثر من ذلك صحيح، هذا تقصير يجب أن نعترف به.

* لم تحققوا بعد الأهداف العليا المعروفة في أدبيات الإخوان، وتقومون بعمل تنظيمي "محلك سر" بأشكال مختلفة، فلماذا لا تعقدون هدنة ولو من جانب واحد تراجعون فيها أنفسكم وتعيدون خلالها البناء الأخلاقي والثقافي المتدهور للإخوان؟

- إعطاء المسائل أكبر من حجمها يستوي مع إعطاء المسائل أقل من حجمها، "إن الله يأمر بالعدل والإحسان"، والقول بأن حركة الإخوان المسلمين مشغولة بالعمل السياسي، عن العمل الدعوي والتربوي مخالف للحقيقة لأن العكس هو الصحيح.

ما هو حجم التربية السياسية فى جماعة الإخوان المسلمين؟، حجمها بسيط جدًا مع أنه مطلوب أن تكون قوية، أكثر من ٩٠٪ من طاقات الإخوان المسلمين المادية والمعنوية والوقتية منصرفة في العمل البنائي في الإخوان، صحيح أن هناك ضعفا لحق بالبنية السياسية والتربوية والثقافية والتربوية للإخوان بسبب حرمانهم من بعض الممارسات، وبسبب أن الطبيعة الإسلامية والبناء الثقافي والفكري والتربوي الإسلامي بطبعه منفتح، والبناء الطبيعي لابد أن يكون في جو منفتح.

ولتتأكد من هذا ارجع للقيادات التي بنيت خلال الجو المنفتح في السبعينيات، وتكوينها الثقافي والفكري والتربوي، ستجدهم أكثر اعتدالاً من الذين كونوا داخل الغرف المغلقة. التضييق البوليسي يحدث حالة انبعاج في المكون الثقافي والفكري

والتربوي للشخص سواء كان إخوانيًا أو ناصرياً أو غيره، بغض النظر عن المكون الفكري؛ لأن التكوين الطبيعي للإنسان صاحب الرسالة وصاحب القيم والمبادئ يجب أن يكون في جو مفتوح، وليس في خضم مطاردة وتضييق، وشرطة تجعل مكوناته الثقافية والفكرية والأخلاقية فيها خلل لحق بها دون إرادة منه، لكن هذا لا يعني أنه فاقد للقيم والمبادئ الرئيسية فيه.

لا يمكن أن تقول ذلك فظلم أن تحكم على فرد من الإخوان مازال أميناً ومخلصًا لوطنه، وملتزما بالأخلاق من صدق وأمانة وإنسانية ورحمة وتقول إن هذا الفرد من الإخوان مثله مثل الفرد العادي في المجتمع الذي يستحل أموال الناس ويفسد وينحرف ويأكل أموال الغير بالباطل، ويغلب مصلحته الشخصية على مصلحة وطنه، لو قلت هذا سيكون حراما عليك، لكن أن تقول إنه كان من الممكن أن يكون التكوين الثقافي والفكري والتربوي لفرد الإخوان أفضل من هذا، أقول لك صحيح، كان من الممكن أن يكون أفضل من هذا.

ومشكلة التعميم هذه ليست صحيحة، ولا دقيقة، ومشكلة بعض الاعلاميين والصحفيين وغيرهم أحيانًا أنه يقع ضحية منطقة معينة عاش فيها، أو شخصيات معينة احتك بها فيتصور أن هذه هي الحالة العامة.

* أنا أتحدث عن رصد لظواهر التراجع في البنية الثقافية والفكرية لدى الفرد الإخواني، وبالتالي لماذا لا يكون هناك تركيز على النواحي الأخلاقية والثقافية في ظل انكماش المجتمع بسبب الظروف الاقتصادية السيئة، وتآكل الطبقة الوسطى، بما يجعل مجرد التفكير في الإصلاح ترفاً فكرياً لدى الأغلبية المطحونة من الشعب؟

- ليست هذه هي الصورة، من يتحدث عن رصد يطلق تعميماً في الواقع، انزل وانظر إلى الإخوان المسلمين في كل مكان، واعقد معهم مقابلات واسألهم لن تجد أن هذه هي الصورة، هناك خلل نعم، أنا موافق، لكن الإنصاف يقتضي أن نقيس بمعايير

عادلة، وأنا أريد أن أفرق بين المؤثرات العامة التى أثرت على الشباب المصري واستوى فيها كل الشباب سواء أكان إسلاميا أم غير إسلامي، وبين أنها أثرت بشكل خاص على شباب الحركة الإسلامية، ومع ذلك فالشباب الإسلامي أكثر ممانعة من الآخرين.

إلى متى يظل أداء جماعة الإخوان الحركي يغلب لحساب أدائها التنظيري المصاب بحالة من الضعف؟

هذا طبيعي، أي تنظيم مدني يُحاصر ويطارد في أي دولة بغض النظر عن مرجعيته الفكرية طبيعي أن يتخندق حول نفسه، ويخاف على نفسه؛ فيتزايد الأداء التنظيمي على حساب الأداء الفكري الذي ينمو في الجو المفتوح.. البعض يقول أحيانا لماذا الإخوان المسلمون لا يوجد فيهم مبدعون ومفكرون مثلما كان الحال في الماضي؟، وهل الجو المصري الخانق الذي تمارسه الدولة يسمح بوجود مفكرين ومبدعين؟ حالة الإبداع والفكر أصبحت الآن حالة استثنائية، أَضِف في الجانب الإخواني المطاردة البوليسية ومصادرة الأموال والقبض على الإخوان واعتقالهم.

فلا أحد من الإخوان مثلاً يستطيع أن يحتفظ بورقة فيها فكرة لكي ينضجها غدًا؛ لأن الأمن يأتي ليقبض عليه ويحرز الورقة ويقدمها لنيابة أمن الدولة كدليل إدانة، كما حدث في عام ١٩٩٢ عندما أخذوا من منزل خيرت الشاطر أوراقا أطلق عليها وثيقة التمكين، وهى أوراق كانت لأشخاص تفكر ولها طموح وآمال وتخطط في كيف تصلح مصر.

الإبداع والاستبداد

* ألا تخلق المحنة التي يمر بها الوطن والشخص حالة إبداعية تولد من رحم القهر والاستبداد؟

- ستكون حالة استثنائية أيضًا، أي متابع منصف لا يستطيع أن يقول إن رموز الإبداع والفكر والثقافة سواء على مستوى السينما والرواية وغيرهما موجودة حالياً، أين هي أسماء مثل نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وطه حسين؟، هل وصل بنا الحال أنه كلما أردنا أن نقول إننا قرأنا نقول نجيب محفوظ؟ هذا رجل رحل... قل لي أسماء جديدة اليوم، المجتمع أصابه حالة نضوب عام.

* لكن النضوب الفكري والإبداعي عند الإخوان يرجع إلى عوامل ذاتية لا إلى عوامل خارجة عن الحركة.

- لا ليست لأسباب ذاتية، الأسباب الذاتية التي داخل الإخوان نتجت عن حالة خارجية أدت إلى انكفاء التنظيم على ذاته أحيانا. الإبداع يحتاج إلى شكل من أشكال التحرر، والضوابط التنظيمية ضد الإبداع، وضد التحرر، ولكن لماذا تمارس الضوابط التنظيمية بهذه القسوة؟، بسبب الخوف، أنت عندما تأتي إلى أحد الإخوان يقول لك "وأنت جاي خلي بالك"، ودائما ينبهون على وجوب إغلاق الموبايلات أثناء اجتماعهم كي يؤمنوا أنفسهم، ما الذي يدفعهم إلى اتخاذ هذه الإجراءات؟، هذا أصبح جزءاً من مكوناتهم النفسية والثقافية.. ما الذي يُلجئ تنظيم الإخوان إلى السرية والكتمان؟، هناك قصور وتقسيم للمشكلة، ما الذي يجعله يلجأ للسرية لإتمام نشاطه؟.

* هناك عدم اهتمام ببلورة أي مشروع لتجديد الفكر الديني، في حين تنصب كافة الجهود لتنشئة أجيال إخوانية تحمل فكرة الدفاع عن الجماعة والتماهي معها كما لو كانت هدفا بحد ذاته.

- المتابع يدرك أننا قمنا بعملية تجديد، الجماعة في أوائل الثمانينيات كان طرحها يتعلق بإشكالية هل ندخل المجالس النيابية أم لا ندخلها أصلاً؟، حدثت نقلة بعد ذلك، واعتبروا أن المشاركة في مؤسسات الدولة وسيلة للإصلاح، والإخوان اجتهدوا في

قضية المرأة والتعددية الحزبية، وخرجوا من التقوقع حول أنفسهم وبدؤوا بالتعامل مع الأطراف الأخرى والقوى السياسية والأحزاب.

أليس هذا تطويرًا؟ الجماعات لا تتطور بين يوم وليلة. هل تتصور أن تنام وتصحوا فتجد حركة الإخوان تطورت؟.

التقدم البطيء

* إذن لماذا لا يقوم الإخوان بمراجعة شاملة وعلنية يسألون فيها أنفسهم لماذا نتقدم ببطء؟

- حديثي معك الآن نوع من المراجعة، أنت رجل إعلام، وحديثي معك في أمور تخص الإخوان أليس مراجعة؟.. ما هي المراجعة في تصورك؟.. حينما يراجع الإخوان المسلمون بعض مواقفهم من المرأة ويجتهدون على كلام "البنا" أليست هذه مراجعة؟ حينما يراجع الإخوان قضية التربية أليست هذه مراجعة؟

أي تنظيم مدني لا يراجع نفسه يموت، والإخوان لم يموتوا لأنهم يراجعون أنفسهم، لكن قد لا تكون المرجعات بنفس السرعة التي يتمناها كل المخلصين لمصر وللفكرة الإسلامية، ليس التخلف فقط معناه الضياع، بل الوقوف في محلك سر أيضا معناه الضياع.

* لكن الزمن لا يسير في مصلحة الإخوان، هناك ركود فكري، وتنظيم يكبر ومع الزمن قد يحدث الانفجار.

- هذا صحيح، الزمن قد لا يكون في مصلحة الإخوان، لكن لا يجوز أن تتكلم عن الحالة الإخوانية وأنت منفصل عنها، في النهاية الحالة النفسية بكل مكوناتها ومعطياتها الداخلية والخارجية تتطور أم لا؟ هي تتطور.

هناك عوامل خارجية تؤدي إلى التطوير - هذا قد يكون بطيئاً نسبياً - لكن الجسم الكبير للجماعة نفسها أحد أسباب البطء في التطوير، أحيانًا الناس تقول: "لماذا تأخر الإخوان في الموقف الفلاني؟"؛ لأن القرار ليس سهلاً، الجسم الكبير يكون عبئاً في كثير من الأحيان، لو كنت تنظيماً صغيراً مثل "كفاية" سأقرر في ٥ دقائق أن أنزل إلى الشارع أم لا، أما نحن فلا نستطيع أن نأخذه في ٥ أيام .

* قادة الإخوان - في الغالب - لا يهتمون إلا بصناعة الأتباع الذين يحسنون التلقي والتنفيذ الفوري والإيمان بأوامر القائد وحكمته.

- هذا كلام مبالغ فيه، البعض يفعله صحيح - لكي أكون أمينا معك - لأن بعض المسئولين قد يكون هذا أسلوبه؛ لأنه عندما يقارن بين شخصين يقدم الشخص التابع على الشخص المبدع، لكن الحالة العامة ليست هكذا، وهذا الأسلوب خاطئ لأن العبرة بالكفاءة، وليس التبعية، والإنسان الحريص على جماعته ودعوته يفضل الشخص الكفء، وليس الإنسان التابع، فما قيمة الشخص التابع لي، والسهل والهين اللين؟، أنا أفضل الشخص الذي يناقشني ويحاورني في سياق الوصول للأجود.

* ثقافة الطاعة هي السائدة الآن عند الإخوان، من يجادل توضع عليه الدوائر، ويعرقل تنظيميًا، وينظر له على أنه مشروع خروج، وأنه لم يتربَّ دعويًا، ولاشك أن به خللاً تربويًا .. أليس هذا هو الحال؟

- هذا موجود في بعض الرقع الصغيرة والبسيطة والمنحرفة داخل الإخوان، نحن كتنظيم كبير هناك مساحات عندنا، أو بعض المساحات لا تمثل التيار العام، مساحات فيها قصور وخطأ وانحراف ومنها الذي تقوله.

لا تنسَ أن جماعة الإخوان جماعة بشرية، يلحق بها بعض الخلل، رضيت أم لم ترضَ، دور القيادة أن تقلل من هذا الخلل، إما أن تمحوه فهذا لن يحدث.

أين الإصلاح ؟

* ماذا عن النشاط والمجهود الذي يناهض هذه الآفات، حتى نشرات الإخوان التي توزع على القواعد، لا تتعرض لمثل هذا الأمر، ورسائل المرشد الأسبوعية لم تلمح ولو لمرة بوجوب الإصلاح الداخلي، حتى كتب الإخوان الكثيرة لا نجد فيها مضمونًا يعالج أوجه هذا الخلل؟.

- قولك بعدم وجود مساع للإصلاح الداخلي غير صحيح، وإلا كان الخلل والانحراف انتشر في الجماعة كلها وفق طبيعة الفساد، وكلامك منصب على بعض الخلل الذي لا أجادلك أنه موجود، لكن الخلاف بيني وبينك هو في مساحة هذا الخلل، الثمرة الفاسدة إذا لم تحاصر وإذا لم تتوقف فستفسد كل الثمار، أنت تقول ليس هناك مناهضة لهذا الفساد، أنا أقول لك هذا غير صحيح لو كان غير موجود لكانت الجماعة انحرفت وفسدت ولم يكن هناك نتاج لجماعة الإخوان المسلمين.

* باتت الطاعة هي المعيار الأساسي في الفرز والترقية، والمتحكم الرئيسي في كافة أنواع الحراك الداخلي؛ الأمر الذي أدى إلى هجرة الكثير من أهل الكفاءة، وخنق روح المبادرة داخل الحركة الإسلامية.

- هذه مبالغة، الأمر موجود بنسبة قليلة ونحن نقاومه ونتصدى له، وأنا أكره كلمة "طاعة"، أنا أسميها التزاما، والأستاذ أبو النصر (رحمه الله) كان يفضل أن يقول (التزام) بدل الطاعة، ويقول إن هذا الأخ ملتزم بنظام الجماعة وبطريق الجماعة، والالتزام مطلوب ليس هناك جماعة أو تنظيم بدون التزام، ولكن الالتزام هو أحد معايير تقييم الشخص وليس المعيار الوحيد؛ لأنه حينما يكون الالتزام هو المعيار الوحيد فسنكون وصلنا إلى حالة الدولة المصرية، وهو تقديم أهل الثقة على أهل الكفاءة، وهذا يخالف قيم الإسلام ومبادئه، أحيانًا يحدث خلل في رقعة ما في مكان ما، ويقدم أهل الثقة على أهل الكفاءة، لكن هذا يشكل نسبة صغيرة موجودة، وأنا

أقول نحن تنظيم بشري، سيظل عندنا خلل دائما وأبداً، المهم أنك تحاصر هذا الخلل وتقلل منه.

* يقول الدكتور يوسف القرضاوي في نقده للإخوان: "تجب إعادة البحث في وسائل الأنظمة التربوية داخل الجماعة والبحث في الوسائل السياسية في ضوء المستجدات والمتغيرات المحلية؛ ذلك أن الجمود آفة من آفات الفكر الحركي المؤطر، وهو عائق من العوائق الداخلية في الحركة الإسلامية، ما يحدث الآن هو الجمود في شكل معين في التنظيم وعلى صور معينة في الدعوة، ومن حاول أن يغير هذا قوبل بالرفض الشديد أو الاتهام والتنديد" ما تعليقك؟

- أنا أتصور أن هذه مبالغة أيضاً، منهج التربية الذي يتبعه الإخوان المسلمون الآن ليس هو المنهج الذي كان متبعًا في الماضي، المنهج حصل فيه تغيير، ولكن ليس بنفس القدر الذي نسعى إليه، الإنصاف يقتضي أن نقول ذلك.

أنت تقول إن هناك جموداً، الجمود أصاب المجتمع المصري كله، لكن هذا الجمود ليس بالقدر الذي يصيب الإنسان بالتشاؤم.

أين كان الإخوان أيام الإمام البنا من النقابات المهنية؟ وأين هم حينها في مجلس الشعب؟ أين كانوا من مجالس المحليات؟ الإخوان ظلوا من ١٩٢٨ حتى ١٩٥٤ خارج اللعبة السياسية في وقت كان من الممكن أن يدخلوا البرلمان بـ ٥٠٠ نائب.

* الانتشار والحشد ليس مقياساً لنجاح الإخوان من عدمه، وليسا عاملاً من عوامل التقدم في حد ذاته.

- كيف لا يكون عاملاً من عوامل التقدم؟!، أنت الآن تدخل في مؤسسة دولة، وفي الماضي لم تدخلها في وقت كانت هناك أجواء حرية. أنا أرى أن الإخوان تقدموا؛ لأنهم أصبحوا جزءا من مكونات مؤسسات الدولة، وليسوا منعزلين عنها، من

أجل هذا كان غريبا على الإخوان في أوائل الثمانينيات أنهم يدخلون الانتخابات - كان غريبا في وقتها - كان السؤال: ندخل الانتخابات لماذا؟.

وسائل الإخوان في الثلاثينيات والأربعينيات كانت الأسرة والكتيبة، حينما تدخل وتربي كوادرك في النقابات وفى هيئات التدريس وفى اتحادات الطلبة والمجالس الشعبية والمحلية والجمعيات، هذا تغيير كبير حدث للإخوان، لم يكن من الممكن للشخصية الإخوانية المنكفئة في وسائل تربوية ووسائل تداخل مع المجتمع محدودة أن تفعل ذلك.

إذن لا تقل لي ليسَ هناك تطوير، حينما تكون تاجراً في سوق يخسر خسارة فادحة - وهذه هي الحالة الموجودة في مصر حاليا - فالتاجر الشاطر الذي يتحدث في ظل سوق تخسر لا يقول "كم سأكسب اليوم؟"، بل يفكر في طريقة أخرى تقلل من خسائره.

مصر منذ أن جاءت الثورة وحتى الآن تتدهور تدهورًا شديدًا، ودور الإخوان المسلمين التقليل من حجم هذه الخسائر.

* يطالبكم البعض بأخذ هدنة مع النظام كي تتفرغوا للبناء الثقافي والأخلاقي لقواعدكم وللمجتمع.. فما رأيكم؟

- الذي يقول هذا الكلام يسطح المسائل، أنت تأتي بالضحية التي تتعرض للجلد والاضطهاد - الذي هو المجتمع المصري وليس الإخوان فقط - وتقول له ادخل في هدنة!، الهدنة تكون بين طرفين أقوياء، كل واحد يصيب الآخر فيما يؤثر فيه.

أي هدنة؟، هذا كلام ساذج، كأن الإخوان قوة كبيرة تقف بنفس المستوى مع النظام، وهذا غير صحيح ومخالف للحقيقة، يطلبون من الإخوان ترك العمل السياسي، والانكفاء على أعمال كذا وكذا، هل هناك عمل سياسي في مصر أصلا؟.

الإخوان والسلطة

* وما هو هدف الإخوان من دخول مجلس الشعب؟ هل هو بهدف تغيير في السلطة؟

- لا.. هذا لو أن هناك نظاما ديمقراطيا، لكن النظام ليس ديمقراطياً، أنا لا أدخل الانتخابات لأغير النظام، إنما أدخلها لتحقيق أهداف أخرى غير تداول السلطة؛ لأن تداول السلطة غير ممكن بهذه الطريقة، أن يكون هناك ديمقراطية ساعتها أفكر أن أدخل الانتخابات لكي يكون هناك تداول للسلطة فعلاً، لكن أنا الآن أدخل لكي أربي كوادر مجتمعية وسياسية لكي أحتك بمجتمعي وناسي، ولكي أؤكد على حقي وعلى مشروعية العمل السلمي.

* النظام يضربكم لأنكم تنافسونه في حكم مؤسسات الدولة، ولو تركتم له ذلك سيترككم تعيشون في سلام.. اتركوه حتى تتفرغوا لتربية أفرادكم وخدمة المجتمع بدل الجري بدون طائل خلف سراب، أليس هذا أفضل؟

- ليس صحيحا أن النظام يرغب في ذلك، في لقاءات مع مسئولين كبار في الدولة ثار الحديث عن هذا الموضوع، فقالوا لنا ابتعدوا عن مساحة المنافسة الحزبية واشتغلوا كيفما تريدون، قلنا لهم نحن مستعدون فذهبوا ولم يعودوا.

هذه رسائل أنا كنت أحد أطرافها، السلطة لا تريد للمجتمع المدني أن يكون قويًا، ونحن حركة مدنية في المقام الأول، أنا لست مشغولاً بمنافسة السلطة على الكرسي وإن كان هذا من حقي.

* النظام يضربكم ليس لأنكم معارضون إسلاميون، النظام يضربكم لأنكم تنظيم سري يعمل تحت الأرض؟

- أجهزة السلطة تعلم عن الإخوان أكثر مما يعلم المرشد العام للإخوان، أو مكتب الإرشاد وطبيعة الأداء الإخواني من المستحيل أن تجعله أداءً سرياً.

* لكن الإخوان لم يتعرضوا للضربات إلا في بداية التسعينيات، بعدما نجح مصطفى مشهور في تحويل الجماعة إلى السرية، ألا يدل ذلك على أن تحول الأداء الإخواني من العلنية إلى السرية هو السبب في الهجوم الأمني؟

- هذا غير صحيح، لا يستطيع مشهور ولا أي مرشد آخر أقوى أو أضعف أن ينحرف بخط السير العام لدعوة الإخوان المسلمين؛ لأن هذا إنجاز نجح الإخوان في تحقيقه، ولا يستطيع أحد أن ينحرف به أيًا كان، والرجل لم يرد أن يجعل الإخوان تنظيمًا سريًا هذا تجنٍ على مشهور، ولو أراد أن يفعل ذلك لفشل؛ لأن الجماعة حددت هدفها ومشت في طريق الانفتاح والعمل العلني.

أين السياسة ؟

* تتصادمون مع النظام من أجل المشاركة السياسية مع أن تاريخ الإخوان مع السياسة يتسم بالفشل الذريع، هل تستطيع أن تخبرني بشخص في الإخوان يوصف بالسياسي الداهية؟

- وهل عندنا سياسة أصلاً؟، مجتمعنا ليس فيه سياسة، أولى مبادئ السياسة هي حرية تكوين أحزاب وتنظيمات، وأولى مبادئ السياسة هي حرية إنشاء صحف، هي حرية الحركة في المجتمع وعمل مسيرات ومؤتمرات وهو قبول الحاكم بتداول السلطة. ثم تقوم دعوات تطالبنا أن نترك السياسة، وأين توجد السياسة أصلاً؟ أنت ليس مسموحا لك بالتداول ولا بالمشاركة، أنت ليس مسموحا لك بالتواجد أصلاً، وهل حزب الكرامة - الذي ظل ١١ سنة يحاول أن يتواجد في الساحة فلم يستطع - إخوان مسلمون؟!.

الإعلام لابد أن يتقي الله في مصر، وليس في الإخوان، تعظيم قصور الإخوان بهذه الصورة وجعلها سببا في موقف النظام، كأنك توجد ذريعة للنظام في ضرب الإخوان.

* مبدأ السرية والكتمان معروف عند الإخوان، والمعلومات التي تعرفها المستويات الأعلى يجب ألا يعرفها من هم في المستويات الأدنى، بل الفرد لإخواني لا يعرف مسئوليه الأعلى منه في الهرم التنظيمي وهذه ثقافة سائدة عند الجماعة.

- هذا ليس صحيحاً، إذا كان أحد يمارس هذه الممارسة التي تقولها فهذا خطأ، حق الناس أن تعرف، أحد مكوناتك كفرد في الإخوان أن تعرف مسئوليتك ولائحتك، وكل شيء عن الجماعة لابد أن يعرفه الفرد الإخواني.

من قال إن هناك تكتما؟ الذي يمارس العمل السري في حركة الإخوان لا يمثلها، من حق فرد الإخوان أن يعرف كل كبيرة وصغيرة عن الجماعة؛ لأنه هو الذي يدفع ثمن هذا في النهاية، هذا ضد الأمانة.

* قلتم إن الإخوان المسلمين مؤسسة ملك مصر، ونقلت ذلك لمرشد الجماعة وأضفت له إذا كانت مؤسسة ملك مصر فلماذا لا تكشفون عن مصادر تمويل الجماعة وإنفاقاتها، فقال لي: "وأنت مالك؟ لا شأن لك أنت؟ هل أنت عضو عندي في الإخوان؟".

- دعك من هذا، مصادر الإخوان المسلمين معروفة للعامة، لا يوجد مصدر لتمويل الإخوان غير جيوب الإخوان، وتصرف هذه الأموال على نشاطها الاجتماعي والسياسي والخيري، ومسألة بدلات التفرغ ليست عيبًا فهي موجودة في كل التنظيمات، هناك أناس متفرغون ويأخذون مرتبات مقابل هذا التفرغ ما هو العيب في هذا؟ الأشخاص المتفرغون في الحزب الوطني يحصلون على مرتبات، وفى الوفد وغيره، ولكن التفرغ ليس الأصل في جماعة الإخوان المسلمين، أنا رجل أعمل في الإخوان منذ سنة ١٩٧٠ حتى الآن ولا أتقاضي أي أجر، ولكن ليس عيبًا أن يترك الإنسان عمله ويتفرغ ويتقاضى أجرا.

التنسيق الدولي للإخوان

* هل تفككك التنظيم الدولي عمليا بسبب سيادة القرار القُطري والتي تتجلى بصورة واضحة في موقف الحزب الإسلامي العراقي الذي لا ترضى عن سلوكياته السياسية جل التنظيمات الإخوانية؟

- أولا التسمية الصحيحة تنسيق دولي وليس تنظيما دوليا؛ لأن معنى التنظيم الدولي أنه هناك قيادة مركزية تصدر تعليمات لكل الأقطار وهذا غير صحيح، وأتحدى أن يثبت لي أحد عكس هذا، فتجد موقف الجماعة في قُطر معين مختلفاً عنه في قُطر آخر، فمثلا كان موقف الإخوان في حرب الخليج مختلفاً عن موقفنا هنا.

الإخوان نجحوا أن يكونوا مدرسة إخوانية تمثل الإسلام الوسطي، دعك من المصطلحات التي تحاول أن تضخم وتهول وتقول "التنظيم العالمي"، ما هو موجود ليس أكثر من تنسيق، والتنظيمات الإسلامية في العالم أصبحت من الكبر والنضج بأن تدير أمورها بنفسها.

* البعض يتهمكم بأنكم السبب الرئيسي في فشل كثير من التجارب الائتلافية مع القوى والأحزاب السياسية بسبب إصراركم على التفرد وتغليب رؤيتكم الأيدلوجية..

- كل المعطيات الموجودة- والتي تتمثل في منع الدولة أي محاولة للتقارب بين القوى السياسية، واستخدام قانون الطوارئ، ومنع العمل السياسي وتزوير الانتخابات- لا تستطيع في ظلها أن تعمل في تحالفات، ليس هناك قوى سياسية متكافئة في مصر، وهذه مسألة خطرة على المجتمع.

حركة الإخوان المسلمين حجمها كبير، وبجوارها قوى ضئيلة جدًا هذا ليس في صالح مصر، المجتمع يحتاج قـوى متكافئة كبيرة، هناك إخوان مسلمون كبار،

وقوميون كبار وناصريون كبار، وليبراليون كبار، هذا هو ما يلزم المجتمع، هذه القوى المتكافئة إحدى وسائل حسن العلاقة، أن يكون هناك تكافؤ بين القوى، الواقع لا يقول هذا للأسف الشديد، الواقع يقول إن هناك قوى كبرى موجودة، وهناك قوى صغيرة، حين تتعامل مع هذه القوى بحجمها هذا يحدث أحيانا حالة من الحسد، حالة من سوء الإدارة التي يفرضها الواقع المرير؛ فتفسر على أنها غرور من الإخوان، أو محاولة من الإخوان للسيطرة.

* ما هي آخر التطورات في محاولة بناء صيغة توافقية فاعلة مع القوى والأحزاب السياسية؟

- الجبهة كانت أيام عزيز صدقي ومازالت موجودة، لكن في ظل المعطيات الموجودة وفى ظل محاولات أجهزة الأمن لإفشال أي تقارب بين الإخوان والآخرين، وفى ظل حالة الحسد السياسي الموجودة بين الأطراف السياسية كلها، في ظل هذا المناخ هذا هو الموجود، مع أنه ضعيف وهش لكن لا يمكن عمل شيء أكثر من هذا.

الإخوان والإسلاميون

* موقفكم من مكونات الحالة الإسلامية يتسم بالفتور، وفى بعض الأحيان التوتر والقطيعة الفعلية، ورغم ما يقال عن تجاربكم مع القوى السياسية في مجال الحوار والتلاقي فإنها أفضل بكثير من رصيد تجربتكم مع القوى السياسية مما يثير استغراب البعض..

- ليس هناك حالة إسلامية في مصر، ليس هناك حالة غير الإخوان المسلمين، القوى الإسلامية الأخرى مثل الجهاد والجماعة الإسلامية استخدمت وسائل ترفضها حركة الإخوان فكيف ستتعامل معها؟ كيف تقترب منها؟!.

* كان المفترض أن يكون لكم دور معهم في مرحلة ما قبل المراجعات، وفى مرحلة ما بعد المراجعات أنتم تخليتم عنهم في المرحلتين.

- وأين هي الجماعة الإسلامية؟ لقد قضت عليها الدولة، لا يوجد جماعة إسلامية، ثم أي مراجعات يتحدثون عنها؟ أنا لا أريد أن أقول كلاما حتى لا أوذي مشاعرهم، الدولة دمرتهم وقضت عليهم، ولم تتعامل معهم معاملة الدولة، نفر من أبنائها خرجوا عن الجادة، الدولة تعاملت معهم تعاملها مع عصابة إجرامية.

عندما يدمن أولادك المخدرات هل ستذبحهم أم تصلحهم؟، الدولة قضت عليهم.. لم تصلح هؤلاء الناس، المفروض استخدام الوسائل التي تصلحهم، ومعاونة المجتمع على استيعابهم، لكن ما فعلته الدولة هو أنها قضت عليهم، نحن نتمنى أن يكون هناك فصائل إسلامية متعددة، هذا لصالحنا؛ لأنه يحدث حالة من التنافس الطبيعي التي تدفعنا دفعًا لتجويد أدائنا.

* رؤيتكم لأمريكا والغرب تقوم على التبسيط الشديد، وعدم بناء رؤية قائمة على الإحاطة والدراسة، وموقفكم من العلاقة بالجانب الأمريكي يعاني من التذبذب، ففي حين تتقبل بعض امتداداتكم التحاور مع الجانب الأمريكي - العراق وسوريا- ترفضون أنتم في مصر أي حوار.

- أولا دعك من محاولة ربط تصرفات الحركات الإسلامية أو التنظيمات الإسلامية التي تنتمي لمدرسة الإخوان بعضها ببعض، كل تنظيم مرتبط بالإخوان له ظروفه وله قراره المنفصل، ولا يعني أن تنظيما ما اتخذ قرارًا للتعامل مع طرف ما أنه لابد للباقين أن يفعلوا مثله، كل تنظيم له ظروفه التي تحكمه وقانونه وظروفه الدولية وعلاقته بالسلطة وعلاقته بالتنظيمات والقوى السياسية الأخرى.

أما نحن فموقفنا من مسألة الأمريكان واضحة، نحن نفرق بين الشعب الأمريكي والنظام الأمريكي، نحن نرى أن النظام الذي يحكم أمريكا معادٍ لمشروعنا الإسلامي، ومعتد على عالمنا الإسلامي، ولا حوار بيننا وبينه لأننا نعاديه، فهو أكبر عقبة في أن تكون مصر دولة متقدمة، وهو الذي يحمي النظام الفاسد.

* وضع لكم النظام فخاً حين فتح لكم الباب لدخول البرلمان، وكاد أن يفوز جميع مرشحيكم، إلى أن تدخل وقال للأمريكان هذه هي الحالة السياسية المصرية، إما أنا أو الإخوان.. فتراجع الأمريكان عن مطالبتهم بالإصلاح، وانتهت اللعبة لصالح النظام؟

- أين محل وقوع الإخوان في فخ؟ الجزء الأول الذي قلته صحيح، النظام استغل وضعاً موجوداً لاستخدام الإخوان، أو أن يجعل الإخوان فزاعة للغرب، النظام يجيد هذه اللعبة .. طبعًا يترتب على هذا أن بعض المسطحين يقول إن "الإخوان هم العقبة أمام الديمقراطية، لو كان الإخوان غير موجودين لكانت مصر ديمقراطية"!.

هل يقول هذا عاقل؟ أنا رجل أناضل وأدفع ثمن الإصلاح، ونتيجة هذا بدلاً من أن يقال إن النظام المجرم الطاغي الظالم – الذي يعتدي على الناس الشرفاء – يجب أن نتصدى له، بدلاً من هذا نقول الإخوان هم السبب!، هل ذنبي أن النظام يستغل كراهية النظام الأمريكي للمشروع الإسلامي؟!.

* لماذا دخل الإخوان بـ ١٥٠ ولم يدخلوا بـ ٤٥٠ نائباً؟

- لكي نفوت على السلطة استخدامها للإخوان كفزاعة، نحن لا نريد أن نحكم مصر حتى لو كانت هناك انتخابات نزيهة ومتأكد أني سأفوز بها؛ لأنني لا أريد أن أحكم مصر على جثة مصر – هذا حقي نعم – لكن أنا أرى أن وصولي للكرسي سيضيع الوطن نفسه نتيجة تعرضه لحصار من القوى السياسية الدولية الكارهة للمشروع الإسلامي.

إن مصر لابد أن تمر بمرحلة وسيطة، بأن يحكم مصر تنظيم ليبرالي وطني ليس إسلامياً لفترة تدور فيها عجلة الديمقراطية، ثم تطرح الحرية للشعب يختار فيها من

يشاء، هل مصر هي الإخوان المسلمون؟ ما الذي يجعل الإخوان المسلمين يفوزون بـ ٨٠٪ من كل انتخابات يدخلون فيها؟ لأنه ليس أمام المواطن المصري خيار، إما أن يختار الفاسدين والمستبدين، أو يختار الإخوان، مع أنه لا يرى أن حركة الإخوان تلبي طموحاته، لكن ماذا يفعل؟! ليس هناك بديل.

حينما يأتي نظام ديمقراطي يدير عجلة الديمقراطية يمكن أن يأخذ الإخوان نسبة كبيرة في البداية، لكن حينما تستقر حالة الحريات في مصر الإخوان لن يحوزوا أكثر من ٢٠٪ وبالتالي سيكون الإخوان أحد المكونات الطبيعية في الحالة السياسية والمدنية المصرية، هذا الجزء الصامت لابد سيترجم نفسه في صورة قوى طبيعية في المجتمع تحترم قيم الإسلام وحضارته، لكن ليس بالحتم أن تكون إسلاميًا أو إخوانيًا، والمواطن المصري سيجد في الساحة إخوانا، وسيجد عنده ليبراليين وغيرهم، ومن ثَم ستأخذ حركة الإخوان حجمها الطبيعي الذي لا يتجاوز الـ ٢٠٪ من المجتمع المصري.

الأمريكان والميليشيات والتوريث والانفجار .... في الحوار الثالث مع أبو الفتوح[1]:

علاقة سريالية

* علاقتكم بالنظام علاقة سريالية - هكذا يراها البعض- يكتنفها الغموض، واحتار في فك طلاسمها الخبراء والمهتمون.. تتهمون أحيانا "بالتعاون"، ومظاهرة الإستاد ما زالت ماثلة في الأذهان، وتتهمون بأنكم على وشك إتمام صفقة التوريث، ويسمح لكم بدخول انتخابات مجلس الشعب والفوز بـ٨٨ مقعدا، ثم يبطش بكم النظام، ومع ذلك يرى البعض أن هذه البطشة الكبرى للضغط عليكم لقبول عدة صفقات ولتمرير بعض الأشياء.. هلا استطعت أن تفك لنا بعضا من طلاسم المشهد؟.

** النظام منذ أن جاء الرئيس مبارك وله سياسة ثابتة مع قوى المعارضة، وفي القلب منها الإخوان المسلمون بالدرجة الأولى، باعتبارها أكبر قوة معارضة، هذه السياسة عنوانها "ممارسة التحجيم مع قوى المعارضة" ومع الإخوان المسلمين بالدرجة الأولى.

وبالتالي فهو لا يسمح لأي قوى سياسية، والإخوان المسلمون بالذات أن يتجاوزوا خطوطا معينة في قدراتهم على المعارضة.

وبالتالي فالذي يمارس معنا الآن هو تنفيذ لهذه السياسة "سياسة التحجيم"، وهذا هو عنوانها الرئيسي.. وهو يمارس هذه السياسة بآليات مختلفة، منها:

عمليات توضع تحت عنوان البوليسي: والتي تتمثل في الاعتقال، والتحويل إلى قضايا ومحاكمات عسكرية، واستدعاءات، وتعريض للتعذيب، والتهديد في الأرزاق.

(١) (نشرته جريدة الدستور المصرية) .

وهناك آلية إدارية: والتي تتمثل في إغلاق بعض الجمعيات والمدارس، ووقف انتخابات نقابات مهنية، ووقف انتخابات أعضاء هيئات التدريس، ومنع الطلاب من عمل انتخابات حرة.

وهناك آليات قانونية: كأن تصدر بعض القوانين التي تعوق الانطلاق مثل قانون الجمعيات، وقانون الأحزاب، هذه القوانين كلها عندما يضعها يكون في ذهنه الإخوان المسلمين حتى يستطيع كعبلتهم.

وسياسة التحجيم هي السياسة الوسط بين سياسة الاستئصال التي مارسها عبد الناصر، وفشل في ذلك، وبين سياسة الترك وهي أن يمارس الإخوان، أو أي قوى أخرى حقهم الدستوري، فالنظام بذلك لا يريد للإخوان أن يمارسوا حقهم الدستوري والقانوني بأن تكون قوة سياسية تتمتع بالمشروعية، وتعمل وتكبر وتنمو، وتنافس بشكل سياسي واجتماعي منافسة شريفة سلمية، ولا يستخدم معهم في ذات الوقت السياسة الاستئصالية كما فعل عبد الناصر؛ لأنه ثبت أنها سياسة فاشلة، فهو لا يفعل هذا ولا يفعل هذا، فاستعمل سياسة وسط - إن جاز التعبير- فهو عندما يجد الإخوان يمارسون عملهم الاجتماعي أو الخيري في مكان ما من خلال جمعيتين أو ثلاث أو أكثر في منطقة ما فيقوم بغلق جمعية وترك اثنين، أو غلق اثنين وترك واحدة.

وبالتالي فهذه السياسة تترك للإخوان مساحة ما في أن يدخلوا الانتخابات بحجم أو آخر؛ لأنها ليست استئصالا ولا هي ترك؛ ولأن هذه السياسة جزء من منظومة إقليمية ودولية، فأحيانا حجم التحجيم يزداد أو يقل طبقا لمعطيات أخرى خارج الإرادة الوطنية، فيزداد حجم التحجيم إلى درجة أنه في ٩٥ لا يدخل لنا إلا مرشح وحيد هو علي فتح الباب، ويقل حتى انتخابات ٨٧ التي دخلنا فيها باسم التحالف الإسلامي كان لنا فيه ٣٦ عضوا كإخوان، غير باقي قوى التحالف، وقوى المعارضة كان لها ١٠٠.

ومع أن هذه السياسة لا تمارس ضدنا فقط، بل مع كل قوى المعارضة، ولكنها تظهر معنا بشكل قوي وهذا طبيعي؛ لأننا أكبر قوة سياسية، فالضرب علينا كان بالأجنة والشاكوش، ولكن القوة الثانية ممكن ضربها بالعصا، والثالثة يمكن تخويفها، وهكذا.. وهذه السياسة هي سبب تساؤل البعض: هل النظام ضد الإخوان؟ وإذا كان ضده فلماذا يتركهم؟ وإذا كان قد تركه فلما يوجه له ضربات الآن؟

* هل ما يفعله النظام معكم الآن يعد بمثابة النقطة القصوى؟

** ليست النقطة القصوى.

* معنى تحليك أن النظام سيخف ضغطه عليكم في المرحلة المقبلة حسب نظرية التحجيم هذه.. إذن فليستبشر الإخوان؟

** معنى كلامي ليس رضا بسياسة التحجيم هذه، أنا أقيم ولا أستطيع أن أقول ذلك، فأنا لا أجلس مع النظام، ولا مع من يجلسون معه من قوى كارهة لمشروعنا، ولكن هذه السياسة لم تعد سرا الآن، وهي تفريع من مشروع دولي كبير.. مشروع صهيوني أمريكي ضد مشروع استقلال وطني يمارسه الإخوان وقوى المعارضة في مصر.

* ليه بنكبر الموضوع، القصة قصة صراع نظام حاكم مع جماعة يخاف من قوتها على كرسيه؟

** نعم هذا هو الموضوع، ولكن ليس هذا فقط، ليس هذا سقف القضية ونحن لا نكبر الموضوع؛ لأنه كذا، ونحن لا نتكلم في المجهول، نحن نتحدث عن واقع معلوم، ومراكز البحث في أمريكا مراكز البحث هنا، والباحثون والسياسيون والدنيا كلها تكتب عنه أن ثمة مشروع حقيقي يقوده بالأساس اليمين المتطرف في أمريكا.

الضغطة

* لكنهم هم الذين ضغطوا على الأنظمة لتحقيق ديمقراطية في المنطقة، وكانت إحدى ثمار هذه الضغطة فوزكم بـ٨٨ نائبا في البرلمان؟ أم تريد أن تقول لي إنهم لم يكونوا يعرفون أن الديمقراطية ستأتي بكم؟

** ولكن هناك مشروع في مواجهة مشروع هناك مشروع استقلال وطني يقوده في المنطقة العربية والإسلامية الحركة الإسلامية، وبعض إخواننا القوميين والمستقلين، هذه كلها قوى وطنية شريفة طبعا، وهي رأس الحربة في هذا المشروع الاستقلالي الوطني في مواجهة مشروع احتلال عسكري وثقافي واقتصادي وقيمي.. هو إيه القصة من الموقف الأمريكي من إيران وسوريا؟ لماذا نحن دول معتدلة وسوريا وإيران دول غير معتدلة؟ إيران ليست أكثر إسلامية من مصر.. لا أحد يستطيع أن يقول إن هناك دولة أكثر إسلامية من مصر كدولة وتاريخ وكشعب وكحضارة، لكن القصة هي مشروع في مواجهة مشروع، يتفرع من هذا المشروع جزء، وهو استخدام الأنظمة والضغط عليها، وهذا المشروع في كلياته..

أما إذا كنت تتحدث عن ما جرى في سنة ٢٠٠٥ فما ذكرته دليل على ما أذكره أنا من أن العامل الدولي أو الخارجي أو الأمريكي والإسرائيلي بمعنى أدق غير دائم، وهذا ليس معناه أن عامل الضغط كان العامل الوحيد لمساحة الحرية التي أتيحت في ٢٠٠٥، بل كان هناك عامل داخلي.

أنت تقول هل يعقل أنهم لم يكونوا يعرفون أن الديمقراطية ستأتي بالإسلاميين.. نعم كانوا يعرفون ذلك، لكن هناك فرق بين المعرفة وبين الواقع، كونداليزا رايس قالتها عندما قيل لها: إن نتيجة الضغط على الأنظمة العربية من قبل الإدارة الأمريكية سيكون معناه أن يأتي الإسلاميون قالت: نحن ليست لدينا مشكلة في التعامل مع الإسلاميين، وهذا التصريح كان سنة ٢٠٠٥، ولكن لما أتى الإسلاميون في فلسطين،

وزادت مؤشرات اقترابهم من مصر.. هنا بدأت المسألة تأخذ بعدا عمليا، فتغير الوضع، وهذه طبيعة الفكر البشرى؛ لأن الانتخابات التي حصلت في فلسطين ومصر تقول هذا "إنه لو حصلت ديمقراطية في المنطقة ستأتي بالإسلاميين، وهذا ليس في صالح أمريكا، ولا لصالح النظام أن يأتي الإسلاميون، فالنظام يستخدمنا فزاعة في مواجهة الأمريكان، والأمريكان من مصلحتهم ألا نأتي نحن؛ لأنني لا أتصور بكل صدق وإخلاص أن هناك من يدافع عن الاستقلال الوطني أكثر من الإسلاميين، وهذا ليس معناه أن الآخرين لا يدافعون.. بل يدافعون، لكن التاريخ يقول: من الذي ضحى بدمه وأمنه وماله على مدار تاريخنا كله في معركة الاستقلال الوطني.. إنهم الإسلاميون.

وعندما يتحدث أحد عن أن القوميين ضحوا بـ٥ أقول إن الإسلاميين ضحوا بـ٥ آلاف في السجون والمعتقلات وهذا مثال.. والشيوعيون مات منهم في السجون، ولكن كم؟ فحتما لدى القوى التي تريد الهيمنة وفرض سيطرتها على المنطقة العقبة نمرة ١ و٢ حتى ١٠ هم الإسلاميون. ونمرة ١١ أيضا القوميون، وهذا ليس اسقلالا أو سوءا أو عدم تقدير للآخرين فنحن نقدرهم بدليل أنهم مشاركين معنا، ولكن كل واحد بقدر حجمه وبقدر قدراته.

* هناك رأي داخل الجماعة يرى أن ضربات النظام الأخيرة هي لتمرير التعديلات الدستورية وإرغام الجماعة على عدم الزج بمرشحين لانتخابات الشورى... هل تتفقون مع هذا الرأي؟

** هذا صحيح وهذا تفريع من النقطة الكلية التي شرحتها والتعديلات الدستورية بغض النظر عن الحواشي مثل حذف الاشتراكية وغيرها فهذه الأشياء كلها ليست لها قيمة؛ لأن التعديلات الدستورية في مجملها تعني أن النظام لا يريد أن يأتي الإخوان المسلمين مرة أخرى بهذا الشكل، والدليل على ذلك على سبيل المثال إلغاء

فكرة الإشراف القضائي التي كانت سببا كبيرا في الإتيان بالإخوان، ومحاولة الإبقاء على قانون الطوارئ تحت مسمى جديد، وهو قانون الإرهاب؛ لأن قانون الطوارئ كان عاملا مهما يساعد في إقصاء الإخوان والقوى الأخرى، والتعديلات الدستورية كلها تعنا أن واحدا في دماغه أنه مش عايز حد يأتي أو يأتي لكن على مقاسه.

مهادنون

* ولماذا يحتاج النظام ذلك، وأنتم مهادنون بطبعكم "وعاقلين"، وهل تريد أن تقول لي إن النظام لم يستطع منعكم من دخول مجلس الشعب، وهو الآن يريد إقصاءكم من الشورى.. النظام سمح لكم بمزاجه في دخول البرلمان ولا يرهبكم في التعديلات الدستورية؟

** لا.. عامل حساب الإخوان، وعامل حساب الشيوعيين - هو لازم اللي يؤثر يكون مجنون- وليست وسيلة التأثير الوحيدة التي نملكها أننا نقوم بمظاهرات أو لا نقوم هذه ليست السياسة؛ السياسة ليس بها مطلقات.

* هل تريد أن تقول إنكم قادرون على الضغط على النظام لفرض أوضاع وتغيير أشياء..؟

** نعم.. وليس فقط الإخوان، بل كل قوى المعارضة حتى القوى الضعيفة البسيطة التي نسميها بسيطة؛ لأنه لا يوجد إنسان يساوى صفرا، والسياسة ليس بها مطلقات، فلا أستطيع أن أقول على أي شخص أيا كان هو أنه ليس له قيمة، أو ماهوش لازمة.. لأن الله لم يخلقنا هملا، ولم يخلقنا أصفارا، وبالتالي لا القوميون ولا الناصريون صفرا، ولا الليبراليون صفرا، ولا حتى الأحزاب التي يقولون عليها كارتونية صفرا، ممكن تكون واحد من عشرة، اثنين من عشرة ماشي، لكن صفر..

لا، لا يوجد هناك مخلوق صفر، سواء كان شيوعيا أو قوميا، لكن السؤال أنت تؤثر لأي حد. والنظام يقبل منك التأثير إلى أي حد؟ لكن تقول إن الإخوان أو أي قوى أخرى ملهمش تأثير هذا يعنى أننا لسنا موجودين.

* ولكنكم في النهاية لن ترغموا النظام على فعل شيء أو عدم فعله؟

** أنا لست معك في كلمة الإرغام هذه؛ لأنها كلمة نسبية؛ يعني فيه فرق بأنه يقوم بتمرير التعديلات الدستورية والمعارضة والجماهير كلها تصفق له، وهذا ممكن يحدث لو أنه قال مثلا إن فترة المادة ٧٧ فترتين مثلا، وهناك درجة ثانية من المعارضة وهي أن تمرر هذه التعديلات دون تصفيق، وهناك درجة ثالثة وهي أن تمرر ضد رغبة قوى المعارضة والأغلبية، وهناك درجة رابعة وخامسة وسادسة.. هذه كلها درجات من المعارضة.

* ولماذا يمنعكم من دخول الشورى وهو لم يمنعكم من دخول الشعب؟

** أهمية مجلس الشورى أنها أصبحت جزءا من انتخابات الرئاسة؛ لأن المرشح المستقل في انتخابات الرئاسة يحتاج إلى ٦٥ عضوا بمجلس الشعب و٢٥ من مجلس الشورى و١٤٠ من المجالس المحلية، وهذه هي الأهمية الكبيرة لمجلس الشورى؛ ولذلك فهم أجلوا المحليات، ولم يستطيعوا تأجيل الشورى، فهم يريدون منعنا من دخولها بالقوة، تصورا منهم أننا نضع أعيننا على الكرسي، وهذا غير صحيح، وأنا لا أقول ذلك من باب طمأنة النظام، هذا النظام أنا لا أتمنى طمأنته، أنا أتمنى أن يرحل، لكن أنا أقول ذلك لأن هناك من يعتقد من غير النظام أن عين الإخوان على الكرسي، فعين الإخوان على الأمة، نحن نريد أن ننحاز لشعبنا وأمتنا ومشروعنا ونتبناه وندعو إليه ونلتزم به؛ لأنه هو الأساس.. أية قيمة أن تكون عيني على السلطة وشغلتي السلطة ومشروعي في النهاية يساوى صفرا

على مستوى الأمة وليس له قيمة؟ قضية السلطة قصة بسيطة أنا لست مهتما بها الآن.

الشماعة

* وإذا كانت القضية ليست قضية سلطة فلماذا تريد أن تنشئ حزبا ولماذا تدخل البرلمان؟

** وهل هناك من يريد أن ينافس على الكرسي أو مهتم بقضية السلطة ويرشح في الانتخابات الأخيرة ١٥٠ فقط، ما الذي دفعنا أن ندخل بـ١٥٠ فقط؟ ونحن في استطاعتنا أن نزج بـ٤٠٠ إذا كانت القضية قضية سلطة.

السلطة بالنسبة لنا بنأخذ منها الجزء الذي يحقق مشروعنا الأساسي لنا وهو إحياء المشروع الإسلامي للأمة، والأمة هنا لها مفهوم واسع يشمل مؤسسات الدولة والمجتمع المدني هذا هو الأهم عندنا.. إننا نحافظ على البنية الاجتماعية والنسيج الاجتماعي الوطني.. أية قيمة أن نصل إلى حكم وطن منهار... ماذا نفعل عندها؟

* لماذا تعلقون أخطاءكم على شماعة النظام.. لماذا لا تراجعون، أنفسكم لقد كان هناك دلالات خفية وراء مشهد استعراض الطلاب، ولا ينبغي وصف الحدث بأنه عابر، ولكن دلالته أحيت خوفا كامنا في وجدان غير الإسلاميين "إعداد الجماعة للجهاد القادم والحتمي، والذي كتبه الله على أمة الإسلام".

** شبابنا ارتكب خطأ واعتذر عنه.. شبابنا كان نبيلا رغم الذي فعله فهو لم يؤذ أحدا ولم يعتد على أحد، ومع ذلك اعتذر.. لماذا؟ اعتذر عن سوء فهم بأنه عمل عملا لم يقدر أنه يمكن أن يكون رسالة خطأ، ومع ذلك فهو اعتذر عن ذلك في نفس اليوم، فلا يوجد طلاب في تاريخ مصر اعتذروا عن أخطائهم مثل طلاب الإخوان.. ونحن كنا طلابا وكنا نخطئ، ومع ذلك لم نكن نعترف بأخطائنا.

* أنت تحدثني كأن عمل الطلاب عمل فردي تلقائي.. الطلاب لهم مسئولون وتابعون لتنظيم، ولا يتحركون إلا بناء على أوامر؟

**لو كانوا عملوا هذا العمل بناء على توجيه منا لكنا اعتذرنا نحن، ونقول إننا أخطأنا نقول نحن معتذرون، لكن هؤلاء الشباب يعملون بحكم حيويتهم ونشاطهم وإدراكهم، وفي سياق شطب من الاتحاد وظلم وفصل؛ لأنه يمارس حقه المشروع.

المراجعـة

* هل الجماعة راجعت نفسها بعد هذا الحدث؟

** نعم هذا حدث.

* هناك من رأى للنظام مبررا في ضربكم بعد مشهد الاستعراض؟

** هذا الموضوع لما يزعجك كمثقف فأنا أقدر هذا الانزعاج، وأعذرك فيه، لكن لا أقدر انزعاج النظام؛ لسبب بسيط جدا، وهو أن النظام لديه آليات، وعنده وسائل تجسسه، وعنده متابعته، وهو يدرك جيدا أن الإخوان المسلمين لا يوجد لديها ما يخاف منه.

ما هو سبب خوف الفرد العادي؟ أنه ممكن يقول إن هذه رسالة من الإخوان تقول إنهم يمكن أن يستخدموا القوة لتحقيق أهدافهم، فهذا هو سبب خوفك أو قلقك بمعنى أدق، فعند قلقك تسألني: إيه هي الحكاية؟ أما النظام فهو يدرك جيدا أن الإخوان المسلمين جماعة علنية وليست سرية، وكل أنشطتها وأوراقها معروفة ومعلنة للجميع، والنظام أكثر من يعلم ذلك؛ لأنه يملك أجهزة.. أنت لا تملك أجهزة فقلقك مفهوم لكن الدولة لديها أجهزة، وتعلم جيدا أن الذي فعلته تمثيليات بهدف تحقيق مخطط موجود من قبل، لكنهم بحثوا له عن ذريعة ليس لأنهم غير قادرين على تنفيذه

إلا بذريعة؟ لا.. هم قادرون ولكن هذه هي طبيعة البشر.. فأنا ممكن أعمل حاجة ما، لكن عندما تتوافر لي القدرة النفسية أو الذريعة التي تجعلني قادرا بجانب قدرتي المادية فهذا يكون أسهل.. فهي لم تكن إلا ذريعة، والنظام يدرك أنه اتخذها ذريعة.

* هل نجح النظام في جعلكم دائما في موقف الدفاع؟

** نحن لسنا في موقف الدفاع دائما، وحتى لو كنا في موقف الدفاع، فهذا ليس عيبا، والنظام لم ينجح في جعلنا دائما في موقف الدفاع، بل نحن جعلناه في موقف الدفاع، وهذا ليس حديثا عن أن الدفاع غلط.. الدفاع شكل من أشكال الحوار.

* ولكنه نجح في أن يمنع تمدد مشروعكم وحاصره؟

** لا يوجد في العمل العام دفاع دائم وهجوم دائم.. هكذا طبيعة العمل العام لأنك تعمل في الساحة مع بشر، وبالتالي فلا يوجد طرف دائم مهاجم وطرف دائم مدافع، لكن أنت أحيانا تكون مدافعا وأحيانا تكون مهاجما، والهجوم هنا ليس الهجوم بمعناه المادي، بل بمعناه الفكري والسياسي.

* ألا تخافون من تحول الحسبلة إلى انفجار عنيف؟

** أنا لا أعرف اللف والدوران، ولذلك أقول إن الخوف ليس من جماعة الإخوان المسلمين، فشباب الإخوان المسلمين لن ينفجر؛ لأن تكوينهم التربوي والثقافي لا يسمح لهم بذلك، وأيضا ضمائرهم الوطنية رغم أنه على المستوى السياسي يمكن أن يقال ذلك بهدف التخويف، لكننا كإخوان عندما نمارس السياسة لا نمارسها بالكذب.

ولذلك فالخوف الحقيقي ليس من الإخوان، ولا من شباب الإخوان، الخوف الحقيقي من المجتمع ومن الدائرة التي حول قوى المعارضة، وحزام الفقر الذي يحيط بالقاهرة، والغضب الموجود الذي يملأ قلوب العمال والطلاب.

طلابنا وشبابنا المرتبطون بنا نستطيع أن نربيهم على العمل السلمي والصبر... الصبر بالعمل وهذا ليس معناه أننا نضرب ونحن ساكتون، والإخوان يعملون الآن رغم كل الذي يتعرضون له من ظلم، لكن يعملون وينتشرون ويبلغون رسالتهم لمجتمعاتهم لم يتوقفوا إطلاقا، لكن الخوف من الانفجار الشعبي العام، هذا هو الخطر الحقيقي، وهذا الانفجار يغذيه الاحتقان السياسي والاجتماعي، وهل أنت متصور أن الإخوان المسلمين وقوى المعارضة تضرب بمعزل عن الشعب المصري؟.. الشعب المصري عايش وشايف، وهذا يزيد حجم احتقانه سواء في طبقات العمال أو الشباب بيزيد حجم احتقانه أنت كرجل لست من الإخوان المسلمين لما ترى الإخوان بينضربوا هتكون راضي وسعيد؟ أكيد ستغضب أنا أعرف شيوعيين مختلفين معنا ١٨٠ درجة، ومع ذلك غاضبون غضبا شديدا مما يحدث للإخوان، ويرون أنه ظلم بين..

فمن أجل من يزيد النظام جرعة الاحتقان داخل المجتمع؟ هل من أجل استدراج الإخوان لعمل غير منضبط هذا لن يحدث مع الإخوان، فالطبيعة الثقافية والتربوية داخل الإخوان لن تسمح لهم بهذا؟ الطبيعة أن هذا تنظيم عمل مكشوف.. فقوة جهاز الأمن في المتابعة والتجسس حتى لو أن تنظيم الإخوان أراد أن يعمل حاجة فلن يستطيع؛ لأنه تنظيم تحت النور هيتحرك إزاي؟ وأنت ترى أن مظاهرات القضاة، رأيتها كرجل متابع، حينما أنزل الإخوان المسلمون كتنظيم مفتوح ٢٠ ألفا يتظاهروا من أجل تأييد القضاة في شهر مايو لم يكن هناك مظاهرة رغم أن الإخوان نزلوا بـ٢٠ ألفا ليه؟ لأن أجهزة الأمن تتدرب على حصر المظاهرات.. فلم تكن هناك مظاهرة؟ رغم أن اللي نزل المظاهرة كان ٢٠ ألفا.. لو خمسة تكلموا مع بعض بيروح لافف عليهم.. إذن أنت بتتكلم على عمل شعبي سلمي يتحرك في النور، لكن الخوف من الانفجار الشعبي، وهذا نحن لا نريده ولا نتمناه.. ولكن ماذا نفعل نحن، والنظام

الذي يفعل هذا؟ ولا يدرك بسبب مصالح شخصية وذاتية أنه يضيع مصالح الوطن من أجل مصالح شخصية.. ما الذي يزعجكم من الإخوان؟.. هناك حالة نفسية عند الفريق الاستئصالي في النظام أنهم بيقربوا من الكرسي، وكأن حكم مصر وراثة اشتريت لهؤلاء، وكأن النهب الذي نهبوه من أموال مصر، ومن ثروات مصر لا يكفيهم، إذن ما هو المطلوب؟ المطلوب أن الشعب المصري يدور على أرض غير مصر يعيش فيها.

المحنة

*هل المحن قدر الدعوات؟ أم رد فعل قرارات أفرادها ونتيجة اختيارات الجماعة السياسية والحركية، لم لا يفتش الإخوان في ذواتهم بدلا من التساؤل "أنى هذا" لماذا دائما ينتظر الإخوان المحنة ليعيشوا أدبياتها أكثر من النظر في معنى وحقيقة الموقف؟

** الذي يقول إن المحن قدر الدعوات هذا الكلام ليس له أصل، هذا الكلام أنا لا أعرفه ولا أذاكره، فمن يقول إن المحن قدر الدعوات يعتبر المحنة كأنها لازمة من لوازم الدعوات.. لماذا لا تقول إن الانتصار من قدر الدعوات؟ لماذا لا تقول إن النجاح من قدر الدعوات؟ لماذا يكون الفشل أو المحن قدر الدعوات.. قدر الدعوات يبقى كأنه لازمة من لوازمه، أما أن تقول إن الدعوات وهي تجاهد وتناضل تقابلها عقبات وتحتاج إلى تضحيات وهي تحقق نجاحاتها هذا صحيح ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) قابلته عقبات حتى أصحاب الدعوات البشرية النبيلة وهي تحقق أهدافها قابلتها عقبات وصعوبات، وبذلت تضحيات وهي تحقق النجاح..

أحيانا بعض الناس تتصور أن أحد لوازم الدعوات هو هذه المحن أنها تنحبس وتنضرب، وبالتالي يكون هذا جزءا من التكوين الأساسي للدعوة، وهذه ليس صحيحا، فليس جزءا من التكوين الأساسي للدعوة.

الدعوة لابد أن تحقق نجاحات وتقدم، وهي تفعل هذا تقابلها عقبات تقابلها تضحيات.. وما له؟ هذا يحدث لنا ولغيرنا... نيلسون مانديلا لما سجن ٢٧ سنة كان هذا جزءا من ثمن النضال النبيل لتحرير وطنه، ولهذا أنا أقول إن هذه مسألة مرتبطة بالنضال والجهاد من أجل الأوطان، من أجل القيم النبيلة، ودي طبيعة مرتبطة بالطبيعة البشرية، سواء كانت الدعوة دي إسلامية أو وطنية أو قومية.

* تردد أن الجماعة كانت على وشك فتح ملفاتها ومراجعتها وتصحيح أوضاعها، وكان الشاطر أحد هؤلاء القادة المصححين داخل الجماعة.. فهل الضربات الأمنية الأخيرة أوقفت هذا المشروع؟ وإذا استمر النظام في ضربكم فهل معناه أنْ تظل ملفاتكم المطروحة للإصلاح مجمدة؟

** نحن لا نقول إننا لا يوجد لدينا قصور، لدينا قصور، ولا نقول إننا لا نخطئ.. لا.. نحن نخطئ؛ لكننا لسنا بصدد حركة انقلاب تصحيحي.. فالحركة التصحيحية معناها أننا جماعة تسير في الطريق الخطأ ثم أدركت.. لا، نحن لا نسير في الطريق الخطأ، نحن نسير في الطريق الصحيح.. نحن واثقون بما نعلنه وبما نسير فيه لنا أخطاء.. أداؤنا قد يكون ضعيفا ولا يكون بالمستوى الجيد..

* اعتراض: دعنا نسميها حركة تطويرية أو تغييرية؟

** نحن أجرينا انتخابات بالفعل، والانتخابات توقفت عند القيادة العليا، فلم تتم انتخابات حتى الآن؟ نحن أجرينا انتخاباتنا في كل مستوياتنا الإدارية انتهت وخلصت.

ونحن إذا لم نطور أنفسنا كإخوان مسلمين نموت.. أي تنظيم بشري إذا لم يسير في طريق الحداثة والتطوير والتقدم معناها أنه يقضي على نفسه بالمرة.. العالم الآن لا يسمح لأي تنظيم أن يقف، ناهيك أن يتخلف، فالواقف في محله كالمتخلف.

* يبدو أن قوة الإعلام الحكومي، وميكنة الإعلام الأمني، نجحتا في التمهيد لضربكم... فهل تعانون من أزمة في ملفكم الإعلامي من البوسة إلى الجزمة إلى الطز وإرسال ١٠٠٠٠ آلاف مقاتل للبنان وتصريحات قيادات عن الجزية؟

** نعم لدينا مشكلة في الملف الإعلامي.. والإعلام الحكومي والأمني لم يمهد فقط لضربنا؛ بل مهد وساعد ودعم.. ونحن كإخوان مسلمين لدينا أزمة في إعلامية وتنظيم بحجم الإخوان المسلمين لا يستطيع إصدار صحف، ولا أن يكون له فضائيات، اللهم إلا إذا استضفنا هنا أو هناك، وحتى الفضائيات والصحف المستقلة والمحترمة التي تكتب عنا بحيادية، ولا أقول بتتعاطف، تتعرض لإرهاب حكومي وبوليسي.

فهذا الواقع تترتب عليه أزمة إعلامية، ونحن وبكل موضوعية لا طاقة لنا بمواجهة الميكنة الإعلامية للنظام، هذه الميكنة الإعلامية الجبارة التي لديها قنوات تليفزيونية محتكرة، وتصل إلى كل قرية، وكل زقاق، وتملك صحفا تسمى بالقومية، وهي صحف حكومية تتبع للنظام، وهي من أمولنا، ومن أموال دافعي الضرائب، فماذا نملك نحن؟ الشيء الذي ينصفنا دائما هو الحق.

اصبر واحتسب

* ولكن تصريحاتكم هي التي توقعكم في مشاكل ويجيد الإعلام الحكومي اصطيادها؟

** هذا صحيح، لكن حينما يكون هناك إنسان منصف، ويقيم أداء جماعة مثل جماعة الإخوان المسلمين بشكل كلي، ولما يقيم الأداء الإعلامي العام لنا بشكل كلي وتجد هناك بعض الثغرات وبعض الألفاظ اللي أنت ذكرتها – وهذا ليس معناه أنها صح هي خطأ والمفروض أن يكون هناك نوع من الوعي بهذا– لكن يجب وضعها بجانب الأداء الإعلامي الكلى للإخوان المسلمين.

نحن لسنا ملائكة لا نحن ولا غيرنا، ولا يتصور أنه سيأتي يوم لا يخطئ فيه الإخوان المسلمون؛ لأننا بشر لنا أخطاء، المهم هو كم حجم هذه الأخطاء؟ والمهم أننا لسنا راضين عن هذه الأخطاء ومعترفون بها

* ما هي خطتكم لمواجهة المحنة الحالية.. هل هي خطة اصبر واحتسب؟ أم لديكم خطط في التعامل مع الوضع الجديد؟

** اصبر واحتسب لا تعني الصمت في مواجهة الضربات، البعض يتصور أن كلمة اصبر واحتسب معناها الصمت في مواجهة الضربات.. الكلمة هنا معناها عظيم، ومعناها جليل، فهي تعني أنك لا تبحث عن ذاتك عندما تصاب من أجل قيمك ومبادئك ودفاعك عن وطنك، فهي تعني أنك لا تبحث عن حقك الشخصي، وإنما تبحث عن حق الوطن وتضحي من أجل حق الوطن. نحن لدينا خطة للتحرك في مجتمعنا وبناء شكل سلمى للتواصل مع أبناء مجتمعنا.

أما قضية الإرهاب الذي تمارسه الحكومة ضدنا فلن يوقفنا عن أداء واجبنا الوطني هذا ما يحدث الآن بالفعل، نحن لن نتوقف، نوابنا لن ينزعروا وينزعجوا مما حدث، وسكتوا، بل زادت مواجهتهم للفساد في مجلس الشعب، وبيقدموا أسئلتهم بقوة، وأفرادنا بيعملوا في المجتمع ومتداخلون معه وبيقدموا له خدمات اجتماعية وثقافية وتربوية بنفس القوة، طلابنا وشبابنا الصغير والذين اضطهدوا – وهم الشرفاء– داخل جامعة الأزهر بيعمل في الجامعات الآن.. سأحكى لك قصة حدثت منذ أسبوع في كلية تجارة عين شمس: رئيس الحرس هناك استدعى طلاب الإخوان، وقال لهم أنا عندي تعليمات بتقول إنكم لا وجود لكم ليس على خريطة الجامعة فقط بل على خريطة مصر، ثم دخل المدرج والأستاذ يشرح للطلاب وقام بتمزيق لافتة لم يكن مكتوبا عليها إلا آيات قرآنية فقط، فاستنجد الطلاب بالأستاذ، وقالوا له يا أستاذ: هل يرضيك هذا؟ فأجابهم الأستاذ قائلا: أنا مليش دعوة، وذهب الطلاب إلى

رئيس الحرس وقالوا له: إحنا طلاب مصريين حقنا زي غيرنا وإحنا لا نعمل شيئا خطأ، فأكد لهم أنهم لا وجود لهم على الخريطة، سواء بيعملوا صح أو بيعملوا غلط ودي تعليمات.. يقول هذا لشبابنا الذي ذهب إلى الجامعة لكي نربيه على النضال والحرية والعدالة فيواجه بهذا..

فما هي الرسالة التي يريد أن يوصلها عميد الشرطة ممثل وزارة الداخلية إلى الطلاب؟ هل هي رسالة جبن وخور، ورسالة عدم انتماء للوطن وللعلم وللقيم التربوية، شبابنا الذي يفصل بإعداد كبيرة كل يوم ظلما وعدوانا.. هذا هو معنى الصبر والاحتساب عندنا أن نظل نعمل ونضحي على كل مستوياتنا مهما قابلنا من عقبات ولن يستفزنا أحد لعمل موقف ضد مصلحة وطننا.

حرب المال

* حرب المال.. منعطف جديد بدا أنه تغيير إستراتيجي في ملاحقة الحكومة للإخوان، منعطف تجاوزت فيه سيناريوهات المواجهة الممتدة والمعتادة منذ نشأة الجماعة.. ولكن لا يحق للنظام أن يخاف من سلاح المال.. لا يعرف من أين يأتي ولا على ما ينفق؟

** هذا كله ليس صحيحا، هذا كله من التلفيق والتشهير الذي يقوله الإعلام الأمني.. النظام يعلم جيدا أكثر منا، من أين تأتي أموالنا، وأين تصرف؟.. هذه الشركات التي حطمها النظام ووضعها تحت عدم التصرف لا علاقة لها بتمويل جماعة الإخوان المسلمين؛ لأن أنشطة الإخوان معروفة.. أنشطة جماعة الإخوان المسلمين تمول من جيوبهم ومن أموالهم الذاتية.. فكل الذي دخل الانتخابات من مرشحي الإخوان صرف على حملته من جيبه ومن جيب نصرائه والمتعاطفين معه، هذا هو مصدرنا، هذه الشركات كلها ملك الأفراد حتى شركات خيرت الشاطر اللي هو عضو مكتب الإرشاد هذه شركاته الشخصية التي يعمل فيها.

* ولكنكم استفززتم النظام بقدرتكم المالية العالية.. إفطارات على أعلى مستوى.. مؤتمرات مقر للأعضاء يشبه الفندق ثم بعد ذلك تحسبلون على النظام الذي يبطش بكم ويؤمم مؤسساتكم المالية.. دا حتى المثل بيقول داري على شمعتك تقيد؟

** وهذا يساوي إيه جنب المليارات التي نهبت؟ إذا كانت القصة قصة استفزاز، فيساوي إيه جنب الاستراحات وأراضي لسان الوزراء؟ إحنا هنضحك على بعض؟ ولا همه الجماعة دول بيضحكوا علينا.. يساوي إيه جنب اللي أعطوا له احتكار نقل المصريين في البحر الأحمر لحد لما دخل ألف منهم في بطن البحر الأحمر نفسه شهداء.. استفزاز للنظام على إيه؟ الإخوان عملوا حفل إفطار في فندق، طب ما فلان الفلاني من المسئولين في السلطة عندما زوج ابنته في حفلة واحدة في فندق سميراميس صرف ٢٠ مليون جنيه عشان كان جايب سمك من باريس، ويساوي إيه جنب اللي جاب فستان لابنته بكام مليون من باريس.. استفزاز للنظام من فلوسنا، لكن النظام بيصرف من فلوس الشعب التي نهبها.

* الإخوان خطر على أمن مصر وصعود تيارهم يهدد بعزل أكبر دولة عربية سكانا عن العالم.. هل ترى تصريح الرئيس مبارك هذا ما يحوى إنذار عدم عودة التهدئة بينكم وبين مبارك؟

** هذا التصريح ليس في محله، ولا يدل على شيء إطلاقا.. أنا ضد محاولة جعل الأمر كأنه أبعديات لحاكم، فالأوطان ملك شعوبها، وبالتالي فالإخوان ليسوا ضيوفا على أحد، وجزء من الوطن، ويعيشون فيه بشرف وإباء، وسيظلون موجودين في مصر، وإن الخلاف بينهم وبين الحزب الحاكم لا يسمح لأي فرد أن يقصيهم.

* ولكن خطاب مبارك كان موجها للغرب والغرب سكت والسكوت علامة الرضا؟

** لسنا عندنا ثقة في الغرب وأقصد في الغرب هذه الأنظمة؛ لأن الشعوب العربية محبة للسلام، ومحبة للعدالة، ومحبة للحرية، وأنا أحترم هذه المبادئ عند الشعوب

الغربية المحبة للسلام وللعدالة وللحرية، أما الأنظمة الغربية وبالذات الأمريكي ليست عندنا ثقة فيها فجميع ممارساته تقول إنه نظام غير أخلاقي، النظام الحالي غير أخلاقي، وبالتالي لا وزن له عندي حتى يعود للالتزام بأبسط حقوق الإنسان والحرية والديمقراطية.

* في خضم أزمتكم تنشئون حزبا رآه البعض في السابق خروجا على نهج الإمام المؤسس حسن البنا الذي كان مع إدراكه إشكالات واقعه المعاصر أنشأ جماعة، ولم ينشأ حزبا فالحزب المدني علماني بطبيعته، ومستورد من النظم العلمانية، ولذلك قفز عليه البنا، وأنشأ جماعة ذات طابع شمولي، استوحى منهجها من منهج الجماعة المسلمة الأولى التي أنشأها محمد (صلى الله عليه وسلم) ويرى البعض أن هذا كان سر نجاح جماعته.. ولكنكم الآن تنشئون حزبا سيكون علمانيا بطبيعته فهل وضعكم النظام أمام مشكلة الإطار الذي يجب أن تتأطرون فيه؟ ألا تخشون من فقدان الامتياز الذي تعطيه لكم الجماعة الشاملة؟

** إننا نعيش في أوضاع غير طبيعية، وفي نظام يمارس الاستبداد ويسلب البشر المصريين كلهم حقوقهم، أو جزءا كبيرا منها، فحينما نعود إلى حقوق الإنسان نجد أن أحد حقوق الإنسان يعطي لكل مجموعة من المصريين الحق في أن يكون لها تنظيمها، سواء كان هذا التنظيم شاملا، أو تنظيما سياسيا فقط، أو اجتماعيا فقط، أو ثقافيا فقط، يكون اسمه حزبا يكون اسمه جمعية هذه تفاصيل..

المهم الإطار القانوني، فالمواطن من حقه أن ينشئ تنظيمه أيا كان الاسم، وهذا تخريج قانوني، فمن حق أي مجموعة أن تنشئ تنظيمها حتى لو كان شاملا؛ بمعنى أن يكون سياسيا وثقافيا واجتماعيا وغيره مثل تنظيم الإخوان المسلمين.

وبالتالي فالأصل أن من حق الإخوان المسلمين أن ينشئوا تنظيمهم بهذا المفهوم الذي أسست عليه من أول يوم في عهد الإمام البنا، واستمر هذا الوضع حتى عام ٥٤،

وبعدها فرض على الإخوان "المحظورين" وعندما فرض على الإخوان المسلمين، وأصبحت هناك أوضاع قانونية مخالفة لمبادئ حقوق الإنسان، فرض علينا أننا إذا أردنا أن نعمل في العمل السياسي لابد أن ننشئ حزبا ويفرض عليك إذا أردنا أن نعمل في المجال الكذا كذا.. وإذا أردت أن تعمل في المجال الاجتماعي والثقافي تعمل جمعية، هذه الأوضاع مع أنها صحيحة، لكنه في ذات الوقت لا يجوز منع أي جماعة بشرية أن تشكل جماعتها وتنظيمها، فالعبرة في أنه لا تكون لدى هذه الجماعة وسائل غير مشروعة ولا أهدافا غير مشروعه، فنحن كإخوان مسلمين بهذا الشكل أهدافنا مشروعة ونحن نتحدى أن يخرج لنا كإخوان أي هدف أو وسيلة غير مشروعة؛ بمعنى المشروعية الدستورية والقانونية الحقيقية المتفقة والمتسقة مع مبادئ العدالة وحقوق الإنسان.. ماذا نصنع نحن كإخوان مسلمين ما هدفنا؟ هدفنا هو إصلاح وطننا، هل هذا هدف غير مشروع؟ ما هي وسائلنا؟ وسائلنا هي تربية أنفسنا وتربية أفرادنا ونشر القيم الإسلامية ونقدم خدمة ثقافية واجتماعية وهذه كلها وسائل مشروعة؟. الخطأ ليس عندنا الخطأ في النظام القانوني؛ لأن النظام القانوني بني في ظل دولة استبدادية تريد أن تكون المجتمع كله تابع لها وخادم لها وليست هي التي تخدمه والإخوان المسلمون يريدون بكل إخلاص أن يقننوا أوضاعهم، ولكنهم يستحيل أن يقنون في ظل الأوضاع المطروحة في صورة تنظيم شامل وكامل مع أن هذا حقهم طبقا لحقوق الإنسان.

*إذن لماذا لا ينتظرون حتى ينصلح الحال؟

** انتظار الإخوان معناه أنهم راضون بالوضع غير القانوني الذي تريده الدولة حتى يظل النظام من كل لحظة يقول لنا أنتم محظورين والجماعة المحظورة والجماعة غير القانونية والقصص إياها دي.. فنحن نبحث لأننا نريد أن نكون قانونيين فحينما نريد أن نقنن أعمالنا كفكرة إسلامية شاملة، فالجزء السياسي منه في صورة حزب،

والجزء الثقافي والتربوي في صورة جمعية عامة، فهذا يدل على صدق الإخوان وإخلاصهم في أن يكونوا قانونيين، ولكن النظام هو الذي يمنع عنهم ذلك، ومع ذلك فإن النظام لن يسمح لنا.. النظام رفض ١٢ حزبا، وبالتالي فنحن لا نطرح الحزب بديلا عن نشاطنا العام.. نحن نقول إننا نريد أن نقنن وضعنا.

الحسم

* هل هناك إجماع داخل الجماعة على فكرة إنشاء الحزب؟

** لا يوجد خلاف على إنشاء الحزب لأداء دور السياسي، أما إنشاء الحزب لأن يكون إطارا عاما، فهو لن يستطيع أن يكون إطارا عاما لنشاط الإخوان المسلمين.

* بعد هذه الحملة هل سيزيد دور الإصلاحيين داخل الجماعة بعد ثورة الانتقادات المكتومة داخل الصف الإخواني والتهكمات المعلنة خارجة؟

** سيزيد لكني أريد أن أقول شيئا إن جماعة الإخوان المسلمين بطبعها بكليتها جماعة إصلاحية والإصلاح هنا بمعنى التوافق مع الواقع وتحديث أدائك مع الحفاظ على أصولك وثوابتك، تستطيع أن تقول إن كل جماعة الإخوان المسلمين بهذا المفهوم إصلاحية ووجود بعض الأفراد أو بعض الأفكار التي قد يرى البعض أنهم يعوقون مسيرة الإصلاح لجماعة الإخوان المسلمين، فهذه المسألة طبيعية في البشر لا يمكن أن نكون شيئا واحدا، فهناك درجة من درجات الإصلاح البطيء عند البعض، ودرجة من درجات الإصلاح المتقدم عند البعض الآخر، وهذا هو الذي يجعل البعض يقول هناك تيار إصلاحي وتيار محافظ، ولكن القصة في قدرة كل فرد في أن يندفع وينطلق متواكبا مع عصره دون أن يخل بثوابته ودون أن يخل بأصوله التي هي أصول حضارتنا الإسلامية التي نعتز بها، وسنظل ننشرها، وندافع عنها، ونحن حينما نحدث خطابنا ونحدث أداءنا بعض المتخلفين يتصورون أن هذه تخلي عن الأصول.. أبدا.. نحن نفعل طل هذا في إطار الأصول

هذا دين يعني لا يقبل العبث يعني مصدر أصولنا الإسلام وهو دين عظيم وله مبادئه وقيمة، وبالتالي فالتخلي عنه غير متصور من كل إنسان مخلص ونقي وصادق.

* الكثير داخل الجماعة يرشحك لمنصب المرشد العام، ويعزز من فرص توليك هذا المصب والأجواء الحالية تساعد على ذلك فالصقور داخل المكتب ينكمشون حاليا فلم تعد الجماعة تتحملهم.. ويقولون إنك تحمل مشروع نهضة الجماعة؟

** تنظيم الإخوان أكبر وأكرم من أن يتولاه شخص أيا كان هذا الشخص جماعة الإخوان المسلمين تنظيم عميق وعريق وأنا بقول ذلك بكل صدق وإخلاص الإخوان المسلمين بيقودوا قيادة جماعية والمرشد عندنا له صوت مثل بقية أعضاء المكتب، وبالتالي فالذي يصور أن الإخوان المسلمين في يوم من الأيام سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل ستكون أزمتها هي أزمة مرشد وحل أزمتها هي في حل أزمة المرشد لا يدرك طبيعة الإدارة في جماعة الإخوان فأزمتنا لا كانت ولا ستكون أزمة مرشد.

* يقولون أن عاكف مع انه نقطة التقاء بين جيلين إلا أنه لا يملك رؤية للإصلاح على عكسك فيقولون إنك تملك تلك الرؤيا؟

** الرؤية رؤية الجماعة مفيش حد اسمه عاكف ولا عبد المنعم ولا أبو زيد الهلالي.

المنشقون ... في الحوار الرابع مع أبو الفتوح[1]

ذات يوم كنت سائرا على إحدى جنبات شارع القصر العيني ووسط الضجيج تتطايرت إلى أذني تغاريد موبايلي كان على الجانب الآخر الأستاذ إبراهيم منصور الرئيس التنفيذي لجريدة الدستور قال لي أننا نريد إجراء حوار مع الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح يلمس نقطتين محوريتين يجب بكل قوة أن ادفعه للحديث فيها الأولى : عن صحة ماقيل عن محاولاته لعودة المنشقين عن جماعة الإخوان المسلمين والثانية : عن اتهام الجماعة بالتخلي عن أفراد الجماعة الإسلامية والجهاد في مصر .. عندما انتهي الأستاذ منصور من حديثه وجدت قدماي أمام نقابة الأطباء ومقر اتحاد الأطباء العرب فعرجت قدماي على سلالمه التاريخية وانعطفت يسارا باتجاه مكتب الأمين العام للاتحاد ثم طرقت الباب ودخلت في خطوة أعرف تماما مدي غشامتها وجرأتها ومجازفتها فمقصدي لا يقابل أحد إلا بموعد مسبق عن طريق سكرتاريته واستطاع أن يرسي قواعد بروتوكولية فرضها على الجميع تقريبا بحكم منصبه جائز أو بحكم طبيعته الله أعلم لكني فوجئت بالرجل يستقبلني استقبالا جيدا صارحته بما أريد أن احصل عليه .. الحديث في أمر المنشقين والموقف من الجهاديين لكنه أصر على يعطيني صيغة معينة للإجابة عن السؤال وشدد على نشرها كما هي إلا أن شخص ما في الدستور أطاح بكلمة ووضع أخرى فحولت المعني تقريبا عن ما أراد أن يقوله أبو الفتوح من أنه سعى ويسعى وسيسعى إلى إعادة المنشقين- وأنه ليس أمرا جديدا - إلى أنه يسعى الآن إلى إعادة المنشقين وكأنها خطوة أو تكليف جديد كشف لنا عنه .. غضب أبو الفتوح لكن ثمة شخص آخر غضب بشدة لم يكن في كادر المشهد بالنسبة لي على الأقل وهو المهندس أبو العلا ماضي – وكيل مؤسسي حزب

(١) نشرته جريدة الدستور المصرية .

الوسط - فالخبر الذي نشر أولا ثم الحوار ثانيا ويؤكد على أن أبو الفتوح يسعى إلى إعادة المنشقين وضعه أبو العلا في إطار محاولات الإخوان وغيرهم ضرب مشروعه الذي جاهد لإخراجه للنور جهادا طويلا ومريرا .. والآن .. أريد أن أعرب عن أسفي واعتذاري إلى كل من تسبب له هذا الحوار في حرج أو مشقة بدون قصد مني.. والآن أعيد نشره بإضافة الكلمة التي حذفت :

محاولات للعودة

- علمنا أنكم تسعون الآن إلى عودة "المنشقين" عن جماعة الإخوان المسلمين إلى حظيرتها وحقل دعوتها مرة أخرى، بل وعودة البعض من هؤلاء إلى مناصب قيادية داخل الجماعة، فما مدى صحة هذه التسريبات؟

- نحن نسعى وسعينا وما زلنا نسعى لكي يعود هؤلاء الأخوة جميعا إلى الدعوة وإلى الجماعة؛ لأنهم ممن ساهموا في بناء الجماعة بعد السبعينيات، وبالتالي فالجماعة تعتز بهم وبتاريخهم وبأشخاصهم وبجهادهم وما زالت تعتز بما يقدمون وبما يخدمون به الإسلام؛ لأن في النهاية الهدف هو خدمة الإسلام وخدمة الوطن، وهم يقومون بهذا، ولا يزالون محل تقدير وإعزاز عندنا، وأننا نفعل ذلك ضد بعض الأفراد سيئي النية داخل الجماعة وخارجها والذين نعلم أن ليس عندهم حرص على أن يكون عند جماعة الإخوان أمثال هذه النماذج الطيبة.

وبالتالي نحن نتمنى أنهم يعاونونا على هذا؛ لأنهم في النهاية شركاء في هذه الدعوة، فلا أحد أجير في هذه الدعوة.. كل من في هذه الدعوة شركاء فيها.. هم أصحابها... الإخوان المسلمون مؤسسة لم تعد ملك لأفرادها، بل هي ملك مصر، وبالتالي يجب على كل وطني شريف أن يسعى إلى الحفاظ على مؤسسة الإخوان المسلمين هذه الهيئة الإسلامية المصرية التي يعتز كل مصري شريف حتى لو اختلف معها يعتز بها على أنها هيئة تساعد وتبني استقرار الوطن وتقدمه ونموه، وبالتالي هذا

واجب نستشعر أن ربنا سيحاسبنا عليه لو لم نفعله، فلا نفعله مجاملة لأحد، ولا إرضاء لأحد، نحن نفعله إرضاء لضمائرنا التي تفرض علينا أن يكون مثل هذه النماذج الطيبة المشرفة لمصر معنا هي وغيرها، حتى إننا نحرص على النماذج التي لم تنتم يوما للإخوان المسلمين نحرص أن تكون معنا فإن لم تكن معنا فلتتعاون معنا لمصلحة الوطن، وهذا واجب الدين الذي يأمرنا به ونفعله، والذي لا يفعل هذا فهو خارج عن مبادئ الدين الصحيحة والسليمة وغير ملتزم بأخلاق الإسلام وبآداب الإسلام، والذي يسعى لتنفير بعض الناس منا كإخوان مسلمين، سواء هذا السعي كان داخلنا وهذا موجود - لكي نكون أمناء- أو خارجنا، وهؤلاء يخربون في أعظم مؤسسة تعتز بها مصر كلها وهي الإخوان المسلمين.

الفتنة والتساقط

- لكن ما تقوله هذا ليس من أدبيات الإخوان تلك الأدبيات التي كثرت فيها مصطلحات من عينة "التساقط على طريق الدعوة" "والفتنة" والتي ترجع الخروج من الدعوة إلى "عدم التربية دعويا"؟

- هذه ليست مصطلحات الإخوان المسلمين هذه مصطلحات التنظيمات السرية.. مصطلحات بعض المنفرين من الإخوان المسلمين؛ لأن هذه الجماعة لا تنظر لأي إنسان اختلف معها وتركها بأنه "متساقط"، بل تنظر له على أنه أخ مسلم اختلف معها، سواء اختلف معنا فكريا فسنظل نعتز به ونقدره، أو إداريا وهذا حقه أيضا وسنظل نعتز به، وهذه مصطلحات لم يستخدمها الإمام البنا (رضي الله عنه) فيمن خرجوا من الإخوان المسلمين مثل جمعية شباب محمد، بل طلب منهم أن يكتبوا اسمه في الجمعية التي أسسوها، وكان يذهب كل أسبوع ليحاضر عندهم.

والمصطلح المعروف عندنا نحن الإخوان المسلمين ليس الفتنة أو التساقط، فهذه مصطلحات التنظيمات السرية السوداوية التي لا يعرفها الإخوان المسلمين، لكن

المصطلح الذي نعرفه هو مصطلح "كونوا مع الناس كالشجر يرميه الناس بالحجر فيرميهم بالثمر"، هذا هو مصطلحنا وهذه هي أدبياتنا والذي لا يقول هذا ولا يطبقه فهو مراء وأفاك وهو يكذب على الإخوان المسلمين لأن من يردد هذه العبارة "كونوا مع الناس كالشجر يرميه الناس بالحجر فيرميهم بالثمر"، ثم بعد ذلك يكون أول من يثير الزوابع على أخيه الذي اختلف معه، فهذا هو الداعي إلى الفتنة، والذي كلما اختلف معه أحد يقول هذه فتنة حتى يستفز الناس على أخيه ويبتزه من أجل تحقيق أهدافه هذا ليس من الإخوان المسلمين، هذا ليس من خلقنا، ولا من أدبياتنا... هذا يحدث ولكن الذي يفعل ذلك ليس من الإخوان، وهذا ما يزعج الإنسان أن الناس تتصيد المصطلحات التي تحدث من أفراد منا.

- ولكن هذا موجود داخل الصف الإخواني؟

- أنا أمين وأتكلم بدقة أنا أقول التي تصدر منا "مش بقول أنهم مألفنها علينا" الذي قلته أنت صحيح، ومثل هؤلاء يروجونها على أنها تمثل الإخوان المسلمين.. هذه لا تمثلنا ولا تمثل أخلاقنا ولا سلوكنا حتى لو قام بها أو قالها أكبر إنسان فينا؛ لأننا كلنا لا يجادل فرد فينا جميعا كإخوان مسلمين بأننا ملزمين وملتزمين، ويجب أن نكون كذلك بخلق الإسلام، وليس من خلق الإسلام أن "فلانا عندما يختلف معك تتطلع فيه عفاريت الدنيا كلها وانت لسة امبارح بتقول عليه ملاك عشان اختلف معك.. فغدا سيكون شيطانا رجيما"، هذا دليل على الإفك وهذا حدث من بعض الصحابة بحق السيدة عائشة (رضي الله عنها) فلماذا نستغرب أنه يحدث من أحد من أفراد جماعة الإخوان المسلمين، نحن بشر وفينا ناس سيئون ومخطئون لكن لما تنظر للكيان ككل ستجده كيانا شريفا وطيبا.

- ولكن هذه الثقافة ظاهرة عند جمهور الإخوان هذا الجمهور الذي ينظر إلى من "ترك" بأنه "مفتون" "وربنا يحسن خواتيمنا"؟

- لا.. ليس عند جمهور الإخوان عند الأفراد ممكن؛ لأن هذا ينافي مبادئنا.. وممكن تؤاخذنا وتنتقدنا بمبادئنا، وليس بتصرفات أفرادنا، فيمكن للأفراد أن يخطئوا لأننا بشر، ومن أشرف منا قد أخطأ، فكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون.. ولكن الذي يجب أن تهتم به هو أن تجد ظاهرة عامة في جماعة الإخوان المسلمين بأننا تحاملنا على شخص؛ لأنه اختلف معها في الرأي أو في الفكر.. لن تجد هذا.. ولكن من الممكن أن تجد فردا في أي مستوى من مستوياتها كبيرا أو صغيرا يفعل هذا، فهذا وارد، ولكننا لسنا معه؛ لأن هذا لا يوافق أخلاق الإسلام التي يدعي أنه يدعو إليها.
- المدهش أن تتحدث عن "الفتنة" بينما ينأى قيادات الإخوان عن الحديث عنها "لعن الله من أيقظها"؟
- لا يوجد فتنة والحمد لله، الفتنة لها مفهوم في الشرع، والذي يحدث هذا اختلاف، والاختلاف ليس فتنة، وكلمة الفتنة أسيء استخدامها على مدار التاريخ الإسلامي لهزيمة المختلف، واستخدم سلطان الأمة، وسلطان السلطة، وسلطان الجماعة لكسر من اختلف معه تحت زعم الفتنة.. هذا نصب وليس كل من أختلف معه أقول هذه فتنة.. لا.. لا يوجد فتنة الحمد لله..

ولم تتعرض جماعة الإخوان المسلمين منذ أن قامت وإلى الآن إلى فتنة داخلية... تعرضت لفتن كثيرة من السلطة عليها ليس معنى ذلك أنها غير قابلة للفتنة.. لا.. لكننا نرصد، وبالتالي ما حدث من شباب محمد أيام الإمام البنا كان اختلاف مجموعة من الشباب مع أسلوب إدارة البنا للجماعة، وهذا ليس عيبا في شيء، ثم مجموعة الشباب المكفراتية عام ٦٥، فهؤلاء لم يدخلوا الجماعة أصلا، هؤلاء دخلوا الإخوان وهم يحملون فكر التكفير، والجماعة وقفت ضدهم، وقالت لهم نحن ضد التكفير، وما حدث من إخواننا في الوسط كان اختلافا إداريا.. واستخدام مصطلح الفتنة في غير محله يستخدم لإرهاب الآخرين وإرهاب المختلفين معهم ولإثارة المشاكل حولهم وأنهم سيحرقون الدنيا.

الصقـور

- ولكن هناك قيادات داخل الجماعة توصف بأنها "صقور" وتعد نفسها "من حراسها المخلصين"، وتتبنى هذه المفاهيم، ولا تتبنى مفاهيم مثل التي تحدثت عنها، وهذه النوعية قد تعيق رجوع "التاركين"؟

- هذه الأفكار لا تمثل الإخوان حتى لو قلت لي إن مرشد الإخوان قال أفكارا مثل هذه سأقول لك لا يمثل الإخوان؛ لأن الإخوان فكر ومنهج، وأما أن ندعو للإسلام بصدق وإما أن نكون نصابين وكذابين، وهذا لا يمكن للإخوان أن يقبلوه.

أنا أتحدث عن عضو في جماعة تدعو للإسلام، يجب أن يتمسك بأطراف الإسلام، وليس فقط بأركانه أنا عندما أرى أحد الأفراد العادية "يتخانق" على أي مسألة أقول وما له، لكن عندما أجد أحدا من قيادات إخوانية يتصرف التصرفات هذه سأقول له إنك خطأ وسأقول له "إنك مش اللي تعمل كده"، أو تترك هذه الراية وتقف هناك مثلك مثل غيرك من البشر، أما أن تقول لي إنك إخوان وترتكب موقفا صبيانيا وتنشب خناقة مع أحد وتبهته وتكذب عليه بكلام لم يحدث فأنت أكبر فتنة في جماعة الإخوان المسلمين، الإسلام هدف شريف، ووسيلة شريفة، ولا يجوز أن أحقق هدفا شريفا بوسيلة منحطة، وأنا لا أنكر أن بعض هذه الأشياء قد تحدث.

- بعد مراجعات الجماعة الإسلامية تجرى الآن مراجعات لجماعة الجهاد أين أنتم منها؟ ولماذا تعتبون على غيركم في عدم وقوفه معكم في محنتكم بينما أنتم لا تقفون مع أحد في محنته؟ هل تخافون من أن يضربكم النظام بهذه الجماعات؟

- الدعوة للإسلام خير، وربنا سبحانه وتعالى يقول في باب الخير "وفي ذلك فليتنافس المتنافسون" من أجل هذا فتعدد الهيئات التي تدعوا للإسلام وتحافظ على قيمه وتربي الناس عليه فإن هذا خير للإسلام.. أنا أكون سعيدا لما تكون في مصر ١٠٠

هيئة تدعو للإسلام وتتنافس في الخير، وتكمل بعضها بعضا، وتتعاون على البر والتقوى كما يقول القرآن، وهذا فرق دعاة الإسلام عن غيرهم أن لهم قيما يحمونها، بخلاف غيرهم من الأحزاب.

أنا لا أتمنى أن من يدعو للإسلام غيري يزول، بل أتمنى له النجاح والتقدم، وأتمنى أن يكون أقوى مني؛ لأن في ذلك خدمة للإسلام؛ ولأنني أتنافس في الخير، ومنافسة الخير غير منافسة الشر، ففي منافسة الشر أتمنى زوالك وعدم وجودك، أما الخير ففيه فليتنافس المتنافسون، ولو وجدتك تقوم من الليل ٣ ساعات سأكون سعيد طالما أنا أقوم نصف ساعة، لكن أن أقوم بقلب الدنيا عليك، وأشوشر عليك لمجرد أنك تصلي أكثر مني فهذا غريب..

فليراجع من يشاء أن يراجع.. نحن تحفظنا على المستوى الفكري على قضية التكفير، ولا يمكن أن نقبل من أي هيئة إسلامية أن تكفر المسلمين.

أما على المستوى الحركي فلا يمكن أن نقبل من أي حركة إسلامية أن تستخدم العنف أو التغيير المسلح تحديدا، وفيما عدا ذلك نتفق أو نختلف مع الهيئات الإسلامية، ونتمنى لهم الخير والتقدم رغم اختلافنا، ولو اتفقنا مائة في المائة لأصبحنا شيئا واحدا.

ونتمنى لإخواننا في الجماعة الإسلامية أن يتحركوا ويدعوا إلى الله بعدما راجعوا أفكارهم، وتراجعوا عن العنف، ونتمنى لإخواننا الآخرين في الجهاد أن يخرجوا ويدعوا إلى الله، ويكون في مصر هيئات كثيرة تدعو للإسلام وتربي شباب الأمة على الإسلام؛ لأن مصر تحتاج لهذا وهي الأصل في هذا.

- ولكن هل كان لكم دور في مراجعاتهم؟

- نحن قمنا بما يمليه علينا واجبنا تجاههم، ونحن نثمن المراجعات التي قام بها شباب الجماعة الإسلامية، ونثمن المراجعات التي يقوم بها الجهاد الآن ونرجو الله أن يعودوا

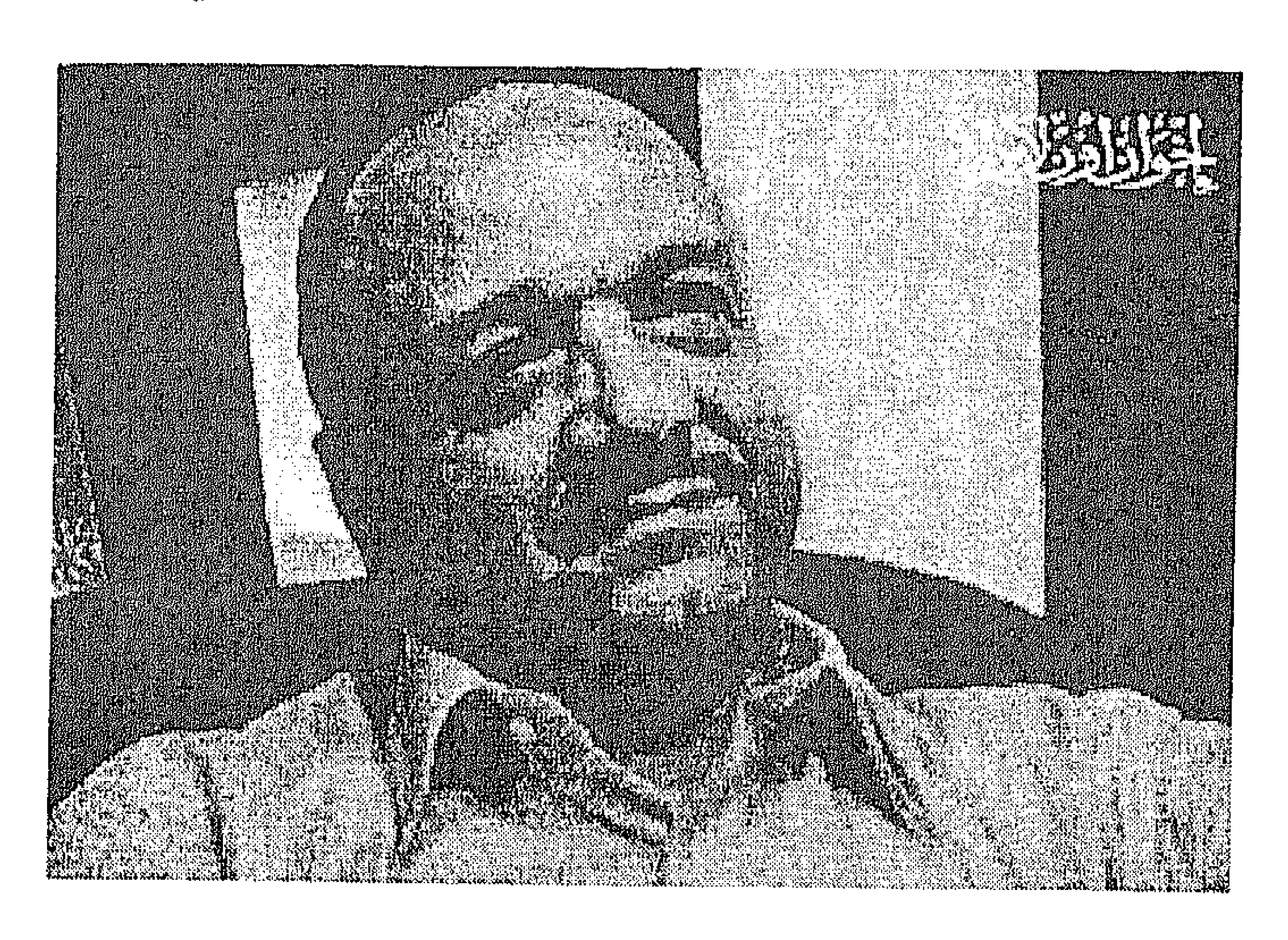
عن استخدام العنف باقتناع واعتقاد كما نحن الإخوان المسلمين، وأن يخرجوا ويدعوا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فساحة الدعوة الإسلامية واسعة وتسع كل من يدعو للإسلام بشكل سلمي وبأخلاق الإسلام.

- ألا تخافون من ان يضربكم النظام بهذه الجماعات؟

- لسنا نخاف، ونحن لن يضربنا أحد بأي عمل إسلامي، ولا توجد نقطة خوف عندنا إطلاقا، ولا من هؤلاء ولا من غيرهم؛ لأن من يعمل للإسلام بصدق وأمانة سيلتف الناس حوله، ومن يعمل للإسلام لتحقيق مآرب شخصية، أو تنفيذا لتوجيهات أجهزة سوداوية فلن يلتف الناس حوله، هذه مسألة نحن مؤمنون بها، فالذي يريد أن يعمل للإسلام تنفيذا لتوجيه جهاز من الأجهزة أو تحقيقا لمآرب شخصية هذا كفيل به الناس، فنحن لا نخشى من أحد، والناس كفيلون به؛ لأنه لا يستطيع أحد أن يضحك على الشعب المصري بالإسلام، ومن يحاول فالشعب سيقوم بالواجب ناحيته، ومع ذلك فنحن لا نتهم أحدا بهذا، بل نحن ندعو للجميع بأن يوفقهم الله، بل ويجب على الدولة وهي المفروض أن تكون حامية لدعاة الإسلام أن تشجع هؤلاء وتدعمهم وتساعدهم، وتعاونهم على أن يقوموا بواجب الدعوة الإسلامية الصحيحة؛ لأن هذا هو واجبها الذي تقوم به وكالة عن شعبها، وهذا واجب على الدولة، وإن لم تقم به فهي مقصرة في واجباتهم، وتحاسب على هذا أمام شعبها وأمام الله.

في حوارنا مع المهندس عاصم شلبي .... مسئول الملف الإعلامي في الإخوان[1]:

سألناه أليس غريبا أن تكون مسئول الملف الإعلامي في جماعة الإخوان المسلمين وأنت لست إعلاميا . فأجاب المهندس لديه قاعدة لان يصبح أي شيء .



كان وما زال.. قبل أي ضربة أمنية تتعرض لها الجماعة لابد أن يغطيها ضربات إعلامية وصحفية من قبل النظام.. تمهد لضربها وتواكبه.. نتج عن ذلك إدراك لأهمية الإعلام عند جماعة الإخوان المسلمين، ونتج في الوقت ذاته عقدة تجاههن فأخذت الجماعة في بناء قسم خاص بالإعلام يهتم به وبتربية كوادر إعلامية تكون وسيلة في نشر فكرة الجماعة في الوقت الذي تعاملت مع الإعلام الخارج عنها بحذر شديد "بحكم الكامن الموروث"، ووجدت الجماعة نفسها تمارس نوعا من الإعلام الموجه الذي لا يقبل رأيا مخالفا نتج ذلك عن أنها وضعت نفسها في موقع المدافع المضطهد الذي لا

(١) (نشرته جريدة الدستور المصرية) .

يسمح له بامتلاك وسائل إعلامية، كما رأت من نفسها الحامل للرسالة فخلطت بين الدعوي والمهني، ولم تنجح في العزل بينهما ويبدو أنها أدركت التغييرات حولها، ولكنها لم تدركها داخلها فوجدت أن هناك جيلا جديدا لها لم يتأثر بثقافة السمع والطاعة

والثقة في القيادة، وضاق ذرعا بالطوق الذي يلف عنقه فقام بإنشاء مدوناته الخاصة التي عبر فيها عن آرائه خارج نطاق تنظيمه المحكم.. كل هذه الأفكار وغيرها طرحناها على مسئول الملف الإعلامي في جماعة الإخوان المسلمين المهندس عاصم شلبي... فإلى نص الحوار:

أهل ثقة أم أهل كفاءة

- أليس غريبا أن تكون مسئول الملف الإعلامي في جماعة الإخوان المسلمين وأنت لست إعلاميا؟

- الإعلام ممارسة، وأنا أعتبر نفسي إعلاميا؛ لأني أعمل في مهنة النشر منذ عام ١٩٨٠، ومهنة النشر هي الوعاء الواسع للإعلام، وهناك الكثير من الإعلاميين والصحفيين كانوا في الأساس مهندسين وأطباء، وأنا أرى أن المهندس لديه قاعدة يستطيع من خلالها أن يكون أي شيء.. أنا جزء من التاريخ الإعلامي للإخوان وداخل المنظومة منذ ٢٥ عاما.

- أليس من المدهش أن نعلم أن مسئول موقع نواب الإخان ليس إعلاميا وحتى المسئول الإعلامي للمرشد ليس إعلاميا كذلك؟

- المسئول عن موقع الكتلة كان إعلاميا لأكثر من ٩٠ ٪ من الوقت، والمسئول الإعلامي للمرشد منذ زمن بعيد، وكان يعمل في شركة سفير، وكان من أحد مؤسسي إخوان أون لاين، وحصل على دورات وكان داخل منظومة العمل الإعلامي الإخواني.

- منذ متى وأنت مسئول الملف الإعلامي؟
- لا أستطيع أن أحدد لك الفترة ولكن "بقى لي شوية"
- لو تمت محاسبتك على الفترة التي توليت فيها الملف الإعلامى ستحصل على "كم من عشرة"؟
- أنا عندما أتحدث فإني أتحدث عن الإعلام وعن إمكانية ممارسته.. أنت تتحدث عن الملف الإعلامي للإخوان، فأنت تتحدث عن ما هو ممكن.. هناك تجارب أنا أعتبرها تراكمية، والعمل الإعلامي الإخواني ليس بالضرورة مؤسسات، المهم أن يكون هناك نوع من الانتشار الإعلامي، وأن يكون هناك نوع من أنواع التسويق الإعلامي للفكرة، وهذا يتحقق بدرجة كبيرة، والإخوان هم الحدث المؤثر والرئيسي في السياسة المصرية لأكثر من ٢٠ عاما.
- هم مفعول بهم إعلاميا، ولكن أنا أتحدث عن إدارة الملف الإعلامي الذي تتولى مسئوليته؟
- العمل الإعلامي في الإخوان مؤسسي كأي عمل آخر في الإخوان، والملف الإعلامي الآن جزء من القسم السياسي، والعمل الإعلامي له علاقة بكل نشاطات الإخوان، مثل: الجزء الدعوي والمهني والطلابي وخلافه.
- لماذا لم تفرزوا إعلاميين من ذوي الوزن الثقيل مثل اليسار مثلا؟
- هذا راجع للظروف السياسية؛ فالظروف السياسية هي التي حكمت هذه الجزئية، فمنذ ٣٥ عاما لم تكن هناك مؤسسة إعلامية بشكل دوري تتبنى فكر الإخوان، فعلى سبيل المثال كانت هناك مجلة الدعوة، ولم تكن هناك جريدة يومية يعمل فيها الإخوان حتى الصحفيين الذين كانوا بداخل المؤسسات الحكومية كانوا كبار السن، وبعضهم كان موجودا وله حضور مثل جابر رزق وعبد المنعم سليم.

الخلط بين الدعوي والمهني

- لم يعرف الإخوان الصحافة بالمعنى المهني المجرد طوال تاريخهم، ولم يعرفوا إلا صحافة الدعوة؛ بمعنى أنهم خلطوا بين الدعوي والمهني؟

- نعم بالطبع... أظنك تتحدث عن حرية الفرد داخل الجماعة في أن ينشر ما يريد.. أختلف معك في هذه الجزئية فصحفيو الإخوان لهم تخصصات مختلفة، فهناك المتخصص في الفن، وهناك المتخصص في الدعوة؛ يعني هناك تنوع.. ربما يكون الغالب هو الجزء الدعوي باعتبار أن الجماعة جماعة دعوية في الأصل، بالإضافة إلى أنه ليس هناك منابر.

- أنا أتحدث عن النموذج الإخواني في التجربة الصحفية، ولا أتحدث عن نماذج فردية داخل الجماعة؟

- مفهوم... الصحافة من ١٩٢٨ حتى الـ١٩٥٢ يغلب عليها الجزء الدعوي؛ لأنها كانت فترة تأسيس وانتشار، ومن الثمانينيات إلى الآن لم تكن هناك مؤسسة صحفية إخوانية مستمرة لعشرات السنين.. يعني نحن نتحدث في تجارب متقطعة نتيجة الأوضاع السياسية ونتيجة الخصومة السياسية مع النظام السياسي، وسأظلم التجربة لو تكلمت عليها بهذا الشكل، ولكني في النهاية سأتحدث عن مردود أفراد حتى بدون تسمية، فاليوم هناك رموز في الفضائيات كانوا صحفيين في الإخوان وخريجي تجربة الثمانينيات والتسعينيات، وهم رموز سياسية قبل أن يكونوا رموزا دعوية.

- من هؤلاء؟ هل الإفصاح عن أسمائهم خطر عليهم؟ أهو سر؟

- ليس سرا.. وهم موجودون ولكن لن أسميهم.

- هؤلاء لم ينمو مهنيا داخل الجماعة وضاقوا ذرعا بقياداتهم التي لم تستوعبهم ولم تواكب تطورهم فقذفوا خارج الدائرة.

- لا.. تربوا داخل الجماعة مهنيا وخرجوا خارج نطاق الدائرة ومارسوا.. وعلى فكرة الانتشار في المؤسسات الإعلامية أولى من أن يكونوا داخل مؤسسة تحمل الصفة الإخوانية، وهذه إحدى ميزات الإخوان؛ لأن مؤسسات الإخوان تتقيد بقواعد الإخوان العامة في أدبياتهم وخطابهم، وربما هذا يفرض درجة من درجات القيد؛ لأنه لو أن هناك صحيفة إخوانية ستتقيد في خطابها بقواعد.

التخلي عن آفاق عربية

- بناء على ذلك فضلتم انتشار صحفييكم في المؤسسات الصحفية وتخليتم عن آفاق عربية؟

- الإخوان لم يتخلوا عن آفاق، الإخوان اهتموا بها من أول لحظة.. آفاق عربية تجربة بدأت بمبادرة شخصية من الأستاذ أحمد عز الدين مع الأستاذ محمود عطية، ومع ذلك كانت هناك إشكاليات في الطريق ليست بالضرورة تخص الإخوان، فأولا هي مؤسسة ليست ملك الإخوان، فهناك أحد الصحفيين اقتنع بأن صحيفته يمكن أن تحمل فكر الإخوان، ولكن هو ليس من الإخوان في النهاية، ويمثل حزبا، وكانت هناك ضغوط من الحزب عليه شخصيا، وعلى رئيس مجلس الإدارة.. الإخوان لم يكونوا الإشكالية، الإشكالية كانت من ضغوط مؤسسات الدولة.

- المرشد صرح بأن آفاق عربية كانت عبئا على الجماعة.. ألا يدل ذلك على أنه كانت هناك نوايا من الجماعة لإغلاق ملف آفاق نهائيا؟

- آفاق عبء من أول لحظة؛ لأن هناك ملابسات عامة فهي ليست مؤسسة إخوانية ورئيس تحريرها ليس من الإخوان.

- أنا أتحدث عن تصريح المرشد.. صحفيو الجريدة اعتبروه نكرانا للجميل بعد خدمتهم الجماعة طوال هذه السنوات.. ما تعليقك؟

- كلمة تمثل عبئا على الإخوان لا تعني العملية الصحفية، ولكن ربما يقصد من الناحية السياسية.. الإخوان كشكل قانوني وتبعيتها لحزب... ربما يمثل عبئا من هذه الجزئية.

- ولكن آفاق كانت تربح من الناحية المادية، وكانت توصل رسالة قيادات الإخوان إلى القواعد؟

- هذا الكلام يحتاج إلى تدقيق، فمعظم وسائل الإعلام في مصر الأصل أنها تخسر، فما بالك بمؤسسة تخضع للضغوط فليس طبيعيا أن تكسب.

- سكنتم العاملين التابعين للجماعة تنظيميا في آفاق في مؤسسات تابعة للجماعة، في حين تركتم غير الإخوان في الشارع بلا عمل؟

- الجماعة لم تكن ملزمة.. هي تعاملت مع الجريدة كمؤسسة، كل الصحفيين بنفس الدرجة والمستوى، وعندما أغلقت الجريدة ليس بالضرورة الجماعة هي التي تبنت هذا، بل هناك أفراد تبنوا وأخذوا شريحة كبيرة من العاملين في الجريدة، ولم يكن هناك أي درجة من درجات التفريق بين الصحفيين بعضهم عن بعض.

مقص الرقيب

- قيادات الإخوان تمارس رقابة صارمة على المؤسسات الإعلامية التابعة لها، فقد حدث أن قيادات في مكتب الإرشاد منعت النشر على موقع الجماعة وصحيفة آفاق حوارات أجريت مع كوادر إخوانية ومقالات كتبتها قيادات في الجماعة؟

- هذا كلام غير صحيح.. آفاق كانت تمارس عملها بكل درجات الحرية، ولم يكن هناك أي قيد، ولكن هناك قواعد عامة أخلاقية حاكمة، والصحفي إذا لم يكن له مبادرة فلا يستحق أن يكون صحفيا.

- يعني لو كتب صحفي إخواني موضوعا فيه انتقاد لسياسة الجماعة أو تصريح للمرشد هل سيتم نشره؟

- نعم هناك انتقاد... الإخوان يخضعون لأدبيات.

- لم نر انتقاداً يوماً أو حتى رأيا مخالفا لا في صحيفة إخوانية ولا حتى على المواقع الإلكترونية؟

- أنا أختلف معك.. الجرنال كان مفتوحا لكل القوى السياسية، وخاطب كل القوى السياسية أن يكتبوا فيه، وبعضهم كتب.

- ليس المهم شخصية من يكتب، المهم ما يكتبه هذا الشخص، والمؤكد أنهم لم يكتبوا ما ينتقد الجماعة؟

- ملف الانتقاد وعدمه هذا يؤخذ بحساسية شديدة، ووجهة نظري أن فيه تضخيم؛ لأن الواقع لا يصدقه، ولكن الإخوان يدعون إلى المصداقية في التناول، وأنا أرى أن الإخوان داخلهم وخارجهم يتقبلون الرأي الآخر، ولكن على وجه العموم العمل الجماعي لابد أن يكون به ضوابط، وكلما كبر العمل الجماعي كلما ظهرت الضوابط أكثر.. كل منابر الإخوان مفتوحة للرأي والرأي الآخر، والدكتور القرضاوي نشرنا له مذكراته التي انتقد فيه بعض الأمور في الجماعة، وأنت لديك منابر اليسار الإعلامية مثلا ليس بالضرورة أن تكون مفتوحة لكل الأفكار، وإنما سيقدم فكرته، وهذا ليس عيبا.

- لا تحدثني عن نماذج أخرى، فالمفترض أن الجماعة تقدم نموذجا مثاليا باعتبارها لديها مشروع نهضوي تقدمه للأمة، فإذا قدمت نموذجا فاشلا فهذا يشير إلى أن هذا هو نهجك في المستقبل، ويؤكد عدم إيمانك بحرية الرأي والتعبير، أو عدم فهمها في أسوأ الظروف؟

- أنا لا أعتبر النماذج اليسارية سيئة؛ لأنه في النهاية يحمل فكرا، ولكن بالضرورة سيغلب عليه الترويج لفكرته، وهذا شيء طبيعي.
- أين كبار الصحفيين الإخوان لماذا لا نراهم؟
- هناك محمد عبد القدوس، وصلاح عبد المقصود مثلا صحفيان كبيران.
- عندما أسأل مسئول ملف الإعلام في الإخوان... أين كبار الصحفيين الإخوان يقول لي محمد عبد القدوس وصلاح عبد المقصود.. فقط؟
- هناك صحفيون إخوان داخل مصر وخارجها.
- أقول لك ما لا تريد قوله: كبار صحفيي الإخوان انقسموا إلى قسمين: قسم ذهب للعمل في بيزنس الصحافة، مستفيدا من وضعه التنظيمي، والقسم الثاني تسرب من بين يدي الجماعة وضاق ذرعا بقياداتها غير المتفهمة لتطوره وانفتاحه فهاجر أو ترك الجماعة.

تسرب الكفاءات

- "تسرب" الغالب فيه ممارسة المهنة أم مهنة أخرى؟ البعض يمارس الصحافة خارج دائرة الإخوان، وهذا تشجعه الجماعة.
- هؤلاء كانت لديهم أفكار تغييرية ورؤى انفتاحية، وطالبوا بالتغيير فلم يسمع لهم أحد، بل همشوا ووضعت عليهم الدوائر؟
- لا توجد عندنا مؤسسة يمكن أن ينمو الشخص ويكبر فيها، وليس هناك مؤسسات صحفية يستطيع من خلالها الفرد الإخواني أن يتقدم في المراكز القيادية فيها.
- أنا لا أتحدث عن المناصب القيادية بل عن التميز المهني؟
- وأنا أتحدث عن الترقي في المناصب الإعلامية وعن درجات الترقي الطبيعية، فصحفيو الإخوان عليهم علامات استفهام، وهناك مؤسسات صحف يحدث فيها

للإخوان مشاكل إذا عرف أن انتماءهم إخواني، سواء مؤسسات قومية أو غيرها، وهذا يفرض نوعا من أنواع القيد على الشخص، وهذه إحدى الأسباب، والصحفي الذي يقلل ارتباطه بالإخوان لكي ينطلق من الناحية الصحفية لا تسريب عليه، وليس أنا فقط الذي يقول ذلك، بل وقيادات الإخوان أيضا.

- ما قصة الصراع بين الأذرع الإعلامية للإخوان؟

- أين هي الأذرع الإعلامية للجماعة أصلا.. حتى أذرعنا فهي ضعيفة جدا نتيجة الواقع، فنحن غير مسموح لنا أن يكون لنا أذرع إعلامية أصلا.

- لماذا تعلقون فشلكم على شماعة الأمن.. سمح لكم ولم تنجحوا في تقديم نموذج جيد، ولديكم منابر إعلامية، ومواقع إلكترونية تمارس الصحافة الموجهة والتي لا تقبل رأيا؟

- آفاق لم تكن نموذجا فاشلا، أنا لا أوافق على هذا، أنا أختلف معك في هذه الجزئية، كان ناجحا بدليل أنه كان الأعلى في التوزيع مع وجود صحافة أخرى محترمة في نفس التوقيت.

- آفاق كانت أقرب للنشرة الدعوية منها للصحافة المهنية، وكانت توزع على أعضاء الجماعة في الأسر، ويسحبها الإخوان من السوق، ولكنها كانت ضعيفة بسبب تسلطكم عليها، وتحكم قيادات إخوانية فيها لا علم لها بالصحافة لدرجة أنه كان يفرض على الصحفيين نشر موضوعات وتصريحات بعينها؟

- لم تكن آفاق نشرة.. وكون أنها تنشر تصريحات المرشد أو غيره من قيادات الجماعة فهذا يفعله غيرها من الصحف، وليس هذا معيار نجاح الصحيفة في حد ذاته، بل لابد أن تكون لها قاعدة تؤهلها للنجاح، وهذا كان متوفرا في آفاق.

- لماذا ينظر الإخوان للصحافة والإعلام على أساس أنه وسيلة فقط لحمل فكرتهم لا على أساس أنها هدف في حد ذاته يجب تنميته.. أليس هذا سببا في أن الإخوان كجماعة لم تنتج كوادر صحفية متميزة؟

- الجماعة لها كوادرها الصحفية المتميزة... أجرينا استطلاعات رأي كان هناك شريحة غير الإخوان تشتري آفاق عربية، وكون أن آفاق كانت تفتقد للإثارة فهذا يمكن أن يكون ميزة وعيبا في نفس الوقت؛ لأن الإثارة كأدبيات عند الإخوان مرفوضة؛ لأننا نعبر عن جماعة لها مرجعية أخلاقية، ولها مرجعية دينية، فالمهم أن تكون المصداقية موجودة.

صراع الأجنحة

- حدثني عن صراع الكتل الإعلامية في الإخوان... ما يطلق عليه صحفيو قلعة المنيل مع صراعهم مع الأجنحة الأخرى في المراكز الإعلامية والمواقع التابعة للجماعة؟

- أنا أقول ربما يكون هناك تباين في وجهات النظر وفي التقييم، ولكن أنا أرى أنها ليست بالضرورة ظاهرة سيئة، من الممكن أن يكون نوعا من الاختلاف في الرأي والاختلاف في تقييم الأفراد داخل المؤسسة الواحدة.. وهناك تقريب في وجهات النظر ما دام أن هناك عمل منظم في النهاية يجمع مجموعة من الإخوان.. الأصل أنه لو أن هناك إشكاليات مطروحة يتم تداولها والوصول للحد الأدنى للخلاف الذي يعيش فيه الإخوان مع بعضهم البعض، وهناك أخلاقيات تربط الإخوان على وجه العموم.. القضية ليست في الخلاف، وإنما في الخروج على آداب الخلاف.

- أنا لا أتحدث عن خلاف بل عن صراع؟

- أنا أتحدث عن السلوك وعن بعض الأخلاقيات التي لم تكن مقبولة كالحديث عن بعضهم خارج مؤسسات الإخوان بدرجة فيها بعض التجاوز، ونحن نحاول

التقليل من الآثار السلبية الناتجة عن ذلك.. والصحفيون أصحاب قلم وفكر وحدوث خلاف بينهم شيء طبيعي.

- هذا ليس خلافا، هذه مشكلة لها جذور ترتب عليها أضغان وحزازيات بين الأفراد، وأصل المشكلة أن فريقا يدعي على فريق بأنه سطا على موقع إخوان أون لاين وسيطر عليه وما فيه من موارد وقام بتسريحهم، واستغللتم فترة غياب الدكتور جمال نصار مدير الموقع، وأحللتم عبد الجليل الشرنوبي في موقعه، وغيرها من حكايات لا مجال لذكرها الآن؟

- الجزئية الخاصة بإخوان أون لاين غير صحيحة، فالذي يقال عن الشرنوبي هو الذي كان يقال عن جمال نصار؛ يعني أنه استبعد أفرادا، وأنه كذا وكذا، والمؤسسات الإعلامية غير الإخوانية نفس الكلام، وهذا الخلاف ليس في المنهج بل في الطبيعة الشخصية، حتى في البيزنس العادي هناك مسائل تحدث نوع من الصراع.. وعبد الجليل الشرنوبي امتداد نفس المرحلة، والذي أتى بعبد الجليل هو جمال نصار، وهو الذي حدد أن يكون عبد الجليل المسئول في عدم وجوده، وعندما خرج جمال نصار أصر على عدم الرجوع.

- عزمتم عزومة مراكبية بعد أن فرضتم الأمر الواقع؟

- لا..لا.. الإخوان عندهم أدبيات أنه إذا تم اعتقال فرد فعند خروجه يرجع المكان الذي كان فيه.

- هناك صحفيون إخوان كتبوا مذكرات أرسلوها للمرشد وعرضوا فيها مظالمهم التي تعرضوا لها من مراكز قوى داخل الجماعة، ولكن كان مصيرها أضابير مكتب الإرشاد؟

- أي مذكرة أرسلت إلى مكتب الإرشاد تم قراءتها والتحقيق فيها، وبعضها لم يتم التحقيق فيه بناء على طلب صاحبها.

- لماذا لا تحاولون الصلح بينهم على أمل أن تذوب الضغائن والكراهية المترسبة في الصدور؟

- محاولات كثيرة في هذه وغيرها، وأنا لا أظن أن درجة الاحتقان السابقة ما زالت موجودة، وكل الأفراد المحتقنين هؤلاء يمارسون أعمالا مع بعضهم البعض الآن.

مقاطعة الصحف وشرائها

- استخدمتم أسلوب المقاطعة مع الصحف التي تنشر أخبارا أو آراء لا تروق لكم مثل المصري اليوم التي أصدرتم تكليفات إلى أعضاء الجماعة بعدم شرائها.. لماذا لا تتفهمون طبيعة عمل الصحافة، وهل لديكم ميراث من الشك والريبة وسوء الظن تجاه الصحف التي تتناول الجماعة بشيء من النقد؟

- أولا قواعد الإخوان عندها حساسية في التعامل مع وسائل الإعلام التي تستشعر أن فيها تحاملا على الإخوان، فهو وحده وبمبادرة شخصية منه لا يشتريها، وربما ينطبق هذا على المصري اليوم، لكن إن كان فيه كلام أن المصري اليوم "محدش "يشتريها في مرحلة من المراحل ربما بمبادرات في أماكن معينة، ولكن تم بعد ذلك استدراك الأمر والمصري اليوم مثلها مثل أي جرنال آخر من أراد أن يشتريه فليفعل ومن لا يريد لا يفعل، ولا توجد محاذير على شرائها، مع الملاحظات التي كانت موجودة على المصري اليوم، والتي كان هناك إحساس أنها تتحامل على الإخوان.

- يعني أنتم تخوفون الصحف التي لا تعجبكم سياستها التحريرية في تعاملها مع ملف جماعتكم؟

- هناك فرق أن يكون الجرنال يشهر وأن الجرنال يكون فيه استعداء على الإخوان، أنا أعتبر أن المحاكمة العسكرية التي حدثت أحد أسبابها هو نشر المصري اليوم لخبر مظاهرات طلاب الأزهر بهذا الشكل الذي نشرته به.

- الأصل هو أن يقوم الصحفي بعمله المهني بشكل مجرد، ويفترض فيه حسن النية، وتبعات القضية يتحملها الإخوان والأمن ولا علاقة للصحافة بها؟

- من الناحية المهنية يجب أن يعلم الصحفي آثارها على الجماعة.

- مصور أخذ صورة ونشرها.. ولم يضرب الإخوان على يدهم لكي يتظاهروا بهذا الشكل.. وواضح أنها غير مرتبة؟

- حسن نية إذا قلت هذه ميليشيا شبه عسكرية مع أفراد لم تكن تحمل سلاحا، أو استعراضا رياضيا، وسأضرب لك مثالا: الصحف الحكومية عندما تأتي للتعامل مع الإخوان تتعمد تقول المحظورة ولا تنشر إلا التشهير فهذه الصحف توجه.. أنا أتحدث عن التحايل المتعمد المقصود، فهذا خارج المهنية التي تتحدث عنها وهذا توجيه من رأس المؤسسة الصحفية.

- لديكم حزازية مفرطة تجاه الإعلام.. هل لأنه دائما كان يقدم الغطاء الذي يسبق ضربكم أمنيا؟

- العكس.. مصلحتي ألا يكون هناك توتر بين الإخوان وبين الصحافة، فاستدعاء التوتر ليس من مصلحة، وعلى الإخوان أن يحرصوا على علاقة جيدة مع المؤسسات الصحفية حتى ولو اختلفت معهم في الرد لمصلحتهم الدعوية، ونحن نعطى للكل تصريحات حتى للصحافة المعادية.

- أنتم تفرضون على الصحفي التابع لكم قيودا في تعامله مع ملف الجماعة؟

- نحن نسمح بذلك بشرط أن يكون موضوعيا، وهذا يرجع للشخص وتقييمه للوضع، فالإخوان يعملون في وضع استثنائي، وهناك ترقب وتربص، وهناك ضغوط، وربما تسرب بعض الأخبار يسبب ضررا للجماعة، وهذه مسألة ترجع له بموازينه الشخصية.

- إذن هناك ضوابط؟

- ضوابط لأنه ممكن أن تتسرب أخبار من صحفيي الإخوان يمكن أن تسبب ضررا للجماعة.

بين المهني والتنظيمي

- إذن هناك إشكالية والتباس عند الإخوان بين المهني والتنظيمي؟

- أنا هنا أتحدث عن أي عمل تنظيمي ليس بالضرورة الصحافة، فقد يتم نوع من الاختلاف نتيجة لدرجات في التفويض في الشغل، وأنا لا أراه خلافا في تقييد حريات.

- أنتم تحاولون بكل قوة أن تحموا التنظيم من الاختراق الصحفي... أليس من حق الصحفي أن يحاول أن يعرف لأنه عين الشعب.. ثم ماذا لديكم تخافون أن يعرفه الصحفي؟

- أنا لست ضد أنه يخترق، لكن الإخوان عندهم ميزة كبيرة جدا هي اللامركزية، وهي سمة العمل الإخواني، واللامركزية مهمة، وهذا نتيجة الوضع الأمني على العموم، وجزء منه يرجع إلى كبر حجم التنظيم... أنا أقول إنه ليس هناك قيود.

- لم تجبني على سؤالي؟

- الإخوان ينظرون إلى الصحافة على أساس أنها وسيلة داعمة، وليست وسيلة تأخذ من الإخوان، وهذا حقيقة.

- لصالحهم فقط أم في غير صالحهم؟

- لا.. في كل الأحوال في أدبيات الإخوان في الأربعين سنة الماضية كان كثير من الإخوان يسروا مما ينشر عن الإخوان حتى ولو بشكل سلبي.

- كتمتم أصوات شباب الجماعة المطالبة بالتغيير فقاموا بانتقاد الجماعة من مدوناتهم... يزعجكم ذلك بالطبع؟

- الإخوان أكثر المستفيدين من الملتيميديا الجديدة، وأنا أرى أن هذه الأنظمة تجعل الأنظمة السياسية تحسب حسابها داخل مصر وخارجها، ربما لو أن هذا الواقع موجود من ٤٠ سنة كان الوضع تغير، ولمصلحة الإخوان أن تكون هناك مبادرات شخصية إذا جمعت المدونين وحاسبتهم فسأكون في هذه الحالة أقيدهم، ومن مصلحة الجماعة أن يكون لكل شخص مدونته، وأنت إذا دققت ستجد أن هناك عدة إخوان ينتقدون الجماعة في مدوناتهم من بين آلاف المدونين الإخوان.

- أنا أتحدث عن أن المواقع التابعة لكم لا تتيح لأعضاء الجماعة أن يدلوا بآرائهم بحرية فاضطروا إلى إنشاء مدونات تخلصا من القبضة الرقابية للراديكاليين؟

- بعض المواقع تتيح ذلك كموقع نافذة مصر، أما الموقع الرسمي فنحن حريصون أن تكون هناك أخلاقيات تحكمه، وهو أيضا ينشر آراء مخالفة، أما الآراء التي فيها شدة وحدة، أو الآراء الخارجة عن الأخلاق العامة فالموقع الرسمي له وضعية خاصة.

- أنا شخصيا كمتابع لم أر يوما رأيا ناقدا أو مختلفا على أي منبر إعلامي لكم؟

- لا.. حتى موقع إخوان أون لاين فيه ردود، هتلاقي أشياء معارضة أنا رأيي أن الصحافة بدون رأي آخر لا تكون صحافة وستكون نشرة.

- أنتم أشبه بالحزب الحاكم من يتولى موقعا لا يتنازل عنه إلا موتا أو غصبا حتى من يتولى إدارة منبر إعلامي يظل رابضا فيه إلى ما شاء الله؟

- التغيير قائم ووارد، وهذا من أدبيات الإخوان أن المسئول يمسك لمدة معينة وبعد مدة لابد أن يحدث تغيير، هذا داخل لوائحنا.

- هل لديك خطة لإدارة الملف الإعلامي، وهل لديكم آليات لمحاسبتك عليها؟

- بالطبع هناك محاسبة، وعلى الوجه العموم فالإخوان يعملون وفق خطة عامة ناتجة عن خطط فرعية، فالعمل المهني له خطة، والنشر والدعوة له خطة، وهكذا؛ لأننا لنا هدف ورسالة، ولنا خطط دورية مرحلية وإستراتيجية، وأجهزة الأمن تعلم هذا الكلام.

- يقال إن المهندس خيرت كان قد بدأ بالفعل يفتح ملفات الجماعة الشائكة مثل المحامين والصحفيين، وكانت لديه خطة للتطوير إلا أنه قبض عليه في بداية الطريق؟

- المهندس خيرت كان أداؤه وفقا لأداء الجماعة، وليس وفقا لإطار شخصي.. المهندس خيرت كان نائبا للمرشد العام ويبدي رأيه داخل إطار الجماعة.

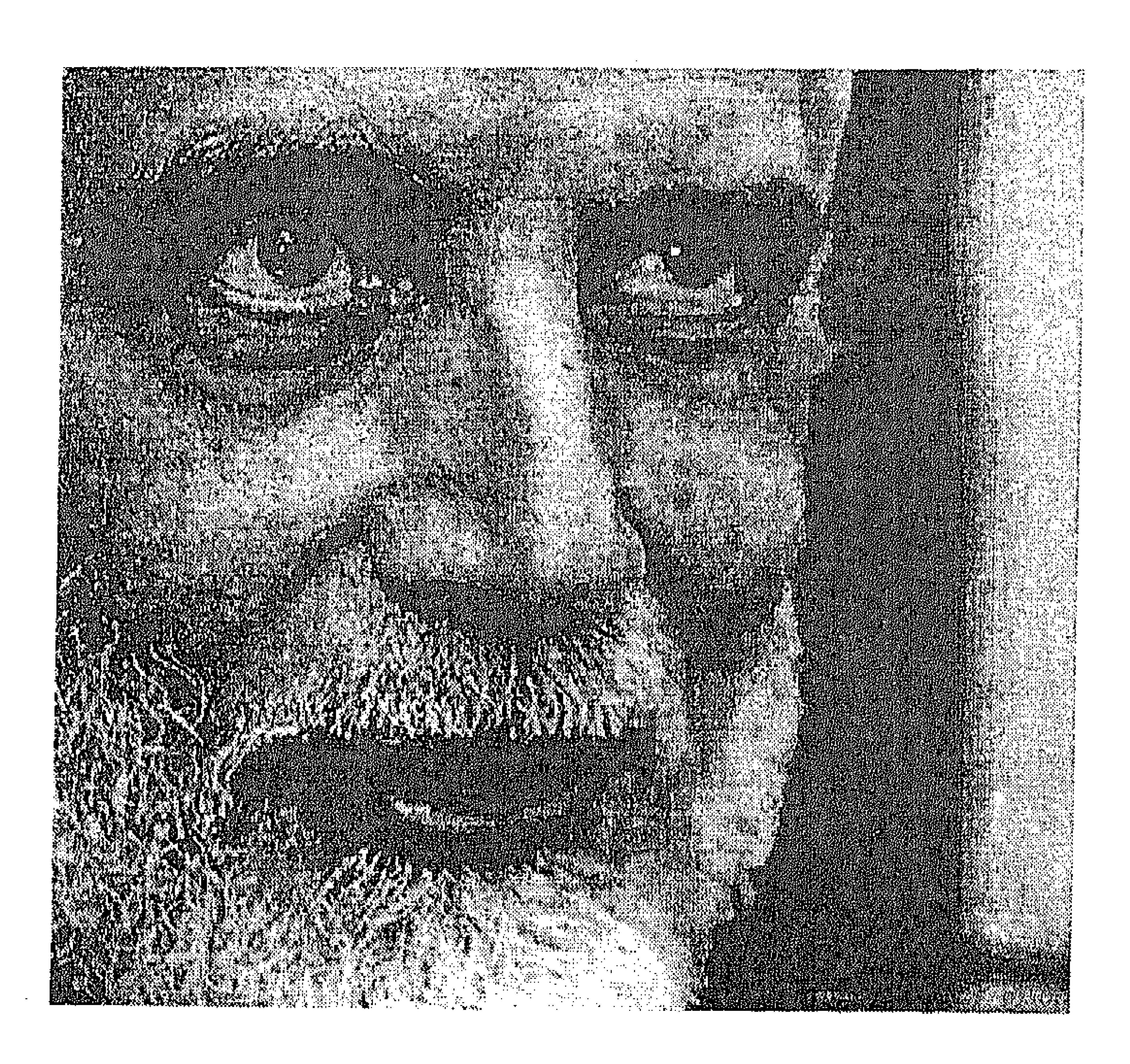
- يقال أيضا إنكم تنفقون على الملف الإعلامي أموالا طائلة ومع ذلك فالنتيجة هي الفشل ألا تحاسبون على ذلك؟

- الإنفاق مسألة خاضعة للإمكانيات ووسائل الإعلام الإخوانية أقل وسيلة تنفق فلوس، وهذا طبيعي، وربما تكون مبادرات الأفراد الشخصية تقلل التكلفة.

في حوارنا مع صقر الجماعة محمود عزت قال [1]:

(لا تعارض بين أن أكون صاحب رأي وبين أن أسمع وأطيع في معروف)

(أنا لا أشعر أن هناك حمائما وصقورا)



في الواحدة والنصف ظهرا بالضبط كانت سبابتي تضغط على جرس مكتب الإرشاد.. في برهه فتح الباب ونزعت حذائي وجلست في الاستقبال.. دورة العمل تجري أمامي وبعض أعضاء المكتب يغدون ويروحون.. وضع أمامي طبق العنب البارد فالتقطت حبات علها ترطب من حرارات الجو القاسية.. نظرت أمامي فوجدت مقصدي الذي من أجله أتيت إنه "الصقر" محمود عزت كاتم أسرار الجماعة، وأحد

(١) (نشرته جريدة الدستور المصرية).

أضلاعها البارزين، ومسئول الدعوة والتربية داخلها، "وهذا شأن لو تعلمون داخل الجماعة عظيم ".. ظللت أرنو لعزت.. سمات وجهه النورانية وصوته الهادئ، ونظرات عينية اليقينية الحذرة.. حاورت عزت لمدة ساعتين سجلهما مكتب الإرشاد جميعها، وسجلت أنا منهم ساعة وربع ساعة تقريبا.. ساعة وربع مع عزت كافيتان جدا لفهم الكثير عن جماعة الإخوان المسلمين، فمن شخصية عزت ذات العزم والقوة واليقين والثبات على ما تؤمن به ستعلم لماذا ظلت جماعة الإخوان قوية إلى الآن؟.. ساعة وربع كافيتان جدا لتعلم حقيقة ما يقال عن وجود حمائم وصقور أو حرس قديم وحرس جديد، ولكننا رأينا أن هذا يمكن فهمه إذا توجهنا بناصية الحوار إلى الجانب التربوي والدعوي داخل الجماعة لا الجانب السياسي وحسب.. وهذا نص الحوار:

ماذا استفاد الوطن

* تاريخ طويل من العمل السياسي والدعوي شهدت فيه الجماعة فترات مد وجذر، فترات تهدئه مع السلطة وفترات صدام معها... ماذا حصدت الجماعة، وماذا استفاد الوطن من تجربتها وأين تقف الآن؟

** لا تستطيع الإجابة على هذا السؤال إلا إذا عرفت كيف كان الواقع بالأمس وكيف أصبح اليوم.. من ٨٠ سنة ماذا كان العالم في هذا الوقت وكيف تطورت الأوضاع على المستوى العالمي وعلى المستوى المحلي حتى الوقت الذي نعيش فيه لو عرفت حالة العالم الإسلامي.. كان وقتها عالم ممزق.. أغلب دول العالم الإسلامي في حالة من الضعف الشديد.. الاحتلال يجسم على صدور أغلب هذه البلدان.. كان بحالة من الضعف الشديد والانهزام أمام العلمانية والحضارة الغربية حتى عادات وأعراف الناس وتقاليدها.

وأنت لو نظرت على الأفلام التي ظهرت في هذا الفترة ستجدها استهزاء بالدين، واستهزاء بالقضاة الشرعيين نتج عن ذلك إلغاء المحاكم الشرعية..

أما العلاقة بين العالم الإسلامي فساءت كثيرا، ونشأت في هذه الأوقات حركات وطنية وحركات قومية، وهذه تفاوتت في أسسها وفي الأسس التي قامت عليها؛ فبعضها كانت حركات قومية تعبر عن الأمة، وبعضهم كانوا أناسا مخلصين، والبعض الآخر كانوا أناسا مغرضين يريدون أن يسيطروا في النهاية، وكانوا بعيدين عن الدين، وقام بعضهم بدعم اليهود، بل بعضهم كان يهوديا مثل هنري كوريل وأثره على الحركة القومية على مستوى العالم العربي ككل ثابت.. كل ما فعلته هذه الحركات كان جهلا كبيرا جدا بالإسلام، فالإسلام كان منحصرا في أقصى حدوده، وكانت معرفة الناس به لا تتجاوز أن يقول الشخص يكفي أن يكون قلبي طيب، وبعد ذلك إذا صليت يكون جيدا، أما علاقة الدين بالحياة فلم يكن لها وجود إلا بقية من فطرة الناس الذين بقوا بعيدين عن مجال التأثير، لكن هؤلاء كان بهم مشكلة أخرى وهي الجهل الشديد والخرافات التي كانت تحكم عقول الناس.. كل هذا كان يواجه الإخوان المسلمين ومن كان على شاكلتهم من المصلحين؟

* عمليا ما الفارق؟ عندما جاء الإخوان كانت هناك هيمنة صهيونية وغربية، وكان هناك تخلف واستبداد.. وبعد ٨٠ سنة هنا أيضا تخلف واستبداد وهيمنة صهيونية وأمريكية ازدادت وطأتها... إذن ماذا حقق الإخوان؟

** الجديد أن هناك صحوة إسلامية عالمية على المستوى العالم كله، وليس على مستوى المنطقة.

* صحوة إسلامية؟... هل ترى أنه ما زال هناك صحوة إسلامية؟

** طبعاً وما توحدت أوروبا وما لجئوا لعمالة أوروبا الشرقية إلا بعد شعور أن الإسلام ينتشر في أوروبا، وأنهم يريدون أن يستغنوا عن العمالة التي كانت تجيء من العالم الإسلامي.. أوروبا كانت تشيخ.. عدد المواليد أقل من عدد الوفيات؛

ولذلك فإنهم اختاروا أن يلجئوا لأوروبا الشرقية، ويضموها إلى هناك؛ لأن عدد الذين يسلمون في أوروبا وعدد الذين يتجهون إلى الإسلام انتشر في أوروبا.

* إذن هذا ما فعلته الجماعة أنها أزكت روح التدين في المجتمع؟

نعم.. الإخوان وتيارات أخرى بالطبع؛ لكن أن يكون السعي البشري والإصلاح في هذا العالم أن يكون على أساس الإسلام فهذا الأمر أصبح مستقرا لدرجة أن أمريكا تعتبر أنه ليس أمامها من حضارة تقاطعها إلا الحضارة الإسلامية؛ ولذلك بدأت الحرب الشرسة التي يواجهها العالم الإسلامي.

* هل هذا هو ما تحقق فقط من المشروع الإسلامي؟

** نعم ما تحقق منه هو إحياء هذه الأمة.

* (مقاطعا) الأمة مشرذمة ومشتتة وأنت تتحدث عن شعور... كان هناك مشروع للجماعة منذ ٨٠ عاما ولم يتحقق شيء، في تركيا مثلا حققت التجربة الإسلامية شيئا أيا كان تقييمه لكن أنتم بعد التعديلات الدستورية ظهر أن النظام قادر بإشارة من إصبعه أن يعيدكم إلى نقطة الصفر.. مما يشكك في جدوى إستراتيجيتكم القاضية بالتغيير السلمي عن طريق المشاركة في مؤسسات الدولة؟

** المشروع السياسي مبني على أن الأمة لابد أن تصل إلى درجة من الوعي ومن السلوك لتواجه المهمة الكبرى التي تعد لها.. وأنا لا أقيس نجاحي فقط بمسألة الوصول للسلطة.. لا شك أن السلطة لها أثر كبير جدا في عملية الإصلاح؛ لكن في تاريخ الأمم وفي التغييرات التي يهدف إليها الإسلام لإسعاد البشرية جميعا هناك مرحلة هي أن تحمل الأمة رسالتها مرة أخرى، وهذا الدين ستصادفه عقبات، وسيقف عداء عالمي لهذه الأمة نتيجة مصالح لهذه الدول التي تريد أن تبقى هذه الأمة على حالة من الضعف والتأخر سيوجد من داخل الأمة نفسها من أبنائها

أنفسهم من ستتعارض مصالحهم مع مصالح الأمة وستتعارض مناصبهم مع مصالح الأمة.. أنا أستشعر على مستوى الأمة أن هناك خطوات متقدمه جدا، وليس معنى أن الإخوان ينجحون بـ ٨٨ مقعدا في البرلمان، ثم بعد ذلك لا يأخذون أي مقعد أنني عدت إلى نقطة الصفر مرة أخرى.. الأمة انحازت إلي في انتخابات الشورى، وكانت تعلم أنها ستزور، ووقفت أمام هذا البطش الذي منع الناس حتى من مجرد التصويت في الانتخابات.

معيار التقدم

* هذا لأن المجتمع متدين بطبعه، وبالتالي فهو أميل لجماعتكم وسيقف بالطبع ضد النظام الحاكم المتسلط.. ولكن هذا ليس دليلا على قوة الجماعة، أو أنها قادرة على قيادة البلد.. هناك إشكاليات وعقبات تواجه الأمة وتواجه الجماعة.. لا تقل لي إنكم تنجحون في الانتخابات إذن أنتم تسيرون في الاتجاه الصحيح؟

** دعنا فقط نجيب على هذا السؤال ثم نكمل.. ما أريد قوله إن نجاح الإخوان يقاس بأثرها في الأمة، فأنت ترى أن نجاح الإخوان يقاس بعدد المقاعد، أن أقول لا، ليس فقط بعدد المقاعد... يمكن بانقلاب عسكري تقضي على كل شيء ولا مقاعد ولا غيره.. بالبطش البوليسي تغير الدستور.. طيب أين الأمة؟ الناس الإيجابيون دائما معي حتى لو كان عددهم قليل، ودائما من يقود حركة الإصلاح عدد قليل من الناس، لكن الإخوان شعروا أنهم ليسوا بمفردهم، هناك مليونا صوت أعطيت للإخوان لقد حصلنا على عدد أصوات أكبر من الذي أعطيت للحزب الوطني.

* هذا مؤشر لنجاح المشروع؟ دليل على مد الإخوان؟

** نعم طبعا.. دليل على حياة الأمة، هناك أعداد ضخمة مخدرة تستيقظ.. جماعة الإخوان أحيت وأيقظت قطاعا كبيرا من الأمة، أصبحوا الآن يعتبرون أن الإسلام

هو قضيته الأساسية وأن الإصلاح لابد أن يكون على أساس الإسلام، وأن الإسلام هذا أتى للدنيا كلها وليس لنا هنا فقط.. ونحن موقنون أن الحضارة العالمية هذه ستكون حضارة تسعد البشر كلهم على أساس الإسلام.. هذه الفئة تكبر وتستمر وتقاوم.

* النجاح في الانتخابات وتعاطف الناس وشعور الناس بأن الإسلام هو القادر على تحقيق نهضة كل هذا لا يعني أن مشروع الإخوان الآن قادر على النجاح وقيادة الدولة.. فهذا لا يعني هذا؟

** أنا أحدد رسالتي في إحياء الأمة وليس تحقيق السلطة.

* سؤالي هو: هل أنتم قادرون على قيادة الأمة؟.. المشروع الإخواني مبني على نهضة الأمة وليست نهضة الأمة بالشعور بأن الإسلام هو الحل.

** وبالحركة أيضا.

كيف تنجح المشروع؟

* هناك إشكاليات ضخمة تواجه الأمة.. فكيف تنجح المشروع عمليا وكيف تفك الإشكاليات؟

** أنت لا تعمل في الساحة بمفردك، أنت أمام قوى عالمية وأوضاع داخلية، أنت تواجه كل هذا؛ لهذا أنا أقول إن هناك ما يتعلق بإحياء الأمة.. أستشعر أن هناك دلائل قوية جدا على أن فئة غير قليلة من الأمة تحمل هذه الرسالة وتصر عليها حتى لو زوروا الانتخابات هي مصرة على أن هذا هو الطريق، فنحن لم نرجع إلى نقطة الصفر الأمة مؤمنة.. الأمة مستمرة، الأمة صابرة، الأمة تتحرك حركة فعلية داخل هذا المجتمع حتى يستمر الإسلام هو الحل.. هل يضعون قوانين دعهم يضعون.. ماذا فعلوا؟ هذه القوانين يريدون أن يكبلوا بها المجتمع وعندما وجدوا

أن هذا لا يجدي غيروا في مواد الدستور نفسه لماذا؟ من أجل أن تترك الأمة هذا المشروع.. لا لن تتركه ضع قوانين، ضع الناس في السجون، زوروا الانتخابات، إنهم خلقوا حالة من اليأس يراد لهذه الأمة أن تدخلها، ومن فضل الله تعالى لن تدخلها الأمة، لم تيأس ولن تيأس من هذا النهج السلمي؛ لأنه شيء من اثنين: إما أن تموت هذه الأمة ولا يكون لها دور في الحياة، وإما أنها ستموت وتنتهي بالانتحار بأن تلجأ إلى العنف، لكن بقاء هذه الأمة مؤمنة بأن الإسلام قادر على أن يقود الحياة كلها، وليس أنه يشكل حكومة فقط.. بقاء الناس على هذا ومواجهته لهذه الألعاب الضخمة جدا فهذا في حد ذاته نجاح لا شك فيه.

* قضيتي هي الإخوان.. الآن ما يقرب من الـ٨٠ سنة تخللتها فترات صعود وهبوط صدام وتهدئه.. ولم تقفوا إلى الآن وتسألوا أنفسكم سؤالا... لماذا لم نحقق شيئا في حين أن الآخرين حققوا... لماذا لا تراجعون أنفسكم؟

** هناك فرق.. عندما تقول لي أنا أريد أن أبني أمة وبين أن تقول أنا أريد أن أحقق مشروعا لجيل من الأجيال.. بمعنى أن إحياء الأمة لا يقاس بعمر الأفراد، وهذا هو الذي قال عنه ربنا سبحانه وتعالى للنبي (ص) "فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون"، ربنا سبحانه وتعالى قادر على أن يهدم أمريكا في لحظة كما دمر الاتحاد السوفيتي؛ لكنها سنن من سنن الله.. "حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله".. سيمر على الأمة وقت تسأل هذا السؤال، فقياس هذا المشروع ليس بعمر فرد.. لا.

* إذن أنت ترى أنكم حققتم جزءا كبيرا من المشروع على المستوى الدعوي والاجتماعي؟

* بلا شك.

طغيان الجانب السياسي

** ولكن الشخصية الإخوانية تبتعد عن الجانب الروحاني بسبب طغيان الجانب السياسي عليها على عكس الجماعات السلفية التي بدأت تتمدد في المجتمع على حسابكم.. إذن أنتم في الجانب السياسي تسيرون داخل طوق وتخسرون الجانب التديني والروحاني؟

* السياسة جزء من الدعوة؛ يعني الإخوان ليست جماعة سياسية ذات خلفية إسلامية، ولكنها جماعة إسلامية، السياسة جزء منها، فهناك فرق كبير، فلا يمكن أن تقول لي إنك تربيت تربية صحيحة إلا إذا تربيت تربية سياسية؛ لأن السياسة جزء من الدين.. افتح المصحف وانظر فيه تجده يتحدث عن العلاقات الدولية على المستوى الدولي، وكيف يكون المسلم، وكيف يبني هذا السلم العالمي؟ وتحدث عن الأحكام التفصيلية في أمور الحكم والاقتصاد والتشريعات، سواء كان هذا التشريع جنائيا أو مدنيا.. افتح المصحف ستجد الآيات واضحة ولا يمكن الفصل، إن لم أمارس السياسة بأخلاق لن تكون سياسة، ولن يكون دينا.. فأنا أمارس السياسة على أساس أنها ضرورة من ضرورات نهضة هذه الأمة.

* أنا لا أقصد عدم الاهتمام بالشأن العام، أنا اقصد أن هناك تغليب جانب على جانب؛ السياسي على حساب الدعوي والروحي.. وواضح أن النظام يقصيكم عن الحياة السياسية.. فهل يمكن أن تنتهز الجماعة الفرصة وتركز على الجوانب الدعوية والتربوية عند الأفراد؟

** وجهة نظر الإخوان هي أننا نعتبر أن العمل السياسي هو الاختبار العملي للتربية، إنما في وسط الناس فهم يستخدمون كل هذه الأساليب من استخدام المال، وعدم التقيد بأي أخلاق، فكون أني أمارس السياسة بأخلاق فأنا أعتبر أن هذا هو النجاح التربوي الحقيقي.. صحيح أن هناك أوقاتا يأخذ فيها النشاط السياسي

جزءا كبيرا من طاقتي لكن الإسلام يحقق لك هذا.. ربنا سبحانه وتعالى قال "علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله.."؛ يعني لا شك أن الذي يسعى على الرزق، والذي يحتك مع الناس لا يمتلك وقتا كبيرا في أن يقيم الليل كله أو نصفه أو ثلثه؛ لكن لا يمكن أن يهجر القرآن، فلابد أن يكون له قدر وزاد مستمر إذا أخلص النية وهو يعمل.

المستوى الثقافي للقاعدة

* هل أنت راض عن المستوى الثقافي عند القاعدة العريضة من الإخوان؟

** الحقيقة أن المشكلة في الأمة وفي أجهزة الإعلام والعملية التعليمية ودور الأسرة؟

* ولكن الجماعة جاءت لكي تحقق نهضة فعندما تقول لي إن السبب في ضعف الثقافة عند القاعدة هي ظروف المجتمع.. إذن أين أنتم طوال الـ٨٠ عاما من المجتمع الذي يؤثر فيكم ولا تؤثرون فيه؟

** أنا لا أقول ذلك.. أنا أقول إن المهمة المطلوبة في هذه المسألة أكثر بكثير من ذي قبل؛ بمعنى أن المستوى الثقافي للأجيال السابقة كان أقوى.. ففي الماضي كانت المدرسة مؤسسة ضخمة جدا، فالصحافة التي كانت تعلق على الحائط في المدرسة كانت شيئا عظيما، وكان لمئات الطلبة فرصة في أن يخرجوا للطابور ليلقوا الخطب الفصيحة.. ثم إن المدرسين كانوا على مستوى راق من التعلم والثقافة إذا قيسوا باليوم، هذا كان يسهل مهمة الإخوان فيقومون فقط بتكملة الأجزاء الأخرى.

* كان هذا في الماضي إذن نحن الآن في انحدار.. أنا قلت إننا في انحدار وأنت قلت إننا لسنا كذلك وكلامك هذا يدل على أننا في انحدار؟

** لا.. جماعة الإخوان حاليا تقول للشباب إنه لابد أن تبذل جزءا أكبر لتحصل على هذه الثقافة، ولذلك فنحن نوصي شبابنا بأن الإحاطة بالثقافة العامة هذه مسألة أساسية جدا؛ بمعنى أن شبابنا لابد أن يكون لهم علاقة بشبكة المعلومات، ولابد أن ينظموا وقتهم في التعامل مع أجهزة الإعلام بالقدر المفيد.. لا شك أن الجهود التي تبذلها جماعة الإخوان كبيرة في هذا الشأن.

زمن المفكرون ...أين

* أين أنتم الآن.. كان لديكم في الماضي مفكرون وفقهاء ومثقفون وكتاب؟

** أنت تعرف جهودك عندما تقارنها بالواقع.

** قلت إننا في الصعود أين هذا الصعود؟

* نحن نصعد وما زلنا في صعود.. صحيح أن المستوى الثقافي ليس بالمستوى المنشود الذي كان ينشده الإخوان، لكن أنت عندما تقارن المستوى الثقافي للشباب الذي في دائرة الإخوان ستجد أن المستوى الثقافي للإخوان أعلى بكثير.. أنا أستاذ في الجامعة أظل أتابع المدرج لفترات طويلة، وأرى الشباب المتدين والشباب الآخر الذي يلبس سلسلة، وماذا يسمع وبماذا يتكلم وأوازن بين الاثنين لا شك أن الشباب المتدين ثقافته عالية، واهتماماته أكبر بكثير جدا، والشباب الآخر ينحسر؛ بدليل أن للظواهر السلبية التي تنتشر في أوساط الشباب للإخوان أثر كبير جدا في تحجيمها.. ولولا هذا المستوى لكان انتشار الفاحشة والمخدرات.. والمواقع الإباحية على الإنترنت يقابلها شباب مهتمون ينتجون أشياء مفيدة.

** ماذا أحدثتم في مجال الفنون كان عندكم مسارح في الثلاثينيات والأربعينيات وكان يشارك فيها النساء، فماذا قدمتم في مجال الفن غير الأناشيد التي لم تحقق إلا انتشاراً محدودا؟

** لم يكن هناك مسارح إسلامية في الثلاثينيات، ولم يكن هناك اهتمام بهذه المسائل.

* كان هناك مسارح للإخوان ومسرح عبد الرحمن البنا كان يطوف محافظات مصر.. أين بصمتكم في مجال الفنون.. ألم يغير الفن شعوبا؟

** الاهتمام بهذه المسائل واجب، وهذه مسألة ليس فيها كلام... في بعض الكليات عندما تكون هناك فرصة لعمل أسرة أحاول فيها تنمية قدرات الشباب، ودائما يظهر من يهدمها؛ بمعنى أن هناك من يمنع هذا النشاط.. مثلا عندما نريد أن نحث الشباب على الاهتمام برياضة حقيقية فينظموا دوري في أي بلد أو قرية ولكن تأتي قوات الأمن لتغرق الأرض مياها؛ لكي تمنع نشاطا شبابيا عاديا.. أنا واجب علي أن أبذل الجهد لكن في نفس الوقت هناك من يهدم.

* شماعة الأمن ليست مبررا.. من المعروف أن عصور الانحطاط تصنع فنا جيدا ومواهب خلاقة؟

** الاستبداد يقتل كل المواهب.

أين الفن ؟

* حالة الانسداد السياسي تؤدي إلى انتعاش وانفتاح في هذه المجالات مثل مجال الفن والفكر وغيرهما؟

* ممكن أحكي لك داخل السجن كم الأناشيد والمسرحيات والأعمال التي أنتجت كان كما ضخما جدا.

** أنا أتحدث عن النهضة التي قامت الجماعة من أجل تحقيقها.. أنا أتحدث عن مشروع وإستراتيجية؟

* السلطان المركزي هو الذي يمنع كل هذه المشروعات، فنحن لا نستطيع أن نؤجر مسرحا لا نستطيع أن تطلق قناة فضائية.

* إذن هذا هو المبرر؟

** لا ليس مبررا.. ولكن بصراحة أنا أبذل جهدا.. صحيح لم أصل به إلى ما أرجو وأنا أحسب أن الإخوان يبذلون جهدا في هذا ولكننا محتاجون إلى مزيد من الجهد.

* صحافتكم أشبه بصحافة الاتحاد الاشتراكي إعلام موجه يخضع لرقابة القيادات ولا مكان فيه للرأي والرأي الآخر.. مجرد متحدث رسمي؟

** حتى الموجه هذا لم يتركوه لنا.

* أنا بصدد تقييم نموذج؟

** حتى هذا النموذج لم يسمح له بالبقاء.

** عندما تمتلك صحيفة أو موقعا ثم تخضعها لرقابة وسلطة القيادات فإنه يترتب على هذا الجو عدم إفراز صحافة قوية، وهذا أيضا سينطبق على الفن والأدب لو خلق في هذه البيئة سيموت؟

** نحن لا نخضع لرقابة القيادات، ولكن نخضع لآداب الإسلام، فلا يوجد عندنا أحد يفتش وراء أحد، ولكننا نقول هذا هو الشرع، وهذه هي الآداب وعليك أن تسلك هذا.

* أنا أتحدث عن البيئة؟

** البيئـة ؟.. هل تريدني أن أعمل موقعا للإخوان ثم يوضع عليه أخلاق غير إسلامية؟

* لا أقصد هذا.

** "أومال أنت عايز إيه"؟ أدعوا للعلمانية وللإسلام في وقت واحد؟

* إذن لا تلـوم الصحف الأخرى التي لا تعطـي مساحة للإخوان يعبرون فيها عن آرائهم؟

** هل تريد أن تساويني أنا بمؤسسات الدولة؟ لا توجد عندي صحف أصلا لكي أعطي فيها مساحة لرأي غيري "هو أنا عندي صحف أصلا"؟

* عندما تمتلك صحافة ورقية أو إلكترونية حتى لو كانت محدودة، ثم لا أجد فيها مكانا للرأي الآخر، فأنا سأحكم على نموذجكم الصحفي والإعلامي كإخوان وسأقول إنكم كالنظام لا يقبل التعددية.. فهل لو كتبتُ مقالا ينتقد المرشد سينشره موقعكم الرسمي؟

** سينشر.. ولكن عليك أن تلتزم بالموضوعية في نقدك وبآداب الإسلام.. لا يوجد أحد لا ينتقد، كل البشر ينتقدون إلا المعصوم (ص) وحتى أصحابه كانوا يقولون له "أنت عملت كده ليه"؟ وهو نفسه كان يشاور ورحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي.. لماذا؟ لأني لا أريد أن أدخل النار ماذا يعنيني في الحياة؟

حمامة أم صقر

* تصفون داخل مكتب الإرشاد بالحمائم والصقور؟

** ماذا تقصد أولا بالحمائم والصقور؟

* أقصد أن هناك تيارا متشددا وهناك تيارا منفتحا، هناك تيار يحبذ العمل المفتوح وتيار يحبذ العمل الداخلي المغلق.

** الحقيقة أنني أجد في هذه المسألة مبالغة شديدة "أنا مش حاسس بالمسألة دي"، وأنا عشت في الجماعة من أيام ما كنت شبل صغير، ثم دخلت السجن، وعملت في كل مراحل العمل الدعوي "أنا محستش أبدا بالمسألة دي"؟

* هل كل القرارات داخل مكتب الإرشاد تتخذ بشكل ديمقراطي وشوري؟

** بالقطع.

** هل هناك مركزية داخل المكتب؟

** ماذا تعني بالمركزية؟

* أعني أن معظم الملفات تصب في أيدي بعض الأشخاص؛ وبالتالي يهيمنون على الجماعة ويقصون أطرافا أخرى توصف بالمنفتحة؟

** الحقيقة أن الأعباء التي على دعوة الإخوان أعباء كبيرة جدا، والإخوان في المكتب حريصون على مشاركة الجميع.. نحن الآن ندعو عددا من الإخوان من غير أعضاء المكتب لحضور لقاءات مكتب الإرشاد، لأننا نشعر أن الجماعة تحتاج إلى جهود كثيرة جدا.. فمسألة أن هناك روح إقصاء أو تركيز أتصور أن هذا شيء أبعد ما يكون عن واقع الإخوان، بل على العكس.

* متى يرى الشعب المصري مرشدا سابقا؟

** هذه مسألة لا شك أنها خاضعة للظرف الذي تعيشه الجماعة، فحتى الآن لا يسمح لها بأن تمارس أشياء كثيرة.. نحن عندما أردنا أن نجري انتخابات في ٩٥ بعدها مباشرة كانت المحاكمات العسكرية التي سجن فيها نصف أعضاء المكتب.

* هل النظام قصد هذا حتى لا توصف الجماعة بالديمقراطية؟

** لا.. الشورى عندنا دين وخلق، ولا يستطيع النظام أن يمنعنا من التشاور، فهذه طبيعة أصلية في نفس المسلم مهما بلغت الظروف والاستبداد حولنا.. نحن كنا نجري انتخابات داخل السجن وعندما كانوا يعرفون كانوا يأتون لكي يأخذوا من انتخبناه ليعزلوه عنا.. كنا نجري انتخابات ونحن في أقصى الظروف.

* أي قيادي في الإخوان لا شرعية له إلا من أتت به الانتخابات.. هل أنت معي في ذلك؟

** هناك أوقات يفرض الظرف فيها نفسه، فكما قلت لك كنا عندما ننتخب مسئولا داخل السجن كانوا يقومون بترحيله فكنا نتحايل على هذه المسألة بأننا لا نظهر عملية الانتخابات.

* يعني هل أعضاء مكتب الإرشاد جميعهم جاءوا بطريقة ديمقراطية؟

** نعم وفق اللائحة.. وفق لائحة الإخوان التي تعطي صلاحيات لمجالس في أوقات، فلائحة الإخوان تنص مثلا على: أنه في حالة تعذر انعقاد مجلس الشورى يقوم مكتب الإرشاد بمهمة المجلس لحين أول جلسة لمجلس الشورى.

* هل القاعدة في الإخوان تشارك على مستوى القرارات العليا... مثل قرار دخول الشورى من عدمه؟

** أرى أن النجاح الذي يحققه الإخوان نتيجة أن الفرد يشارك في اتخاذ القرار، فيتحمل مسئوليته، فأنت عندما تأخذ قرار دخول الشورى لابد أن تقول للناس هل تريدون دخول الشورى أم لا؟ "ماهمه الناس دول اللي هينضربوا وهيتسجنوا"، وتوسعة قاعدة الشورى في صالح الجماعة؛ لأن كل القرارات التي تتخذها الجماعة تصبح تكاليف على الجماعة فلابد للناس الذين يتخذون القرار أن يشاوروا؛ لأنهم هم الذين سيدفعون التكاليف.

* لماذا يعتبر الإخوان الخلاف من قبل أعضائها مشين ومعيب؟

** إذا كان هناك أدب للخلاف.. هناك آداب للخلاف، والجماعة ترحب بالخلاف، والقضية الخلافية لابد أن يكون لها ضابط، وضابطها الآداب.

* هل هناك آلية معينة للاختلاف؟

** نعم طبعا.. من حقي أن أقول رأيي، ومن حقي أتابع ما حدث لكن في النهاية عندما تنتهي عملية الشورى يصل القرار إلى الصورة الصحيحة علي بعد ذلك أن

ألتزم بآداب الإسلام ولا أقول بعد ذلك لا أصل أنا كان رأيي في هذه القضية قبل ذلك كذا وكذا... بعد أن تنتهي من عملية الشورى لا يصلح أن تقول: لا أصل أنا لم أكن أوافق على هذا الموضوع.

الإقصاء

* الأشخاص الذين تركوا الجماعة هل تركوها بإرادتهم أم أقصتهم الجماعة حتى ولو كان هذا إقصاء سلبي؟

** "كل واحد يختار الوضع اللي يريحه" يمكن أن يأتي أحد الأشخاص يقول والله يا جماعة أنا "شايف "إنكم تسيرون في الطريق الخطأ أو أنا غير موافق على هذا الموضوع ولا أريد أن أستمر.." فكل واحد بيحط نفسه تحت تصرفاته"؟

* هل ترى أن مبدأ السمع والطاعة، ومبدأ الثقة في القيادة تخلق شخصية أخ ديمقراطي؟

** الطاعة في المعروف هذه قاعدة، فلا تعارض أبدا بين أن أكون إنسانا صاحب رأي وأن أكون في ذات الوقت إنسانا جادا وملتزما؟

*هل هناك اتجاهان داخل الجماعة أحدهما يميل للانفتاح على المجتمع والانخراط في مؤسساته، والآخر يؤمن بالعمل السري والانغلاق.. إلى مدى يؤثر ذلك في حركة الجماعة وهل المشكلة في وجودهما معا أم في نزوع أحدهما لإقصاء الآخر؟

** جماعة الإخوان تمتاز بأنها لا تتخذ شكل للحركة سواء كان هذا الشكل الذي يسميه الناس منفتح أو غيره إلا بناء على أصول.. لا يمكن أن تكون الجماعة تنظيما سريا في أي وقت من الأوقات، فالجماعة لها هدف مع الأمة لا يمكن أن يكون تنظيما سريا، ولا يمكن أن يكون هناك تيار ينزع إلى العمل السري وتيار انفتاحي الجماعة كلها مجمعة على أن دورها مع الأمة فكيف تتحول الجماعة إلى تنظيم سري.

* ما صحة ما تردد عن وجود خلافات في الجماعة حول برنامج حزب الإخوان فيما يتعلق بالموقف من الأقباط والمرأة وفوائد البنوك؟

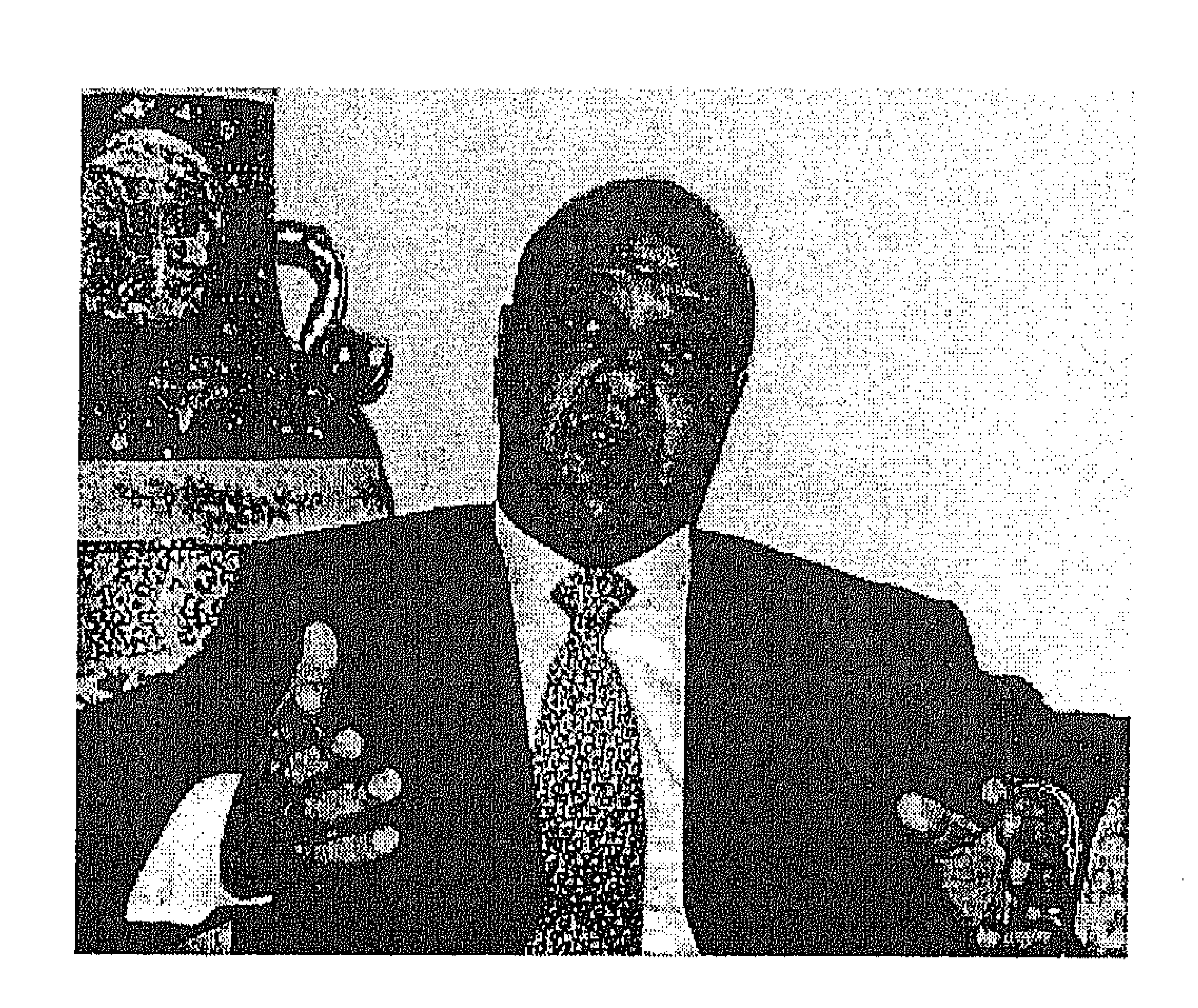
*لا توجد خلافات ورأي الجماعة في مسائل التعددية الحزبية والمرأة والأقباط محسوم ومعلن منذ وقت طويل جدا، ووثائق الجماعة هي التي تحدد هذه المسائل..أما موقف الأقباط ومشاركتهم في الولاية العظمى فنحن "ناس" نلتزم بشرع الله عز وجل "واللي هيقوله شرع ربنا سنلتزم به"؛ إذا الشرع أجاز لغير المسلم أن يتولى الولاية العظمى سنلتزم بذلك.. أنا سأقولك أكثر من هذا انظر ماذا يقول القرآن "قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين" يعني لو أن الله سبحانه وتعالى قال إن له ولدا فأنا أول من سيعبده، أنا رجل ملتزم بشرع ربنا سبحانه وتعالى، فلو أن الشرع يقول إن المرأة لها أن تكون في الولاية العظمى سأقول فأنا رجل يتبع شرع ربنا سبحانه وتعالى؛ لكن إذا قال غير ذلك فأنا ملتزم بشرع الله.

* ولكن هناك تباينا للآراء الفقهية في هذا الصدد، وأن هناك من الفقهاء المجددين المعاصرين من تبنى آراء مثل جواز إعطاء الحق للأقباط في الترشح للإمامة العظمى ومنهم الدكتور محمد سليم العوا؟

** القضايا التي نحكي فيها ليست من القضايا الفرعية التي يمكن لأحد أن يقول فيها كلام هذا الكلام كلام موجود ومعمم باستفاضة، وكون أن لي رأيا أخالف به رأي الجمهور فلك أن يكون لك رأيك ولكننا نحن الإخوان نتبع في اجتهاداتنا الفقهية ما استقر عليه جمهور المسلمين.. والله لو أن هناك حكما شرعيا في المسألة سنلتزم به.

فور خروجه من الاعتقال .. أسامة نصر ـ عضو مكتب الإرشاد ـ : [1]

(الجماعة إن لم تتدارك الموقف ستدخل في أزمة) (عندما انتخب الدفراوي كانت اللائحة سليمة وعندما لم ينتخب أصبحت مزورة) (الذين ذكرهم الدفراوي على أنهم همشوا يعتلون أعلى المناصب حساسية وبيدهم كل شيء) (عاكف الآن مستريح لما تم والقرضاوي اعتذر)



أجري هذا الحوار بعد يوم واحد من خروج الدكتور أسامه نصر من المعتقل على ذمة قضية التنظيم الدولي ومن ثم فقد حاورناه حول هذه القضية وحول الأزمة الإخوانية التي حدثت أثناء وجوده في المعتقل :

(١) (نشرته جريدة الدستور المصرية) .

تحليل الأزمة

- ما تحليلك للأزمة الأخيرة؟

- أنا كنت معزولا في الأزمة الأخيرة، وكل المعلومات التي كنت أحصل عليها من الصحافة، والصحافة بطبيعتها يمكن أن تضيف نسبة من الإثارة و"شوية فلفل وشطة"؛ لكنني عندما جئت اليوم أزور إخواننا وأسلم عليهم لم أستشعر شيئا، كنت أظن أن الدنيا "مخروبة"؛ لكن عندما جئت لقيت أن الأمور مثل ما هي منذ تركتها.

- نحن لا نشكك في الأمور العاطفية بينك وبين إخوانك نحن نسأل عن خلافات كادت أن تعصف بالجماعة.

- الاختلاف في وجهات النظر وارد؛ لأننا لسنا قوالب من طوب، نحن لنا عقول، فربنا سبحانه وتعالى جعل لكل إنسان إمكاناته، وعقله، وطريقة تفكيره، فيمكن أن أختلف معك.. هناك اختلاف لكن هناك من يصور لك أن هذا الاختلاف نهاية العالم وهذا ليس صحيحا.. عندما نختلف في تفسير لائحة "أهلا وسهلا" نختلف وبعد ذلك مرجعنا اللائحة.. عندما نختلف نأخذ الآن إجراء أم لا نأخذه، فهذه أمور عادية تتم في أي مؤسسة، وفي أي إدارة شركة، وفي أي مجلس إدارة ناد.

- لكن هذا الموقف كان يعبر عن ذروة الاحتقان داخل الجماعة الذي كان يوشك على الانفجار؟

- أنا أريد أن أحيلك لمقال قرأته وأنا في السجن لرفيق حبيب، وهو رجل ليس من الإخوان لكنه رجل أحسب أنه باحث جيد ومحايد، وأنه يرى الجانب المضيء فيما حدث، كانت تتلخص هذه المقالة في أن ما حدث عند الإخوان يؤكد تغليب

المؤسسية على تقديس الفرد، وأن الإخوان يضربون المثل للأنظمة العربية والحكام العرب في كيفية ممارسة المؤسسية بشكل حقيقي، وذلك عندما تتفق مجموعة على شيء وتخالف به شخصا واحدا مهما كان وضع هذا الواحد، ويتجلى هذا المثل في نزول هذا الواحد على رأي الأغلبية.

- على المستوى الشخصي كنت مع أي تفسير للائحة؟

- الذي فهمته أن هناك لجنة شكلت لبحث هذه القضية، ورأت ذلك، وبالتالي أنا أحترم ما رأته اللائحة لأن اللائحة هذه تنظم علاقاتنا في ضوء أجواء من المحبة، وفي إدراك أن المستويات هذه مغارم وليست مغانم.

- لكن مع أي التفسيرين؟

- ليس هناك غير تفسير واحد للائحة وهو الذي قالته لجنة اللوائح.

- لكن من الذي استدعى لجنة اللوائح للمثول أصلا؟

- مكتب الإرشاد.

- كان من المفترض أن يصعد العريان بشكل تلقائي؛ لكن حدث أن استدعيت لجنة اللوائح لتجد تفسيرا مختلفا، ومن هنا يتضح أن هناك إرادة سابقة انعقدت لمنع صعود العريان؟

- من قال المفروض؟ ومن قال بشكل تلقائي؟ من الذي قال لك ذلك؟ اللائحة تقول لا؟.. تقول إن الانتخابات تكون في مجمع واحد، ويختار كل الأعضاء، فتبدأ ترتب وترى بعد ذلك الذي يحصل على نسبة فوق الـ٤٠ فهو الذي يكون عليه الدور وهو الاحتياطي.

أزمة العريان

- عاكف وحبيب قالا إن العريان كان من المفترض أن يصعد بشكل تلقائي لأنه هو الذي عليه الدور في التصعيد إلا أن مكتب الإرشاد اجتمع بدون علم المرشد وأصدر قرارا بانعقاد لجنة اللوائح لتخرج بهذا التفسير في النهاية؟

- لا تعليق.

- هل غضب عاكف جاء من أن هناك تفسيرا للائحة أم أنه شعر أن هناك تكتلا حاسما ضد رغبته في تصعيد العريان، وأن هذا التكتل أخذ يبحث عن شيء يبرر موقفه الرافض لهذا التصعيد، وأن عاكف كان يعلم جيدا أن العريان شخص غير مرغوب فيه من قبل هذه الجبهة، وأن استدعاء اللائحة كان الشكل الذي يخفي وراءه الحقيقة؟

- أنت تتحدث الآن عن مشاعر داخلية غضب وسرور.. كان لابد أن أكون موجوداً ساعتها، لكن الذي أستطيع أن أجزم به هو أن العريان له مكانة عظيمة عند كل أعضاء مكتب الإرشاد، وتاريخه وجهده وبذله وأخلاقه خير شاهد على ذلك، وأحسن دليل هو موقفه من هذا الموقف؛ لأنه قال يا جماعة هذا الموضوع لا يخصني، وأنا تحت أمر الإخوان "يضعوني هنا جميل يضعوني هنا أيضا جميل"، هذا مثل رائع يحتذي به كل من يطمع في المناصب.

- هذا لا يفسر لي شيئا هذا يرجع لسياسة العريان وأخلاقه؟

- أنا قلت لك قبل كده إنه له مكانة عظيمة، ولعل جميع الإخوان يتمنون أن يكون لهم في مكتب الإرشاد.. يتمنون لكن الذي هم حريصون عليه أكثر هو المؤسسية وإعمال اللائحة.

- عندما يكون هناك أعضاء في مكتب الإرشاد يحبون عصام العريان ويتمنون أن يكون جنبهم بمكتب الإرشاد.

- لكن حبهم للمؤسسية أشد.

- لم ينتقص أحد من قدر المؤسسية.

- يعني أنا أجيء بأحد أحبه وأدخله مكتب الإرشاد؟ أنا لي أحباء كثيرون هل أجيء بهم إلى مكتب الإرشاد لمجرد أني أحبهم وأجلسهم بجواري.

- ليست المسألة هكذا لأن التفسير الجديد الذي أتت به لجنة اللوائح هو الذي أحدث هذه المشكلة؟

- لا تعليق... وبعدين لماذا تأتي بالعريان "وكان كده كده هنعمل انتخابات بعدها بأسابيع".

- وهذه هي ذات الحجة التي تساق في هذا المعني لدخول العريان.. لماذا لا تدخلوه "وكده كده ستجري انتخابات فلماذا كل هذه الضجة".

- لكي لا أخرق اللائحة التي وضعناها كي تنظم علاقتنا.. لا يجوز.. ستكون اللوائح "ملطشة".

- المرشد مهدي عاكف تحدث عن روح اللائحة والدكتور القرضاوي تحدث عن أن اللوائح ليست أوثانا تعبد بل هي آليات قابلة للتغيير والتعديل؟

- مدى علمي أن الأستاذ عاكف مستريح لما تم، والدكتور القرضاوي لعله اعتذر اعتذارا رقيقا عما بدر منه من كلمات شديدة في الحديث الذي تم بينه وبين أحد الصحفيين.

مقالات الدفراوي

- بمناسبة اللوائح المهندس حامد الدفراوي قال إن اللائحة زورت لكن على أية حال واضح أن اللائحة مرنة في أيديكم تلين في أوقات وتتخشب في أوقات أخرى.. هذه اللائحة التي استخدمت بشكل متعسف ضد العريان هي ذاتها التي قيل إنها نصت على إضافة ٢٠ ٪ لأعضاء مجالس الشورى بالتعيين.

- هو كتب هذا الكلام للأستاذ المرشد وقدمه، والأستاذ المرشد يبحث في هذا الأمر، ونحن الحق بغيتنا، ولو وجد أن الكلام الذي نصح به المهندس الدفراوي هو الصواب لن تكون هناك مشكلة؛ لأن كل الإجراءات ستتغير، لكن هناك آداب للنصيحة عندما أريد أن أنصحك هل أنصحك بيني وبينك، أم أقف في ميدان التحرير وأقول فلان مزور.

- لكنه لم يتهم شخصا بعينه؟

- اتهم.. اقرأ جيدا وأنت ستري.

- ذكر الدكتور محمود عزت لكن لم يتهم أحدا بشكل صريح؟

- اقرأ جيدا وأنت ستفهم.

- لماذا تعتبر أن النقد العلني جريمة.. سأتلو عليك جزءا من مقال الدفراوي "تسود أدبيات داخل صفوف الإخوان بتجريم انتقاد الذات على الملأ أو في الإعلام المرئي والمسموع باعتبار أنه نوع من التشهير ومساعدة للخصوم على تصويب السهام للجماعة، وبهذه الأدبيات يغلق أحد أهم أبواب الوعي وإدراك الذات والمدخل الحقيقي للتطوير داخل الجماعة"

- النقد الموضوعي لا أحد يغضب منه، لكن أنت استحييت من ذكر لفظ التزوير، فلماذا استحييت أن تقوله؟ لأنك ترى أنه كان من الممكن أن يستخدم لفظ أخف من

هذا، لكن لماذا عندما تختلف مع أحد في أسرتك لا تخرج ببيان تقول فيه إن الوالد "زعلني".. لماذا لا تفعل هذا؟

- هؤلاء تحدثوا كثيرا ولم يسمعهم أحد؟

- من أين جئت بهذا الكلام؟ قدم كام مذكرة لفضيلة المرشد؟

- أرسلت لعاكف رسائل كثيرة؟

- لا تعمم المسائل، فأنت تتحدث عن واحد، أنت تحدثني عن المهندس حامد الدفراوي، الإجراء الذي اتخذه هذا كم مرة فعله.. هو يوجه هذا السؤال.. ظني أنه لم يفعله غير مرة واحدة.

- قال إن هناك تصفية لجيل فكري يوصف بالانفتاح وتهميشا لدوره، وأن هناك من يسوق الجماعة إلى منزلق خطير، وهذا وضع يجب عدم السكوت عليه كي لا تغرق السفينة؟

- من إصلاحي ومن غير إصلاحي؟

- أنا لا أريد أن أدخل في إشكالية المصطلحات.

- هل يجوز لأني لم أنتخب عضو مجلس إدارة ناد، أهذا يعني أن هناك إقصاء ليس "لأسامة" فقط لكن هناك إقصاء للناس المحترمين كلهم.. هل يصح أن نقول هذا؟

أين الاصلاحيون

- يتساءل إخوان الشرقية أين الدكتور محمد عبد الغني، ويتساءل إخوان الجيزة أين الدكتور حلمي الجزار، ويتساءل ويبحث إخوان البحيرة عن البرلماني الرائع محمد جمال حشمت، وإخوان الإسكندرية يتساءلون أين الدكتور إبراهيم الزعفراني... أين هؤلاء هكذا يتساءل الدفراوي؟

- هؤلاء في أعلى مسئولية، هؤلاء في أعلى المراكز الإدارية.

- لكنهم بعيدون عن اتخاذ القرار.

- عندما يكون أحد الذين استشهد بهم مسئول محافظة، أو نائب مسئول محافظة، فهل هذا بعيد عن القرار.. غريبة جدا.. ثم إن الناس الذين أتت به لماذا لا تتهمها وهي نفس اللائحة التي اتهمها بأنها زورت؟ حامد الدفراوي كان عضو مكتب إداري ٧ سنين كيف جاء؟ باللائحة التي قال عنها إنها زورت.

- لكنه أراد أن يقول إنه مع موت التلمساني وتولي مشهور بدأت تصفية تدريجية لجيلهم وللقيادات الميدانية لصالح قيادات السمع والطاعة؟

- من الذي صُفي؟

- هذه القيادات بأكملها وبعدت عن سدة القيادة؟

- من قال هذا؟ هل القيادة هي مكتب الإرشاد فقط؟

- ولماذا لا تكون في مكتب الإرشاد وهو الذي يتحكم في القرار في النهاية.

- القيادات كثيرة هناك أقسام ومحافظات وهناك لجان.

- هناك من تسرب بسبب هذا التضييق وهناك من تجمد وكثير لم يصعد؟

- عودة إلى الفهم الدقيق والواضح لجماعة الإخوان المسلمين الجماعة التي نتعبد إلى الله سبحانه وتعالى بالانتماء لها، ولا يرغب في مناصب بها، وهو يبغي الإصلاح على قدر ما يستطيع، ويبغي إحقاق الحقوق، وهذا شيء جميل جدان ويطالب به، لكنه لا يحرص على مناصب، وبالتالي موضوع المناصب لا يشغلنا، وما من أحد منا موجود في مكان إلا ويبتغي أن يزاح عنه ويأتي من هو خير منه ويقوم بالدور بدلا منه؛ لأن المنصب على كل المستويات المادية هو خسارة إلا إذا كان "بيعملها" عبادة فهو

مكسب؛ لأنه يعتقل ويبعد وتصادر أمواله ويحال بينه وبين المناصب هو وأولاده ويمنع من السفر وكذا وكذا.

- هل السجن والمضايقات التي تتعرضون لها دليلا على صحة منهجكم؟

- أنا لا أتحدث عن الصحة، أنا أتحدث عن المنصب، أنا كنت مستريحا قبل ما أكون عضو مكتب الإرشاد، لكن عندما أصبحت عضو مكتب الإرشاد سلبت مني كثير من الحريات التي كنت أستمتع بها.. أن يحال بيني وبين حضور مؤتمرات علمية ترتقي بمستواي العلمي بعد ما كنت مشاركا في جمعيات عالمية، وكان لي بحث كل سنة يقدم فيها فما المكسب الذي جنيته.. من يريد المناصب؟ من يقصي من؟

إقصاء عقيدي

- أنا لا أتحدث عـن محاولات إقصاء مبنية على مطامع دنيوية، لكن عن إقصاء مرجعيته عقيدة وفهما، أنا أناقش عملية الإقصاء بغض النظر عن مرجعيتها؟

- من أجل هذا أنا أقول لك قبل كل شيء لابد أن نحرر المصطلحات ماذا تقصد بهؤلاء؟ الذين ذكرتهم يعتلون أكثر المناصب حساسية عند الإخوان، مسئول القسم السياسي عصام العريان في حين أن الإخوان يتهمون بأن ٩٠ ٪ من نشاطهم سياسي، ولو أن فريقا آخر يريد أن ينتصر لما وضع العريان في هذا الموقع الذي هو بمنتهى الخطورة في هذه المرحلة.. الذين ذكرتهم نواب رؤساء مكاتب إدارية، وهذه أعلى مناصب إدارية في الإخوان، دعك من "اللي فوق اللي فوق هذا إشرافي"؛ لكن الذين في الخارج في التنفيذ والقيادة الحقيقية للسفينة هم هؤلاء.

- لكن القرارات التي ترسم سياسة الجماعة في يد مكتب الإرشاد؟

- هؤلاء في أيديهم كل شيء.

- العريان أقر في مقال له بعنوان آثار الحملة البوليسية على الإخوان بـأن أهم هذه الآثار كان "المحافظة في الرأي والجمود على المواقف وعدم الاستعداد والجرأة على التجديد والاجتهاد".. ما رأيك؟

- لو صدق حدسه في هذا الكلام سيحدث هذا، لكن الحمد لله الناس تجتهد.

- هل سيكون هناك حراك ونقاش في الفترة المقبلة؟

- هذا لا يتوقف لكن الأيام القادمة تحتاج لمزيد من النقاش.

- هذا يعني أنك ترى أن الجماعة في أزمة؟

- أنا أرى أن الجماعة إن لم تتدارك الموقف ستتدخل في أزمة.. بمعنى إن لم يتق الله سبحانه وتعالى كل فرد فيها، ويتمسك بثوابتها، ويعرف مصادر قوتها، قوة الإيمان ثم قوة الوحدة، ويدرك هذا، ويحرص عليها، وأن يكون لبنة في البناء، ولا يكون الحجرة التي كانت في السد، والتي قالت ليس لي دور، ثم تسببت في انهياره، هنا ستكون الخطورة، لكن الآن الحمد لله ليست هناك خطورة.. لكن ليس معنى ذلك أننا نقعد مستريحين لأن هناك من يحاول ويبذل ويوصل الليل بالنهار لمحاولة إيجاد شقاق.

- من تقصد بهؤلاء؟

- أليس للإخوان أعداء.. ألا تعرف أن للإخوان أعداء؟

- من داخل الإخوان أيضا؟

- من خارج الإخوان.. لا أحد يدخل الإخوان إلا بأمر الله يكون فهم أنه دخل هذا الأمر وهو يدرك عواقبه، لكن هناك من يحاول وتنزغ بينهم الشياطين؛ شياطين الإنس التي تحرك المسائل.. أيام الصحابة كان يحدث هذا وربنا سبحانه وتعالى حذر من هذا.

- لكن ألا ترى أن الحل في تعديل اللائحة وإجراء الانتخابات؟

- في طرح كل المسائل للنقاش والحوار، والانفتاح والشفافية والاستعداد، ولقبول الرأي الآخر، والاستماع للناس وأفكارها ومبادراتها، وأخذها بجدية وعدم وجود حواجز بين الناس وبعضها هذا هو الحل.

- ألا ترى أن هناك تيار سيحسم الأمر لصالحه؟

- الحسم سيكون لصالح الحق إن شاء الله تعالى، والجميع حريص على هذا، والجميع يتفق على هذا، وان اختلفت وجهات النظر فهذا شيء طبيعي جدا؛ لكن أن تقول لي نم واسترح فلا، أنت تحتاج جهدا كبيرا جدا، وتريد أن تنفذ الأشياء التي اتفقنا عليها وأن تفتح الأفق للأفكار والمبادرات والاقتراحات، وتستمع للنقد البناء وتستقبل الرأي الآخر برحابة صدر.

العريان وإسرائيل

- محمد سعد الكتاتني صرح لنا في حوار سابق أن أحد الأسباب التي لم تأت بالعريان في الانتخابات التكميلية الأخيرة هو تصريحات بشأن العلاقة مع إسرائيل؟ هل هناك مسائل فكرية تضع على القيادات المنفتحة لهذا الجيل دوائر؟

- أنا ضد تسمية أن هناك شخصيات منفتحة وشخصيات غير منفتحة، العريان رمز إخواني، شارب دعوة الإخوان، مسبوغ بها، يعبر عن فكرها بطلاقه، وربنا حباه بكثير من الإمكانات، وبالتالي يمثل الإخوان خير تمثيل، هذا ما عندي ليس هناك دوائر، وليس هناك تعليمات ولا شيء.

- بعد اعتقالكم على ذمة قضية التنظيم الدولي خرجت تفسيرات كثيرة منها ما ذهب إلى أنها ربما كانت تمهيدا للتوريث، ومنها فسر ذلك بأنها كانت محاولة من الحرس

القديم في الجماعة للتخلص من الدكتور أبو الفتوح من رجالات الحرس القديم.. فما تفسيرك للقضية؟

- الذي يخص الدكتور أبو الفتوح اسأله عنه، ولكن عندما تسألني عن ظروف القضية فالقضية لم تكن مفاجئة بالنسبة لنا، فموضوع القبض علينا موضوع مستمر.. هذه سابع مرة يتم القبض علينا، وبعض الناس كانت المرة الـ١٤ بالنسبة لهم، فالعلاقة بين النظام والإخوان في مصر لا يستغرب فيها أن يحدث فيها أي شيء فتكييف القضية نفسها والقراءة الأولى لنا فيها أنها كانت قبيل يوم كان اسمه يوم الغضب كان لنصرة الشعب الفلسطيني، وكانت قبيل زيارة الرئيس أوباما لمصر لكي يتوجه بخطاب للعالم الإسلامي من جامعة القاهرة، ونحن ظننا أن يكون اعتقالنا من أجل هذا، لكن بعد ما رأينا ملابسات الموضوع، وأنه أتى بأشخاص من كل بلاد العالم، وضمهم إلى مذكرة التحريات، وضم شخصيات غير إخوانية، وشخصيات لها مواقع دبلوماسية بالإضافة إلى رئيس البرلمان العراقي، ولذلك أعتقد أن الموضوع الغالب على الظن فيه هو ما حدث من هبة الشعب العربي المسلم لنصرة الشعب الفلسطيني في غزة.

- هل تظن أن هناك مشكلة عند النظام من خروج مظاهرات تؤيد الشعب الفلسطيني؟

- النظام يعتبر أن هذا خط أحمر؛ لأنه سيغضب ناسا يعتبرهم أصدقاءه ويعتبر أن ما قمنا به مسح للتطبيع ومحو له بأستيكة.

- ليس عند النظام مشكلة من خروج المظاهرات في حد ذاتها، كما أنه ليس عنده مشكلة مع الشعب الفلسطيني، وقبل ذلك نسق مع الإخوان مظاهرة الإستاد الشهيرة.

- لكن هذه المظاهرة كانت من أجل العراق.

- كانت حرب تشنها أمريكا صديقة النظام من أجل إسرائيل صديقة النظام أيضا فما الذي تغير.

- لا تعليق.

- هل ترى أن هذا هو مبرر النظام القوي في اعتقالاتكم بسبب قضية التنظيم الدولي، وهل نصرة فلسطين في هذا التوقيت كانت قوية من الإخوان لدرجة أن النظام يلفق هذه التهمة لهم وتشعره بالخوف منكم؟

- لست أنا فقط الذي أرى ذلك، الدنيا كلها رأت ذلك؛ وكون أنك لا ترى فهذا موضوع آخر، لكن الناس كلها كانت ترى حركة الشعب العربي المسلم في الشارع لنصرة الشعب الفلسطيني، ولجمع التبرعات، هذا أمر يسبب أرقا للنظام.

- هل يمكن أن مسألة جمع تبرعات هي التي ضايقت النظام؟

- لا... وأيضا التعبير عن مشاعرهم تجاه إخوانهم في غزة بأي شكل من أشكال التعبير لدرجة أن الحفلات الغنائية كانت تلغى والمؤتمرات الجماهيرية والمؤتمرات التي داخل الغرف المغلقة كانت تمنع.

- إذن من الجائز أنه لم يكن يريد أن يستخدم هذا سياسيا وجماهيريا في صالحكم؟

- يمكن تكون وجهة نظر النظام، لكن وجهة نظر الإخوان أن الذي يحركهم هي عقيدتهم ومبادئهم إرضاء وإبراء لذمتهم من الله سبحانه وتعالى.

أخونة المؤسسات

- كلمـا تمكن الإخوان من هيئة أو مؤسسة ما سرعان ما سعوا "لأخـونتها"، ولا يفصلون بين العمل المؤسسي المهني وبين الجماعة، وكان هناك خلط بين الإخواني وبين الإغاثي، وكانت هناك حركة تبرعات وأموال غير معلومة للدولة، وحركة مالية تطير من بنوك لبنوك.. النظام على الأقل لا يعرف مصادر الأموال ولا يعرف من أين تأتي ولا أين تذهب؟

- معظم الأمور كانت تتم تحت سمع وبصر النظام واللي كان بيجمع التبرعات كانت لجان الإغاثة التابعة للأطباء أو النقابات المهنية، وعلى رأسها نقابة الأطباء، و في كثير من الأحيان الداعون للتبرع كانوا يدفعون الناس إما للتبرع للهلال الأحمر وإما للجمعية الشرعية، وهذه جهات غير إخوانية، وعندما رأى النظام أن المساعدات المادية والأدوية والمعونات الغذائية تدخل تحت لافتة الهلال الأحمر المصري رحب الإخوان بذلك، وقالوا إن قضيتنا هي قضية إغاثة شعب يموت، وشعب فيه آلالاف المشردين والجرحى، ولا يهمنا اللافتة، ولابد أن تكون متابعا مثل هذه الأمور لكي لا نسير وراء كلام، وأنا أذكر حضرتك ونتذكر معك، وفي نفس الوقت كان عشرات بل مئات من أساتذة الطب ومتخصصين واستشاريين من غير الإخوان هم اللي يروحوا عشان يعالجوا المرضى في المستشفيات.

- كان هناك شبكة اتصال عالمية إخوانية بغض النظر عن نواياها الحسنة؟

- هناك حركة شعبية تحركت لوقف المآسي والدمار والظلم البين الذي وقع على الشعب الفلسطيني، بالله عليك تفسر لي أن الشعب الإسباني والفنزويلي يخرج في مظاهرة لنصرة الشعب الفلسطيني عندما يزورهم وفد من علماء المسلمين ويذكرهم بواجبهم الشرعي هل هؤلاء إخوان مسلمون؟

التنظيم الدولي

- أليس هناك تنظيم دولي للإخوان؟

- هناك إخوان مسلمون في العالم، وفي معظم دول العالم؛ لكن هناك مساحات للتنسيق بينهم، وهناك أعمال مشتركة لعل منها موضوع مثل غزة.

- لكن الهيكل التنظيمي للجماعة ينطق ويقول إن هناك تنظيما دوليا.. كان هناك نائب للمرشد، وهناك لائحة عالمية، وهناك مجلس شورى عالمي، وهناك مكتب إرشاد عالمي؟

- لعلي أسمع عن هذا، لكن عندما تسألني أرجو أن تكون أسئلتك عن مصر؛ لأن هذا هو الذي يخصني.
- أنا سألت هل هناك تنظيم دولي أم لا؛ لأنك اعتقلت بسبب هذه القضية، أنت قلت إنه لا يوجد هناك تنظيم، التنظيم يعني إصدار أوامر هيراركية وهذا غير موجود؟
- هذا الهيراركي وتعليمات تصل للناس وتنفذها هذا الكلام غير موجود، لكن هناك تنسيق بين الإخوان الموجودين في الأقطار المختلفة.
- من الناحية النظرية هناك شيء يدل على التنظيم الدولي؛ لائحة، ومكتب إرشاد وغيره، فلماذا لا يعلن عن تصفية التنظيم الدولي الذي بدأ في بنائه مصطفى مشهور إذا كان لم يحقق أهدافه، أو أنه ولد ميتا على الأقل يمكن أن تحل إشكالية اللائحة؟
- إذا كنت أنت قلت إنه ولد ميتا فلماذا يهتم الناس به.. شيء ولد ميتا.
- أقول لك لماذا أهتم به؛ لأنه يحدث إشكالية عند أي حركة تداول للمناصب، وفي ذات الوقت يقلق النظام ويستفزه هذا التنظيم العابر للقارات؟
- ما يقلق النظام هو أن مرشد الإخوان المسلمين واحد، ومن قدر الله أن هذا الواحد مصري في معظم الأحوال للبعد التاريخي والكم العددي؛ لكن اللوائح لا تمنع من وجود مرشد من أي جنسية، لكن أنا أقول نتيجة الأعداد، ونتيجة التاريخ، وأمور كثيرة يكون مصريا ودوره يكون دورا إرشاديا وتوجيهيا لأفراد الإخوان الموجودين في العالم، والمرشد الواحد هو الذي يضع هذه الهالة، ولو تحدثني عن اللوائح فعندما تنظر للوائح ستجدها كلها تنظم الأطر التنسيقية، لكن جميع الإخوان في العالم لهم حرية في اتخاذ قراراتهم بدون تدخلات.
- لماذا لا يكون هناك مراقب عام للإخوان في مصر.. ونخرج من إشكالية اللوائح؟
- وإذا كان هناك مراقب عام من سيكون مرشدا عاما؟
- يختار شخص آخر حتى وإن كان من خارج مصر.

- هذا منصب لا يقبله أي شخص، وعرض على الكثير من الأسماء اللامعة التي يمكن أن تظن أنها تصلح لهذا المنصب لكنها رفضت هذا المنصب.. هذا المنصب لا يقبله أي شخص لأن له تداعيات.

صفقة الإفراج

- الإفراج عنكم تم في إطار صفقة.. هل كنتم رهائن لدى النظام كي تمرروا شيئا ما؟
- من قدر الله أن يأتي الإفراج عنا تنفيذا لحكم محكمة الجنايات لخامس مرة بتبرئتنا والإفراج عنا، ومن توفيق الله أن يأتي هذا خلال النظر في طعن الإخوان المحالين للمحكمة العسكرية، والتي توقع الكثيرون أنه سيخفف عنهم الأحكام، لكنه لم يحدث، فهل هذه الصفقة كانت تجري على شريحة في الإخوان وشريحة لا؟
- لكن كان بإمكانه تحويلكم للعسكرية؟
- وكان ممكن يعدمنا كل شيء كان ممكنا.. لكني أريد أن أسألك هل هذه الصفقة تتم على شريحة في الإخوان وشريحة لا، كان الأولى نائب المرشد.
- الذي يجعلني ألا أستبعد منطق الصفقة هو أن مرشد الجماعة مهدي عاكف كشف في حوار معه عن أنه كانت هناك اتفاقية بينه وبين شخصية كبيرة في الدولة قبيل انتخابات ٢٠٠٥ النيابية بمقتضاها يدخل الإخوان الانتخابات بعدد معين مقابل عدم التدخل في سير العملية الانتخابية؟
- من حقك أن تستبعد أو لا تستبعد؛ لكن أنت الآن تسألني هل هناك اتفاق أو صفقة أو نوع من أنواع التراضي بينكم وبين النظام؟ أنا أقول لك هذا لم يحدث؛ لأن الإخوان يضعون لأنفسهم قواعد يسيرون عليها من رؤيتهم لطبيعة المرحلة، ولطبيعة وضعهم الداخلي، ولطبيعة الظروف الإقليمية والعالمية، فعندما يقول الأستاذ المرشد والله إننا لن نرشح أحد لرئاسة الجمهورية هل تعتبر هذه صفقة؛ هذه ليست صفقة.

- لكن عندما تكون مقابل شيء تكون صفقة؟

- لكن أنا أتحدث عن القاعدة.. الإخوان واضعون قاعدة ليس من أجل المجالس النيابية فقط؛ لكن من أجل مجالس النقابات والنوادي وغيرها.. هم يقولون والله نحن "مشاركة لا مغالبة"، وإننا لا ننزل بعدد لا يتجاوز الثلث لكي تسمح بتواجد غيرك معك وتحقق مبدأ المشاركة، وهذا تجده في نقابة المحامين ومجلس الشعب وغيره الـ ١٥٠ هذه ليس اعتباطا لكن لكي لا نتجاوز الثلث، وهذه سياسة، أليس من حقنا ونحن فصيل سياسي في المجتمع أن نضع لأنفسنا سياسة؟ كون أنها تتوافق مع رغبة حد تاني أهلا وسهلا، لكن حد يمليها علينا نقول له لا.

- لكن يقال إن الدولة استخدمتكم كفزاعة فقط لتخويف الغرب الذي كان يضغط في هذه المرحلة، وبعدها بدأ في ضربكم ليرجعكم للنقطة التي يريدها؟

- هل تظن وأنت رجل مطلع أنهم لا يحصلون على المعلومة بأنفسهم وبأجهزتهم، هم ليسوا محتاجين أن أحدا يقول لهم هذه فزاعة أم لا.

- لكن الانتخابات كانت اختبارا عمليا حقيقيا، وخرجت بنتيجة مفادها "عند وجود ديمقراطية سيصعد الإخوان".

- بالعدد النسبي لهم وهذا كلام ليس عليه جرم.. نعم يفزعهم هذا لو حدث معنا كما حدث في الجزائر بعدما ترشح أحد الإسلاميين رئيس جمهورية وهو محفوظ نحناح، هذا من الممكن فعلا أن يفزع الغرب لمصالحهم وأعدائهم ستكون مشكلة.. ولذلك قال عميد السلك الدبلوماسي الذي كان سفير إيطاليا لمحفوظ نحناح سنسألك ثلاثة أسئلة، عندما تترشح لرئاسة الجمهورية ماذا تفعل في اتفاقات البترول التي بيننا وبين الجزائر، وماذا ستفعل في أعمدة النظام الموجودة، وماذا ستفعل في علاقتك بإسرائيل، ونحن أيضا لو عندنا إجابات على هذه الأسئلة ترضي الغرب سيوافق.

حوار مع عبد الرحمن البر حول شرعية دخول الانتخابات ووصفه عدم المشاركين بالمتولين يوم الزحف[1]



اعتبر البعض أن نشر مقالته "الانتخابات.. رؤية شرعية" قبيل إعلان الجماعة عن خوض الانتخابات البرلمانية في مصر كان بمثابة التمهيد لقرار الجماعة بخوض الانتخابات.. فبعد المقالة التي وصف الدكتور عبد الرحمن البر فيها رافضي المشاركة في الانتخابات البرلمانية بالمتولين يوم الزحف، أُتهم البر بممارسة سلطة معنوية على القاعدة الإخوانية، وهو العالم الشرعي وأستاذ الحديث وأصوله بجماعة الأزهر.

وقد أثارت مقالته قدرا من الجدل داخل الأوساط الإخوانية والإسلامية حتى داخل قطاعات من التيار السلفي، وطرحت تساؤلات حول مواقف تبدو متناقضة داخل الفكر الإخواني ذاته؛ ففي الأردن أعلن الإخوان أنهم لن يخوضوا الانتخابات البرلمانية، وعاقبوا من انتهك قرار المقاطعة من الإخوان، وفي مصر أصر الإخوان على المشاركة، ورأى الدكتور البر أن عدم المشاركة أشبه ما يكون بـ"التولي يوم الزحف".

(١) (نشر بموقع إسلام أون لاين).

وفي هذا الحوار مع الدكتور عبد الرحمن عبد البر- الأستاذ بجامعة الأزهر عضو مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين- نتناول قضية المشاركة الإخوانية في الانتخابات التشريعية المقبلة في مصر نهاية شهر نوفمبر ٢٠١٠م، وما أثاره قرار المشـاركة من لغط واتهامات بين بعض الإخـوان؛ وصلت بعض آثارهـا إلى ساحة القضاء في مصر.

شرعنة الانتخابات

* في خضـم احتدام الجدل حول الجدوى من دخول الانتخابات من عدمه قمتَ بنشر مقالتك "الانتخابات.. رؤية شرعية"؛ فاتهمك البعض بأنك ألبست مسألة سياسية تتعلق بالضرر والنفع وبمصالح العباد لباسا شرعيًّا، وكأنك تمارس سلطة معنوية على أفراد الصف الإخواني وتُهيِّئهم لتقبل قرار خوض الانتخابات، وترمي بمكانتك الشرعية وراء تيار من الإخوان في مواجهة الآخر؟.

- نحن نفهم الإسلام على أنه دين شامل ينتظم أمور الدين والدنيا، ونعتقد أن السياسة جزء من الإسلام، وأن الحرية فريضة من فرائضه، وليس هذا جديدا على فهم الإخوان؛ ولذلك أستغرب ممن يقول: إنني ألبست المسألة لباسا شرعيا، فإذا كان البعض يفصلون الدين عن السياسة والمجال العام فإنني وعموم الإخوان المسلمين لا نرى مجالا لهذا الفصل أصلا.

أما القول بأنني أمارس سلطة معنوية فهو كلام لا معنى له؛ لأن القرار في جماعة الإخوان يتم بطريقة شُورية من خلال المؤسسات الشورية في الجماعة، وفكرة وجود تيارين في الجماعة هي فكرة يلح عليها البعض على غير الواقع، فقد توجد آراء متنوعة وتتم مناقشات في كل الموضوعات على كل المستويات، ويتم تمحيص الآراء، وممارسة الشورى، وقد رأى الجميع أن الغالبية العظمى من مجلس الشورى العام كانت مع

المشاركة في الانتخابات، ولا يمكن وصف الرأي الآخر بأنه تيار، أو أن الرأيين كانا يتصارعان، فهذا تهويل فاسد لا وجود له.

* البعض يرى أن مقالتك دلت على أن جماعة الإخوان كانت تأخذ قرارا مسبقا بالدخول، وأن مقالتك جاءت في سياق التمهيد والتهيئة للكشف عن القرار؟

- سبق أن قلت: إن هذه الرؤية كتبت ونشرت قبل حوالي ست سنوات، وأن سبب إعادة نشرها هو أن بعض الصحف أشارت إلى مقتطفات منها، وجعلت تعلق وتنقل الآراء حول هذه المقتطفات؛ فأردت أن أضع الدراسة بكاملها- كما كتبت- مرة أخرى بين يدي القراء. والجماعة ليست في حاجة للتمهيد لإعلان قرارها الذي جاء بأغلبية كبيرة في مجلس الشورى

أهل الخبرة

* العالم الشرعي يبني رأيه في أمر ما بعد رأي أهل الخبرة فيه، كمعرفة رأي الأطباء قبل إطلاق الحكم، والساسة هم الذين يقررون المصالح والمفاسد والإيجابيات والسلبيات من دخول الانتخابات من عدمه؛ فلماذا قفزت على رأيهم؟

- ومن قال إنني قفزت على آراء المتخصصين؟ وما أدرى القائلين بهذا أنني لم أسأل أهل الخبرة؟ ومن له الحق في إخراجي شخصيًّا من دائرة أهل الخبرة وأنا أمارس العمل العام وأشارك في الانتخابات منذ أكثر من ثلاثين سنة؟ كنت أرجو ممن يقول هذا أن يكشف عن أن المصالح التي ذكرتها عن المشاركة أو المفاسد المتوقعة من المقاطعة غير صحيحة ويذكروا أدلة ذلك، لكن للأسف كانت تعليقات الكثيرين بهذا الصدد مجرد جمل إنشائية.

* إقحام أهل الشريعة في هذه الأمور ذات الدلالات السياسية تجعل الناس في حيرة من أمرهم؛ فتضارب أقوال أهل الدين يُعيد إلى الأذهان تضارب فتوى اتحاد علماء

المسلمين مع فتوى هيئة علماء المسلمين، ففي حين أوجبت الأولى المشاركة في الانتخابات العراقية، حرمت فتوى هيئة علماء المسلمين المشاركة في ظل الاحتلال.

- لا مشكلة في اختلاف الآراء، والعبرة بأن يكون الاختلاف مؤسسا على علم وفقه ودلائل شرعية، ومقصودا به طلب الحق وابتغاء وجه الله، وليس قائما على الهوى الشخصي والميل النفسي، وعلى المختلفين أن يعذر كل منهما الآخر، ولا يلزم أحدهما أن ينزل عما يراه أصح بحجة حماية الناس من الوقوع في الحيرة.

وأرى أن اختلاف العلماء المنضبط بضوابط الشرع يكشف بوضوح عن مدى الحرية الفكرية الناضجة النافعة التي جاء بها الإسلام، ونحن نعلم أن أكثر من ثلاثة أرباع المسائل الفقهية في الأصول والفروع كانت ولا تزال محل اختلاف، وهذا يعطي سعة للأمة، بدلا من محاولة حمل الأمة على رأي واحد، إن ناسب ظرفا فقد لا يناسب ظرفا آخر.

التولي يوم الزحف

* حكمتَ بأن دخول الانتخابات واجب وجهاد أكبر، وأثَّمْتَ غير المشاركين، وشبهتهم بالمتولين يوم الزحف، فماذا لو اتخذ الإخوان قرارا بعدم المشاركة فهل سيصبحون آثمين؟ وهل كان الشيخ حسن البنا آثما يوم أن قرر التنازل عن الترشح بعد مطالبة مصطفى باشا النحاس له بذلك؟ وهل عندما قرروا مقاطعة الشورى كانوا كذلك؟ ولماذا لا تتحدثون عن السلبية إلا إذا كان الإخوان مشاركين؟.

- إنني سحبت عبارة "أشبه بالتولي يوم الزحف" التي أسيء فهمها؛ لأنني لا أريد الدخول في جدل لغوي وفقهي حولها. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فقد قلت بمنتهى الوضوح: إن الرؤية هي رؤية عامة لمبدأ الانتخابات والمشاركة فيها، وأن ذلك ليس رأيي وحدي، وأوردت أقوال شيخنا

الدكتور القرضاوي وغيره في المسألة. أما كل حالة واستحقاق انتخابي فينظر إليها بذاتها وفي ضوء ما يحيط بها، والمصالح والمفاسد المتوقعة من المشاركة أو عدم المشاركة، وبالتالي لا معنى للسؤال عن مقاطعة الإخوان في بعض الدورات أو البلاد؛ لأن كل حالة بذاتها تدرس، فمتى وجد أن المصالح الشرعية المعتبرة توجب المشاركة وجبت، ومتى وجد أنها توجب المقاطعة وجبت.

وهذا ما يفعله الإخوان حين يردون الأمر في كل مرة إلى الشورى، ويتبادلون الآراء والرؤى، فإذا غلب الرأي بالمشاركة وجبت المشاركة، والعكس بالعكس.

والقول بأننا لا نتحدث عن السلبية إلا إذا كان الإخوان مشاركين دعوى خالية من الحقيقة؛ لأن الإخوان يعدون الإيجابية قيمة في غاية الأهمية يحرصون على تنميتها بكل الوسائل.

شرعية النظام

* التجربة أثبتت أن الإخوان يصبحون ديكورا سياسيا لكنهم غير فاعلين، وأن الضرر من وجودهم أكبر من نفعه؟ أنتم بذلك تعطون شرعية للنظام الذي سيغضب كثيرا إن لم تعطوه الديكور المطلوب؟.

- أرى في هذا تجنّيا على الحقيقة، ويجب على المنصف أن يراجع ما قام به الإخوان في الدورة الحالية ليكون التقويم صحيحا وعادلا، أما كون النظام سيغضب إذا لم نشارك فأرى أن هذا غير دقيق، بل النظام أحرص ما يكون على عدم مشاركة الإخوان، واسألوا التعديلات أو التعويقات الدستورية والقانونية التي لا يكف النظام عن القيام بها لمنع ترشُّح الإخوان، والتضييق عليهم وفتح المعتقلات والسجون لمنع حركتهم أو فوزهم.

* كرستم عند المواطن ثقافة اليأس بعد أن خاض معكم عدة تجارب انتخابية وتحمس لكم- ومشهد المرأة التي تتسلق السلم مازال في الأذهان- لكنه الآن يسأل: ما الجدوى من كل هذا؟ دخلتم البرلمان بـ ٨٨ عضوا لكن ما الذي عاد عليه لم يتغير شيء للأفضل بل العكس، تغير للأسوأ.. ألم يثبت النظام للناس أن هؤلاء يتحدثون في فراغ لكن عندما يأتون لموقع المسئولية سيصطدمون بالواقع؟

- نحن نحارب اليأس الذي تحاول جهات كثيرة تكريسه، ونتقدم الأمة نحو الإيجابية والمشاركة، ونوقن بأن حديثنا ليس في فراغ، ولكننا نبني كل مرة على الإنجازات السابقة، ويقيننا أنه لا سبيل للإصلاح والتغيير سوى الوسائل السلمية الدستورية، ومهما طال الوقت فلا بد من تحقيق الإصلاح بإذن الله.

والذين يقولون: إن الأعضاء الثمانية والثمانين لم يفعلوا شيئا، إما أنهم لم يطلعوا على ما قدموه في المجلس، أو لم يطلعوا على ما أنجزوه في مواجهة الأغلبية الميكانيكية للحزب الحاكم، وإما أنهم يتصورون أن التغيير يعني التغيير الكامل.

وعلينا أن ندرك أن التحولات الكبرى في حياة الأمم هي عمل تراكمي يقوم على تراكم الجهود والخبرات، يبني فيه اللاحق على جهود السابق، وأنه يحصل تدريجيا وليس عملا حدِّيًّا أو فجائيا.

* بدلا من الدفع بالصف الإخواني إلى معركة انتخابية اختلف هذا الصف نفسه حولها؛ فلماذا لا يُدفع به إلى تنشيط الجوانب التربوية والأخلاقية لديه بعد توغل الجانب السياسي على حساب الدعوي والتربوي.

- لا يكف الإخوان عن العمل الجاد لتنشيط الجوانب التربوية والأخلاقية لدى الصف ولدى المجتمع، ولا يشغلهم عن ذلك شيء، والادعاء بأن العمل السياسي جاء على حساب الجانب التربوي فيه كثير من المبالغة، ويمكن أن يقال في المقابل عند إهمال

الجانب السياسي: أنتم جماعة دراويش تهتمون بإصلاح نفوسكم، ولا تهتمون بالإصلاح العام.

والحقيقة أن الإخوان يحرصون على التوازن ويجتهدون في كل الاتجاهات، ويركزون بشكل كبير في معالجة الظواهر التربوية السلبية، ولا يألون جهدا في ذلك، ولو راجعت ما ذكرتُه من ضوابط للعمل الانتخابي لأدركت أننا لا نعتبر العمل السياسي مُبرِّرًا للتقصير في الجوانب التربوية.

* ألا ترى أن معظم التعليقات على مقالتك- التي جاءت غالبيتها من الإخوان- رفضت رؤيتك الشرعية، ولم تقتنع بها، ورأت أن هذه الانتخابات مضيعة للجهد والوقت والمال، وأن مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أوسع بكثير من مجلس الشعب، والمسألة مسألة مصالح ومفاسد لا أكثر؟

- ربما كان هذا رأي البعض- وليس المعظم- في بداية طرح الرؤية، لكنني أرى أن بعضا منهم قد غير وجهة نظره مع الحوار والمناقشة التي أعتقد أنها كانت ذات فائدة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فلا خلاف على أن الانتخابات هي إحدى الوسائل لممارسة نشر الدعوة والاتصال الفعال بجماهير الأمة، وليست هي الوسيلة الوحيدة.

* هل يجر واقع الانتخابات الإسلاميين إلى الوقوع في مخالفات شرعية؟

- لا يألو الإخوان جهدا في اختيار الأكفأ والأصلح للترشيح، ويتابعون التدريب والتقويم المستمر لهؤلاء الإخوة، ولا يجدون أدنى غضاضة في مراجعة اختيارهم إذا اكتشفوا خطأ في ذلك.

أما اتهام بعض أعضاء الإخوان بالتربح من قرارات العلاج فباطل من القول يدركه أبناء الدوائر الذين استفادوا من هذه القرارات؛ ولذلك أعلن هؤلاء الإخوة

الكرام أنهم لن يردوا مليمًا واحدا مما طُولبوا برده؛ لأنهم لم يأخذوا شيئا لأنفسهم على الإطلاق، بخلاف غيرهم، وأما الأخطاء الفردية التي قد يقع بها بعض الإخوة في مخالفات شرعية أثناء الدعاية فإنه يتم التنبيه عليها، والدعوة إلى الالتزام بالضوابط الشرعية في كل ما يتصل بالعملية الانتخابية دعاية ومشاركة.

رسائل النظام

* لا شك أن النظام كسب كثيرا من دخولكم البرلمان وعدم إعطائكم الشرعية؛ فهو يرسل رسائله للغرب والأقباط وللعلمانيين، ثم يأخذ المبرر لضربكم ووقفكم عند هذا الحد؛ ألا ترتبط المصلحة هنا بالشرع؟

- قد تختلف الأنظار في تقييم المصالح والمفاسد المترتبة على المشاركة، ولكن مما يحسب لهذه الجماعة الكريمة أنها في قراراتها لا تخضع لنظر فرد أو فردين، بل تدير أمرها بالشورى، وتستطلع كافة الآراء، وتقلب الأمر على كل وجوهه، حتى يستبين لديها الراجح من المصالح والمفاسد، ومن ثم تتخذ قراراتها. فإذا كان هناك خارج الجماعة من له وجهة نظر أخرى فستبقى فردية تلزم صاحبها فقط، وأما الرأي الذي نزلت عليه الجماعة فهو رأي شورى، وحصاد لعقول كثيرة مخلصة وواعية وفاقهة لدينها ودعوتها وواقعها.

وأنا لا أنكر أن النظام يرسل- كما يتلقى- رسائل من هنا وهناك، وأنه يسعى لتوظيف المشهد لصالح استمراره، لكن هل الحل في مواجهته- رغم ضخامة التضحيات- لصالح الأمة، أم في الاستراحة وترك الساحة له ليفعل بالأمة ما يشاء؟

مفتي الإخوان

* لماذا لم تعترض على إطلاق لقب "مفتي الإخوان" عليك؟

- لقد اعترضت على كثير من الصحفيين في ذلك، وأعلنت في الحوار- ودعني أعلن هنا أيضا وبمنتهى الوضوح- أنني لست مفتيا لجماعة الإخوان المسلمين، ولست

سوى واحد من العلماء، بل طلاب العلم، وأن الجماعة تزخر بعدد كبير من العلماء من شيوخي وإخواني الذين هم أكمل علما وأكثر فقها وأرشد رأيا، وأنه ليس في هياكل الجماعة- ولا في أدبياتها- ما يسمى "مفتي الجماعة" على الإطلاق، وأن الإخوان وغيرهم ربما لجئوا لي- كما يلجئون لغيري من العلماء من داخل الجماعة وخارجها- للسؤال في حكم شرعي، فإن كان عندي منه علم أجبت، وإلا حولت السؤال لمن عنده علم فيه.

* قاطعتم انتخابات مجلس الشورى، وقلتم "تزوير"، وحرام أن نعطي لأنظمة تقوم على التزوير والكذب شرعية، فهل تغير الحال في مجلس الشعب؟

- كيف قاطعنا انتخابات مجلس الشورى، وقد كان لنا أربعة عشر مرشحا؟ إنما انسحب بعض الإخوان ظهر يوم الاقتراع حين منعوا من المشاركة، وحال الأمن بينهم وبين الوصول إلى لجان الانتخاب والقيام بدورهم.

وأنا على كل حال أتصور أن ما جرى في مجلس الشورى من الصعب أن يتكرر في مجلس الشعب؛ لاختلاف أهمية وكثافة المشاركة في مجلس الشعب.

وأعود لأقول: الأصل في المشاركة بشكل عام- من وجهة نظري- الوجوب، ولكن كل مرة بذاتها يجب أن ينظر في الأمر وفي الظروف المحيطة، ليكون قرار المشاركة أو عدمها مراعيا للمصالح والمفاسد المتوقعة.

ولا أرى في اختلاف الموقف بسبب اختلاف الظروف أي تلون أو خداع كما زعم البعض؛ فالمعلوم أن الفتوى قد تتغير بتغير الزمان والمكان. وقد أوضحت هذا بجلاء أثناء حواري مع الإخوة المُعلقين على الرؤية التي قدمتها.

* "ولا تكتموا الشهادة" في الجرائم والحقوق المالية ونحو ذلك، هذا هو الذي نزلت فيه الآية، وأما الموضع الذي نتحدث فيه فهو تزكية النفس لمن لا يستحق التزكية؟

- صحيح أن الآية قد وردت في سياق الآيات المتعلقة بالشهادة على الديون والحقوق المالية، إلا أن لفظها عام في كل شهادة حق يُدعى إليها الإنسان، فيكون ملزما بقول الحق فيها إذا دُعي إليها في أي مجال..

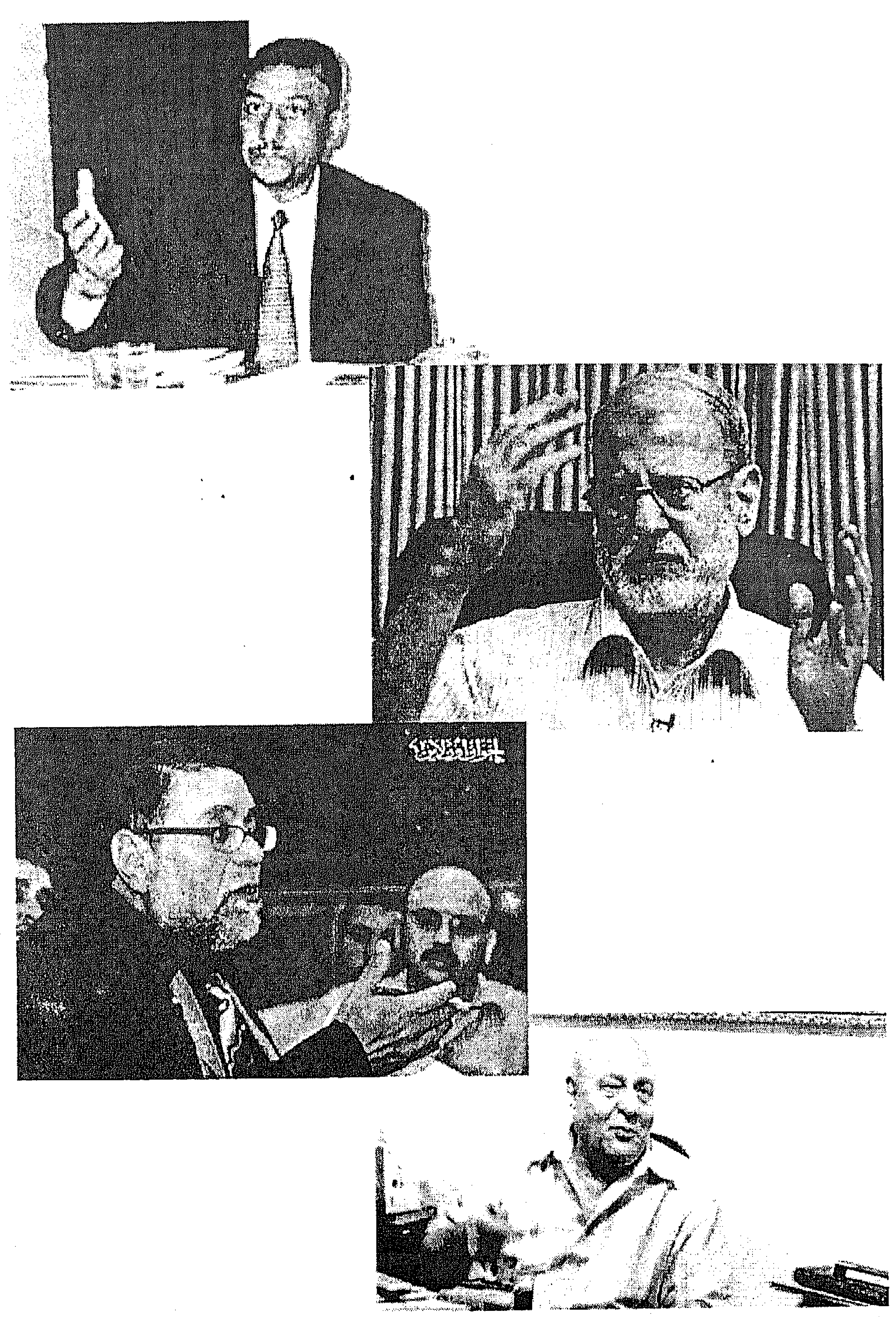
روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس، قال: «ومن الكبائر: كتمان الشهادة؛ لأن الله يقول: (ومن يكتمها فإنه آثم قلبه)»، وقال الشافعي بعد أن ذكر الآيات الكثيرة الداعية إلى الشهادة ومنها هذه الآية: «والذي أحفظ عن كل من سمعت منه من أهل العلم في هذه الآيات أنه في الشاهد قد لزمته الشهادة، وأن فرضا عليه أن يقوم بها على والديه، وولده، والقريب، والبعيد، وللبغيض القريب، والبعيد، ولا يكتم عن أحد، ولا يحابي بها، ولا يمنعها أحدا».

وما أكثر النصوص التي تؤكد أن العلماء يسوون بين شهادة الزور وكتمان الشهادة، واعتبارهما من الكبائر. فكيف بعد هذا يقال: إن الآية استخدمت في غير موضعها؟!

* الترشيح غير مشروع في النظام الإسلامي، فالأسلوب الشرعي هو أن يختار الإنسان غيره؛ فأبو بكر زكّى عمر وأبا عُبيدة، فاختاروا من ارتضاه رسول الله لدينهم وارتضوه هم لدنياهم، فالترشيح فيه نوع من تزكية النفس وطلب الولاية، لكن في النظام غير الإسلامي قد يقال هذا من باب أقل المفسدتين، لكن الآن ليس إلا مفسدة كبرى بلا مصلحة؟

- الترشح جائز لمن وجد في نفسه كفاية وأهلية للقيام بالمهمة، خاصة إذا تعرض للترشح لهذه المهمة- بل تولاها- من لا يصلحون لها وأساءُوا استخدامها، كما نرى ونلمس، ومع ذلك فالجماعة ترفع الحرج عن المرشح حين تقوم هي باختيار المرشحين الذين تقدمهم لنيل ثقة الأمة بعد تشاور وتدبر..

المتمردون



حوار الاستراتجيات مع المتمرد الداهية مختار نوح[1]

في صراعها الطويل والمزمن مع الجماعة ذات الفكر والتنظيم القوى جماعة الإخوان المسلمين اتبعت النظم المتعاقبة منذ عهد فاروق وحتى عهد مبارك أسلوبا قد يكون متشابها إلى حد كبير وهو أسلوب اعتمد بالأساس على ضربات أمنية مزمنة وإجهاضية يمهد لها ويوازيها ويبرر لها هجوم الآلة الإعلامية التابعة للسلطة وكان آخر سلسلة في هذا الهجوم الإعلامي هي رسائل سيد عبد الستار المليجي التي نشرتها جريدة الأهرام، وهو ما أثار جدلا كبيرا حول ما يدور داخل كبرى التيارات السياسية والدينية في مصر وعندما أردنا أن نساهم في استيضاح الحقيقة ذهبنا إلى أحد قيادات جيل الوسط مختار نوح الذي رغم اختلافه مع بعض قيادات الجماعة إلا أنه رفض انشقاقه عنها وكان أول من أظهر مصطلحا جديدا في داخل الجماعة، وكان أول من استخدمه، وهو مصطلح "التجميد" سألناه عن الديمقراطية داخل الجماعة وآلية التعامل مع المختلفين داخلها، وعن تقييمه لتجربة الجماعة منذ ٢٠٠٠ وحتى الآن، وهل يوجد قيادات نافذة داخلها، وهل هناك صراع بين تيارات فيها، وعن حقيقة ما قاله المليجي، وعن جدية الجماعة في إنشاء حزب، وعن رؤيته لخروج الجماعة من أزمتها الحالية... حوارنا مع نوح الذي ما زال أحد أعضاء الجماعة لم يكن اصطيادا في الماء العكر، بل كان إسهاما منا في توضيح الحقائق بتجرد وشفافية، وهذا نص الحوار الذي لم يزد ولم ينقص شيئا:

---

(١) نشر بجريدة الدستور المصرية .

المشهد

* ما هي قراءتك للمشهد الجارية أحداثه الآن بين النظام وجماعة الإخوان المسلمين؟.

** تصرفات النظام مع الإخوان أصبحت محفوظة لأنها متكررة منذ حوالي ٣٠ سنة، وهي تعتمد على سياسة المد والجذر لتحقيق مصالح خاصة بالنظام.. المشكلة ليست في النظام المشكلة في الإخوان لأن رد فعلهم ليس مقروءا، إما أنه أعمق من أن يقرأه السياسيون أمثالي أو إنه رد فعل خاطئ؛ لأنه يسير دائما على سياسة رد الفعل التالي وليس الاستباقي ولا التحضيري.. لم فتح النظام أبواب البرلمان لـ٨٨ عضوا من الإخوان؟ كان لابد للإخوان أن يسألوا أنفسهم لماذا تم فتح الباب في عام ٢٠٠٥؟ ولماذا تم غلقه في عام ٢٠٠٠؟ لابد أن نسأل أنفسنا هذا السؤال، ففي عام ٢٠٠٠ والذي نجح في هذا العام كان طفرة بعدها انغلق الباب تماما.. إذا قيل إن الرقابة القضائية هي السبب نقول لماذا سمح للرقابة القضائية لوقت ولماذا منعت الرقابة القضائية ثانية؟ هكذا يكون التحرك السياسي ليس معنى أن المناخ مفتوح أني أعجل باستخدام المناخ أولا ولكن لابد أن أنظر أولا لماذا فتح المناخ وأعتقد أن الحكومة فتحت المناخ لتحديد أهداف عشرة حققت منها سبعة حتى الآن منها توجيه رسالة إلى الحليف الحكومي الأمريكي هي أن البديل دائما هو بديل مرفوض بالنسبة لأمريكا فإذا أرادت أمريكا ذلك فلتتفضل، وهنا تعدل الخطاب السياسي لتحقيق هذه النتيجة، ومنها توجيه رسالة للمعارضة المصرية أنكم في خطر لأن الإخوان لا يشكلون امتزاجا للآخر، ودائما هم كتلة منفصلة، وأن نفقتهم ودفاعهم يكون لصالح الإخوان، ثم أعطوهم المثال العملي في الانتخابات فنجح من الإخوان ٨٨ بينما سقطت المعارضة جميعا إلا أربعة أو خمسة، وتوجيه رسالة أيضا إلى أقباط المهجر على المستوى القبطي العام؛ لأن الحكومة تربط دائما بين الإخوان وبين خطر الفتنة الطائفية بصورة أو بأخرى.

كل هذه الرسائل تحقـقت تقـريبا ونحـن نعاني الآن من محـاولة درئها أو تصحيحها، أما المعارضة فهي تسير مع الحكومة الآن بطريقة كم ستعطيني من أجل السكوت فالمعارضة بعد أن تم تعديل الدستور، وبعد أن تم إجهاض حركة الإخوان الشعبية أو إجهاض الوسائل التي ستصل بالإخوان إلى البرلمان، المعارضة تتحدث الآن مع الحكومة في توزيع التركيبة الجديدة للمعارضة داخل البرلمان القادم تحت مسمى مناقشة تعديل مباشرة الحقوق السياسية كأن المسألة انتهينا من الخطة الكبرى ونبدأ في الخطة الصغرى كيف نوزع التركة؟ هذا الحزب هياخد كام؟ وهذا الحزب هياخد كام؟ إنما الجريمة الكبرى وأد العملية الديمقراطية ووأد الرقابة القضائية لا تتحدث عنها الآن لما؟ لأنها مرحلة وانتهت مرحلة هي محل ترحيب من المعارضة هذا في رأيي لأنها لو لم تكن محل ترحيب ما وافقت المعارضة على الدخول فيها إلا أن هناك في وسط الزحام فريق منتصر دائما لمبادئه على مستوى جميع الأفكار السياسية على المستوى الناصري والإخوان والتيار القومي والشيوعي هناك فريق منتصر لمبادئه دائما هذا الذي ما زال يرى أننا نخوض حربا من أجل حرية الإنسان المصري ولا يرى أننا نخوض قسمة في تركة الإنسان المصري.. وليس معنى ذلك أنني غير متفائل لأن هذه رسائل للإخوان كي يصححوا المستقبل ويعيدوا النظر في الإجراءات ويعمقوا المعنى السياسي لديهم لأنهم هم الأمل فقط إذا عبروا عن كل التيارات السياسية لا مجرد أن يتحالفوا في منصة إنما يعبروا إنما يغيروا تغييرا حقيقيا عن حرية وحقوق جميع التيارات ويربوا أبناءهم على ذلك وما زلت أرى أن المعارضة أيضا في طريقهم لنظرية الحلول سيحل أشخاص أخرى في الأحزاب الموجودة هي أفضل وأكفأ.

* ولكن هناك قيادات داخل الجماعة ترى أنها وفقت لحد كبير في التعامل مع أزمتها الحالية مع النظام؟

** يقاس هذا بحجم الاعتداء على الحريات، وبهذا نستطيع أن نعرف؛ لأن الجماعة هي حامية الحريات في مصر باعتبارها القوى الكبرى، فإذا وفقت مع النظام فمعناها أنها وفقت لصالح الشعب المصري فلننظر كم هي كمية الاعتداء على الدستور وعلى حقوق الأفراد إن كان أقل مما سبق فالجماعة، وإن أكثر فالجماعة والشعب المصري لم يوفقوا.

* أقصد هل تعاملت الجماعة بديناميكية إلى حد كبير في تعاملها مع هذه الأزمة؟

** مقدمة هذه الإجابة وأنا كفرد أومن بفكر الإخوان وأعيش معهم محنتهم أقول لمن يقول هذا هو امتداد لسطحية بحث المسائل، الإخوان لم تدر أزمة، يعني لما تأتي بمحامين يدافعون عن متهمين اعتديت على حقوقهم يبقى أنت أدرت أزمة؟ أنت بهذا تكون تعاملت مع الأزمة كما يتعامل أي مأزوم.

إدارة الأزمة ليس معناها أنت تتعامل معها كمأزوم، إدارة الأزمة معناها أن تدير الأزمة لتحقيق إيجابيات؛ فأي إيجابيات في أن يحبس ٤٢ مواطنا يحاكمون أمام محاكم عسكرية، ولا توجد خطة لتحرير مصر من مصيبة المحاكم العسكرية.. إزاي.. اشرح لي.. حد يفهمني، ما الذي فعلته لكي أحرر مصر من المحاكم العسكرية دا أصبح لها درجة ثانية يعني المحاكم العسكرية أصبحت رسمية.. فكيف تكون أدرت أزمتك؟

إدارة الأزمة ليس معناها أن أتعامل معها كمأزوم أروح أجيب محامي وأقف أمام المحاكم العسكرية منذ ٩٥، والمحاكم العسكرية هي السيف الذي يوضع على الرقاب، ونحن نتعامل مع الأمور بصورة مباشرة، بصورة الوجه للوجه، وجه يضرب ووجه يتلقى الضرب، وأنا أتكلم هذا الكلام، ومقدمتي أغير على الإخوان من كثير مما يتحدثون؛ لذلك أرى أنه لابد من وضع إستراتيجية مقابلة، إستراتيجية تحافظ على حقوق الإنسان، وليس من السهل أن تعرض الناس للضياع، وأموالهم التي هي

مملوكة لهم وليست مغسولة، ولا الكلام الفاضي، وأن تقف أمام هذه الكارثة وتقول أدرنا أزمة، حينما تسترد الأموال المسلوبة، والحرية المسروقة، وتسترد كيان الجماعة مرة أخرى؛ لأن حقنا هو أن يكون للجماعة وجود حقيقي ورسمي إذا لم يتحقق هذا فنحن مأزومين ولسنا مديري أزمة.

من السبب

* من السبب في الأزمة... الجماعة التي أخطأت أم النظام المتربص؟

** الأصل في الأنظمة أن تكون متربصة في العالم الثالث، والأصل في الأنظمة أن تواجه كل قوي؛ لأن القوي هو البديل، البديل الذي يخشى منه، النظام المصري قاوم الوفديين بمحاكم استثنائية في عام ٥٤ محكمة الغدر ومحكمة الثورة؛ لأن الوفديين كانوا قوة، وقاوم الناصريين في السبعينيات، وأقام لهم محكمة ١٥ مايو ومراكز القوى؛ لأن الناصريين كانوا قوة وقاوم الوفديين من ٩٠ إلى ٩٣؛ لأن الوفديين كانوا قد عادوا إلى الواقع بقوة، ثم قاوم الإخوان من ٩٠ حتى الآن لأن الإخوان هم القوة.. ليس هناك خطأ، من المأزوم أو المطحون أو الضحية، والضحية هنا هم الإخوان والناصريين والوفديين وكل المعارضة التي تبحث عن الديمقراطية والحرية، فليس هناك خطأ ينسب إليهم، إنما قد يكون هناك تقصير في التعامل مع الواقع، أو في بناء الإستراتيجية السياسية، أو في بناء الإستراتيجية السياسية، أو الانفتاح على شتى الأفكار، قد يكون هناك تقصير في ذلك لكن لا يكون هذا خطأ، هذا اجتهاد منهم، قد نراه اجتهاد خاطئ.

أما النظم فهي تعبر عن سياسة حب البقاء، ولا يوجد حاكم في تاريخ دول العالم الثالث أعطى الحكم طواعية إلا في حالتين: السودان وموريتانيا، وهذه أمور نادرة والنادر لا حكم له.

* دعنا من تباين المسميات تقصير أم خطأ.. ولكني أريد أن أعرف ما هو التقصير في جانب الإخوان؟ وما هو الشكل الأفضل الذي كان يجب على الجماعة الأخذ به؟

** أتمنى من الإخوان حاجتين:

الحاجة الأولى: أن يستعينوا بالمتخصصين في الإستراتيجيات في إدارة الأزمات من أول عمرو بن العاص وعبد الله بن أريقط، فالنبي (ص) تعامل مع كافر في مسألة هو أهل الخبرة فيها، هو أهل الذكر فيها؛ لأنه هو الذي يجيد رسم الطريق والسير فيه.

أما المسألة الثانية: التي أتمناها للإخوان أن يكون نتاج ما يسفر عنه أهل الخبرة من الإستراتيجيين قرارا وليس توصية، وقرارا ملزما جدا لا يجوز الحياد عنه؛ لأنه قرار أهل الذكر في المسألة حين ذلك ستكون الأمور أفضل.

* عندما تقول الجماعة هل تقصد من يتخذ القرار فيها ويدير دفة الأمور؟

** مش عاوز أرد عليه لأن من خلال عدم الإجابة هياخدوا الإجابة.

* هل ترى أن هناك من أوقع الإخوان في الفخ؟

** لا مفيش فخ ودي أمور متوقعة.. وأنا كتبت أبحاث قبل أن تحدث بشهور ووضعتها على موقعي على النت، البحث الأول كان عن أهداف الحزب الوطني في إنجاح الإخوان المسلمين، وقلت فيه إن الحزب الوطني هينجح عددا من الإخوان المسلمين من ٨٠ إلى ٩٠، وقلت إن مجموع المعارضة هيكون في حدود ٩٦ مثل عام ٨٧، وقلت إن الهدف من إنجاح الإخوان هو تحقيق أهداف عشرة للحزب الوطني حتى يخرج من أزمة مطالبة أمريكا له بالحرية، ومطالبة العالم الغربي له بالديمقراطية، وبعدها كتبت بحثا ثانيا على الموقع تحت اسم "ميثاق الإنقاذ للمعارضة المصرية" قلت فيه كل التعديلات الدستورية اللي حصلت قبل

أن تحدث، ونبهت إلى خطورتها لغاية تعديلات مباشرة الحقوق السياسية، وأنا مستعد أقولها لك الآن، ومستعد أقولك النسبة اللي هيحصل عليها الرئيس الجديد.

* على كم سيحصل الرئيس الجديد؟

** الرئيس الجديد نسبته ستتراوح ما بين ٦٠ إلى ٧٥ ممكن تقل تكون ٥٨ تزيد تبقى ٦٤، والمجلس القادم ستتغير فيه نتيجة المعارضة تماما، ولن يكون للإخوان المسلمين فيه وجود إلا بآحاد، وربما لا يسمح لهم إطلاقا، والانتحاب بالقائمة هيمشي معارضة من شكل جديد، هذه المعارضة ربما يسمح لها بسحب الثقة من الوزارة من باب الدعاية للتركيبة الجديدة، وستظهر بعض الوجوه الجديدة أنا ممكن أقولك أسماء لكن مافيش داعي لكي لا نجرحهم لكن أنا عندي ١١ اسما محضرهم بعضهم من حزب التجمع، ومن حزب الجيل، وحتى من حزب الشيخ الصباحي أكرمه الله.

* أنت متوقع أن يترك مبارك الحكم.. إذن أنت فعلا شخصية متفائلة؟

** طبعا سيتم تعديلات وسيتم تغييرات.

* إذن ستكون مصر ثالث دولة بعد السودان وموريتانيا التي يترك الرئيس فيها الحكم طواعية؟

** هو سينقل الحكومة ولن يتركها.. نظام الحكم هو توريث منذ قيام الثورة، فمفيش بديل أنا عندي يستوي أن يكون التوريث لابن الرئيس أو لقائد آخر، بل بالعكس قد يكون التوريث لابن الرئيس أرحم من التوريث لعسكري آخر، لكن النظام قائم على التوريث، فالرئيس عبد الناصر ورث الحكم من مجلس قيادة الثورة محدش انتخبه، والرئيس السادات ورث من جمال عبد الناصر، والرئيس

مبارك من أنور السادات؛ يعني نظام الحكم قائم على التوريث، ويجب ألا نلخص التوريث في ابن الرئيس، فهذا خطأ، بل على العكس إذا قورن توريث بتورث سيكون الأفضل هو توريث الابن أفضل من توريث شخصيات أخرى.

* كيف يكون توريث الابن أفضل.. على الأقل في حالة توريث غير الابن سنكتشف عورات النظام السابق كما حدث في عهدي عبد الناصر والسادات ومبارك؟

** ليس دائما هذا يحدث أنت عندك وثائق أكتوبر حتى الآن مشفتهاش.

* هذا لأن الرئيس مبارك كان قائد سلاح الطيران وقتها؟

** إذن هذه الميزة لن تتحقق دائما كما تتوقع، إنما الذي أريد أن أقوله إننا لابد أن نرفض التوريث، منهج التوريث ذاته هو منهج الاعتداء على إرادة الأمة، سواء كان للابن أو كان للأخ، ومن هنا فالرئيس القادم سيأتي في ظل برلمان جديد قد تستجيب له الحكومة في إقالة وزير أو آخر كي تقول إن الواقع أفضل وإن الحياة أصبحت وردية.

* معنى هذا أن الذي كان يحدث طيلة الوقت الفائت كان خطة من النظام؟

** طبعا.

* ولكن هذه هي نظرية المؤامرة؟

** أنا نشرت هذا الكلام قبل ذلك يا سيدي، وهذا الكلام تحقق بالنص، أنا مش بضرب الودع ولا بشوف أحلام، الذي يقرأ الواقع كويس يكتشفه، لا يغرنك مثلا أن يقول رئيس مجلس الشعب إنه ليس وقته الحديث عن تعديل الدستور وحتى لو يقوله الرئيس نفسه لا يغرنك هذا، إن هذا الوقت ليس تعديل دستور وفجأة تلاقي ٣٢ مادة، فالمسألة تكون مفاجأة لك لأنك مقرأتش كويس زمان

كانت تقال عند زيادة الأسعار كلمة "لا مساس بالأسعار" كانت تقال عند تغيير الأسعار؛ فلذلك كل ما يقال ليس بالضرورة أن يقرأ كما قيل، ولذلك فالمسألة ليست نظرية مؤامرة، قانون مباشرة الحقوق السياسية أنا قايل في مقال من ٤ سنوات نشر إن الانتخابات بالقايمة قادمة، وكنا في السجن نتناقش وقلت لهم هيرجعوا الانتخابات بالقايمة لأنها تحقق أربع ميزات: أولا: أن النسبة تتحكم في الأعداد. والثانية: وبالنسبة ال٤٩ اللي بتروح لبقية الأصوات بياخدها الحزب الوطني. والثالثة: أن تمسكنا بالإشراف القضائي سيؤدي إلى إلغائه، وهذا الكلام أنا قلته لإخواننا القضاة في المظاهرات اللي عملوها، والنتيجة مش الاستجابة للمطالب، النتيجة هتكون إلغاء الإشراف القضائي وتم إلغاء الإشراف القضائي والواقع مقروء مش محتاج زرقاء اليمامة، مش محتاج أي بعد نظر دا مقروء لكننا ننخدع أحيانا بالقزاز، ونفتكره كريستال.

وممكن أقولك كمان المقترحات الموجودة أمام المجلس التشريعي الآن في نظام القائمة، أمامهم ٣ مشروعات: انتخابات بالقائمة دون الفردي، ومشروع القائمة والفردي، وحساب المتوسط الحسابي، الحساب المتوسط للنتائج، ودي عملية ميعملهاش إلا الكمبيوتر المعقد، وبالتالي فالفرز سيتم في وزارة الداخلية حاجة اسمها متوسط الحساب، النظام الثالث ودا اللي بيفكروا فيه أن يكون للمستقلين قائمة يتفقوا على الدول فيها، وإذا لم يتفقوا دخلوا في المتوسط الحسابي، ودا عايز شرح طويل لكن محدش أعلن عن الكلام ده.. اعتبرني أول من يعلن عن هذا الكلام، وقابلني بعد ٦ أشهر ستجد أن هذا الكلام هو الواقع، أنا واثق جدا مما أقول، وكل اللي نشرته على النت من سنة هو الذي يحدث الآن، والمعارضة لا تنتبه، وقلت في ميثاق الإنقاذ للمعارضة إن الحل الوحيد هو العصيان السياسي؛ بمعنى أن نترك هذا الواقع كله ونبدأ النضال من الخارج، وليس بالمشاركة، وقلت إن الدكتور نعمان جمعة، والدكتور

أيمن نور أساءا للحركة الوطنية عندما شاركا في انتخابات الرئاسة قلت هذا قبل الانتخابات وبعدها.

مد أم جزر

* هل نجح الإخوان في استثمار الصعود والمد الذي حققوه بعد انتخابات ٢٠٠٠ و٢٠٠٥ وهل ترى أن هذا المد مد حقيقي؟

** لا يوجد أي مد ولا يوجد أي صعود وراجع انتخابات ٨٧ الإخوان كانوا أكثر حرية وأكثر قدرة على إحداث تغييرات داخل البرلمان.

* إذن متى نقول إن الإخوان نجحوا في إحداث مد؟

** عندما يكونون المجلس الإستراتيجي العام الذي قلت عنه، والذي يضم كل الناس، وكل العناصر المتخصصة، وأن يكون قراره ملزما، وأن يعود مكتب الإرشاد إلى كونه المكتب التنفيذي أو السلطة التنفيذية العليا للقرارات واللجان الإستراتيجية والخبرات؛ لأن الإخوان يمثلون الإسلام الآن والدفاع عنهم دفاع عن الإسلام؛ ولذلك أنا أتجرأ وأقول هذا الكلام دون أن يزعل مني أحد.. دون أن يزعل مني أحد.. أكرر.

* هل ترى أن الإخوان قد أصيبوا بنشوة النصر بعد انتخابات ٢٠٠٥ أم ترى كما يرى الإخوان مكسبا للأمة بأكملها وأنها خطوة في الاتجاه الصحيح؟

** نشوة النصر هذه هي عدوي الأول، وهي العدو الأول للإخوان أيضا فلا داعي أن نتحدث في هذا الموضوع، ولو كانت نشوة النصر رجلا لقتلته أي والله.

* هل تستطيع أن تعنصر لنا الأخطاء التي وقعت فيها الجماعة من انتخابات ٢٠٠٥ وحتى الآن، أو تلخيص الأزمة بين النظام والإخوان؟

** أصل ما فيش أخطاء للجماعة، فيه وجه واحد من وجوه التقصير لو عالجناه موتور الإخوان ده موتور جميل والقاعدة قاعدة نبيلة قاعدة جيدة جدا، فقط مطلوب أن نغير ترسا واحدا في الموتور، هذا الترس لابد أن تأتي به صناعة متخصصة، وهو الترس الإستراتيجي في الحركة والقرارات والتعامل لابد من الاستعانة بالمتخصصين من داخل وخارج الإخوان؛ لأن الإستراتيجيات توضع بطريقة علمية بغض النظر عن الانتماء والولاء.

* إيه متخصصين.. لو عرف النظام الآن بعضا من الأسماء التي تتعاون مع الإخوان ربما يعتقلها وسيضطهدها.. لإخوان الآن شبهة بالنسبة للنظام والآن من يضع برنامج حزبهم الجديد يضعه في سرية تامة بعيدا عن أجهزة الأمن؟

** ليس لهذه الدرجة، والإخوان بداخلها الكثير من المتخصصين، وإذا تم الاستعانة بهم بطريقة صحيحة لكي يصبح ما ينتهون إليه هو القرار الذي يلزم جميع العقول أعتقد أن نسبة الخطر تجاه هؤلاء الأفراد هي نسبة الخطر الموجودة حاليا مفيش إضافة؛ يعني أن تستعين بزيد أو عبيد ما هي نسبة الخطر واحدة ما فيش فرق.

* هل ترى أنه ليست هناك مشاكل أيديولوجية عند الإخوان؟.

** لا.. لكن ما الذي يعلن عنه وبأي طريقة دي مشكلة إستراتيجية يعني تناول الأمور بشكل إستراتيجي دون أن تغير مبادئك، تناول الأمور لدى الناس، خطاب الناس، طريقة خطاب الناس، وموضوعاتها أمر مختلف.

* هل ترى أن هناك مشاكل تنظيمية؟

** ليست هي المشاكل وليست المشاكل الفكرية والاجتهادية؛ لأن الترس الإستراتيجي اللي تحدثت عنه يمكن أن ينصحهم بتغيير بعض الأمور الإستراتيجية قد ينصحهم

بتغيير آلية الديمقراطية داخل الجماعة الترس الإستراتيجي سيصحح أشياء كثيرة.. الإخوان لابد أن تتحرك كرجال دولة وليس كتنظيم مضطهد.

فارق كبير جدا بين الإستراتيجيتين التنظيم المضطهد يصنع رجلا تقيا خفيا، ورجل الدولة رجل شعب يقود أمه تفرخ منهم، فإذا قبض على تسعين وجدوا ألفا آخرين حاضرين، فأن تتعامل مع الواقع كرجل دولة مؤهل لحكم دولة غير أن تتعامل كتنظيم مستضعف أمام سلطة عسكرية، فرق كبير جدا، فالإخوان يجب أن يتحرروا من المفهوم الأول، وهو مفهوم التنظيم المضطهد المستضعف في الدولة، ولابد أن يتعاملوا على أنهم هم المؤهلون، وعليهم أن يعدوا أنفسهم -بغض النظر عن عثرات الحبس أو ما شابه ذلك- رجال الدولة القادمين بكل ما فيها من انفتاح شعبي، وقدرة على قيادة الجماهير، وتحرك علمي وسياسي، وعلاقات متزنة بالآخر، والدفاع عن بقية فصائل المعارضة، والتعايش معها لا الاتفاق معها فقط.

* هل تعاني الجماعة من ديمقراطية غائبة؟

** مش عايز أمسك المشاكل اللي لوحدها دعني أقول إن الجماعة تحتاج إلى عقل الذي هو الترس الإستراتيجي الذي يضع منهاجا كاملا لحركة الجماعة الجديدة نحافظ على نفس الجماعة، نحافظ على نفس الاسم، نحافظ على كل شيء لكن نغير أسلوب العمل كيف؟ نأتي بالترس الجديد اللي هو صناعة قوية صلب لا يصدأ ونأخذ منه كلامه على أنه قرار ليس على أنه نصيحة أخ والقرآن يقول ذلك فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون، فالمريض يذهب إلى طبيب، والإخوان تحتاج إلى طبيب الآن حاذق وماهر، لكن أن يجعل الإنسان من نفسه طبيبا حينذاك يكون قد انتزع الاختصاص من الآخرين، ووصف الدواء الخطأ، والسياسة ليست أقل من الطب أهمية، والسياسة والحركة ليست أقل من الطب أهمية بل هي أعقد.

الإسفنجة

* على خلفية قضية الدكتور سيد عبد الستار أوجه لك هذا السؤال: هل استفادت الجماعة من كل إمكانياتها الحالية الحقيقية أم إن هناك فائضا من القدرات مهدرة وغير مستغلة، وهل الإخوان كالإسفنجة تمتص الكفاءات ولا تستفيد منها كما قال عبد الله النفيس؟

** هذا عمل من أعمال الدولة، فحينما تعيش الإخوان واقعها كرجال دولة سيتم تغيير كل الإستراتيجيات لتشغيل كل هذه الكفاءات فعندما تتحدث عن كفاءات خاملة لأنه لا يوجد مصنع لتشغيلهم يعني لا يوجد هذا التخصص في الشغل، حينما تحتاج إلى هذا التخصص سيكون هذا التخصص عاملا فحينها تتغير الإستراتيجية من إستراتيجية من جماعة مستضعفة في ظل حكم قمعي إلى إستراتيجية إعداد دولة وإعداد شعبي رجال شعب يتحدثون مع شعب مش جماعة تتحدث مع نفسها، حينذاك لا يهتمون كثيرا في النجاح في مجلس الشعب، المهم أن أنجح مع شعب المجلس، فأنت تستطيع أن تنجح في المجلس بألف صوت، ولكن لا تستطيع أن تحرك الألف صوت، فلابد أن تعد كوادر للتأثير في شعب المجلس وتستطيع توعيته وقيادته.

* أعلم أن لديك الكثير لتقوله لكني أعلم جيدا أنكم تؤمنون بأن هناك ما يجب ألا يقال، أليس من حق الناس معرفة ما يحدث في جماعتكم، وإلى متى ستظلون تحجبون عن الرأي العام ما يدور داخل الجماعة، أليس من حقه أن يعرف؟

** هذا جزء من وعينا الحركي الوعي الحركي بيقول إنه بيبقى عندنا ضررين الضرر الذي سيحدث للإخوان هيكون أكبر من أي منفعة تعود من الكلام في هذه الأمور، ولذلك نفضل التكتم أو السكوت.

* تتكتمون عن الشعب في حين أن أجهزة الأمن تعرف عنكم كل كبيرة وصغيرة كما قال المليجي، ثم لماذا تعتبرون الاختلاف بينكم عيبا في حقكم، لماذا مثلا لا تفصحون عن أن هناك خلافا حول الآلية في التعامل مع المختلفين؟

** مش مسألة عيب، ولكن مسألة موازنة بين الضرر والنفع؟

* وما الضرر في أن أفصح بأن لدي إشكالية أسعى في حلها؟

** فرق بين أن تريد إصلاح الجماعة، وفرق بين أن تريد إجهاضها أو قتلها، النظام يريد قتل الجماعة وإثارة هذه المسائل في هذا التوقيت أنا أعتبره قتلا للجماعة.

* لماذا؟

** لأنك تساعد الخصم اللي بياخد هذه المعلومة ليس لاستخدامها الإيجابي بل لإضعاف كيان الجماعة.

* ولماذا يضعفها أنا أكون قويا عندما أعترف بأخطائي وأعترف بأن لدي مشكلة؟

** يفقد الأفراد الثقة في الجماعة.

* يبدو أنكم كجزء من العالم الثالث تتأثرون بثقافته التي لا تجيد النظر إلى الاختلاف إلى منظور مشوه وسيء وباعتباره علامة ضعف.

** يا سيدي هذا ليس اختلافا أن تريد أن توجه الجماعة إلى المسألة الصح وهي تحارب لا يجوز توجيهها علنا. ترسل إليهم رسالة تقول لهم فيها وجهة نظر كذا وكذا؛ لأن الجيش في حالة حرب الجيش مقبوض عليه الجيش اللي بيدافع عن راية الإسلام.

صوت المعركة

* هذه فلسفة لا صوت يعلو فوق صوت المعركة؟.

** لا لا أبدا المفروض علينا كده سواء أنت وافقت أن هذه معركة أولم توافق هم في معركة من أجل البقاء.

* في معـركة يرى البعض أنهم تسببوا فيها لأنفسهم بسبب عدم طرح مشاكلهم بمصداقية وشفافية؟.

** حتى لو كانت وجهة نظرهم خطأ لا يجوز أن آجي وهم في معركة مع النظام الذي يرد إجهاض الديمقراطية في مصر كلها وأدعمه وأؤيده بوجهة نظر هو يسيء استخدامها، يعني رسالة سيد عبد الستار النبيلة هل نشرتها الأهرام بهذا النبل وبهذا الجمال؟ أبدا.

* ولكن هناك صحف أخرى أفردت صفحاتها لكي يعبر المليجي عن رأيه؟

** وهذا ما فعله الدكتور سيد فقد بذل مجهودا في كشف الحقيقة، وهذا يشكر له في وأد خطة جريدة الأهرام.

* ولكن الإخوان هم الذين أعطوا لخصمهم الفرصة بدليل أن مشكلة المليجي منذ ١١ عاما لم يسمع عنها أحد حتى جاءت الأجهزة الأمنية وسربت الخطابات ولم يكن يحدث هذا لو أن الإخوان أفصحوا عن ذلك منذ بداية المشكلة؟

** نحن ننمي العامل الإيجابي في النصيحة وأنا جاوبت على أسئلة كثيرة من اللي أنت طرحتها لكن في حدود إحداث النفع فلما أجد معالجة اجتماعية غير مناسبة لا أتكلم فيها أنا بتكلم مع حضرتك لأني عارف أنك ستنشر بأمانة، غيرك مبيعملش كده، غيرك داخل يحارب داخل معركة.

* منطق المعركة ما زال يسيطر على الإخوان؟

** المعركة مع الإخوان لأنها هي البديل المطروح، الدول الشمولية تقيم معارك مع كل الدولة البديلة.

* ولماذا لا تحاربون النظام بالديمقراطية والشفافية داخل جماعتكم، حتى الآن مجلس الشورى ومكتب الإرشاد غير منتخب، ويضربكم الأمن إعلاميا رغم تكتمكم؟.

** لا تعليق.

* هل ترى أن هناك تحولات فكرية تجري في صفوف الجماعة ترجع إلى اختلاف الأجيال فيها وتغيير المناخ حولها؟.

** أنا واثق أن الغد أفضل، أنا واثق من ذلك، هذه هي قراءتي للواقع ولحركة الجماعة وتعاملها مع الآخر سيكون الأفضل الآخر الرافض والآخر المحايد سيكون الغد أفضل ونكتسب أمورا جيدة بفعل الزمن، والزمن جزء من العلاج.

* هل هناك تيار في الإخوان يعوق الآخر، وهل هناك قيادات تعوق قيادات؟

** هناك مفهوم يعوق مفهوما بره الكاسيت، أوضح لك هذه أمور متتوضحش في الصحافة.

* أومال تتوضح فين؟

** للباحثين وللإخوان نفسهم

*يعنى كصحفي أروح أسأل الباحث؟

** كصحفي هتنشر في مجال التصحيح أنا ممكن أوجه أبويا وأخويا وابني سرا ليس معناه أنا مقصر في حقهم، بل معناه أن أجد أحسن وسيلة لتحقيق مصلحة وليس

دائما العلن هو الصحيح، والإخوان تحتاج إلى النصيحة السرية الآن، والمرحلة القادمة، وبفعل الزمن وبفعل التغييرات والفضائيات يحدث نوع من التغيير داخل الحركة الجماعة، وبفعل الحركة السياسية العامة يحدث نوع من التغيير، وبفعل الزمن أشخاص تأتي وأشخاص تروح، واللي بيأتي ليس كربونا من الذي يذهب، وهذا التباين الفكري لصالح الإخوان، ولذلك فالنصيحة السرية لها مجالها والجزء العلني أيضا له مجاله وعندما تبحث الموضوع بطريقة علمية نتحدث أكثر.

* هل هناك بعض الأشخاص يعرقلون حركة الإصلاحيين في الجماعة؟

** لا أصل لو قلت حركة إصلاحيين يبقى معناها أن اللي موجودين مفسدين لا هنقول إن فيه مفهومين أيهما أصح مش دي المشكلة لكن في مفهوم هو السائد والمسيطر؛ لذلك إذا اختلفت معه مثلي أرى تجميد نفسي يعني لا إيذاء الجماعة لا مهاجمتها ولا الخروج عليها ولا محاولة تفتيتها كل هذا لا يجوز، هذا عمل جيد قائم، فإذا اختلف المفهومان على مفهوم أن يأخذ إجازة لكن لا يتناطح مع المفهوم الآخر؛ لأن المسألة ليست اختلاف آراء، المسألة اختلاف مفاهيم وأيديولوجيات وإستراتيجيات.

* ولكن النتيجة واحدة لأن هذه المفاهيم يحملها رجال؟

** لكن ليس شرطا أن يكون الموجودون هم المفسدين واللي برة هم المصلحين.

أي عمل جماعي لابد فيه من وجود مفهوم واحد إذا اختلف معه مفهوم آخر فلابد أن الذي يدير هو مفهوم واحد، مش هينفع مفهومين أيهما الصحيح أيهما الخطأ ليست هذه القضية إحنا قلمنا نتبارى في مجال الاجتهاد البشري

* مش فاهم؟

** يعنى وضع طبيعي جدا في كل الجماعات أن يديرها مفهوم واحد مش مفهومين، وإذا ظهر مفهوم مغاير لابد أن ينتصر الواقع ما دام أن الآلية الديمقراطية مش موجودة لابد أن ينتصر الواقع لمفهوم واحد، فإذا انتصر الواقع لمفهوم كان التصرف الحضارى للمفهوم الآخر هو أن يجمد نفسه، فلا ينشق ولا يثور ما دام ولاؤه لهذه الحركة.

* هناك قيادات فكرية تصر على الوحدة الفكرية الجامعة المانعة ويرى البعض من التنوع جيبا فكريا يجب القضاء عليه... فلماذا تصر بعض القيادات على وضع دائرة على المختلفين فكريا... وما له الاختلاف؟

** همه حرين بقه... خليها على الله.

* هناك بعض الأشياء التي لا أفهمها من رسالة الدكتور المليجي مثل مسألة تقشف القيادات لمجرد أنهم قيادات بسبب نظرة الناس لهم كدعاة؟

** أذكر في مقدمة إجابتي أن الدكتور المليجي لم يعد هذا الكلام للنشر أما وأنه قد نشره فاسمح لي أن أدافع عن وجهة نظره.. الدكتور المليجي كان عايز مصلحة ترتجى في حدود معينة دون أن يحمل الجماعة عبء أضرار هذه النصيحة، فالذي حدث أن المصلحة تحققت لكن بالقبض على هذه الوثيقة أثناء التفتيش، فحدث الضرر وما دام قد حدث الضرر فسنشرح ما قصده السيد عبد الستار، قصده فيه نظرية إسلامية في الإصلاح، جزء من هذه النظرية أن يكون المتولي أمر قيادة الأمة أبعد ما يكون عن الشبهات مش ابعد ما يكون عن الفلوس، ولكي يجنب نفسه هذه النقطة كما تقول في القانون المصري لا يجوز لعضو في مجلس الشعب أن يدخل في صفقات مع الحكومة، ومع ذلك فأغلب ثروات كثيرين في مجلس الشعب من خلال صفقات مع الحكومة، وحينما تكتشف هذه الثروة تقوله إيه؟ ميصحش تكون غني أقوله أنت وضعت نفسك في موضع الشبهات فالذي يتولى أمرا ينظر

إليه الناس على أنه رجل متجرد؛ لأن جزءا من إدارة أمور الناس أن تكون صفتك ليس لك مطامع، والعوام على ذلك.

إن التظاهر بمظاهر البذخ الذي يصل إلى حد السفه فمثلا أنك تتواجد في أماكن تستطيع أن تحصل على نفس السلعة بعشر الثمن وهذه حقيقة إحنا بنحسها في حياتنا إن فندق ٥ نجوم ممكن يقدملك حاجة منتش عايزها إنه يمليلك الثلاجة بالأكل مثلا فالفرق في الثمن بين الخمس نجوم والتلات نجوم يكون أحيانا في حمام السباحة فإذا أردت فندقا فانتقي الفندق الأقل تكلفة تتناسب مع مبادئك كداعية حتى تكون نموذجا يقتدي الناس به، وإذا كنت على غير ذلك واقتدى الناس بك ستكون مصيبة؛ لأن الناس تنظر إلى القائد على أنه مقتدى به وليس مجرد شخص عادي، وهذا نموذج في الإصلاح الاقتصادي، وهذا هو الذي ربما يقصده.

* هل المال أعطى بعض قيادات الجماعة نفوذا داخل مكتب الإرشاد؟

** ليست عندي معلومات... الإخوان الآن يحاكمون يا أستاذ في قضية غسيل أموال، والحديث الآن في هذه الأمور مساعدة لمحاكمة ظالمة.

* ولكن هذا الكلام نشره الأمن أثناء المحاكمات أيضا ودوركم هو الدفاع عما قيل وليس السكوت عليه، وسؤالي ليس فيه سوء نية بل العكس.

** لا لا أدافع عن أي حديث في هذا الموضوع لا أحبه ولي رأي سأقوله في توقيت آخر....

* جاء في التقرير الذي كتبه بعض قيادات الجماعة ردا على شكوى الدكتور المليجي أنه يرى أنه صاحب حق في استعادة كل مناصبه كمقابل لما قدم، والأصل أن يطلب المسلم أجره من الله ولا يعنيه المكان الذي يعمل فيه، فالمسلم يعمل لمرضاة الله وحسن مثوبته... ما تعليقك..

** أنا هكلمك بصفة عامة إذا وجد مجموعة من الناس تريد أن تصلي، فإذا بالمتقدم إلى الصلاة لا يجيد قراءة القرآن يكون الأمر واجبا على من يجيد قراءة القرآن أن يتصدى للإمامة حتى لا يحرف القرآن عن موضعه، وإذا كان فيه خمسة راكبين عربية وأربعة لا يعرفون القيادة وهيسوق واحد لا يعرف ترى أن السائق الماهر يظل راكبا معاهم السيارة لحد ما يموتوا الخمسة ولا يقول أنا أمهر منك في القيادة فدعني أقود، والكلام على غير هذا النحو هو إعمال للنصوص في غير موضعها، فالرسول يقول لا نعطي هذا الأمر للذي يطلبه حينما يكون الأمر الذي يطلبه وجاهة، إنما يطلبه لأنه حينئذ في هذا الأمر ويقول إني حفيظ عليم يكون هذا الطلب واجبا، والرسول (ص) لعن قوما أوسدوا الأمر لغير أهله ووعدهم بالنار وقال فليتبوئوا مقعدهم من النار.

وهذا كلام خطير في الإسلام أن يسند الأمر لغير أهله، هذا من الكبائر، ويقابله أن يكون الرجل القادر على القيام بعمل يحبسه عن أن يقول ها أنا ذا، حبه في أن يقول الناس عنه في أنه ورع وتقي هذه مصيبة كبرى تؤدي إلى فناء أجيال، فأنا لا أعرف أن في الأمور الفنية الدقيقة لابد أن يقول صاحبها ها أنا ذا وإلا أثم وحل عليه الهلاك هو ومن معه، وهذا يذكرني بالسفينة التي كان يركبها الناس فإذا بالبعض يحاولون خرقها بجهل أو بعبط فعلى الطرف الآخر أن يقول لهم الذي يجيد فن المراكب والسفن ويعلم أن خرق السفينة سيؤدي إلى هلاكها فعليه أن يتصدى ويقول ها أنا ذا وأنا أولى بالقيادة، هذه أمور ليس لها علاقة بطلب الولاية، هذه أمور تعالج من خلال مفهوم الدولة وحسن إدارتها.

آلية أم تعامل

* وأضح من قضية الدكتور المليجى أن هناك آلية في التعامل مع المختلفين بدليل أنه كانت هناك شكوى وتم التحقيق فيها، وأيضا كان هناك تقرير حتى لو لم يطلع عليه المليجي؟

** فيه تعامل مع المختلفين ولكن مافيش آلية، آلية معناها وضع قاعدة قانونية ومجردة تطبق على الكل، النظام في الإخوان أن يتعامل مع كل مشكلة داخل موضوعها، هذا النظام داخل في إستراتيجية أننا في دولة من دول العالم التالت نحن جماعة مستضعفة، إستراتيجية أننا رجال دولة دا أمر مختلف، وأنا عشان كده بقول لحضرتك هناك اختلاف في الإستراتيجيات مش في الجماعة؛ لأن حل كل مشكلة لها ظروفها تحدد لها طريقة التعامل مع هذه المشكلة لكن آلية رجال الدولة تضع آلية ثابتة للجميع، الجماعة حين تهيأ نفسها لإدارة أمور الدولة تضع آلية ثابتة للجميع آلية قضائية مثلا والقضاة فيها لابد أن يكونوا مستقلين وغير قابلين للعزل وغير قابلين للمناقشة، وأن يكونوا هم فوق الجماعة وليس الجماعة فوقهم، هذا ما وصلت آلية حتى مجتمعات العالم التالت وأعتقد أن الإخوان ستلحق بهم قريبا، أنا أتوقع ذلك وستحقق قدرا من التقدم قريبا، نحن في مصر نقيم دعوى ضد رئيس الجمهورية، ونطلب إلغاء قراره، ونعلم رئاسة الجمهورية بالحكم، وننفذ الحكم غالبا ورئاسة الجمهورية تلتزم فمن غير المعقول أن تكون الجماعات الإصلاحية أقل مما يطالب بإصلاحه.. فلابد للإخوان أن تتخطى هذه المرحلة قريبا إن شاء الله وهذا ما أتوقعه.

* هل تلتمس لقيادات الجماعة العذر في إخفاء ملفاتها الشائكة والملغومة عن قواعدها وعن الجمهور، وهل ترى مبررا لهم في ذلك؟

** كل الأوضاع لا تجعل مبررا لأحد ولا تدين أحدا، فالأمور كلها في لخبطة أنت لا تتعامل مع الأمور بمنطق ثابت؛ يعني الأوضاع الأمنية عنصر، وجود مفهوم واحد يخالف مفهوم آخر عنصر، كثرة سنوات المحن عنصر، التطور السريع للإجراءات الاستثنائية عنصر، كل هذه عناصر تجعلنا لا نطالب أحدا بشيء، لكن تجعلنا نتمنى، وإنما صاحب المحنة فقط هو أكثر الناس قدرة على قياسها، فهو عليه أن يراقب ربه إذا ما كانت العناصر الخارجية تمنعه من أن يقيم نظاما على النحو الصحيح من عدمه، هذه الأمور نتركها لضمير الجماعة وليس لنقض الأفراد؛ يعني لا تستطيع أن تطالب الجماعة بميزانية تعلن عنها في الوقت الذي هم أكثر الناس على قياس هذه المسألة فكيف نطالبهم في ظل محكمة عسكرية إزاي إحنا في قضية النقابات المهنية أخذونا عشان بناقش الانتخابات اعتبرت هذه جريمة في وقت من الأوقات فلان النظام الموجود ليس له أسلوب واحتد في التعامل فأنت لابد أن تعذر كل الجماعات المستضعفة...

* هل تعتقد أن الإخوان لديهم رغبة حقيقية في إنشاء حزب؟

* أنا لا أعتقد أن الإخوان هتشكل حزب لو شكلت حزبا معناه أنها غيرت المفهوم الأول وبدأت تدخل في المفهوم الثاني الإستراتيجي اللي تحدثت عنه في البداية وهو مفهوم صنع رجال دولة، هاتان إستراتيجيتان: إستراتيجية تعامل مع دولة عسكرية مع جماعة مستضعفة، وهذه لا تقيم حزبا. الإستراتيجية الثانية: وهي إستراتيجية صناعة رجال دولة لإدارة أمور شعب وهذه تقيم حزبا فإذا فكر الإخوان في إقامة حزب بمواصفات وحطلي تحت بمواصفات خط أحمر يعني أنها انتقلت من المفهوم الأول إلى المفهوم الثاني.. عشان كده بقولك الإخوان لا يفكرون في إنشاء حزب.

* قلت قبل ذلك إنه لو أنشأ الإخوان حزبا سأكون أول الساعين لرئاسته؟

** لو...

* ولكنهم وضعوا برنامجا للحزب فعلا.

** عندي برنامج ٨٦ أنا أحد الذين وضعوا البرامج، فأول برنامج أن ساهمت في وضعه مع الأستاذ صلاح شادي رحمة الله عليه، وما زالت المسودات بخط يدي موجودة.

* لكن ألا ترى أن في إنشاء حزب للإخوان أو الاعتراف بهم كجماعة شرعية، وألا ترى معي أن هناك مشكلة بين الأقباط والإخوان ستتصاعد في حالة وجود حزب لهم؟

** هناك مشكلة، هناك جفوة وهذه الجفوة صناعة النظم السياسية التي تريد إقصاء الطرفين عن بعضهم البعض، هناك جفوة وليس هناك إستراتيجية من الطرفين لإزالة هذه الجفوة، هناك شعارات وليس هناك خطط، والجفوة ستظل دائما سلاحا في يد الحكومة تستخدمها عندما تشاء أو قل بمعنى أصح إنها سلاح في يد أميركا لكن الجفوة موجودة والشعارات لا تزيلها وعلينا أن نضع خطة من الطرفين؛ لأن الطرفين يتجهان إلى السلوك الديني وعليهم أن يبحثوا عن مفهوم الوحدة في الدين، وعليهم أن يتحدوا فعلا؛ لأن الوحدة بالنسبة لهم معركة بقاء، وهذه الجفوة موجودة قبل قيام حركة الإخوان المسلمين، وحتى قبل ازدهارها في الأربعينيات وحتى قبل عودتها في السبعينيات الجفوة كانت موجودة، والمسلمون لم يستغلوا وجود يوسف القرضاوي لأنه عقلية نادرة المثال، والمسيحيون لم يستغلوا وجود البابا شنودة لأنه عقلية نادرة المثال.

(الإخوان بين رجال الدولة ورجال الدعوة) في الحوار الثاني مع مختار نوح[1]

- ما تحليلكم للمشهد الجاري أحداثه الآن داخل جماعة الإخوان المسلمين؟

- سبق أن أشرنا لهذا المشهد في عدة أبحاث نشرت جميعها في الدستور، عدا واحد منها نشر في جريدة صوت الأمة، وكانت كل هذه الأبحاث تؤدي إلى طريق واحد أن إستراتيجية الجماعة الآن لابد أن تختلف باختلاف الأهداف.

فهدف الجماعة كان في وقت ماض هو صناعة رجل الدعوة، بينما تراجع هذا الهدف في هذه المرحلة، وأصبح رجل الدعوة في خدمة المنظومة السياسية، وخدمة فكرة التمكين، والانتشار في المجتمع، فهذه إستراتيجية وتلك إستراتيجية، وبالتالي ما كان يصلح لإستراتيجية صناعة رجل الدعوة يختفي بظهور الدعوة في كل بيت وفي كل مكان وفي الفضائيات، حتى أصبحت الدولة تدافع عن السنن الإسلامية أكثر من الشعب، وأكثر من المواطنين، وفي بعض المساجد قد تجد مئات من المصلين، ولا تجد الدعاة إلا منصهرين في هذه الآلاف التي تصلي، وفي مسجد في الإسكندرية يصلي فيه مليون أعتقد أن الدعوة بذلك قد استقرت في مصر، ويبقى بعد ذلك إستراتيجية تنسيق هذه الدعوة، وتنسيق شكل الدولة التي تقام على فكرة الإسلام، وهذه الإستراتيجية تختلف تماما عن إستراتيجية التنظيمات ونشر الدعوة والحفاظ على الدين في ذاته.

الآن الحفاظ على الدين في بقائه في هيئة منظومة على هيئة دولة، ومن هنا تنبأنا بأن هذا الأسلوب قد يتعرض لشيء من الخلل، ولشيء من الانهيار، فمنظومة إستراتيجية رجال الدعوة تقتضي الحفاظ على التنظيم بصورة مختلفة إلى حد كبير، وإلى أن يكون الخلاف حول من هو أكثر ولاء للتنظيم، إستراتيجية رجال الدولة تختلف، صناعة أفراد

(١) أعد هذا الحوار للنشر على شبكة إسلام أون لاين وحالت أزمة الموقع الشهيرة دون نشره.

ربما لا ينتمون للتنظيم ولكنهم قد يفيدون التنظيم أكثر ممن هم أكثر ولاء للتنظيم، هذه إستراتيجية، وهذه إستراتيجية، هذه تحتاج إلى تصرفات وهذه تحتاج إلى تصرفات، ومن هنا يحدث نوع من التوتر الفكري، هدفنا فكرة الدعوة بمفهومها المحدود، والذي أصبح الآن منتشرا في البيوت وفي الأعماق.. نحن نكون في خدمة الدولة إذا قدمنا نموذجا للدولة المدنية التي تحمي المرجعية الإسلامية.

- لكن الجماعة بالفعل تقوم بصنع رجال الدولة، وإلا لم شاركوا في الحياة السياسية المصرية وفي البرلمان؟

- طبعا استقر الوضع على أننا لابد أن نقدم نموذجا للحركة؛ لأن الإخوان في الحركة قرروا الاشتراك في الانتخابات، والدخول بأكثر من الثلث معناها أنهم يقولون إننا سنسقط الوزارة لأن الثلث هذا شيء مهم جدا في الدستور يمنع رئيس الجمهورية من ممارسة كثير من اختصاصاته؛ إذا نحن الآن نتحدث عن رجال دعوة، ومع ذلك ما زالت إستراتيجية الإخوان إستراتيجية رجال الدعوة تقديم الأقرب والأكثر ولاء والحفاظ على سرية الأمور والحديث، من هنا نشرت وقلت إن المسألة هي اختلاف مفاهيم القائمين على أمر الدعوة الآن عندهم مفهوم غير الذي يجب طرحه في عام ٢٠٠٩، وبالتالي يحدث نوع من التجميع للمفهومين، مفهوم يجمع لنفسه ومفهوم يجمع لنفسه، وينتصر من يجمع أكثر، ومن هنا كانت المشكلة أنه انتصر من جمع أكثر، وهو لا يعني حتما أن من استطاع أن يجمع أكثر في مكتب الإرشاد هو الأصح، إنما الحقيقة الذي جمع أكثر هو الذي ينتصر، وما كان مستورا أصبح مكشوفا الآن.

- لكن "لا تجتمع أمتي على ضلالة" هذا ما كتبه رجال الجماعة التربويون في مقالات لهم كما وزعت منشورات على القواعد الإخوانية تحمل نفس المعنى؟

- لم يقل أحد غير هذا، لا تجتمع أمتي على ضلالة، لم يقل أحد غير هذا، لكن من قال إن اختلاف الرأي يجعل الرأي الآخر ضلالة.. ونحن لا نختلف حول القرآن والسنة، ولا نختلف حول المعلوم من الدين بالضرورة، ولا حول قيام الليل، نحن نختلف حول طريقة العمل في حركة فكرية، هذه مسألة قد يجتمع الكل فيها على خطأ، وليس على "ضلالة".

- في إحدى هذه الرسائل أيضا شبه كاتبها ما حدث لعصام العريان بعزل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لخالد بن الوليد؛ لكي لا يفتن الناس به من جهة، ولكي يحث القواعد على الطاعة كما فعل خالد مع عمر؟

- أنا لا أعلم شيئا عن هذه الرسالة، ولم أقرأها؛ لكنني سمعت كلاما مثل هذا حينما ناقش البعض سبب تجميدي، وهذا الكلام يقال عند كل موقف يحدث فيه أن يستبعدوا أحد الأشخاص، لكن القضية ليست قضية عصام العريان، أنا ألاحظ أن الكلام كله انصب على مسألة وجود عصام العريان وجودا وعدما، العريان ليس هو المشكلة، هذا تبسيط للمشكلة، القضية أن الجماعة في احتياج لفرسان في هذه المرحلة لطبيعة هذه المعركة، فعندما تكون المعركة معركة مدفعية يحتاج الجيش لرجل مدفعية، وعندما تكون المعركة معركة علم وكمبيوتر يحتاج الجيش لرجال كمبيوتر، فالمعركة تحتاج إلى فرسان من هذه النوعية، ليس بالضرورة عصام العريان، لكن لو أضفنا العريان مع ٥٠ رجلا آخرين فلابد من استدعائهم لمواجهة المرحلة التي تمر بها الدعوة.

مكتب الإرشاد لم يعد هو المسئول عن حركة جماعة الإخوان المسلمين، الإخوان ملك الشعب، وملكية الشعب تحتم على مكتب الإرشاد أن يكون في خدمة الفكرة، وليست الفكرة في خدمة مكتب الإرشاد، فلا داعي للحديث عن قضية خالد ابن الوليد؛ لأنها ليست مطروحة؛ لأنه غير مطروح عزل إنسان من أجل ألا يفتن

الناس به، المقصود قضية العزل ذاتها، وليس قضية عزل الناس قضية عزل إنسان حينما تطرح نتحدث عن خالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح مع اختلافي في الاستدلال بهذا الحديث، لكن المطروح ليست قضية عزل العريان، المطروح هو قضية العزل بصفة عامة، حينما نكون بصدد قضية عزل فرد حينئذ لا مانع من الاستدلال الخاطئ حتى بقضية خالد بن الوليد لكن حين تقوم بعملية العزل والإقصاء وتفضيل الولاء قبل الكفاءة، فالمسألة تحتاج لإعادة دراسة الإستراتيجية ليست مثالا فرديا يحتذى به..

أتحدث مثلا عن استبعاد الشيخ الغزالي؛ لأن الشيخ الغزالي فرد له مشكلة، إنما يكون الاستبعاد استبعادا لأصحاب فكرة، أو استبعادا لجيل بأكمله، أو سياسة لا تستقدم الكفاءات المناسبة للمرحلة يكون الحديث حديثا سياسيا وليس حديث استبعاد.

- الكثيرون حتى من داخل جماعة الإخوان لا يعرفون الفرق بين محمود عزت وبين عصام العريان؛ بسبب خطاب القيادة الذي لا يمل من تكرار مقولة "الوحدة الفكرية الجامعة للإخوان" التي اقتنع بها كثير من القواعد.. ما الفرق بين هذين المنهجين؟

- القواعد الآن فيها هذين المنهجين؛ لأنه تسرب إليها هذا المنهج المفتوح شئت أم أبيت؛ ولأنه عنصر من عناصر التطور الزمني الذي يطغى على العقل البشري أو يفوق قدرة العقل البشري على مقاومته، هذا نوع من التطور الطبيعي، فلغة خطاب تختلف، فارق بين دعوة عمر التلمساني الذي بدأ بنشر فكرة سنة الصلاة في الخلاء مثلا، وانتهى إلى فكرة إقامة الدولة الإسلامية في سنواته المعدودة، بدأ في نشر السنن وانتهى إلى الحديث عن الدولة الإسلامية، حيثما انتهى عمر التلمساني إلى ذلك فإن الجيل الذي يأتي بعده لابد أن يبدأ من حيث انتهى التلمساني كمجدد لهذه الدعوة الآن، نفس الأمر بعض الأفراد ينهجون نهجا في العمل يرون فيه التنظيم أولى من

فكرة رجال الدولة، أو صناعة رجال الدولة، هذا منهج له احترامه، وأنا أؤكد لك أن هناك من الأسماء التي اقتربت من السبعين مثل الدكتور محمد بديع من يؤمن في حركته -وأنا شاهدت تحركه داخل السجن ٣ سنوات- في غاية النضج والتطور، ولا أعلم له قيودا في ذلك إنما هذه مسألة لا تقتصر على أشخاص، وإنما توزع على مفاهيم، منهج يغير من إستراتيجية العمل التنظيمي إلى أن يجعله في خدمة دولة ومنهج يجعل التنظيمي في خدمة جماعة، فرق بين الاثنين كبير أن تكون في خدمة دولة مثلا يسخر التنظيم كله لشخصية مثل أبو العز الحريري رغم أنه يساري، لكنه أفيد للدولة ولفكرة الإصلاح من عشرات بل ومئات آخرين قد ينتمون للفكر الإسلامي، قضية أن تسخر جهدك ومالك في خدمة الدولة المسلمة، والفكرة الإصلاحية بصفة عامة، تختلف عن أن يكون جهدك ومالك لخدمة التنظيم، وبالتالي أنت تستطيع أن تنتقي للبرلمان المصري أكثر من ٨٠ عضوا أفيد من الموجودين الآن، وتختار من الإخوان ١٠ فقط بمعنى أن تنتقي الكفاءات حتى ولو على حساب الفكرة التنظيمية؛ لأنك تبذل لنهضة دولة مصر هذه الفكرة تختلف عن فكرة تسخير إمكانات التنظيم للإبقاء على التنظيم، كذلك أنت من الممكن أن تنشر دعوتك لكي تكسب حدودا بينك وبين الآخر فكرتك التنظيمية تضع حدود بينك وبين الآخر حتى لا تذوب فيه هذا منهج وهذا منهج، المنهج الشعبي لخدمة الدولة يدفعك أن تذوب في الآخر بأفكارك؛ لأن الآخر أصبح مسلما أكثر منك تذوب في المجتمع بكل فئاته، تنتقي منه الأفراد، وتدافع عنه؛ لأنه في أدائهم أفضل منك، وهذا واضح في نقابة الأطباء والمهندسين، إن هناك من يؤدي في النهاية أفضل منك.

- هذه نظرتكم لهم، لكن ماذا عن نظرتهم هم لكم.. ألم ينظر لكم على أنكم برجماتيون وأفراد "لم تربى دعويا"، وهو معنى خطير في أدبيات الجماعة لقد صرح لي محمد

سعد الكتاتني بعد انتخابات مكتب الإرشاد التكميلية بأن سبب إسقاط العريان "ربما يكون بسبب تصريحاته بشأن إسرائيل".

- أنا لا أعرف ما هي رؤيتهم لنا.. لكن فكرنا أو فكر الذين يرون أن الإستراتيجية الآن إستراتيجية رجال الدعوة يرون من حق كل إنسان أن يختلف في الرأي حتى داخل الجماعة يرون ذلك.

وأرى أن عصام العريان إذا قال ما قاله، وإذا افترضنا ذلك فإنه يحترم لأنه رأي لا ينبغي أن نقول إنه أسقط بسبب ذلك رأيه هذا خطأ، وإنما يسقط إنسان بسبب صدقه، وهل معنى هذا أننا لا بد أن نكون على رأي واحد، هذا مخالف للقرآن والسنة ولسنة الخلق، أن يكون الإنسان على رأي واحد، فالذي يتفق بالعبادة الصحيحة أن تدلي برأيك ولو مخالفا لأكثر الناس، هذا ما صنع النهضة، كل نهضة إنسانية صنعت برأي مخالف، وأنا لا أعرف ما قاله العريان لكنني على استعداد أن أدافع عنه؛ لأن هذا حقه في أن يقول، وحقي في أن أرد عليه، فلا يوجد شيء اسمه رأي خاطئ، وإلا لم جعل الإسلام للمخطئ الذي ثبت أنه أخطأ أجر، هذا معناه أن إبداء الرأي في حد ذاته واجب شرعي، لابد أن يقدم، هذا مناخ ربما مجموعة في الدعوة ترى أنه قد يؤدي إلى مفسدة "بحسن نية"، هم يرون أن هذا المناخ من الدعوة واختلاف الرأي والانطلاق قد يؤدي إلى مفسدة، وهي ضعف التنظيم وتفككه، قد يرون ذلك لأن مفهوم التنظيم عندهم يعني قوة الإحكام والتحكم، وهذا رأي له حسن نيته، لكن عليه أن يضع آلية صادقة تعبر عن رأي (أمتي)؛ لأنه حينما أختزل أمتي في عدة أشخاص أكون قد ظلمت أمتي؛ لأني لكي آخذ تعبيرها الصادق فلابد أن أجمع الناس، وأقول لهم يا معشر أمتي ماذا ترون في كذا وكذا؟ أو أضع لهم الآلية التي من خلالها أسألهم يا معشر أمتي ماذا ترون في كذا وكذا؟.

- أصحاب هذا المفهوم الذي تحدثت عنه كادوا أن يهدموا المعبد على من فيه حتى لا يدخل العريان مكتب الروضة، هكذا بدا للجميع مع أنهم حاولوا أن ينزعوا من المشهد عنفوانه حتى لا تداهم قواعد الإخوان الكوابيس، وهم يغطون في نوم عميق.. لماذا كل هذا ولماذا "لا للعريان"؟

- أنا لا أستطيع أن أشرح وجهة نظرهم، لكن أستطيع أن أشرح وجهة النظر التي من الممكن أن تقول لا للعريان وهذه مقدمة مهمة.. الذي يقول لا للعريان مع أن العريان يدافع أحيانا عن كثير من الأخطاء، وأنا اختلفت معه في كثير من الأشياء يعني عندما دافع عن فكرة الحزب وعن مشروع الحزب رغم أنه يعلم أن هناك أفكارا في البرنامج لابد أن يجهر بها، ونقول إننا لا نوافق عليها لأننا كجيل مسئولين عن أفكارنا وليس أفكار الغير، لكنه مع ذلك ظل يدافع عن هذه الأفكار، وهذا خلافي مع العريان، لكن اتفاقي معه أنه شخصية مثل النحلة تأخذ من كل زهرة رحيقا، ثم يعطي في النهاية فكرا جديدا، هذا النوع من الناس ربما لا يكون من الناحية التنظيمية من النوع المرغوب فيه، وربما يكون؛ لأنه من النوع المنفتح بشدة على أفكار الآخر.

أنا أؤكد لك أن هذه طبيعة العريان، وطبيعة جيل بأكمله ليس جيلا عمريا، بل جيل فكري وطريقة تفكير، وهكذا كان العريان في البرلمان أيضا له علاقات وصداقات ونقاشات، وكان يستطيع أن يحل المشاكل من خلال علاقاته مع الآخرين، وإقامة علاقات جيدة، وأذكر ونحن نتأهب لصلاة الظهر في مكتب الدكتور رفعت المحجوب اختار المحجوب من بيننا عصام العريان كي يؤم الناس في حجرته؛ لأن العريان محبب للآخر، بحكم ما يتبسط معه حتى في الأفكار، ويلتقي معه في نقاط.. قلت اتفاقي معه واختلافي أيضا، لكن هذا لا يقلل من حبي له، بل يزيد بل أجمل شيء أن نختلف، وأن نخرج من اختلافنا الشيء الجديد، وهذا الرأي الثالث.

- أنا أريد أن أعرف السر الذي جعل أعضاء مكتب الإرشاد يفضلون أزمة كارثية على الجماعة على ألا يدخل العريان إلى مكتب الإرشاد؟

- مشكلة عصام العريان هي أبسط المشاكل التي ربما أحدثت ضجة صحفية؛ بسبب موقف الأستاذ عاكف وتحمسه، لكن هناك أشياء أشد ما يجب أن تناقشه الجماعة هو مقال حامد الدفراوي، أعتقد أن هذا أمر خطير لو صح لكانت كارثة على الجماعة أن تناقشه ببساطة، فإذا كان هناك خطأ صححوه مثل عدم وجود الآلية الديمقراطية الحقيقية آلية الشورى، أنا لا أعرف شيئا عن دخائل الجماعة الآن، وأنا أؤكد لك على هذا المعنى، لكن إذا كانت بالشكل الذي وصفه الدفراوي لكانت كارثة عليك أن تحقق، وعليك أن تعرض هذه الأمور على جمهور المؤمنين بك؛ لأن الجماعة ليست محصورة في الآلاف التي تنتمي إليها، إنما هي محصورة في الملايين التي جعلتها الأمل فلابد أن تصارحها، وإنها هي في سبيل تصحيحها للأمور ما دام أن الأمر قد طفا على السطح، فكل يشاهده بمنظوره، وعلى الجماعة أن تجري تصحيحا لكل ما هو مستور.

- حقا إنها مأساة أن يصفى جيلكم الذي كان له الدور الأكبر في التأسيس الثاني للجماعة، كان جيلا له حلم لكنه الآن خارج السياق بعد أن شارف على الستين، ووقعت الجماعة في قبضة "رجال المفهوم الآخر" الذي يتحكم الآن في مفاصل الجماعة وضاعت مكتسباتكم وضاع أيضا الحلم؟

- التصحيح يأتي بقدر، فإذا كان أمر الدعوة سيكون بخير على أيديهم فسيكون بخير، وإن لم يكن سيقيض الله لهذه الدعوة أمر رشد، المسألة لا تحتمل صراعات إذا اختلف إنسان مع إنسان ورأى أنه المتحكم في الأمر فليترك له الأمر ببساطة؛ لأن الأمر لا يعنيني، ولأن هذه الدعوة ملك لله فهو الذي سيرتب أمورها، وننزع يدنا

من الصراع لأن الصراع يحمل معنى الانتصار للنفس، إنما هنا عليك الانتظار والانتظار؛ يعني أن تنتظر حكم الله في هذه المسألة.. هذه مسألة غيبية تتناقض مع مفهوم النضال لكن يكون الأفضل دائما الحفاظ على وشائج الجماعة أفضل من الانخراط في تفتيتها، أنا أفضل أن يكون الصراع نقديا من الخارج أفضل من أن يكون من الداخل يضعف الجماعة، وليس من المصلحة أن تضعف الجماعة التي مرهون عليها أمر إصلاح الأمة.

- شيء ما حدث قلب النظام على الإخوان، فمنذ أن خرجت من السجون وحتى مطلع التسعينيات لم يوجه لها النظام أية ضربات، هل ترى أن هناك في الجماعة من تسبب في الأزمة، أم إن النظام هو الذي انقلب من تلقاء نفسه، أم إن هناك شيئا غامضا؟

- النظام يحتاج للجماعة احتياجا شديدا؛ لأن في وجود الإخوان سر بقائه، وسر حمايته من أمريكا ودول الغرب، فالنظام يحتاج إلى وجود الإخوان، هذا يفسر لك أشياء كثيرة جدا، لكن الإخوان ليس في حاجة إلى من يأكله، إنما هو في احتياج إلى من يساعده لا إلى من يأكله؛ بمعنى أنك من الممكن أن تسمح للإخوان بالبقاء كفزاعة تخيف بها الغرب، وتخيف بها العالم؛ لتجعلهم يساندونه في الحكم لأقصى درجة؛ لكن في ذات الوقت لابد أن تحافظ طيلة الوقت على هذه الفزاعة في صورة فزاعة، وليس في صورة بديل، صورة الفزاعة هي شكل قوي، أما البديل فهو كيان متكامل يأكلك ويقضي عليك في لحظة.

هذه هي فلسفة النظام في التعامل مع الإخوان، هو يبقيها بل ويهتم بإبقائها ليستخدمها كفزاعة لأقباط المهجر، وللأقباط المحليين ولدول الغرب ولأمريكا والعلمانيين؛ لذلك فهناك ذر إذا أراد النظام تحجيم الإخوان يضغط عليه فيبدأ العلمانيون في الصراخ فليسقط النظام الديني، وكل منهم يرفع الشعار، ويندمج

الحزب الوطني في الحديث عن الإخوان، وكأنهم قد ظهروا بالأمس فقط لماذا؟ لأن هذه هي سياسة تقليم الأظافر والإبقاء على الفزاعة لاستخدامها، هنا لابد للإخوان من إستراتيجية.

- الإخوان يقولون إن لهم إستراتيجية وهم "شاكرون لمن ينصحهم" يعني بأدب "هم أدرى بشئونهم"؟

- ليس للإخوان إستراتيجية حاليا.. الإخوان الآن تحتاج إلى إعادة بحث ودراسة حتى لا تستخدم.. في سنة ٩٠ كانت الدولة تحتاج إلى الشكل الديمقراطي لتثبيت أركان نظام قائم بدأ في عام ٨١ وكان يحتاج إلى ٦ سنوات من الاستمهال والروية، هذه السنوات الـ٦ انتهت بانتخابات ٨٧ وكان مهندسها مجموعة من السياسيين على رأسهم رفعت المحجوب، فترة تظهر فيها الدولة بصورة الدولة المستقرة أمام الغرب، وتطمئنهم على مصالحهم، وتسيطر على أطراف النزاع حتى إن الحكومة تحولت في معاملة الجماعة الإسلامية بعد أن كان الذي يفرج عنه يتم توصيله إلى بيته في ذات اليوم الذي ينهي فيه مدة الحبس تحولت سياسة الدولة بعد عام ٩٠ بعدما استأسدت أصبحت تصفية الحركات الإسلامية، فبدأ اعتقال الجماعات الإسلامية أبد الدهر، حتى وصل اعتقال البعض إلى ٢٠ سنة، أما الإخوان فتمت مواجهتهم بالمحاكمات العسكرية بعد قضية سلسبيل التي عرفت فيها الدولة قوة الإخوان، وأمسكت بالأسماء، ووزنت الأمور وزنا دقيقا، فتم بعد ذلك في عام ٩٥ أول ضرباتها باستخدام القوانين الاستثنائية معتمدة على تأييد الغرب لها، وذلك بعدما سلم الغرب أن قوة الإخوان المسلمين في سلسبيل تساوي ٨ أو ٧ فكان لابد للنظام أن يصل بقوة الإخوان إلى ٣ أو ٢ مرة أخرى فبدأ في سلسلة المحاكم العسكرية التي قضت على أكثر من ٣٠٠ كفاءة في ٤ سنوات، إضافة إلى إعجازه ماليا.

- هذا لأن الدولة اكتشف تنظيما سريا بعد أن أتاحت للجماعة حرية الحركة والعمل، إلا أنهم ما لبثوا أن عادوا مرة أخرى للعمل السري، ومحاولة الانقلاب على الدولة، هذا بالإضافة إلى ميراث العداوة بينها وبين الجماعة، وكنتم أنتم كجيل ضحية دفع الثمن غاليا؟

- الاعتقاد بأن الدولة اكتشفت هو اعتقاد مضحك يمكنك مراجعة قضية الإخوان المسلمين في عام ٨٣ المتهم فيها المرحوم أحمد توفيق كنزي، والمتهم فيها محمود عزت، وفيها اعترافات كاملة بوجود التنظيم، وأعقبها قضية الدكتور أبو بكر بعام أو عامين، وفيها أيضا مذكرة معلومات دقيقة تتحدث عن التنظيم فلا تحدثني عن أن الدولة فوجئت، الدولة لا تفاجأ، الدولة تستخدم وفي عام ٨٣ يمكن الرجوع إلى مذكرة المعلومات الموجودة ويمكن الرجوع إلى التفصيلات التي في القضية

- لكن لماذا العمل السري أصلا؟

- هذا السؤال لا يخصني الذي يخصني أن الدولة على علم، وإنما هي تستخدم هذا العلم في المواسم والإخوان هم الضحية؟

- عندما سألت عاكف لماذا فتح لكم النظام الباب ثم أغلقه، أجاب بأن هناك رجالا حول الرئيس لهم مصالحهم مع الصهاينة والأمريكان لا هم مبارك ولا جمال هم من يتآمر ضد الجماعة، وأكد أنه سيكشف عنهم قريبا إذا تأكد من ذلك، ثم صرح عاكف قريبا لإحدى الصحف بأنه كان هناك اتفاق بين الإخوان وبين شخصية هامة في النظام على أساسها تم دخول الإخوان انتخابات ٢٠٠٥ بعدد معين.. ما تعليقك؟

- عندما تكون هناك صفقة تكون بين الأمن والإخوان؛ لأن النظام لا يعقد صفقات مع الإخوان أبدا، هناك فارق.. وهذا أيضا ضمن شروط الفزاعة، وهو أن المستخدم

للفزاعة لا يتفق مع ولا يجلس مع هو يحركها عن طريق آخرين هو يرفعها في حين ويخفضها في حين آخر، ولذلك النظام لا يتعامل مع الإخوان إلا عن طريق الأمن؛ لأنه لا يريد أن يكون هناك ندية أو بقاء للإخوان في صورة طبيعية، وإلا تحول الإخوان من فزاعة إلى كيان رسمي، وهو لا يريد ذلك.

- ما رأيك في حديث سيد عبد الستار المليجي عن التنظيم السري في الإخوان هل أنت مع ما قال أم ترى أنه توصيف مجاف للحقيقة؟

- أنا لم أقرأ ما قاله عبد الستار المليجي وأعتبره صورة من صور الهروب بأدب.

- هل كانت هناك عملية إقصاء منظم لجيلكم؟

- يمكن هناك إقصاء، لكن إقصاء مرجعيته فهم، وليس مرجعيته نفس أمارة بالسوء هو نوع من أنواع الإقصاء؛ أي تنظيم يشعر بأنه في خطر يحاول الحفاظ على نفسه بهذه الطريقة، نحن نختلف معهم في أنه ليس هناك خطر، وأن هذه الطريقة لم تعد صالحة، هو خلاف في وجهتي نظر، هم يرون الحفاظ على التنظيم بهذه الطريقة.

- هل أصبتم بالإحباط؟

- لا أدري، لكن أنا شخصيا لم أصب بالإحباط، بل أنا أعتقد أن الإصلاح قادم خلال عامين، وسيتغير وجه الجماعة تماما خلال عامين.

- ألا يمكن أن تتلاشى وتزول؟

- دعوة الإمام حسن البنا -كما يقولون- دعوة جاءت لتبقى.

- اعتقاد أن الجماعة ربانية يخلق لديها شعورا أنها فوق السنن الإلهية التي تقضي بالأخذ بالأسباب الدنيوية.. هناك دعوات ربانية تلاشت قبل أن تحقق أهدافها الإصلاحية.. هل أصيبت جماعة الإخوان بالغرور الذي يمكن أن يقضي عليها؟

- التنظيم يزول، لكن الفكرة تبقى، أفكار محمد عبده ورشيد رضا والأفغاني وحسن البنا، هؤلاء مجددين.

- لكن هذه أفكار كانت متميزة في عصرها، لكنك قلت إن الدعوة والتدين أصبحا سمتا مجتمعيا، ومن هنا تذوب الفوارق، وهناك جمود الآن، ووقوف عند مرحلة زمنية انتهت؟

- حسن البنا في كتاباته أشار إلى أنه حينما تترسخ الدعوة فلنبحث عن الدولة، ارتق بنفسك فوق مستوى الجميع، دعوة حسن البنا دعوة تشمل مجتمعات وسياسات دول وعالم (أستاذية العالم)، فهي دعوة كبيرة، أستطيع أن أقول لك إنه قد يتغير الأشخاص حينما يزول الأشخاص، لا يعني هذا سقوط الفكرة، ستبقى وسيرسل الله إليها من يحميها ويحملها.

- على أية أساس تتوقع ورجال الدعوة والتربية يسيطرون على مفاصل الجماعة، واستطاعوا أن يجبهوا ويجمعوا ضد تياركم.. هناك مؤشرات انزواء وتقوقع؟

- ما تقوله أنت هي المقدمات التي تبني واقعا جديدا.

- هل هي فكرة الانهيار الذي يخلفه بناء؟

- اجعلها ثغرات منظورة، وعلى الأفراد والتنظيمات أن تلحقها قبل الانهيار؛ لأنهم عقلاء.. الأصل أنهم عقلاء، وأنهم يرون، وأنا أبني نظرتي على أن الموجودين عقلاء، وحينما يلحظون أن الأمر يبدأ في الثغرات المفتوحة التي قد تؤدي إلى انهيارات بعد ذلك هم سيلحقون أو سينظمون أمر الجماعة قبل أن تصل إلى الانهيارات المفتوحة هذا ما أتوقعه خلال عامين.

- لكنها ربما لا تنهار، ولكنها تتجمد وتدخل متحف الشمع؟

- هذا الرأي إن لم تؤد الثغرات التي ظهرت دورها في إيقاظ الجميع يمكن أن يتحقق رأيك، لكن أظن أن الثغرات المفتوحة ستنبه الكل إلى مرحلة صعبة.

- هل ترى أن الجماعة ربانية؟

- الفكرة ربانية، لكن الأشخاص ليسوا ربانيين لأنهم يمكن أن يخطئوا ويعصوا ويتآمروا، لكن الفكرة ربانية، وليس الجماعة، وهناك فارق.

- الكل يقولون إنهم ربانيون.. السلفيون يقولون ذلك والصوفيون والجهاديون....؟

- الأفكار الإصلاحية كلها ربانية؛ لأن فكرة الإصلاح ربانية "إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت" فالأفكار الربانية الناتجة عن مرجعية أخلاقية كلها ربانية، الأفراد ينطبق عليهم ما على الصحابة، يخطئون بالليل والنهار.

- هل يمكن أن ينهار التنظيم؟

- طبعا إذا لم تؤد الثغرات المفتوحة دورها في لفت الأنظار، وإلى الخطر، وإذا أصر الناس على مجابهة الثغرات المفتوحة بطريقة عدم الرؤية، وبطريقة النعامة طبعا يمكن أن يحدث انهيار، لكن لا أتوقع أن يتم التعامل مع الثغرات المفتوحة ببساطة؛ لكن أتوقع لأن الفكرة ربانية فسيرسل الله لها من يحميها حتى لو أن الأشخاص القائمين لم يستطيعوا حمايتها واختلفوا، ولذلك نحن ندعوهم للاتفاق، أو ندعو الله أن يحمي دعوته بغيرهم لأنهم ليسوا ربانيين هم عاديون، وليسوا فوق العصمة، وقد يجمعون على رأي وهو خطأ، وقد تقول أنت رأي وهو صحيح.

- كان جيلكم يراهن على تغيرات الزمن لكن كان القدماء متحوطون فجاءوا بجيل من أبناءهم أورثوهم منهجهم وسلموهم مقاليد الجماعة قبل أن يرحلوا.. أليس كذلك؟

- جيد لعل هذا هو التغيير الذي سيحدث لماذا لا يأتي التغيير منهم.
- لكنهم هم الذين رفضوا تصعيد العريان؟
- قصة العريان ليست هو القضية التي ابحثها.
- لكن هو ترمومتر أستطيع أن أصنف من خلاله الإصلاحيين والمحافظين؟
- ليس هذا هو المقياس.. الاقتناع بالفكرة والفكرة المضادة يأتي في لحظة وقد يكون هؤلاء الذين ذكرتهم هم أدوات الإصلاح..أنا لا أعرف من أين يأتي الإصلاح لكن أجزم بأنه سيأتي.. لا يوافق إنسان على أن فكرة ربانية تتعرض لما تتعرض له الآن..فكرة الإمام حسن البنا في تكوين الحركة المسلمة لا يمكن أن يقف منها ألا ويفكر في طريقة الحل والإصلاح لكنا قلقون على هذا وكلنا نسعى للإصلاح.
- ما هي الخطوة القادمة في طريق حل الأزمة.. البعض تحدث عن هدنة مع النظام والبعض الآخر تحدث عن الرجوع للعمل الدعوي والتربوي والبعض تحدث عن تغيير اللوائح وإجراء مراجعات..؟
- أما عن فكرة الهدنة فالنظام لا يهادن إلا إذا وجد أن مصلحته في فكرة المهادنة فالنظام له سياساته التي لا تتغير سواء في تعامله مع الإخوان أو غيرهم.. النظام يحـتاج إلى فزاعة سيخلق الفزاعة الإخوان لو أعادوا إستراتيجيتهم على أساس السكوت الكامل عن العمل السياسي فسيبحث النظام عن فزاعة يقدمها للغرب هذه مسألة لا تحل المشكلة أرى أن نتحدث فقط عن مشكلة الإخوان وليس عن مشكلة النظام مشكلة الإخوان لن تحل إلا أن يقوم اللذين هم متحكمون في الأمر بمراجعة أنفسهم حتى لا يتحملوا أمام الله والتاريخ مسئولية هذا الذي نمر به الآن هم الذين يراجعون وهم الذين يقدمون الحل المسألة لا تحتاج إلى صراع ولا إلى تكتيك ولن يجدوا أي صراع من أحد لا من داخل الإخوان ولا من الذين خرجوا

ولا من الذين جمدوا أنفسهم لكن سننتظر منهم الحل الصادق مع الواقع وأن يجربوا هم الآلية الصادقة في الشورى الحقيقية التي تبدأ من القاعدة بخلق مناخ شوري لأننا لابد أن نقدم للواقع البديل ولابد أن نعرف للواقع أننا فكرة إصلاحية تطبق على نفسها بما تطالب به الآخرين.

- في لقاء سابق لنا بك توقعت حدوث الأزمة فعلى أي أساس توقعت ذلك؟.

- أي (جاكتة) تضيق عليك لابد أن "تطق" لابد أن تتفتق.. فكرة التنظيم الدقيق لابد أن (تطق) الآن لا تصلح للواقع الذي نحن فيه قد تبتكر فكرة تنظيم خاص وحركة عامة مفتوحة لا تسيطر عليها أنت تتركها لكي تسيطر هي على المجتمع، وقد تطبق هذه الفكرة أو تطبق فكرة تركيا أو حماس جزء عسكريا وجزءا شعبيا، وقد تطبق أي فكرة المهم الاكتفاء بفكرة التنظيمات في عصر أصبح هناك ٢٠ مليون مواطن دون أن تصنع رجال الدولة الشعبيين، أعتقد أن هذه الجاكتة ربما تصاب بفتق ربما هو الفتق الذي حدث.

- أليس ضروريا الآن أن يفض الاشتباك بين التيارات الإخوانية المختلفة داخل الجماعة قبل حدوث الانفجار بدلا من الإصرار على فكرة الوعاء الإخواني الجامع الذي يصهر كل هذه الأفكار في بوتقته؟

- الجهد الذي تبذله بالجهد الذي تستخدمه يخلق إنسانا مسلما يصلي ويصوم ويؤدي النوافل غير الشكل الذي تطلبه لإصلاح مجتمع بسيط يسيطر عليه الفساد والعلمانية والبعد عن الدين والفسق والفجور والرشاوى..هذا شكل وهذا شكل.. أنت الآن بنفس الشكل القديم تريد أن تصلح مجتمعا ساد فيه الفساد فتريد أن تصنع ثورة اجتماعية.. الشكل الأول يصنع ثورة فردية أن الأسرة تصلي وتلتزم، كنت تدعو فردا للصلاة هذا لا يحتاج منك أكثر من ذلك أن تحفظ آيات الصلاة وتخوفه

بالثعبان الأقرع، إنما فكرة الدولة، وفساد يعم دولة، وقروض مسروقة، وأموال منهوبة هذه تحتاج إلى شكل تنظيمي يختلف عن الشكل التنظيمي الأول.

- هل تتوقع أن يتفرع عن الإخوان حزب أو حزبين وتبقى الجماعة دعوية؟

- سيستمر الأستاذ عاكف، وسيعيد النظر في كل الإجراءات، وسيدعو البعض إلى الإصلاح، ومحاولة الجلوس، وفتح نقاشات حقيقية جادة غير النقاشات الأولية، أما ما يحدث الآن من محاولة إرسال رسائل للقواعد، ومحاولة التهدئة، أعتقد أنها ستكون مرحلة، لكن حسب ما يسفر عنه، إن أسفر عن التهدئة الجو والمناخ استقر الوضع لفترة أخرى، وإن لم يسفر بدأ التغيير فورا.

- لكن بدا أن رجال الدعوة في الجماعة يتجهون للحسم لصالحهم؟

- الحسم الظاهري لا يعني الاطمئنان الداخلي، فالنظام المصري قد يلجأ إلى المحاكم العسكرية، لكنه في قرارة نفسه يشعر بأنه يلجأ إلى قرار استثنائي، فصنع محكمة النقض العسكرية ليحاول إرضاء العقدة التي في داخله بأنه يلجأ إلى إجراء استثنائي، ولذلك سيحاول أن يخفف الأحكام لصناعة شكل جيد للقضاء العسكري؛ لماذا لأن لديه عقدة أنه لجأ للمحاكم العسكرية التي تتبع وزارة الدفاع التي تتبع الرئيس الأعلى للقوات المسلحة، هذه العقدة بها حسم ظاهري لكن داخلها قلق.

- كيف ترى مستقبل الجماعة؟

- خلال سنة أو سنتين على الأكثر سيتم التصحيح، وستعود كل الطيور المهاجرة، وستبدأ الجماعة مرحلة جديدة تنفتح فيها على الآخر، وتعيش أزهى أيامها، ويتم فيها تعديل اللوائح، هذه سنة الكون، أنا أتنبأ بذلك خلال عامين، وسترى تغييرا كبيرا.

التنظيم السري في الإخوان وهم أم حقيقة؟حوار مع سيد عبد الستار المليجي[1]

لا شك أن ما طرحه في كتابه (الإخوان المسلمون رهائن التنظيم السري) كان صادما للكثيرين، فما قاله القيادي الإخواني سيد عبد الستار المليجي من أن هناك تنظيما سريا استولى على القيادة في الجماعة فاجأ الكثيرين.. فهل اكتشف الرجل هذا التنظيم وحده فجأة أم أنه فسر الاحترازات الأمنية من قبل بعض قيادات الجماعة باعتبارها امتدادا لهيمنة الجهاز الخاص الذي يكاد يجمع الكثيرون على أنه صار من الماضي بعد أن طوت الجماعة صفحته عبر تجربة أليمة منذ عدة عقود؟

ضيف الحوار الدكتور سيد عبد الستار المليجي يؤكد أنه ليس أول القائلين بذلك، وأن هناك آخرين يشاركونه ذات الرأي، لكنهم يخشون الإعلان عن أسمائهم.. كما نقلنا له وجهة نظر منتقديه في أن لغته تفجيرية ملغمة بعيدة عن لغة الإصلاح، فأجاب بأن الوضع في الجماعة لا يحتمل الانتظار؛ لأنه لو لم يتم إصلاحه فسينفجر حتما.. كما تطرقنا معه للنواحي الأخلاقية التي لا تجيز له أن يكشف أسرارا تنظيمية كان مستأمنا عليها بحكم موقعه التنظيمي، فكان رده أنه اكتشف فجأة أن كل الأسرار التي كان يحتفظ بها تعرفها الأجهزة الأمنية بكل تفصيلاتها، فعمن يكتم السر؟

هذه الأسئلة وغيرها طرحناها على القيادي الإخواني المعارض -كما يحب أن يلقب- ردا على ما طرحه في كتابه الذي لم ينشر بعد :

- كتابك جاء متناغما مع الحملة الإعلامية على الجماعة، وكأنه نوع من تصفية الحسابات الشخصية بينك وبين القيادات التي كانت وراء استبعادك من العمل التنظيمي الفاعل في الجماعة، وهمشت دورك؟

---

(١) (نشرته شبكة إسلام أون لاين نت) .

- الكتاب يجيء في مصلحة الإخوان، وليس ضدهم كجماعة بصفة عامة.. فهو دفاع عن جماعة الإخوان الطبيعية صاحبة الفكر والمشروع الذي يقوم أساسا على التذكير بأن الإسلام له حكم في كل شيء، والذين يمارسون الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، هو على هذا الفارق وهو في كل صفحة من صفحاته دفاعا عن هذا الفريق، لكنه بالفعل ضد مجموعة قد تصل إلى المئات في القيادة، ويمكن تصل إلى ألف في القيادة الوسيطة الذين يمثلون التنظيم السري، أو امتداد التنظيم السري الذي بدأ في الأربعينيات، وتمتد في الخمسينيات وتجدد في الثمانينيات.. هذا منهج تفكير نحن ضده كإخوان مسلمين من الأربعينيات حتى الآن، وليس في الكتاب شيء جديد، الجديد هو عودة التنظيم السري، وبالتالي كان لابد من العودة إلى مواجهته.. الإشكالية أن الإخوان الحديثين لم يعايشوا التنظيمات السرية القديمة، والتي لا يعرفونها جيدا.

- ماذا تعنى بالتنظيم السري؟

- ماذا يعني تنظيم سري؟ هذا باب موجود في الكتاب.. التنظيم السري يعني أن الإخوان تسير في طريقها، ولها مرشدها المعلن، ولها حركتها وتعاقداتها مع الأطراف الأخرى، ثم تأتي مجموعة من الإخوان، وليس من خارجهم، وترى في نفسها أنها أكثر كفاءة مما يجري، فتبدأ في التهامس مع بعضها، وتشكل نواة داخل الإخوان، ثم تفصل وحدها، ثم تبدأ في الإكثار لأنواعها، ثم تحاول أن تكون السيادة في يدها، فيكون هناك صراع من هذه المجموعة والإخوان.. هذا بدأ في عهد البنا نفسه، وتكرر بعد ذلك.

- أنت تستجلب مصطلحا قديما يرتبط في ذهن الناس بأعمال عنف وانقلاب، وهذا ليس له وجود الآن في الإخوان أترى أن هذا ملائما؟

- التنظيم السري له خلايا، وله كل شيء، ما عدا السلاح الذي هو أبسط المسائل، فهو له كل صفات التنظيم السري.. هناك عمل يجري من وراء الإخوان، وجرى من وراء التلمساني، ومن هناك قفز على السلطة وصارع عليها، ثم تحقق لهم الاستيلاء بوجودنا في السجن عام ١٩٩٥.

- لماذا لم يقل هذا إلا أنت؟

- هذه كذبة كبرى.. أنا لست الوحيد، فهناك آلاف يقولون هذا ويكتبون هذا على شبكة المعلومات، ويقولون نحن بالآلاف، لكنهم يخشون أن يتحدثوا في هذا الموضوع، وقد أكون أنا أول المبادرين بفتح هذا الملف.

- أنا لم أقرأ ولم أسمع من يقول إن هناك تنظيما سريا في الإخوان غيرك حتى النظام المصري نفسه لم يدع ذلك، ونفاه الخبراء في هذا الشأن؟

- هذا موجود على الإنترنت، لكن هذا المفهوم للتنظيم السري لابد أن يوضع له تعريف، وأنا عرفته بأنه مجموعة في الإخوان تخرج على القيادة المعلنة، وترى فيها الكفاءة والقدرة أفضل مما هو معلن فتشكل تنظيما وحدها.

- إذن قد يوجد هناك اختلاف في المصطلحات أنت تسميه تنظيما سريا وغيرك يسميه بأي تسمية أخرى أو يوصف الحالة بتوصيف آخر؟

- ليس للكاتب أن يحمل وجهات نظر الآخرين، فله أن يتبنى رؤيته الذاتية ووجهة نظره الشخصية.

- لكن لا شك أن أول من أطلق هذا المصطلح في التاريخ الحديث للإخوان هو المليجي نفسه؟

- في الثقافة الإخوانية هو موجود، أما في العصر الحديث فالإخوان لا يعرفون القديم حتى يعـرفون الحديث، لكن من خلال المشكلات التي أواجهها درست القديم

فوجدت أن الخمسة الذين شكلوا التنظيم السري في الأربعينيات كان أحدهم مصطفى مشهور، وثانيهم أحمد حسنين، وقائدهم عبد الرحمن السندي، ومعهم أحمد حجازي.. الذي تقوله أنت هذا هو فكر الإخوان العاديين الناس يتحدثون عن أشياء لا يقرءون عنها ولم يقدروها حق التقدير.

– الفكرة التي تطرحها لم يدعيها النظام نفسه؟

– اقرأ شهادة محمود عبد الحليم الذي كتبها في السبعينيات.. عندما خرج الإخوان من السجن عام ١٩٧٥ جلسوا ليحددوا طريقة العمل فطرحت ثلاثة أوجه لطرق العمل: الطريقة الأولى: تبناها البعض وقالوا لا تذكروا اسم الإخوان المسلمين مرة ثانية، ولكن ساعدوا الشباب بصفتكم رافدا إسلاميا. وكذا الطريقة الوسط قالت نحن نحمل فكرنا، ولا نحمل الشباب ما قمنا به، لكن لا نقيم تنظيما سريا ولا علنيا، بل تنسيق مجموعة الإخوان الموجودة. الطريقة الثالثة طرحها مصطفى مشهور وأحمد حسنين مرة ثانية، وهى التنظيم السري الحديدي كما كان في الأربعينيات هذا ما قاله محمود عبد الحليم بالنص في كتاب حسام تمام (تحولات الإخوان المسلمين)، واتفق الإخوان تماما على رفض التنظيم السري، وقبلوا الفكرة الوسط على أن يبقى هناك اتصال بالإخوان الموجودين والشباب تحت مظلة توريث الدعوة، وعلى أن الشباب فيه الخير، لكنه لابد أن يحذر من المشكلات التي واجهت الدعوة من قبل حتى يتجنبها، كان هذا هو الحد المتفق عليه، ولكن مشهور وحسنين رحمهما الله لم يقبلا هذه الفكرة واقعيا، وسارا مع الموكب، ثم فعلا ما أرادا من خلف المجموعة، وأنا كنت واحدا من هذا التنظيم الذي تجرى العلاقات معه وتوجيهه من وراء ظهر عمر التلمساني، ولكن من غير دراية مني ولا من غيري؛ لأن الحاج مشهور لم يكن يصرح لنا بهذا، فكان يأخذ البيعة منا نحن نفهمها على أنها للأستاذ عمر التلمساني، وهو يفهمها على أنها لنفسه ولشخصه، فما إن سافر الحاج مشهور للخارج، وانكشف

الأمر، فوجئ بأعداد من الإخوان هو لا يدري عنها شيء، فطالبنا بتسليم أنفسنا إليه، فكنت أول المسارعين؛ لأن هذا هو الأمر الطبيعي.. لماذا يشن على السيد عبد الستار كل هذا الهجوم؟ لأنه سلم نفسه للقيادة الحقيقية عندما جاءت وعندما جاءت القيادة الأخرى المدعاة وقف في مواجهتها، ولم يسلم نفسه لها مرة ثانية.. من الذي سلم؟ لا أحد داخل مصر وإنما التنظيم المستورد هو الذي سلم نفسه الذي استولى على السلطة، والذين كانوا في الكويت وفي السعودية وفي بريطانيا، ولو رجعت للأسماء، وأنا عندي بها كشف كلهم على هذا النحو في هذه الفترة كانوا خارج مصر فتشكل التنظيم في ٦ سنوات خارج مصر.

- ما هو دليلك على أن الإخوان في الخارج شكلوا تنظيما سريا، وأنهم لم يكونوا في داخل التنظيم الإخواني المعروف؟

- دليلي هو الأحداث التي جرت، والتي كادت أن تصل إلى درجة القتال بيننا وبينهم، لكننا لم نكن نتحدث عن هذا، فكانوا يستولون على أماكننا، وعلى إنتاجياتنا، ويوقفون أعمالنا ويشيعون على قسم الطلاب ما ليس فيه، وعلى قسم المهن ما ليس فيه.

- وإلام كان يهدف؟

- في النهاية هم يرون أنفسهم أنهم أكثر كفاءة من غيرهم، وأن العمل السري هو الأساس، وأنه لابد من وجود مرشد حقيقي من غير التنظيم السري.. مرشد صورة يخايل النظام، هذا هو منهجهم في العمل.

- أنا أسأل عن غايته الكبرى؟

- تصوره أن هذا يخدم الإسلام أكثر، ويحقق الأهداف الإسلامية، هم ليسوا أشخاصا سيئين كما يتصور البعض، وأنا أقول إن كل هؤلاء إخوان على الرأس والعين،

وممتازون خلقا ودينا، لكن منهج العمل الذي جربناه ثلاث مرات ونخسر يجب ألا نجربه المرة الرابعة هذه هي الإشكالية.

- أين دليلك على ما تقول.. أنا أريد أدلة؟

- هناك آلاف الأدلة في كتابي.. الأدلة هي صراع يومي، وتزوير في الانتخابات، وإقصاء للأفراد المعارضين لهذه الفكرة في كل محافظة.

- لكن كل هذا يحدث في إطار التنظيم الواحد للجماعة، ولا يعني هذا أن هناك تنظيمين؟ هذا مسئول شعبة، وهذا مسئول أسرة، وهذا مسئول مكتب إداري، وأنت كنت ضمن هذا النظام؟

- لا لم يكن في إطار التنظيم، هذا خطأ منذ عام ١٩٨٥ وأنا لست ضمن هذه التشكيلة.

- كنت عضو مجلس الشورى، وهو ما يعني أنك تعمل داخل النظام؟

- هذا السيستم جاء بالانتخاب، ولكن هذه الانتخابات لم يستفد منها إلا في انتخاب مكتب الإرشاد فقط، وبعدها انتهى مجلس الشورى.

- كل من اتهمتهم بإنشاء التنظيم السري قد ماتوا، ولم يبق أحد لينفي ما قلته؟

- مات بعضهم ويبقى البعض الآخر.

- لا أحد يعرفهم ولا يعرف أسماءهم؟

- التنظيم الآن استولى على مقدرات السلطة في الإخوان كلها.. الآن مكتب الإرشاد الموجود مكون من هذا التنظيم، المرشد العام نفسه واحد من هذا التنظيم السري، والذين جاءوا من ألمانيا وشاركوا في الانقلاب على الموجود.

- إذا كانوا استولوا على قيادة الجماعة فلماذا يبقى هذا التنظيم؟

- أنا قلت إن التنظيم استولى على السلطة في الإخوان وانتهى الأمر.. أنا أتحدث عن خطوات مرت في ٢٠ سنة.. قضية سلسبيل كانت انقلابا على الحكم في الإخوان.. هذه المجموعة التي عملت لنفسها شركة سلسبيل، وحصرت الإخوان وصنفتهم دينيا حسب رغبتها، ثم أدخلت في الانتخابات من تريد وأبعدت من تريد لولا أننا شخصيات موجودة في المجتمع بجهدها كان من الممكن "هرسها" من زمن وانتهينا، لكن الإخوان المطمورين الذين لا يعرفهم الكثيرون الذين ليس لهم أي علاقة بالقرار في الإخوان لم يسمع عنهم أحد شيئا.

-هؤلاء رجال دعوة جاءوا ليزيدوا من رجال دعوتهم لا ليصفوا أبناءها؟

- أنت تتحدث كأنك تتحدث عن ملائكة.. كل الدعوات حدث فيها هذا من قبل.. حدث انشقاق وانقضاض على السلطة من أطراف على آخرين هؤلاء بشر مثل كل البشر.

- هؤلاء يهمهم التوسع في دعوتهم ليأخذوا أكبر قدر من الكفاءات لتنضم تحت لواء دعوتهم؟

- أنا لا أخالف هذا، لكنهم لم يدخلوا أحدا الجماعة، من يدخل الجماعة هم الناس الصالحون من الإخوان ومن الدعاة والوعاظ، من يدخل الجماعة هم الناس الصالحون المنتشرون في الأحياء وفي الجامعات، الدعاة المعلمون، لكن الناس التي لا تجيد كلاما ولا وعظا ولا إرشادا لا يدخلون أحدا الإخوان هم يتعيشون على الموجودين ويتسلطون عليهم.. لو سألت أحدا من الموجودين في مكتب الإرشاد كم أدخلت من الإخوان لن يذكر أحدا؛ لأنه منفصل عن الواقع والمجتمع.

- أغلبية مكتب الإرشاد الآن من الشباب وأفرزتهم قواعد الإخوان؟

- دخلوا بطريقة خطأ؛ لأن مكتب الإرشاد رفع إلى ٢٠ وهو ١٥ من فعل هذا؟ إذا هناك فعل مخالف للائحة، وهناك حركة تجري لضمان أصوات للمرشد الذي يأتي، فبدلا من التخلص من المعينين الذين كانوا بالفعل لو كان تخلص منهم بعد استشارة مجلس الشورى الماضي لمن يتولى المسئولية كان ممكن يكون هناك مكتب إرشاد معقول، لكنه لجأ إلى التعيين فلما عين من أراد، وأصبحوا أغلبية أراد أن يكرس هذه، فأضاف على العدد.. كل هذا تلبيس إبليس.

- لكن لا شك أن هناك شخصيات انفتاحية في المكتب؟

_ أنا لا أريد أن أتحدث عن أشخاص بعينهم، الضرر هو مخالفة اللائحة، وأن يصبح الإخوان عبيدا لأهواء التنظيم السري، هذا هو الذي نعترض عليه الذي يخشى أن يظل مهددا بعدم الشرعية باستمرار، ويريد أن يستمر، وكيف يستمر ويظل على هذه التصرفات غير الشرعية وغير اللائحية حتى يحافظ على وجوده.

- من الناحية الأخلاقية ومن ناحية الالتزام التنظيمي هل يجوز لك أن تكشف ما كنت مستأمن عليه من أسرار تنظيمية من حق التنظيم أن يحافظ عليها؟

- هذه وجهة نظر أنا أحترم قائلها، لكنه جانب آخر لابد أن يعرفه الإخوان أنه ليس هناك معلومة واحدة في الكتاب لم يحقق معنا فيها أمنيا جميعا، فالأسرار على من إذن؟ هل هي على الأمن أم على الأعداء أم على الإخوان؟ هذه هي أسرار لم تكن إلا على الإخوان أنفسهم، وليس على أعداء الدعوة كما يتصور الناس، فالأمن يعرف عن الإخوان كل شيء، وجميع المراسلات التي جرت بيني وبين مكتب الإرشاد حقق معي فيها مؤخرا، وموجودة بنسخها عند أمن الدولة، ومكتب الإرشاد مخترق من كل ناحية، واتضح أن كل حواراتنا ومراسلاتنا إليهم تصب في أمن

الدولة في النهاية، أنا نفسي فوجئت في التحقيق وهم يأتون لي برزمة أوراق الرسائل التي أرسلتها، وحوارات الإخوان حولها، وكذلك أشياء كتبت عني أنا لا أعرف مصدرها، إذن هناك إشكالية أن هناك ضعفا في المعلومة عن الإخوان أنفسهم عن أنفسهم، هذا هو الذي دفعني للكتابة لأن الموجودين داخل الإخوان في التنظيم هم أجهل الناس بهذا التنظيم.

- لكن كتابك هذا قد يتسبب في إيذاء أفراد وإيذاء الحركة؟

- لماذا يتأذى الناس، أنا أعرض وجهة نظري، هذا تصـور بعض السذج.. بالمعنى الأمني هذا غير موجود؛ لأن جميع الناس في مواقعهم حقق معهم، ومعروف دورهم، الإشكالية أن من صنع التنظيم السري هم يعتقدون أن هذه أفضل وسيلة عمل، هم ليسوا خجولين من هذا الموضوع؛ لذلك هم لا يردون على ما أقوله، لماذا؟ لأنهم مازالوا مقتنعين أن الذي قاموا به هو في مصلحة الدعوة، أنا أقول لهم بحكم التاريخ، وبحكم التجربة الماضية، أعمالكم بهذا الشكل وبهذه الطريقة ترتب عليها إيقاف الدعوة ٣ مرات، وإنهاء دورها، فكيف تحاولون بنفس الطريقة مرة رابعة؟؟

فتكوين مجموعة تحت الأرض، ومجموعة فوق الأرض، ويكون هناك مرشد سري ومرشد معلن، وناس معروفون وآخرون ليسوا فاعلين ومعروفين هذا يوجد إشكالية مع الدولة، ويوجد إشكالية بين الإخوان المسلمين كما يحدث الآن، وينتهي بالدعوة إلى صدام تتحطم فيه.

- لغتك هذه لغة تفجير وألغام وتقويض لا لغة هدم وبناء، وأنت داعية إصلاح كما تقول؟

- الجماعة في طريق مغلق وجهدنا يطور ولا يهدم، ومن يتصور أن جماعة الإخوان المسلمين على حالها الموجودة لها مستقبل دعوي أو سياسي يكون واهما في الوضع

الذي هي عليه الآن، ومنذ عام ١٩٨٥ وبدلا من إنشاء تنظيم سري وإشاعة الفرقة بين الإخوان وتقسيمهم إلى إخوان فضاء عام وإخوان فضاء خاص، ومتدينين وغير متدينين.. قوة الدفع الذاتي في الجماعة هي التي جعلتنا نعيش حتى عام ٩٥ حتى أول قضية عسكرية وبعد سيطرة التنظيم السري ووضع يده على الأمور وصلت الجماعة إلى طريق مسدود الآن، ودفعها إلى صدام مع الدولة بشكل لا يمكن المصالحة بعده.. الضجيج الحركي والإعلامي ليس نجاحا، إنما الثبات على المبادئ ومعرفة الطريق الصحيح، وأن يكون على مسافة واحدة مع الجميع، وأن يكون الصدر الحنون مع كل المختلفين، لماذا نكون ضد الجميع المعارضة والحكومة وضد أنفسنا، هذا نموذج فشل، وليس نموذج نجاح.

- هناك من يلخص ظاهرة المليجى بأنه شخص تعرض للفتنة بعد دخوله السجن فبدأ يقول أفكارا رأت الجماعة أنها لا تتفق مع أفكارها، فلما رأت تجنيبه مواقع القيادة طلبها منها فلما لم تستجب انقلب عليها.. ألا ترى أن من حق أي تنظيم أن يفصل من يراه خالف نظامها الأساسي؟

- عندما يكون تنظيما مشروعا، أما ما يقال عن أن السجن غيرني فمفهوم السجن الآن تغير عند الإخوان تماما السجن، الآن عبارة عن معسكر مفتوح ليس عليه ضغوط، والإخوان يدركون ذلك تماما، أنا كنت أستغل وقتي مائة في المائة، فألفت أفضل الكتب في السجن، ورسمت أفضل اللوحات الفنية، وأقمت الخريطة العظيمة لمصر التي ما زالت في السجن حتى الآن، وأمضيت ٣ سنوات في كلية الشريعة والقانون، وكتبت أحسن ديوان شعر، وفزت في الانتخابات التي جرت لإدارة الإخوان في السجن لمدة ٣ أشهر، عشنا فيها أفضل ما يكون، فكان هناك ترتيب للزيارات والأعياد، وعملت لهم مظلة آلية متحركة وأدخلت المراوح، وعملت تطويرا كبيرا.

- أليس من حق أي تنظيم أن يكون له مساحة من خصوصية النقد الذاتي الداخلي؟
- الجندي في القوات المسلحة عندما يقسم القسم يقول الله الوطن الأمر.. هناك أولويات في حياة الإنسان الله رقم واحد، الوطن رقم اثنين، والتنظيم رقم ثلاثة، فإذا كان هناك في التنظيم من يسيء إلى الله أو من يسيء للوطن فلابد أن نقول له قف لا يجوز أن نقلب الأولويات في حياتنا، وهناك مخالفات شرعية، وليست أسرارا أنت الآن تحدث ضررا قد يظهر التنظيم بأنه جيد، لكنه سيضر الوطن والعقيدة والإسلام لابد أن نقف في مواجهته، وأنا مشغول بمشكلة المعلومات لدى الإخوان المسلمين كجماعة متسعة المساحة، فخصومها يعرفون عنها كل شيء، وأعضاؤها لا يعرفون عنه شيئا.
- إذا كانت ثورتك هذه ليست بسبب تهميش دورك في الجماعة فلماذا سكت كل هذه السنين ثم ظهرت الآن لتتكلم؟
- هذه قصة جحا والحمار إن ركب يكون غلطان وإن نزل كذلك.
- الدكتور المليجي مهزوز ومضطرب ومرتبك وغير ثابت على موقف؟
- أنا أتمنى من كل قلبي أن يكون كلامي غير صحيح، وكلام التنظيم السري صحيحا إذا كان سيمثل الجماعة، لكن للأسف لابد أن يدرك الإخوان أن ما أقوله هذا مكرر ولست أول من يقوله.. التنظيم السري هو السوسة التي تنخر في جسد الإخوان في كل مراحل التاريخ، وقادة التنظيم السري معروفون، وقادة الإخوان الطبيعيين معروفون والحاج مصطفى مشهور كان أحب إلي من الذين يدافعون عنه كشخص، وأنا مرتبط به قبل ما أعرف الكثيرين.. الإخوان أكثر الناس بعدا عن قراءة التاريخ.. الإخوان العقلاء اقتربوا من الوضع لينقلوا له الخبرة، التنظيم السري له عمل آخر هو أن يجمع أفرادا من الخلف ويصنع بهم عملا سريا لإحداث انقلاب على الدولة.

- ما تقوله يبرر لضربات النظام للجماعة، وما تقوله يضر الجماعة بشكل كبير؟

- لو أن الحكومة الموجودة في مصر كلها من الإخوان المسلمين لن تسمح بوجود تنظيم سري تحت الأرض يهددها باستمرار، هذه قاعدة في الحكومات لماذا يضربك؟ لا تعمل تنظيما سريا كف عن هذا تماما.

- أنت لا تؤكد على إجرام الدولة في حق الإخوان والمجتمع، وتلقي باللائمة على الإخوان وحدهم وكأنهم هم الجناة؟

- الدولة ليست مجرمة.. الدولة مؤسسات.. وزارة العدل، ووزارة الصحة، وغيرها.. إشكالية المصطلحات هي التي توقعنا في الخطأ، مثل ما يردده البعض أني أهاجم الإخوان، أنا لا أهاجم الإخوان، الدولة لا تفعل شيئا، الدولة مؤسسات، لكن هناك صراع بين من في يدهم السلطة في مصر، وهذا عدد محدود، وعدد من الإخوان يتصارع على السلطة، أنا أقول إن الإخوان لم تؤسس لهذا الذي يدخل الإخوان في صراع على السلطة بهذه الحدة يخرج بالإخوان عن المضمون التي تأسست من أجله الإخوان.. أسست لعنوان كبير جدا "نحن دعاة لا قضاة" ندعو الناس إلى الله، وإذا كان العمل الدعوي سيعرض الدعوة إلى الفناء والانقضاض عليها بهذا الشكل فلنترك العمل السياسي بالمعنى المباشر؛ لأن مفهوم السياسة توسع جدا؛ يعني اهتمام بالصحة والزراعة وغيرها.

- الأداء المتسم بالتحفظ الأمني عند الإخوان يرجع إلى أن الجماعة تعيش أجواء حصار وخنق من النظام؟

- أنا سأسير معك في هذا، فكيف نتصرف في الموضوع؟ السلطة بقوتها تضطهد الإخوان سنفترض أن هذا صحيح، فما هي الآليات التي يستخدمها الإخوان لمنع هذا الظلم والتسلط؟ هناك أفراد يرون أنه لابد من بناء الثقة بين الأطراف بدلا من المنازعة على كرسي السلطة.

- النظام نفسه لن يسمح للإخوان ولا لغيرهم بأن ينازعوه السلطة، ولا يقف ضد الجماعة لمجرد أنها إسلامية، ولكن لأنها منافس سياسي؟

- لكن ماذا يفعل العقلاء هنا.. ولماذا المنافسة السياسية؟

- وهل المنافسة السياسية عيب؟ هي حق كفله الدستور؟

- نعم عيب في حق الإخوان.. من حقهم.. لكن إذا ترتب عليها ضرر أكبر من النفع لابد أن نتركها بالمعنى الضيق.

- لكن من الطبيعي أن تتعرض أي قوى معارضة لنظام غير ديمقراطي أو داعية لإصلاح سياسي لمشكلات وتضييقات؟

- ليس برفع شعار الإسلام كسلاح مشهر في وجه الآخرين، بل برفع شعار الإصلاح السياسي الإصلاح الاقتصادي.. متاعب الإخوان من أين تأتي؟ من ترك المسائل التي بنيت الإخوان من أجلها، وهي مسائل التربية على الإسلام، وإنتاج المواطن الصالح المدعم دينيا وثقافيا، لا أخذ هذا الكم واعتباره أداة تهديد للسلطة، أنا ما كان يجب أن أدخل في هذا المعترك، لا سيما أنه بشعار الإسلام، مغلق أمامه كل الطرق للتغيير السياسي تحت لافتة إسلامية ممنوع دوليا ومحليا، الأفضل منا أنشئوا أحزابا ذات طبيعة أخرى سموها أسماء أخرى، وأعطوا لأنفسهم طبيعة مجتمعية طبيعية، ثم مارس الإصلاح من خلالها.

- الإخوان لا يرفضون إنشاء حزب، ولكن الطرق موصدة في وجوههم في ظل وجود لجنة أحزاب؟

- وأي نظام سيفعل هذا؟ هذا تنظيم جزء منه سري وجزء علني، فلابد أن يفعل النظام معه هذا، ولو كان المرشد العام هو رئيس الجمهورية سيفعل هذا، الإخوان يحاسبون أفرادهم أكثر مما تحاسبهم الحكومة، وما سبب ما أنا فيه الآن؟ سببه أنني أختلف في الرأي مع الإدارة.

- لو افترضنا نظريا أن هناك نظاما يعطي الإخوان حرية الحركة والتعبير هل كان من الممكن أن يلجأ الإخوان للسرية، الظروف المحيطة بالجماعة هي التي تفرض عليها الاحتياط الأمني؟

- لا توجد ظروف.. هم الذين يصنعون هذه الظروف، فمجموعة التنظيم السري بفكرها الخاص جدا الذي لا ينطبق مع القانون، ولا مع الدين، هذه تفتقات ذهن، وتصورات، وتخيلات، هناك سراب اسمه التمكين تعيش له هذه المجموعة، وهو يعني أن يستولوا على الحكم في مصر وعلى الحكم في الدول العربية، ثم يقيمون دولة الإسلام العالمية.

المفهوم هذا انتهى من الوجود، والدولة القومية الآن تأسست وقويت.. هناك تردٍ كبير في الفكر الإخواني، والمحصلة أن مصر أصبحت دولة متخلفة في كل شيء، والحزب الوطني والإخوان المسلمين كلاهما يتحمل المسئولية عن تخلف هذا المجتمع، فهناك خلل في عملنا، أنا لست مسئول عن الحزب الوطني؛ لأنني لست في الحزب الوطني، البلد تتراجع والإخوان على ذلك شهود، قل لي ماذا أفعل أنا؟ كما تقول ماذا يفعل الحزب الوطني؟

- لكن هدم الجماعة ليس في صالح أحد ومشكلاتها الداخلية يمكن حلها تدريجيا، وهذا طبيعي لأنها جماعة بشرية في النهاية، لكن ألا ترى أن هناك خللا في ترتيب أولوياتك، لأنك تهاجم الجماعة القوة الوحيدة الفاعلة ضد النظام، ولا تسخر جهودك لمعارضة النظام الذي يرجع إليه إشكاليات الحياة السياسية في المجتمع؟

- كلمة ضد هذه يجب ألا تستخدم في الفكر الإخواني؛ لأن الإخوان ليسوا ضد أحد هذا كلام معارضة قد يكون لائقا؛ لكنه ليس من كلام الدعاة.. التعبير الإخواني الصحيح أن تتعاون جماعة الإخوان مع قوى الإصلاح في مصر للنهضة بمصر،

والطرف الآخر الذي في الحزب الوطني لديه قوى إصلاحية هل يتصل بها الإخوان؟ هل نمد أيدينا إليها؟ لا يحدث.. ونأخذ الحابل بالنابل، وهذا ليس من شأن الدعاة، يجب أن يكون هناك بناء جسور الثقة مع الأطراف الأخرى.. تطورات الفكر السري ليس لها حدود، والطرف الآخر يعي هذا ويدركه، عندما يأتي مصطفى مشهور مرشدا عاما للإخوان يعني أنه سيشهر المسدس في وجه الدولة، هذا رجل مؤسس للتنظيم السري، ولا يجوز أن تدفعه في قمة العمل الإخواني، يعني له سجل في الدولة، التنظيم السري لا يريد أن يفهم هذا، يقول أنا ومن بعدي الطوفان، أنا أكون المسئول وخلاص، يا سيدي أنت تاريخك أسود، صفحتك سوداء، فلماذا لا تتجنب أنت حتى يكون هناك ليونة في العلاقات مع الآخرين.. أنت عندما ترسل للدولة سفيرا ترسل لهم من قتلهم هذا تحد... الآن يلومني كثير من الإخوان لماذا سكت حتى الآن؟ فالسكوت حسب علي ولم يحسب ضدي، هل تريد مني أن أستمر في السكوت.

- آراء اختلفت عندما اختلف موقعك، فعندما كنت قياديا صمت ولم تتحدث، وعندما تم تهميش دورك تذكرت فجأة عيوب الجماعة، واكتشفت أن هناك تنظيما سريا.. لو كنت ما زلت في القيادة لم يكن يتغير موقفك من الجماعة.. أليس كذلك؟

- رأيي لم يتغير بدليل أن الإجراءات ضدي قديمة جدا، أنا رأيي لم يتغير، ولكن إعلانه هو الذي تأخر، أنا كنت لا أريد أن أتكلم.

- لماذا لم تستخدم النقد الذاتي الداخلي وهو متاح، والجماعة تستمع وتحقق في كل ما يطرح عليها، وهذا معروف في الوسط الإخواني؟

- لأني لم أجد له جدوى.

- وهل الجدوى لابد أن تكون سريعة ومتفقة مع آراء المليجي؟

- الوثائق التي تصدر في الكتاب تدل على أن ما قلته، هذا بإجماع وبلجان وليس رأي شخصي، وعندما يصبح وجود الإخوان نفسه مهددا بالفناء لابد أن أتحدث ولا أنتظر حتى تقع الكارثة عندها سنكون مدانين.. الديمقراطية في مصر معطلة بسبب وجود الإخوان، والحيلولة دون وصولهم للسلطة وهكذا وجود الطوارئ.

- هذا ما يقوله أعداء الإخوان؟

- أنا أقوله.. وأنا حبيب الإخوان ولست من أعدائهم، ولا يمكن أن أكون من أعدائهم.

- النظام لا يريد أن يعطي لا للإخوان ولا غيرهم، وإنما يأخذ الإخوان كمبرر لاستمرار الطوارئ وتعطيل عجلة التقدم الديمقراطي؟

- إذا أردت أن تكشف موقفه لا تعطيه المبرر، واجعله يدخل في عداء مع المجموع.

- وفيم يتحدى الإخوان السلطة؟

- بإتيانها بأعضاء التنظيم السري على رأس الإخوان.

- الدولة لم تشتك من هذا الموضوع؟

- لا تشتكى فقط بل تدخل الناس السجن بالآلاف.. وكيف تظهر شكاية الدولة، ولم يكن يوقف حركة الإخوان بهذا الشكل إلا السجون والمعتقلات، الآن لا يوجد تفاوض ولا يوجد حلول، أعطتك النقابات فلم تحسن استخدامها، واستخدمتها منصة تطلق منها النار على الدولة.

- الدولة لم تعط شيئا للجماعة، وما حصلت عليه الجماعة كان باختيار شعبي وثمار جهد من العمل السياسي السلمي؟

- أعطت بإذنها كل شيء أعطت النقابات بإذنها، ولما أرادت أن تخرج الجماعة منها أخرجتها، فالدولة لا تعمل بإذن مكتوب، ولا تعمل بتصريح، الدولة أعطتنا

نوادي أعضاء هيئة التدريس، وأعطتنا النقابات، وأعطتنا بعض المجلات، فلم نحسن استخدامها، واستخدمناها منصات لإطلاق النار على الدولة.. إذن الدولة لها تجارب مريرة مع الإخوان، ونحن في هذه السن لابد أن نفهم أن الدولة عندما تعطينا مساحة فهي تختبرنا في كيف نستخدمها، ولكن هذا ليس بقوتنا كما يقول البعض، هذه كلها مساحات للتجربة المفترض أن نستخدمها استخداما جيدا حتى نأخذ مساحة أخرى.. مكتب الإرشاد الذي يمتلكه التنظيم السري يعامل المعارضين أقسى درجات المعاملة أنا معارض في داخل الإخوان ما لذي حدث لي؟ التضييق وتشويه السمعة وهجوم رهيب يجب أن يدير الإخوان علماء أجلاء، هؤلاء الموجودين لا يصلحون لإدارة حركة إسلامية، بل يصلحون لإدارة نقابة مهنية، تشكيلة مكتب الإرشاد أقرب لإدارة اتحاد المهن المصرية أطباء ومهندسين وزراعيين وتجاريين.

- هذا المكتب يعبر عن مكونات الجماعة وهو منتخب ومجمع على شرعيته من جميع أعضاء الجماعة؟
- هذه تحولات الفكر الإخواني الذي تضرر كثيرا وجعلته فكرا مختزلا في الصراع السياسي.. حسن البنا كان دارعميا (خريج دار العلوم) متخصصا في اللغة والدين، كان يجب أن يستمر هذا، وكان يجب المحافظة على هذا الشكل، وأن يكون على قمة الإخوان عالم مشهود له بالعلم الشرعي، وأي شيء غير هذا يضر بالإخوان، والهضيبي رغم أنه رجل حقوق فإنه جاء كحل وسط؛ لأن الإخوان لم يتفقوا على مرشد، ثم استمرت المسألة بهذا الشكل.

كل هذه تحولات ولابد أن نعود إلى أصلنا بعد هذه التجربة، لكن لا تحدث بالإخوان هذا الضرر البليغ، فالجماعة تصنع كيانات شغب الآن، ولا تعلم الناس ديناً وإنما تعلمهم شغبا سياسيا.

- هل تنكر أن الإخوان حققوا تقدما كبيرا، واندمجوا في الحياة السياسية، وطوروا من أفكارهم وانتشروا مجتمعيا؟

- كل هذا الفعل من عمر التلمساني، وليس من التنظيم السري، هذه هي المساحات التي فتحها عمر التلمساني وليس التنظيم السري.

- ولماذا لم يصنع التنظيم السري الذي ادعيته ردة إن كان مهيمنا حقا على الجماعة، ولكن الواضح للعيان أن الجماعة استمرت في هذا المشروع وحققت فيه نجاحا باهرا؟

- نجحوا في عمل ردة، وهم ضد فكرة الاندماج.

- كيف تراهن على الدولة، وهي إن أرادت أن تحل مشكلة الإخوان لفعلت؟

- يجب أن يحل الإخوان مشاكلهم الداخلية أولا.

- كثير من الإخوان طلبوا حل مشكلتهم مع الدولة، وذهب الوسطاء ولم يعودوا، كما صرح بذلك مرشد الجماعة؟

- أبدا لم يحدث.. طلب من من؟ هل علاقة بينه وبين الكفراوي طلب من الدولة؟

- هناك بعض الأفراد والقيادات في الجماعة أداؤهم يتسم بالتحفظ الأمني.. ألا يرجع ذلك إلى الظروف المحيطة، لماذا تحمل الجماعة كل هذا العبء؟

- لا يوجد اضطهاد أمني للإخوان.. الإخوان يأخذون مساحة من الحرية لا تأخذها أية أطراف أخرى، مكتب الإرشاد يجتمع أسبوعيا.. المحافظات فيها عمل إخواني كبير جدا، رؤساء المكاتب الإدارية معروفون، وكثير من الإخوان موجودون في أكثر من نقابة، لا تقل الإخوان مضطهدون، أي دولة في الدنيا إذا كان هناك لائحة لتنظيم مختبئ تخشى أن ينقض عليها لابد أن تواجهه.

- لا تنسى أن المعتقلات لا تخلو من الإخوان فلا تكاد تمر بضعة أيام بدون اعتقال لأعضاء من الإخوان؟

- من حق الدولة أن تعرف ماذا يفعل مجموعة مجتمعة في حجرة مظلمة، لماذا تجتمع في السر؟ اجتمع في المسجد لو لم تكن تحدث شيئا مخالفا للقانون، أي دولة ستفعل هذا حتى لو كان قادتها من الإخوان.. التهويش بالتقدم بحزب ثم لا يتقدمون يزيد الضغط عليهم؛ لأنهم يصرون على العمل السري.

- حزب الوسط لم يقبل إلى الآن وهذا يثبت أن حكمة الجماعة التي رأت أنه من الأفضل عدم التقدم؟

- وهل يعتقل من حزب الوسط أحد؟ لا يقبض على أحد.

- لكن لم يأخذ الشرعية وهذا هو الأهم؟

- أنا أتحدث عن مسألة الاضطهاد والقبض، لماذا لا تقدم حزبك وتضع فيه آلافا، ويكون من الإخوان الظاهرين ولن يقبض عليك أحد.

- الشاطر قال أعطوني الشرعية وسننشر أسماء الإخوان على الإنترنت؟

- فلماذا لم يتقدم بطلب حتى يحصل على الشرعية.. أم كيف تأخذ الشرعية؟ التلويح بورقة الحزب دون استخدامه هذا يدل على أن المسألة هزل وليست بجد، وأن هناك إصرار على أن يبقى التنظيم سريا.

- من حق الناس أن يتشككوا في أسلوبك السردي القصصي الذي لم يدعم بدليل غير القصص؟

- الوقائع التي تحكى لابد أن تكون سردية إذا كان عندهم شيء مخالف فليردوا.

- أسلوبك حاد وجرحت أشخاصا وهيئات؟

- ليس هناك تجريح لأحد، هذا خطأ في الثقافة الإخوانية أن يصور القادة على أنهم أنبياء، هم ليسوا أنبياء، أعطني وصفا جرح أحدا، وأنا سأقوم بالاعتذار عنه.

- وصفت الجماعة بأن بها فسادا وانحرافا وأكدت على انتشار الغيبة والنميمة بين أفرادها وتسلط الجواسيس، وصورت مجموعة في الإخوان على أنهم بلا خلق، عندما بدءوا في تشويه سمعتكم ومحاولة الإطاحة بكم.. ألا ترى أنك ظلمت إخوانك الذين كنتم بالأمس رفقاء دعوة واحدة؟

- هذا التقرير بهذه النصوص ستجده كتبته لجنة شكلها مكتب الإرشاد نفسه، استخدم مصطلحات أشد من هذه المصطلحات، فهذا ليس رأي السيد عبد الستار المليجي، ولكن رأي اللجنة التي شكلها مكتب الإرشاد، ولم يأخذ بهذه الآراء.

- كيف تصفهم بأنهم يشوهون سمعتكم وهؤلاء أصحاب عقيدة ودعوة؟

- روح الإخوة غابت تماما بين التنظيم السري والإخوان.

- هؤلاء انضموا لدعوة الإخوان، وتعرضوا للمهالك، وسجنوا وعذبوا، ولو كانوا أصحاب مطامع دنيوية لكانوا اختاروا طريقا سهلا وميسورا؟

- من أجل الزعامة والثروة.. أي مهالك تعرضوا لها؟

- يعتقلون بين الحين والآخر؟

- بما ارتكبوه من جرائم جنائية.. أية مهالك؟ عندما تأخذ قنبلة وتضعها في سيارة ليس لها بطارية كما فعل مشهور، أليس هذا فعلا جنائيا يعاقب عليه القانون؟

- اتهمتهم بأنهم عناصر تكفيرية.. من يستطيع أن يتهم الإخوان بذلك؟

- طبعا.. وموغلة في التكفير مجموعة ٦٥ كلها على هذا النحو تنظر للمجتمع بعين ما كتبه سيد قطب.

- لنا الظاهر لا أحد يكفر في الإخوان؟

- إذا أردت أن تعرف هذا انظر للحوار الذي دار بين يوسف ندا ومحمود غزلان حول موضوع الشيعة والسنة.

- اتهمتهم بالتجسس.... الإخوان جماعة تقوم على المبادئ والقيم الإسلامية؟

- أنا كاتب وقائع محددة، كانت تجرى أعمال تجسس من التنظيم السري على الإخوان، وعلى الأحزاب الأخرى، وما جرى بيني وبين عادل حسين نقل للإخوان عن طريق هذا الجاسوس قبل أن ينضج هذا الحوار، واستدعيت للتحقيق في هذه المسألة، وقلت هذا حوار يجري لم ينضج بعد، ولو سألتم هذا الجاسوس لقال لك إني قلت للأستاذ عادل حسين هناك قضية لابد أن يتشاور مكتب الإرشاد فيها، ومثل هذا كثير.

- أنت مصر على إثارة موضوع الأموال في الجماعة.. ألا ترى أن الوقت غير مناسب، وأن هذه الأمور ستنضبط مع أخذ الجماعة الشرعية القانونية؟ ثم كيف تسير الجماعة شئونها؟

- هل أحد من الإخوان يقبل أن تظل جباية الأموال مستمرة لتقبض عليها الشرطة وتأخذها؟ هل هذا طريق صحيح؟ هذا خطأ كبير جدا، لا تجمع أموالا لا تستفيد منها، الملايين ذهبت إلى أمن الدولة وغيرها؟ وماذا نفعل؟ المشكلات كلها مطروحة عندما تحتاج أموالا خذها من الإخوان وأنفقها، لكن لا تعمل نظام جباية شهري وتكدس أموالا في المركز، ولماذا تأتي بأموال من المحافظات، اجعل المحافظات تجمع ما يكفي هناك، هذا نظام مركزي وقديم فاشل الآن، ولو لم تكن هناك أعمال فساد حول الإخوان ما تحدثنا في هذا الموضوع، فمن شأن هذه الأموال أن تفسد الإخوان أنفسهم المحلقين حولها، وجود الأموال وضع مغر لكثير من

الإخوان لينضموا للحصول على هذه الأموال، هذه الأموال صنعت باب فساد كبير وسط الإخوان، لماذا لا تعتمد على إخوان لديهم الكفاءة على الصرف والإنفاق فيما يقومون به من نشاطات؟

- المناصب لا تولى من طلبها وأنت طلبت المناصب؟

- لم يوجد منصب لم أتولاه، وأنا في المنصب بدأت النقد؟

- أنت تتهم أمواتا لا يستطيعون أن يردوا عليك... هل هذا أخلاقي؟

- كل الصحابة نتحدث عنهم الآن هل هذا هجوم عليهم، كل الزعماء السياسيين مثلا عبد الناصر والسادات نتحدث عنهم هل هذا هجوم عليهم؟ التاريخ لابد أن يكتب، ولابد أن يتوافق عليه.

- هل يعقل أن يسلم قادة من الإخوان معلومات تفصيلية بشكل عمدي إلى الأجهزة الأمنية.. لماذا تنزع صفة الإخلاص عنهم تفترض دوما سوء النية؟

- الأصعب أن يحدث هذا، أن يجري هذا، أن يأتي ناس من الخارج، فلماذا يضم معلومات عن الإخوان مكتوبة وتجمعه في مكان دون أن تستأذنه، هذا فعل شائن، تكتب كل كبيرة وصغيرة عنهم، أسماءهم وأعمالهم وعناوينهم ووظائفهم هذا كان ممنوعا، وفعلت هذا من وراء الإخوان، وبكل يسر أخذت الكراتين في نصف ساعة، أنت كررت خطأ التنظيم السري، لكي ترتب انتخابات مفبركة تغير فيها صياغة الأفراد والأحياء ومواقعهم، الهدف كان سيئا للغاية، لماذا تفعل هذا؟ هل الدعوة الإسلامية تحتاج إلى هذا التعقيدات؟

- من الناحية الأخلاقية لا يجوز أن تهاجم سجناء مثل خيرت الشاطر ومن معه؟

- هذا ما كتبه مسئولو الإخوان على الإخوان.. أنا أكتب في هذا منذ عام ٢٠٠٣ وخيرت قبض عليه في ٢٠٠٦ وما تسرب من هذه الأوراق كان خطأ مكتب

الإرشاد، أنا لست مسئولا عن هذا، وكتابي ليس متعلقا بخيرت الشاطر أو غيره، بل متعلق بالحركة عموما.

- كأنك تقول إن النظام له الحق في محاكمة هؤلاء عسكريا ومصادرة أموالهم؟

- أنا لم أقل إن النظام له الحق في محاكمة هؤلاء عسكريا، أنا قلت نحن نعطيه المبرر في أن يفعل هذا بتصرفاتنا غير المنضبطة وغير المراعية للظروف الدولية والمحلية، وطبيعة اللافتة التي نحملها، ونحن كإدارة إخوانية لا نفعل شيئا للتخفيف على الإخوان.

- هل تريد أن تحدث انقلابا على قيادات في الجماعة بما تقوله وتقود انشقاقا فيها؟

- أنا طيلة عمري في الإخوان فردا وحيدا ليس لي تنظيم، ولم أتكئ على أحد غير الله، هناك ناس في الإخوان بطبيعة حياتهم لهم مجموعات، لاسيما إخوان المحافظات، أما طبيعة حياتي كانت مختلفة، فكنت أسكن في القاهرة، وأعمل في المنيا، أو في الإسماعيلية ليس لي إلا صحبة الناس، وليس لي تشكيل داخل الإخوان يخصني، وكل الأعمال في الإخوان كانت بالتكليف.

- لكن واضح في كتابك أنك تراهن على ذلك بتوجيه خطابك إلى القاعدة الإخوانية، وتخيرهم بين الوقوف معك في محاولةِ التغيير وبين إيثار الصمت؟

- إطلاقا.

- ومن سيقوم إذن بتنفيذ ما تدعو إليه.

- عموم الذين يستفيدون من هذا الكلام سيسلكون طريق التصحيح، وسيغيرون طريقتهم في العمل، وسيغيرون منهجهم الدعوي، بمزيد من الشورى والديمقراطية داخل الحركة.

- لكي تصل إلى ماذا؟

- إلى مجموعة مصرية ليست متصادمة مع الجميع.

- هناك قيادات للإخوان منوط بها قيادة الجماعة، ومن حقها أن تقدر الأمور، وإلا كانت فوضى؟

- يغيروا قياداتهم.. هذه دعوة مفتوحة، وأتمنى لقيادات الإخوان أن تتنحى.

حوار مع أحمد رائف[1]:

(تاريخ الإخوان مع السياسة يتسم بالفشل الذريع) (هذه القيادات لا هم مفكرون ولا هم منظرون ولا هم سياسيون هم يقولون إننا دعاة ولكن السلوك الشخصي والتصرفات تتنافى مع أعمال الدعاة) (لنشاط الدعوي تراجعَ حتى انتهى، والتربية غير موجودة عند الإخوان الآن، والتقيت مع كوادر وشباب كثر فوجدت بنيانهم الأخلاقي والثقافي "مفيش").

"أنا أحب الإخوان حبا شديدا وأنا منهم وتربيت معهم وعشت معهم في السجون وخارج السجون"، هذا ما صرح لنا به أحمد رائف الأديب والمؤرخ الإسلامي، فهو عاشق لجماعة الإخوان المسلمين الجماعة التي دخل السجن الحربي بسببها، وهو لم يكن ينتمي إليها، ولكنه خرج وهي جزء من وجدانه.. يعشقها وتعشقه الأجيال الجديدة في الجماعة، فهو يمثل رمزا لها، فهم تربوا على كتابه البوابة السوداء، الكتاب الذي يعد أهم الكتب في أدب السجون، ولكن الكثير من أعضاء الجماعة صدم في تصريحات رائف التي دعا فيها إلى الاهتمام بالعمل الدعوي والتربوي الذي يراه ضعف كثيرا عند الإخوان على حساب الجانب السياسي الذي يرى أن الإخوان فشلوا فيه فشلا ذريعا.

صدمة الإخوان ترجع إلى أنهم لم يعتادوا على مثل هذه التصريحات من رموزهم، مع أن كثيرا من الرموز تطرح مثل هذه الطروحات، ولكن يتم التكتم عليها؛ لأنهم يرونها ليست مجالا للنقاش العام المعلن، ولكن رائف يمتلك شجاعة أدبية - بحكم أنه أديب- ورأى أن مثل هذه الأمور لابد أن تناقش، ويدلي فيها الجميع بدلوه سواء كان داخل الجماعة أو خارجها.

---

(١) (أجري هذا الحوار لصالح جريدة الدستور المصرية لكن لم يتم نشره).

رائف ساخط على الوضع التربوي والثقافي والدعوى داخل الجماعة، ويرى أن البنيان الأخلاقي لإخوان الأمس أفضل بكثير من إخوان اليوم، ويدعو إلى البحث عن سبب هذه الآفة وعلاجها، ومن ثم فهو يدعو إلى إعطاء المشاركة في العمل السياسي إجازة؛ لكي يعاد ترتيب البيت من الداخل أولا لكي تكون الجماعة مهيأة لتغيير الأمة وقيادتها..

في هذا الحوار ناقشنا رائف حول الحوار الذي دار بينه وبين مرشد الجماعة للهدنة مع النظام، وعن وضع الجماعة في النواحي التربوية والدعوية والسياسية، وحول إذا ما كانت حققت تقدما في أهدافها العليا أم لا؟ وعن ماذا كسبت الجماعة من وراء العمل السياسي وماذا خسرت..

وإلى نص الحوار:

* ما مضمون الرسالة التي حملتها من الأستاذ أحمد عادل كمال إلى المرشد محمد مهدي عاكف؟

** أنا لم أحمل برسائل من عادل كمال إلى المرشد، ولكن الحقيقة أنني تناقشت مع عاكف في مضمون الرسالة التي أخبرك الأستاذ أحمد عادل كمال أنه بعثها، وكانت تتضمن العودة إلى الأصول الأولى لجماعة الإخوان المسلمين، وهي التربية والتعليم والنشاط الاجتماعي والخدمي في مختلف المجالات، وترك السياسة جانبا لمدة قدرها هو بـ ٢٠ سنة، وأنا وافقته على ذلك، وقابلت الأستاذ مهدي عاكف، وتحدثت معه في نفس المضمون.

*(مقاطعا).. ما هو شكل العلاقة بينك وبين الإخوان الآن؟

** علاقتي بهم وثيقة وقديمة جدا، وأحبهم كثيرا، وعشت معهم في السجن وغير السجن، ودرست تاريخ الجماعة دراسة جيدة جدا، وأعرف تفاصيل التفاصيل لأحداث ربما لا يعرفها أحد في الجماعة حتى القيادات.

* ولكنك لست تنظيميا الآن؟

** أنا تربيت على فكر الإخوان، ولكني الآن لست في التنظيم.

* نعود للقائك بعاكف؟

** قلت له إني أرى أن النشاط السياسي للإخوان غلب عليهم بعد المؤتمر الخامس عام ٣٦، ولم يحققوا نجاحا قط في التناول السياسي للجماعة، بل بالعكس كان نشاطهم السياسي يتسم بالفشل الذريع، والتقدم حيث ينبغي التأخر، والتأخر حيث ينبغي التقدم، وعدم القدرة على قراءة السياسة لا في مصر ولا في العالم العربي ولا في العالم، وهذه الآفة متحكمة في جماعة الإخوان المسلمين بشكل يصعب تحليله.. هل هو عيب خلقي في التكوين؟ هل هو الرغبة في الظهور ولإظهار القوة ومنافسة الحكومة أو مناطحة الحكومة في النشاط السياسي والشعبي في مصر؟ لا أعرف السبب، ولكن المؤكد من استقراء التاريخ، وقراءة التفاصيل أن ما فعله الإخوان في السياسة في مصر وفي غير مصر يتسم بالفشل الذريع، وللأسف الشديد أنا لا أعرف شخصا في الإخوان المسلمين تستطيع أن تصفه بأنه سياسي داهية، أو حتى سياسي غير داهية... أنا لا أعرف هذا الشخص مع احترامي للإخوان جميعا.. كلهم ناس فضلاء ومحترمون جدا.

* إذا كنت لا تعرفهم سياسيين.. فهل تعرفهم دعاة؟

** هم يقولون إننا دعاة؛ ولكن السلوك الشخصي والتصرف يتنافى مع أعمال الدعاة.

* إذا كانوا ليسوا سياسيين ولا دعاة فماذا يكونون؟

** هذه القيادات لا هم مفكرون ولا هم منظرون ولا هم سياسيون.. والدعاة كلمة كبيرة جدا، فالداعية يرتدي عباءة محمد (ص)، يعفو عن من ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، لكن الإخوان يتصرفون كتصرف أي حزب موجود على

الساحة بعنجهية وبنوع من الغضب -أحيانا- من النقد وعدم مناقشته.. هذا نقدني، وهذا تكلم معي بسوء، لكن في النهاية لا يناقش كشخص قتل شخصا، فقال له شخص آخر فلان قتل، فلا يكون منه أنه يناقش في واقعة القتل بل يقول: كيف تقول ذلك؟ بدون أن يناقش واقعة القتل نفسها، أما مناقشة الموضوع أولا فهذا ليس موجودا عند الإخوان، ولذلك فللأسف الشديد هناك فشل سياسي مع أن نشاطهم الآن سياسي بحت، والنشاط الدعوي والتربوي لا أراه، والكوادر من الناحية الدينية والأخلاقية والتربوية أعتقد أنها تأخرت كثيرا عن الأجيال القديمة.

* هل تعزو طغيان النشاط السياسي على الدعوى إلى تراجع الناحية الأخلاقية لدى الإخوان؟

** تراجع حتى انتهى.. التربية غير موجودة عند الإخوان الآن، والتقيت مع كوادر وشباب كثير فوجدت بنيانهم الأخلاقي والثقافي "مفيش".

* هل ترى أن إخوان الثلاثينيات والأربعينيات من الناحية التربوية أفضل من الآن؟

** أفضل بكثير جدا.

* ولكن التقدم حدث للإخوان في الآونة الأخيرة؟

** هذا هو التجميع والحشد والتجييش، هذه عملية أخرى الإخوان ناجحون فيها جدا.

* الجيل الحالي نجح في تأسيس الجماعة مرة ثانية، واستطاع أن يقنع المجتمع بأنه قادر على الاندماج في مؤسسات الدولة، وحقق نجاحا باهرا في الانتخابات والنقابات، أما جيل الثلاثينيات والأربعينيات كاد أن يودي بالجماعة إلى حتفها؛ تصادم مع

النظام الملكي فأضعفه وأضعف نفسه، وكان ذلك في صالح العسكر الذي أطاح بالجميع وبالحريات، وما زالت الجماعة تعاني إلى الآن بسبب أخطاء ذلك الجيل؟

** هناك خطأ شائع في أن الإخوان تعاونوا مع الضباط من أجل الثورة، ولكن الحقيقة - والتي لا يعرفها الإخوان- هي أن ثورة ٢٣ يوليو قام بها الإخوان، ولم يتعاونوا فقط كما يشاع، فكل قيادات مجلس الثورة ماعدا جمال سالم وزكريا محيي الدين كانوا من الإخوان، وكانوا أعضاء في التنظيم الخاص لجماعة الإخوان المسلمين، وكانوا في الجناح العسكري الذي يقوده الصاغ محمود لبيب أواخر عام ١٩٣٨، واشترك فيه عبد الناصر ١٩٤٣، وحلف اليمين في حي الصليبة هو وخالد محيي الدين وحسين حمودة.

الضباط الأحرار كانت تنظيما إخوانيا الناس تظن أنهم اختلفوا مع الإخوان، ولكن هذا ليس صحيحا، وهذا من أكبر أخطاء الجماعة أنهم عملوا انقلابا على الحكومة الملكية والشرعية التي كانت قائمة، والتي لا تستطيع الوصول إليها قبل مائة عام بالنظام والفساد الذي كان موجودا، هم أقاموا هذا الانقلاب برؤية فاخرة حسب رؤية هذا العصر، وثقافة الانقلابات التي سادت العالم في أوائل القرن العشرين كانت التنظيمات السرية في العالم كله، فهتلر كان لدية تنظيم سري، وأيضا موسوليني وفرانكو والصرب، وكذلك كل التجمعات السياسية التي لها أهداف كانت لها تنظيمات سرية، وكل من اشترك في العمل السياسي من غير الإخوان كان هناك تنظيمات سرية ابتداء من سعد زغلول وعلي ماهر ومحمود فهمي النقراشي وإبراهيم عبد الهادي.

عبد الناصر حاول اغتيال حسين سري عامر، وذهب هو وكمال رفعت وحسن التهامي، ولكنهم كانوا خائبين وفشلوا في اغتياله... كانت ثقافة ذلك الوقت ولم يكن

مستهجنا، كان عاديا جدا، فالذي كان يريد أن يحدث نشاطا وطنيا يحارب الإنجليز وأعوانهم يشكل تنظيما سريا والنظام الخاص للإخوان كان من أجل ذلك "محاربة الاستعمار وأعوانه".

* الإخوان الآن لديهم وعي سياسي وانضباط مع حدوث اعتقالات لهم وقمع أمني ومحاكمات سياسية فلم يخرج أحد منهم عن الصف، ولم يقوموا بعمليات اغتيال كالتي قام بها السندي وسيد فايز من وراء ظهر البنا، وتسببت في محنة الجماعة، والناحية الأخلاقية والتربوية ليست كافية فالخوارج كانوا تقاة وزهادا وعبادا ولكنهم كان لديهم فهم مغلوط؟

** نحن لا نريد أن يكون الإخوان زهادا وعبادا؛ لكننا نريدهم أناسا عاديين لهم بنيان ثقافي وأخلاقي وديني، وهذا ليس موجودا، ولكن ليس شرطا أن يكون زاهدا عابدا يصوم الليل ويقوم النهار بقدر ما يكون لديه بنيان أخلاقي متماسك يراه الجميع.. أنا لا أرى ذلك، ولكن في الماضي كان هذا موجودا، وبعد ذلك دخلت المسائل في التسليح والنظام الخاص والسياسة التي تعامل معها الإخوان بشكل خاطئ جدا؛ أدت إلى أخطاء كبيرة.

أما الآن فالإخوان كتكوين أفضل من ذي قبل بحكم تطور الزمن والمعارف، وتكوينهم الشخصي، والمعلومات العامة، ورؤيتهم العامة، طبعا الزمن اختلف، لكن ما حاجتك الآن إلى أن تتعامل مع السياسة.. تجرى انتخابات وتزور بعد ذلك وتفعل الحكومة ما تريده.. وتدخل بمجموعة داخل مجلس الشعب فما الذي تريده هل لك أهداف معينة؟ الرؤية في الواقع السياسي المصري ليست مقروءة عند الإخوان، وأنا أرى من وجهة نظري أن السياسة تقتضي العودة إلى تربية الأفراد وتكوينهم والتأثير على بنيانهم الأخلاقي أولا، فالديمقراطية التي هي الحرية في اختيار شخص ليست موجودة، ليس بسبب الحكومة فقط، ولكن بسبب المناخ العام في مصر.. الديمقراطية

تجيء بعد ٤٠ سنة تحتاج تعليما في المدارس، وتحتاج ثقافة عامة عند الأفراد، وتكون مسألة التزوير هذه مسألة مجرمة لا تسقط بالتقادم.. السياسة هي فن الممكن ولكن الإخوان يقرئونها محاولة المحال فلو ضربت دماغك في حيط مسلح سيكسر رأسك؛ لأن فن الممكن هذا له أدوات، ومن ثم فأنا كنت موافقا الأستاذ عادل كمال وآخرون موافقون على هذا مثل الدكتور العوا.

* من له نفس الرؤية داخل الجماعة؟

** لا أستطيع أن أذكر أسماءهم، ولكن هناك إخوانا كثيرين معترضين على الوضع في التنظيم، ولن أقول أسماءهم؛ لأن هذا قد يضعهم في حرج مع القيادات.. هناك قيادات يرون هذا الرأي وهم قطاع كبير.. القطاع "اللي بيفهم" داخل الإخوان والأكثر وعيا وثقافة يقولون نأخذ هدنة ١٠ سنوات، ونترك كل أنواع الانتخابات لمدة ١٠ سنوات ما المشكلة؟ ١٠ سنوات في عمر الأمم لا شيء.

* ألا ترى أن هذا يتماهى مع خطة الدولة في تيئيس الإخوان والقضاء على آخر حصن لمعارضتها؟

** "نعم وإيه يعني"؟ يا سيدي العزيز الدولة موجودة ولها سماتها الخاصة، وهي أنها دولة غير ديمقراطية لابد أن تعي مع من تتعامل؟ عيب الإخوان أنهم يتعاملون مع الدولة على أساس أنها ديمقراطية، وليس دفاعا عن الحكومة؛ لكنه مناخ عام يؤدي إلى هذا الوضع الذي تراه، فلابد أن تتعامل مع المسائل وأنت تجيد قراءتها، فعندما أترك السياسة ١٠ سنوات ما المشكلة؟ فاتت عشرات السنين دون تحقيق أي نتيجة؟ هناك ٨٨ نائبا في مجلس الشعب مضوا على جميع القوانين، الموافقون عليه وغير الموافقين عليه، وهناك قوانين مرت عليهم ولم يستطيعوا منعها ماذا فعلوا؟

* أصبح لدى الجماعة ٨٨ كادرا برلمانيا تدربوا على العمل البرلماني والسياسي، لكي يكون لدى الجماعة كوادر سياسية وقادة حقيقيون وهذا ما تطلبه؟

** إذا كنت تريد تكوين كوادر سياسية اذهب واتفق مع صاحب المعهد إذا اعتبرته معهد تدريب تملكه الحكومة اتفق مع الحكومة على أن ترسل لها ٥٠ نائبا بغرض التدريب.

* ماذا تعني؟

** إذا كان الغرض هو التدريب على الأعمال النيابية مثل: كيف يتم الاستجواب، وطلب الإحاطة، وغيرها من الأدوات فهنا سيكون المجلس بمثابة معهد تدريب فاذهب واتفق مع صاحب المعهد وهي الحكومة، وفي نفس الوقت تحمي كوادرك من الضياع، ومن المحاكمات بغير جريمة ولا ذنب اقترفوه كخيرت الشاطر وحسن مالك ومحمد علي بشر هؤلاء الناس حكم عليهم من ٧ إلى ٣ سنوات.. اترك هؤلاء الناس لا تدفع بهم لمواجهة الدولة وارتق بمستواهم، وانزل بهم عندما تتغير الظروف، ولا ترهقهم في مواجهة دولة غير ديمقراطية.. هناك ثلاثة أشياء إذا وجدتهم تستطيع أن تحكم عليها بأنها ديمقراطية: حرية إصدار صحيفة بمجرد الإخطار، ودون إذن مسبق، وحرية إنشاء حزب دون إذن مسبقن وحرية أن أكتب ورقة أقول فيها إن هذا هو نائبي وتحترم هذه الورقة لآخر نقطة لا أحد يغيرها ولا يبدلها.

أما حرية الصراخ والزعيق فهذه ليست حرية.. الحرية ليست ظاهرة صوتية، الحرية إجراءات ومعرفة ما هي حقوقي.. ما فائدة أن أشتم الرئيس والحكومة، ثم بعد ذلك تزور الانتخابات، والذي يزور ليست الحكومة فقط بل المجتمع كله.

* الإخوان يسببون للنظام مرضا مزمنا في رأسه، ولا يتركونه يمارس قمعه باستمتاع، وهم يستفيدون سياسيا من صراعهم معه، ويربون كوادر سياسية، ويكسبون

تعاطف الرأي العام، والنظام يضربهم لكي ينسحبون وهم لن يستسلموا له، أليست هذه وجهة نظر معتبرة؟

** أنا أرى أنها ليست وجهة نظر معتبرة.

* المعادلة تقول عندما يضرب النظام الإخوان إذن فهو خائف منهم، وما دام أن النظام يتوجع بسبب الإخوان فهذا دليل على أن الإخوان يتجهون في الاتجاه الصحيح؟

** ليس بالضرورة.. حتى لو كنت أسير في الاتجاه الصحيح فيجب أن أصوب اتجاهي لو تريد أن تكون أكثر صوابا.

* ألا ترى معي أن الجماعة لو اتخذت قرار الانسحاب من الحياة السياسية، وعقدت هدنة مع النظام، ولو من طرف واحد، من الممكن أن يعرضها للانشقاقات، أو على الأقل صدمة عند القاعدة الإخوانية؟

** لا أعرف ماذا يفعل، ولكن على الأقل يطرح ويناقش.. يطرح على علماء من الإخوان ومن غيرهم، ما فوائده وما أضراره؟.

* قد يبدو ضعفا وترددا من الجماعة، وهم يحبون أن يظهروا بمظهر القوي المتماسك المؤمن بلا حدود بمبادئه وأفكاره؟

** الأفضل أن يناقشوا، وأن يسمعوا الذي لهم والذي عليهم، ويقوموا بعمل دراسة جدوى للأفكار، لكن للأسف هم لا يفعلون ذلك.."اثنين أو ثلاثة يقولوا لا يبقى لا اتنين أو تلاتة يقولوا نعم يبقى نعم".

* كيف يتم التعامل مع مثل هذه المبادرات عامة، وكيف عوملت رسالة عادل كمال؟

** الأستاذ المرشد قال إن شاء الله ربنا يسهل يعني هنشوف هنعمل إيه

* يعني هل ستطرح للنقاش؟

** لا أعلم، لكن الرجل مشكورا وعدني خيرا.

* ماذا دار بالتفصيل؟

** لا أستطيع أن أقول لك ماذا دار بيني وبينه بالتفصيل، لكني أستطيع أن أقول لك إني حدثته في المضمون الذي ذكرته لك، والرجل أبدى استجابة، وليس من حقي أن أقول لك الذي دار بيني وبينه، لو كان من حقي كنت قلته لك، والذي أستطيع أن أذكره أن الرجل قال نفكر في الموضوع، وكان معه آخرون.

* هل ترى أن الجماعة فشلت؟

** لا.. من الناحية السياسية فشلت، ولكن عندما أقول فشلت يعني ليست موجودة.. الإخوان موجودة وستظل موجودة ولن يستطيع أحد القضاء عليها، ولكن هي لم تحقق أهدافها العليا، ومن الفشل عدم الاقتراب من الأهداف العليا للجماعة، نحن نقوم بعمل تنظيم محلك سر بأشكال مختلفة.. التقدم نحو الأهداف المرجوة أو المعروفة في أدبيات الإخوان ليس موجودا إلا إذا سميت العدد الكبير والحشد تقدما، وهو بالفعل تقدم لكن إذا اكتشفنا أن التوسع العددي ليس له بنيان ثقافي وأخلاقي يقوم عليه هذا الحشد يكون هذا هو الفشل، العدد يزيد والتوسع موجود، والتصور قاصر، والتعامل مع المشكلات "مفيش".

* الجماعة أثرت على المجتمع إيجابيا من الناحية الأخلاقية والدينية، فالمجتمع في الستينيات كان قد تقهقر من ناحية الالتزام بتعاليم الإسلام، والآن انتشرت مظاهر الحجاب في مقابل الميني جيب في الستينيات، ألا ترى أن الإخوان هم السبب في ذلك؟

** نعم.. ولكن ليسوا السبب الرئيسي، كانت عدة عوامل أهمها: الاستبداد السياسي الذي أدى إلى فضيحة٦٧، والإخوان عامل من العوامل التي أدت إلى زيادة الأفكار الدينية في المجتمع، وتفتح أفكار الشباب وليس الإخوان وحدهم.

* الإخوان لديهم مشروع دولة يشمل نواحي كثيرة دينية وثقافية وتربوية وأخلاقية، فهل أثروا في المجتمع في كل هذه النواحي، وهذه المهمة الرئيسية لهم أن يؤثروا في محيطهم المجتمعي؟

** نعم أثروا؛ لكن المجتمع المسلم الذي تحكي عنه أنا لا أراه، أسمع عنه فقط، فهل مجتمع الإخوان المسلمين مجتمع مسلم بمعنى القيم الدينية والأخلاقية والأدبيات الدينية أضعف من ذي قبل.

* لكن تأثير ليس كبيرا؟

** أثر تأثيرا ليس كبيرا.

* وهذا في حد ذاته نجاح؟

** نعم.. القصة تشبه سوبر ماركت يبيع بضاعة للجمهور، فيمكن أن يبيع بألف جنيه في اليوم، ويمكن أن يبيع بمائة فقط، فلماذا لا يبيع بمائة ألف لعوامل كثيرة جدا، فهو فاشل في إدارة المشروع فهو يبيع لكن ليس بالتارجت المرجو.. عشرات السنين والشكل واحد والصورة واحدة "ومحدش واخد باله إن فيه حاجة"، لأنه ليس هناك وصول لمحطات عند جماعة الإخوان المسلمين لماذا؟. لأن هناك بعد سياسي غائب.

* هناك من يرى أنه طالما أن الإخوان لم يصلوا للسلطة فهم لم يحققوا الهدف هل أنت مع هذا المفهوم؟

** لست مع هذا المفهوم.

* إذن فالإخوان يتقدمون ويكسبون خبرات سياسية يوما بعد يوم ويحققون نجاحات على المستوى الشعبي وغيره إلى أن تحين اللحظة وعشرات السنين في عمر الشعوب ليست كثيرة؟

** هناك أشخاص تنظر إلى الموضوع من بعيد، وأنا أنظر له من قريب.. أهم شيء في تحقيق الأهداف أن يكون مستوى الكوادر رفيع، وأنا لا أرى ذلك عند الإخوان، لماذا؟ لغياب عنصر التربية والثقافة والدعوة في المناهج وفي التصرف وفي السلوك وفي التعامل.. العنصر الغالب هو: الحكومة "قالت إيه وعملت إيه"، وهم لا يجيدون التعامل معها بشكل صحيح إذا كنت لا تستطيع أن تأخذ هدنة ١٠ سنوات فالإجراء المطلوب منهم "هم مش عارفين يعملوه".

* وما هو الإجراء المطلوب منهم في حالة عدم القدرة على أخذ الهدنة؟

** اسألهم هم.. حاجة من اثنين إما مواجهة الحكومة وإما تهادنها.

* عاكف قال لعادل كمال الدولة لن توافق على الهدنة؟

** هذا قفز على النتائج هل يريد أولا أن يأخذ "كارت بلانش" أن توافق الدولة على محاورته.. أليس هو صاحب دعوة؟ سيدنا محمد (ص) أرسل رسائل لكسرى والمقوقس وكل الملوك في ذلك الوقت.. لابد أن تكلمهم وتتفاهم معهم.

* سألت عاكف قبل ذلك في حوار أجريته معه عن فكرة طرح مبادرة الهدنة مع النظام فقال لي أنا أطرح المبادرة من خلال هذا الحوار مع الدولة، ولكنها لن تستجيب؟

** "هذا كلام إذا مشي عليك لا يمشي علي" هذا كلام لإبداء حسن النية، والرجل حسن النية، لكنه لا يسلك الطرق الصحيحة، ولا يلح في طلبه في التفاهم

والحوار، والسياسة هي محاولة الممكن، وليست محاولة المحال.. دولة بهذه الظروف لابد أن أقرأها جيدا، ولابد أن أتعامل معها على ضوء شكلها وشكلي، ماذا تمتلك؟ وماذا أمتلك؟ هذا الذي يجب أن أفعله إذا كنا نقول إننا أصحاب سياسة.

* ماذا تتوقع لمستقبل الإخوان؟

** الإخوان جماعة غير قابلة للانحلال، ولو اجتمع مكتب الإرشاد وحل جماعة الإخوان فلن تنحل، لماذا؟ لأنها تمثل وجدان الشعب المسلم في دولة إسلامية بغض النظر عن مدى تحقيق ذلك أو عدمه، فهي جماعة تخاطب وعي أقدس جزء في نفس المسلمين على مستوى العالم، ولكن كوب الشاي هذا (يشير إلى كوب شاي أمامه) ينجز في ٣ دقائق، الإخوان ينجزوه في ٣ أيام، هناك خطأ ما لابد أن نبحث عنه، الإخوان تأخذ ١٠٠ ضعف الزمن المطلوب لأنهم لا يقرءون الواقع قراءة جيدة.

* الإخوان يرون أن تبنيهم لهذا الأسلوب ينطلق من منطلق شرعي على أساس أن التقدم التربوي والدعوي لابد أن يتم بالتوازي مع الجانب السياسي وهذا ما فعله الرسول (ص)؟

** النبي (ص) وقع على معاهدة صلح الحديبية وعندما أمر الصحابة بحلق رءوسهم - على اعتبار أنهم بذلك قد أدوا العمرة- فلم يطيعوه، فدخل عليه الصلاة والسلام إلى أم سلمة وقال لها هلك المسلمون أمرتهم أمرا فلم يطيعوا "وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله"، فقالت له احلق واخرج "كانت الصدمة مؤثره فيهم"، ورأى المسلمون وقتها أن نصوص المعاهدة ليست في صالح المسلمين، وأثبت التاريخ أن نصوصها كلها كانت ليست في صالح

المسلمين.. كانت هدنة بعدها فتح المسلمون مكة بعد أن حالفت بنو بكر ومعها قريش وهاجموا خزاعة حلف المسلمين، وانتهى الشرك من مكة بسبب صلح الحديبية الذي لم يوافق عليه أحد حتى علي بن أبى طالب.

وهذه الهدنة لن تقضي على الإخوان، وهي في مصلحتهم، وفي مصلحة مصر، ولو قرر مكتب الإرشاد أن يحل الجماعة ما استطاع؛ لأنها تمس الحلم والشعور الديني عند المسلمين، والبنا نفسه طلب منه النحاس باشا أن لا ينزل الانتخابات، وقال له الإنجليز لا يريدون ذلك، والبنا بذكائه السياسي رأى أن الوقت غير مناسب، ولم يدخل الانتخابات بالفعل.

الإخوان والحائط السد في الحوار مع محمد حبيب[1]

الدكتور محمد حبيب من القيادات المهمة داخل جماعة الإخوان المسلمين في مصر، فقد كان النائب الأول للمرشد العام السابق للإخوان والمسلمين، ومن الشخصيات التي لعبت دورا مؤثر في الإخوان في السنوات الأخيرة.

وفي هذا الحوار - الذي جاء عقب الانتخابات البرلمانية المصرية التي شارك فيها الإخوان ثم انسحبوا بفعل ما أسموه بالتزوير والفساد الذي حسمها للحزب الوطني الحاكم بنسبة فاقت الـ٩٥٪ من مقاعد البرلمان- يتحدث حبيب عن الفارق بين انتخابات ٢٠٠٥م التي حصل الإخوان فيها على ٢٠٪ من مقاعد البرلمان وانتخابات ٢٠١٠م التي ليس للإخوان اي تمثيل فيها؛ مؤكدا أن ذلك التوجه هو استراتيجية من النظام السياسي لحبس جماعة الإخوان داخل تنظيمهم وعزله عن الشعب المصري؛ وتأكيده أن البرلمان يشكل للإخوان مظلة قانونية وسياسية للتواصل الإخواني مع الجماهير.

وتناول حبيب في حواره كذلك بعض المبادرات داخل الجماعة ومنها مبادرات بضرورة اعتزال السياسة ما بين ١٢ إلى ٢٠ عاما يعكتف خلالها الإخوان لعملية إصلاح داخلي، وتنازل -أيضا- رؤيته لإصلاح الإخوان المسلمين.

والدكتور محمد حبيب من مواليد ١٩٤٣، وتخرج في كلية العلوم، ثم سافر للدراسة في للولايات المتحدة عام ١٩٧٨م وحصل على الدكتوراه وعمل أستاذا جامعيا، وتعرض للاعتقال عدة مرات على خلفية الانتماء للإخوان المسلمين .

* لماذا فتح لكم النظام الباب في ٢٠٠٥ ثم أوصده مرة أخرى في ٢٠١٠؟ هل استنفد غرضه من الجماعة بإثباته للغرب وللأقباط بأنه لا يوجد في مصر غير ديكتاتور متعاون أو إسلامي متطرف؟

(١) (نشر بموقع إسلام أون لاين) .

** لم يفتح النظام الباب لإجراء انتخابات شبه نزيهة عام ٢٠٠٥م إلا بسبب الضغوط التي مارستها عليه إدارة الرئيس بوش.

وقد فهم الشعب المصري بذكائه أنه يوجد ثمة رضا من قبل النظام لهذا التوجه، فخرج عن بكرة أبيه يظاهر المرشحين من الإخوان.. ولعلنا لاحظنا ذلك في المسيرات والمؤتمرات التي حضرها عشرات الألوف من جماهير الشعب أثناء حملة الدعاية الانتخابية، فضلا عن الإصرار على الوصول إلى صناديق الاقتراع أيام التصويت.

ثم كان هناك الإشراف القضائي الكامل، داخل لجان الاقتراع، وقد تمثل هذا في قاض لكل صندوق. وقد حاز الإخوان في المرحلتين الأولى والثانية على ٧٦ مقعدا، وهو ما جعل النظام يفقد اتزانه، فانقلب في المرحلة الثالثة إلى وحش كاسر يبطش بالإخوان وأنصارهم في معركة تكسير عظام.. وقد تمخضت هذه المعركة عن ١٤ قتيلا و ٨٠٠ جريح ومصاب ومعوق، و١٧٠٠ معتقل، وفاز الإخوان في هذه المرحلة بـ ١٢ مقعدا فقط.

بعد ذلك جاءت الانتخابات التشريعية الفلسطينية في ٢٥ يناير ٢٠٠٦ وفازت فيها حماس بأغلبية جعلتها تشكل الحكومة.

ومن هنا بدا واضحا للمراقبين والمحللين أن أجواء الحرية والديمقراطية، وإجراء انتخابات حرة وشفافة ونزيهة، سوف تمكن الحركة الإسلامية (خاصة الإخوان) من تحقيق الأغلبية التي تستطيع بها تغيير الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي في بلادها..وهذا مرفوض داخليا وخارجيا.

وقد ترتب على ذلك تغيير كامل فى استراتيجية التعامل مع الإخوان..وعاد النظام يمارس ديكتاتوريته واستبداده المعهودين.. ظهر ذلك في التضييق والملاحقة والاعتقالات والمحاكم العسكرية لنشطاء الإخوان.. وظهر أيضا في الانقلاب على الدستور فى ٣٤ مادة

منه، والتي تضمنت إقصاء الإشراف القضائي على الانتخابات..وظهر كذلك في التزوير الكامل في انتخابات الشورى عام ٢٠٠٧ ، وانتخابات المحليات عام ٢٠٠٨ ، وانتخابات الشورى عام ٢٠١٠ ، وانتخابات مجلس الشعب عام ٢٠١٠ .

* كنت مع المرشد السابق مهدي عاكف وقت إجراء التفاهم بينكم وبين ما أسماه عاكف (شخصية مهمة في النظام) للاتفاق على عدد المرشحين الإخوان في انتخابات ٢٠٠٥ مقابل حرية الحركة وعدم التدخلات الحكومية.. هل طرحتم هذا على مجالس الشورى؟ وهل يعنى هذا أن دخولكم البرلمان مرهون بإذن وأغراض النظام؟ ولماذا تتم محاسبة قيادات الجماعة على هذا الاتفاق بعد الإعلان عنه للقواعد؟

** يجب أن نعترف أن هناك أزمة فى العلاقة بين السلطة والإخوان في مصر، نتيجة تراكمات على مدى عقود، وأن هذه الأزمة كانت ـ وما تزال ـ تمثل جزءا من أزمة السلطة مع المجتمع ككل.

وقد كان هناك بالفعل مشروع تفاهم بين السلطة والإخوان فى بداية عام ٢٠٠٥، في إطار إصلاح سياسي عام يهم كل أبناء الوطن..وقد سعت إليه بعض الشخصيات الوطنية التى تربطها علاقات حسنة بالطرفين والتي كانت تأمل في أن حل هذه الأزمة سيكون له أثر إيجابي على كل الأطراف؛ المجتمع والسلطة والإخوان، على اعتبار أن الإخوان يمثلون أكبر فصيل سياسي معارض في مصر.

وقد كان ضمن هذا المشروع بطبيعة الحال موضوع الانتخابات ٢٠٠٥.. لكن للأسف تعثر المشروع فى بداياته لاختلاف الرؤى والتصورات..وبالتالي لم يكن هناك شيء يمكن طرحه أصلا على مجلس الشورى..نحن أردنا أن يكون هناك مشروع متكامل له ملامحه، لكن ذلك – للأسف – لم يحدث.

إن قرار المشاركة فى الانتخابات البرلمانية هو قرار إخواني صرف ولا دخل لأية جهة فيه..أما دخول البرلمان، أو عدمه، لمرشحي الإخوان وغيرهم فهو فعلا مرهون بإرادة السلطة، خاصة بعد الإقصاء الكامل للإشراف القضائي، وذلك واضح في الانتخابات البرلمانية الأخيرة.

اختلاف السياق

* من وجهة نظركم، هل قدرت قيادة جماعة الإخوان المسلمين اختلاف السياق العام الداخلي والخارجي في دخول الانتخابات في ٢٠٠٥ عن سياق انتخابات ٢٠١٠ (انتكاسة الحراك السياسي - تمديد العمل بقانون الطوارئ - التعديلات الدستورية وإلغاء الإشراف القضائي - انقسامات المعارضة - وانقسامات داخلية)؟

** بالطبع كان هناك تقدير كامل لهذا الاختلاف، ولم يكن الإخوان يتصورون أنهم سيحصلون في هذه الانتخابات على ما حصلوا عليه في انتخابات ٢٠٠٥، وإنما كان تقديرهم في حدود من ١٠ إلى ١٥ مقعدا فقط..لكن يجب ألا ننسى أن ما حدث في انتخابات ٢٠١٠ من انتهاكات ومهازل فاق كل تصور.. لقد كان هناك تزوير، وليس انتخابات.

* هل كان الإخوان غير عارفين بأن الانتخابات ستزور، وما إن زورت أعلنوا انسحابهم، أم كانوا يعلمون أنها ستزور ثم دخلوها لكى يحرجوا النظام؟

** الشعب المصري كله، حتى الناس البسطاء، كانوا يعلمون أن الانتخابات ستزور بنسبة عالية، لكن لم يكن أحد يتوقع أن يكون التزوير لصالح حزب السلطة فجاء على هذا النحو الكارثي وغير المسبوق.

ما كان يهم الإخوان هو ألا يغيبوا عن الساحة السياسية، خاصة أن السلطة تتبنى استراتيجية إقصائهم تماما منها..وقد أثبتوا حضورهم بشكل قوي، وبرزوا كرقم

صعب لا يمكن تجاوزه..صحيح أنهم كانوا يستهدفون الحصول على عدد معقول من المقاعد داخل المجلس، لكن بدا واضحا من الجولة الأولى أن السلطة مصممة على الإقصاء الكامل لهم..لذا كان لا بد من الانسحاب.

* ما هي مكاسب الجماعة وخسائرها من قرار الدخول ثم الانسحاب؟

** من المكاسب: امتلاك الجماعة لقرارها، إثبات وجودها وحضورها كرقم لا يمكن تجاوزه أو إغفاله فى أي معادلة سياسية، واستعادة احترام الرأي العام لها (وإن كان البعض يعتبر الانسحاب ليس لمبدأ وإنما بسبب عدم الفوز بأي مقعد في الجولة الأولى).

ومن الخسائر: فقد المقاعد القليلة التى كان من الممكن أن تحصل عليها الجماعة، وازدياد حدة الأزمة مع السلطة، ما سيترتب عليه مزيد من التضييق في الفترة القادمة.

آلية الشورى الإخوانية

* نسبة الـ ٩٨ ٪ من مجلس الشورى تقرر خوض الانتخابات، ثم تنقلب هذه النسبة إلى مؤيدة للانسحاب قبل جولة الإعادة..هل ترى أن آلية الشورى عند الجماعة صالحة في ظل مجلس شورى لا يجتمع أصلا؟

** بالتأكيد استطلاع رأي أعضاء مجلس الشورى كأفراد يختلف عن استطلاع رأي المجلس مجتمعا، حيث تكون هناك مناقشة وحوار وتبادل آراء..وفي هذه الحالة ربما تتبدل أو تتغير النسبة كثيرا، سواء فى المشاركة، أو فى الانسحاب..غير أن هناك مشكلتين فى مسألة الشورى في الجماعة..المشكلة الأولى عدم استطاعة عقد اجتماع مجلس الشورى بسبب الظروف السياسية والأمنية.

والمشكلة الثانية هي الخلط بين الهيئتين التنفيذية والشورية..فالمرشد يترأس مجلس الشورى وهو عضو فيه، وأعضاء مكتب الإرشاد هم في نفس الوقت أعضاء في

مجلس الشورى، ورؤساء المكاتب الإدارية أعضاء في مجلس الشورى، و معظم إن لم يكن كل أعضاء مجلس الشورى يقومون بأعمال تنفيذية.

فإذا أضفنا إلى ذلك أن مكتب الإرشاد له أن يعين ١٥ عضوا في مجلس الشورى.. لتبين لدينا أن نسبة التنفيذي إلى الشورى داخل المجلس تكاد تصل إلى حوالى ٩٨٪.. ولحل هذه المعضلة لا بد من فصل التنفيذي عن الشورى حتى تكون لدينا شورى بالمعنى الحقيقي للكلمة.

* هل تمتلك جماعة الإخوان المسلمين الآن قادة سياسيين من الدرجة الرفيعة لديهم قدرة على إبحار سفينة الجماعة في ظل الأنواء السياسية التي تمر بها البلاد حاليا؟

** جماعة الإخوان المسلمين جماعة ولود ولديها مخزون كبير من ذوي الطاقات المبدعة والإمكانات الخلاقة.. لكن المشكلة في المناخ السياسي الرديء الذي تعيشه الجماعة ويعيشه المجتمع المصري.. ولا شك في أن القمع والبطش الذي تمارسه السلطة في حق الإخوان، فضلا عن الملاحقة والمطاردة وكافة وسائل التضييق يمنع من وجود حراك حقيقي وفاعل داخل الجماعة بما يؤدى إلى ظهور قادة سياسيين مبدعين.

الإخوان وتكلفة الانتخابات

* البعض يرى أن الجماعة تخاذلت في الوقوف بقوة ضد التعديلات الدستورية حتى لا تثير غضب النظام، وحتى لا يصدر أحكاما قاسية على قيادات الجماعة المحاكمين عسكريا، ثم بعد أن صدمها النظام في أحكامه تجني ثمار سياستها الخاطئة.

** لعلنا نذكر تلك التظاهرات الضخمة التي قام بها الإخوان أثناء رفضهم تعديل نص المادة ٧٦ من الدستور عام ٢٠٠٥، وخلال دفاعهم عن السادة القضاة فى ١٨ مايو ٢٠٠٦، وكيف تم اعتقال أكثر من خمسة آلاف متظاهر منهم آنذاك، ومع

ذلك مضى النظام في سياسته وتنفيذ ما أراد.. وقد كان من الممكن أن يكرر الإخوان ذلك أثناء نظر التعديلات الدستورية وقبل الاستفتاء عليها في ٢٥ مارس ٢٠٠٧، بغض النظر عن الأحكام العسكرية التي صدرت بعدها في ١٥ أبريل، إلا أنهم كانوا على يقين من أن النظام لن يعبأ بالتظاهرات ما لم يشارك فيها الشعب بالثقل الكافي الذي يجعل هذا النظام يتوقف عن المضي قدما في فرض ما يريد.

* هل ترى أن الجسد الإخواني أرهق من كثرة دخول الانتخابات، وأن هذا الجسد لا بد له من استراحة محارب؟ أم أن الجماعة حسبما يرى البعض في حاجة لهذا الصراع الدائم الذي تحيا عليه؟

** لأسباب كثيرة ومتعددة، ومنذ عام ١٩٩٠ تحديدا وحتى الآن والنظام ينتهج استراتيجية حبس الإخوان داخل التنظيم، أي الحد من نشاطهم ومحاولة منعهم من ممارسة العمل الدعوي العام.. تلاحظ ذلك في التضييق عليهم داخل الجامعات، والنقابات المهنية، والجمعيات، والمساجد..إلخ. ومن ثم تصبح المشاركة في الانتخابات هي الوسيلة الأنجع في التواصل مع الجماهير على المستوى المجتمعي العام.. ولأن النظام يعلم ذلك جيدا، لذا فهو يعمد إلى القيام باعتقال أعداد كبيرة من الإخوان أثناء حملات الدعاية الانتخابية، ليس لتقليص فرص من يحتمل فوزه من مرشحي الإخوان فحسب وإنما لمنع الإخوان من استثمار الدعاية في العمل الدعوي.

مبادرة أبو الفتوح

* ما رأيكم في المبادرة التي طرحها الدكتور أبو الفتوح والتي دعا فيها الجماعة إلى الابتعاد عن دخول الانتخابات ٢٠ عاما، وقال إن الإخوان ليسوا في حالة منافسة

على السلطة، وأن ذلك ليس من وظائف الجماعة، وأن النظام يتخذ من صراع الجماعة معه ذريعة لبقائه، كما دعا إلى فصل الدعوي عن الحزبي لا السياسي، كما دعا إلى عدم الربط بين السلطة والدعوة؟

** هذه المبادرة سبقه إليها الدكتور محمد البلتاجي، وإن كان قد حدد الفترة بـ ١٢ عاما فقط، أي فترتين رئاسيتين..والفكرة ليست جديدة، فلعلنا نذكر أن الإخوان وأحزاب الوفد والعمل والأحرار قاطعت الانتخابات عام ١٩٩٠، في محاولة للضغط على النظام آنذاك لتوفير ضمانات لنزاهة الانتخابات، وقد شذ حزب التجمع عن ذلك.

وقد أدرك المقاطعون فيما بعد أن النظام لم يكترث لهذه المقاطعة، فشاركوا في انتخابات ١٩٩٥.

عموما تحتاج الفكرة إلى دراسة جادة فى ظل المتغيرات المحلية والإقليمية والدولية التي نعيشها، وما هو متوقع في المرحلة القادمة..وفي تصوري إن المشكلة بالنسبة للسلطة لا تكمن في المشاركة بحد ذاتها، وإنما في حجم المشاركة.

وأرى أنه من المبالغة اعتبار المنافسة على بضعة مقاعد داخل مجلس الشعب منافسة على السلطة، لكن هذه المقاعد تهيىء للإخوان مظلات سياسية وقانونية لممارسة العمل التربوي والدعوي، علاوة على توضيح وتبيان رؤى الإخوان فى المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يعانيها المجتمع، فضلا عن التصدي للاستبداد وملاحقة الفساد عبر القنوات القانونية.

إن المنافسة على السلطة تتطلب تشكيل حزب سياسي للإخوان، وهو ما يمكن اعتباره أمرا مستحيلا في ظل المناخ السياسي الحالي..ثم إن الإخوان لن ينافسوا على السلطة ما لم تتكون قاعدة جماهيرية ورأي عام قوي يستطيع فرض إرادته

عليها ويكون قادرا على محاسبتها، وحتى عزلها، حال تقصيرها أو مخالفتها ما تعهدت به أمام الرأي العام، وهذه هي الضمانة الحقيقية للديمقراطية.

* ما الذي يجب أن يفعله الإخوان في المرحلة القادمة في تصورك، وما هي الملفات التي يجب فتحها؟

** حالة اليأس والإحباط التي تسود الشعب المصري الآن جراء ما حدث من اغتصاب وسرقة للوطن في وضح النهار من خلال المسرحية الهزلية المسماة بانتخابات مجلس الشعب، أقول هذه الحالة تحتاج إلى:

أولا: خطاب رصين إلى الشعب يستهدف انتشاله من وهدته، وإحياء الأمل في قلبه، ويدعوه إلى عدم الاستسلام إلى حالة الضعف والوهن التي يشعر بها، واستعادة الثقة في نفسه وقدرته على التغيير، وأنه لا يضيع حق وراءه مطالب، وأن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة..إلخ.

ثانيا: جمع قوى المعارضة حول المطالب السبعة التي دعت إليها وتبنتها الجمعية الوطنية للتغيير، وتحديد الوسائل والأدوات لتحقيق ذلك، ولو على مراحل، وأن تكون هناك شفافية وصراحة ووضوح بين الفرقاء، وأن تكون إدارة العمل وفق آلية الشورى أو الديمقراطية، فليس من المعقول أن نواجه سلطة استبدادية ونحن نمارس الاستبداد فيما بيننا..ويجب أن نضع في اعتبارنا أن المرحلة القادمة ربما تتطلب تضحيات كبيرة في الوقت والمال والجهد، وربما الحرية.

* هل فتحت الجماعة بالفعل ملف الإصلاح الداخلي، أم أنه أجّل لإشعار آخر، وما هي أهم الملفات التي يجب أن تفتح أولا؟

** أعتقد أن كل شيء مؤجل الآن، وأظن أن السلطة حريصة على ألا يحدث أي تطوير في أداء الجماعة، من خلال عدم إتاحة الفرصة لها لسد ثغراتها وإعادة ترتيب

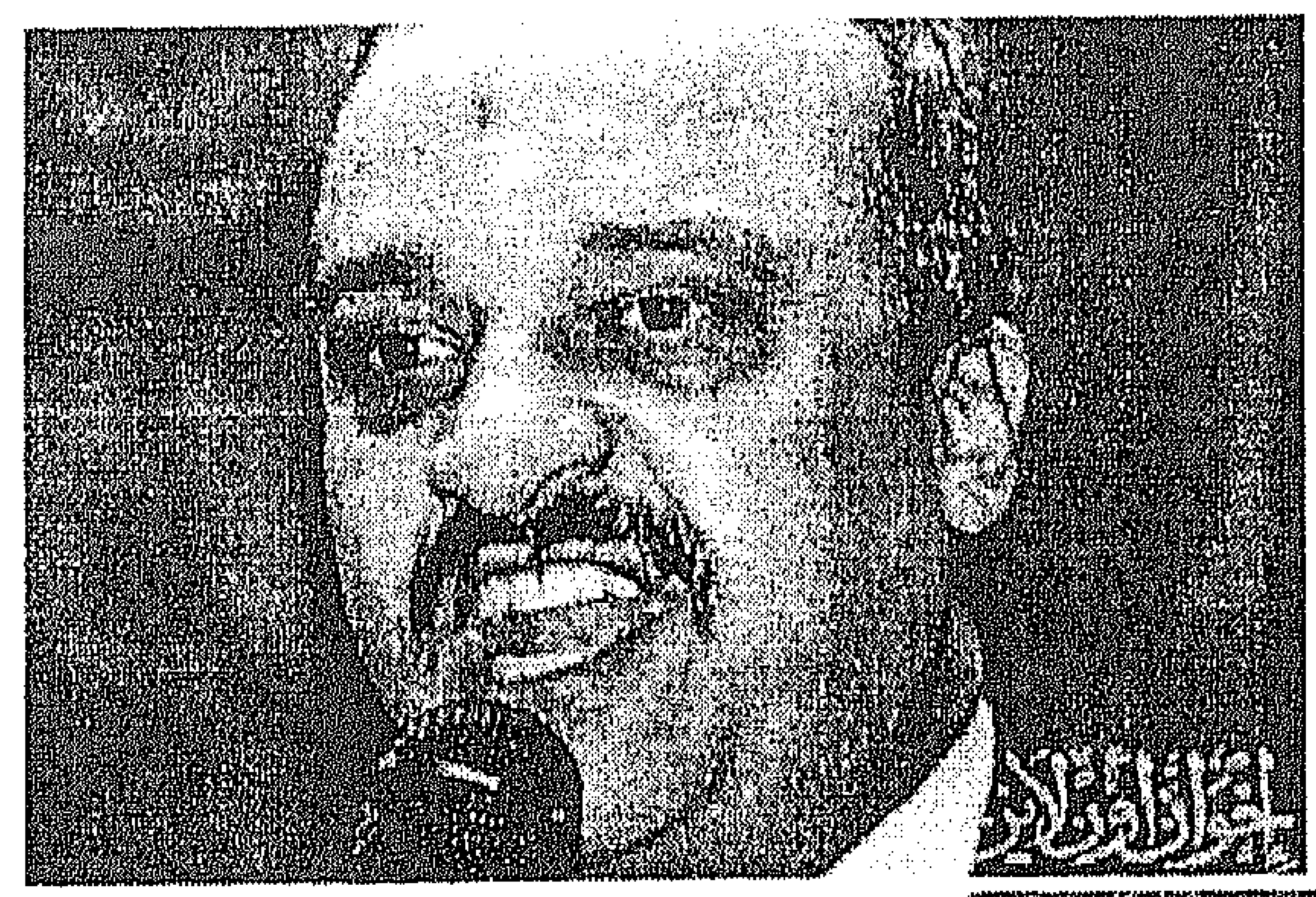
أوراقها، وذلك بالتضييق عليها وتوجيه ضربات انتقائية للجماعة بين الحين والآخر..غير أني أتصور أن أهم الملفات التي يجب أن تكون لها الأولوية الكبرى هي الشورى في الجماعة.

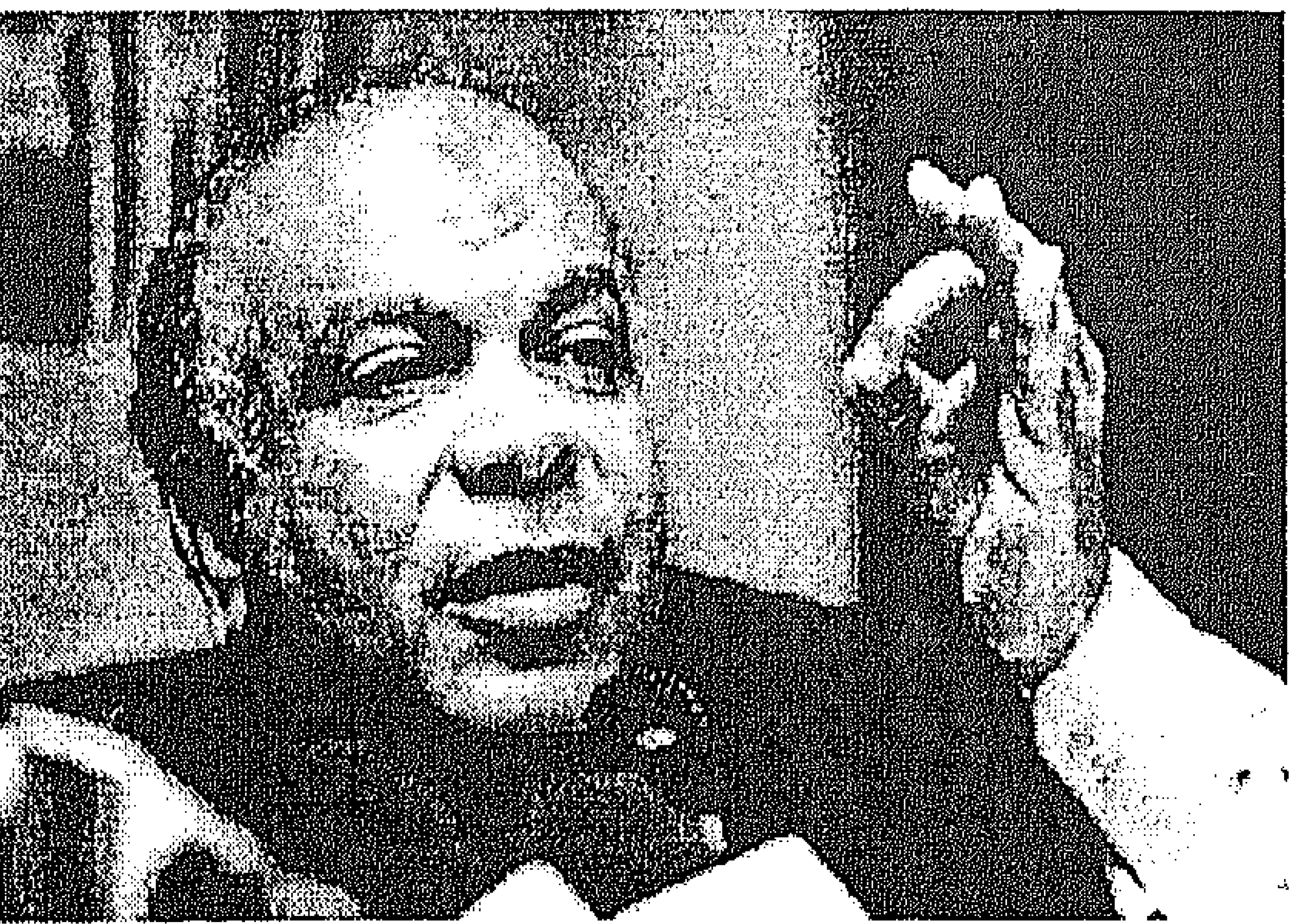
يجب أن يترك المرشد وأعضاء مكتب الإرشاد مواقعهم في مجلس الشورى حال اختيارهم لمواقعهم الجديدة، وألا يكون رؤساء المكاتب الإدارية أعضاء في مجلس الشورى، وألا يعطى لمكتب الإرشاد حق تعيين أعضاء في مجلس الشورى، وأن ينتخب هذا المجلس رئيسا له ونائبا للرئيس وأمينا للسر، بحيث يستطيع أن يمارس صلاحياته كاملة في التشريع والمراقبة والمحاسبة.

* ما هو مستقبل جماعة الإخوان المسلمين في السنوات القادمة؟

** في ظل حالة الركود وانسداد الأفق السياسي اللذين تعيشهما مصر، لا يستطيع أحد أن يتكهن بما سوف يحدث اليوم أو غدا أو بعد غد.. أنا أشعر بأن الإخوان - وكل القوى السياسية والوطنية - أمام حائط مسدود على المستويين الداخلي والخارجي.. ويتوقف مستقبل المشروع النهضوي للجماعة على مدى ما يمكن أن تحدثه من ثقوب وثغرات في هذا الحائط.. عليها أن تفكر في طرح جديد يأخذ بزمام المبادأة، لا أن تظل الجماعة مرهونة بسياسة الفعل ورد الفعل التي يفرضها عليها النظام.


البرلمانيون









في الحوار الأول معه قال محمد سعد الكتاتني[1]:

(سنقوم بالتوسط لحل مشكلة النظام مع الجماعة في الأيام القادمة؛ لأن ذلك في صالح مصر، وإذا وافق مبارك سنقوم بطرح مبادراتنا، ومقابلة الرئيس ليست أمرا صعبا).

(لا أتصور أن أوباما سيدعوني لزيارة الكونجرس، ولكن إذا دعاني سأذهب لأقول رأيي في الديمقراطية، وحقوق الإنسان، وهذا من حق المعارضة المصرية).

بعد أن قذف بيا الباص وركضت خلفه عدة خطوات في حركة ميكانيكية معتادة وجدت نفسي باتجاه مقصدي العمارة ٢٦٥ جسر السويس أول مبني متكامل تمتلكه جماعة الإخوان المسلمين علنيا منذ ثورة يوليو لتجعله مقر لـ٨٨ نائبا لها في البرلمان المصري تستقر قواعد هذا العقار على حصانتهم ..عندما هممت بالدخول إذا بشخصين يبادران بالإسراع نحوي وأخذا يستجوباني عن اسمي وصفتي ومبتغاي كانت أجواء القلق الأمني تلبد أسقف هذا المكان مفرط كان هذا القلق أم قواما لا أدري فأهل المكان أدرى بدهاليزه .. استوقفت بالانتظار إلى أن أتي مضيفي الرجل الذي أتى من عالم النبات إلى عالم السياسة فلم تستطع أن تلوثه بعوادمها وضوضائها وسحبها السوداء ..جاء من معمله ومن بين غبار كتبه ورسائله ومن وسط تلامذته يحمل وقار المعلم ونقاء المؤمن بالله ووضوح الصعيدي ورزانة الأكاديمي .. استدعى الرجل إلى عالم جديد كأن هاتفا طرق منامه في لحظة كشف صوفي فزحف

(١) (نشر جزء من هذا الحوار على شبكة إسلام أون لاين).

إلى العاصمة ملبيا النداء ليتساءل الجميع من هذا الرجل ؟ أنه محمد سعد الكتاتنى الذي كلفته جماعة الإخوان المسلمين لكي يكون زعيما لكتلتها البرلمانية التي شكل عددها ال٨٨ صدمة للجميع آنداك ..

.. وقتذاك اندهش الجميع من هذا الاختيار فالكتاتني لم يكن يعرفه أحد حتى قواعد جماعة الإخوان نفسها وشكك الكثير في قدرة الرجل على قيادة كتلة الجماعة البرلمانية التي كانت تضم عددا لا بأس به من الشخصيات المعروفة وانتقدوا كثيرا طريقة تعيينه التي فرض فيها فرضا لكن ما لبث أن انتخب للمرة الرابعة على التوالي لرئاسة كتلة الإخوان البرلمانية وينتخب أيضا لعضوية مكتب إرشاد الجماعة فبدا أنه الرجل الذي ظهر لينتخب دائما وكأنه يحوز على ثقة الجماعة كلها نخبتها وقواعدها لا تجد من يختلف عليه فلم يذكر للكتاتنى أنه أخطأ خطئا واحدا منذ دخل العمل العام فتصريحاته محسوبه على ميزان أدق من ميزان الذهب وتصرفاته محسوبة على حاسب الكتروني فلم يغضب أحدا لا من قيادات الجماعة التقليدية ولا من التجديدية ويصعب حسبانه على أحدهما فبدا الرجل كأنه رمانة ميزان وأثبت كفاءة منقطعة النظير وحاز على أعجاب المتابعين حتى الدكتور فتحي سرور رئيس المجلس لم يخفى إعجابه بالرجل..

المرأة والسلم

استقبلني الرجل استقبالا أحر من حرارة ذلك اليوم القائظ وقبض على يدي برفق ثم صعد بي في أسانسير أشبه بالثلاجة الإيديال وأثناء الصعود قلت للكتاتني:

- رفعتم شعارات إسلامية، فتوجهت إليكم عواطف الشعب المتدين؛ آملا أن تكونوا المخلص المنتظر من الفقر والفساد والاستبداد، وبعد مرور ثلاث سنوات لم يكن الحصاد إلا الهشيم؟

- نحن نعدل هذا السؤال.. الحديث عن حصاد الهشيم كلام مردود عليه، فنحن كنواب في الكتلة البرلمانية قدمنا الكثير من أدوات التشريع والرقابة، والمضابط تشهد بذلك، ولكن الحزب الوطني وحكومته ومكتب مجلس الشعب لا يعرض إلا القوانين التي تقدم من الحكومة، ويجهض كل القوانين التي تقدم من النواب، وفيهم نواب الحزب الوطني، ولكن عندما تحدثني عن الجانب الرقابي فأحدثك: نحن كشفنا حالات فساد كثيرة جدا، وتقدمنا بعشرات الاستجوابات على مدى السنوات الثلاث، وتقدمنا بمئات طلبات الإحاطة، والأسئلة، وطلبات المناقشة للحكومة، وهذا دوري كنائب، ولكن أغلبية الحزب الوطني تأتي لتجهض كل هذا في النهاية؛ لأن هناك مادة تتيح الانتقال إلى جدول الأعمال، معنى ذلك أن ينجو الوزير من الاتهام بسيف الأغلبية.

- ولكن وجودكم أضر ولم يفد؛ لأنكم دخلتم التجربة ولم تفعلوا شيئا، فكرستم ثقافة اليأس عند المواطن الذي عرض نفسه للمهالك لكي يأتي بكم فلم تنقذوه لا من همه العام ولا من همه الخاص؟

- نحن مدينون للشعب المصري بالثقة التي أولاها لنواب الإخوان، وهذا شيء نفتخر ونعتز به، ولكن ما يحدث في المجتمع من تدن للخدمات فالمسئول عنه الحكومة، وليس المسئول عنه المعارضة، نحن نطالب الحزب وحكومته بحق المواطن في بعض الخدمات التعليمية والصحية، ونعرض طلبات للمناقشة يستجاب لبعضها، ويرفض بعضها، ولا تنسى أن دور النائب الحقيقي ليس تقديم خدمات على مستوى الدائرة، ولكن هي ثقافة موجودة، ونحن أيضا نمارسها؛ لأنها ثقافة موجودة، إلا أن أجهزة الحكم، سواء الوزارات أو المحافظين أو المحليات عندهم نوع من التمييز بين نواب الوطني ونواب المعارضة عموما؛ حتى يظهروا للرجل الشارع أن نائب الحزب الوطني يستطيع أن يفعل الكثير،

ونائب المعارضة لا يستطيع أن يفعل، ولكن وعي الشعب بهذه الحقائق يحبط هذه الإغراض.ونحن منتشرون بين الناس، ونعلم أن الشعب يعي هذه الحقيقة، والثقة في نواب الإخوان تزداد ليس هذا كلام للاستهلاك، بل بناء على استطلاعات رأي، ولو تقدم الإخوان مرة أخرى سيفوزون بأضعاف هذا العدد؛ لأن هناك منظومة فساد يراها المواطن، ويرغب بقوة في التخلص منها.

ديكتاتور متعاون أو إسلامي متطرف

- نجح النظام في خطته في المجيء بكم، فقد أعطى رسالة للغرب بأنه لا يوجد في بلادنا إلا ديكتاتور متعاون، أو إسلامي متطرف، هذا هو الذي كسبناه من مجيئكم؟

- نحن لم يأت بنا النظام، ولكننا أتينا بإرادة شعبية؛ بدليل أن النظام حاول في المرحلة الثانية والثالثة إقصاء أي عدد من الإخوان، ولو كان يريد النظام أن يأتي بالإخوان لرتب الأوضاع غير ذلك، ولكن الإرادة الشعبية، والإشراف القضائي، والحرية النسبية في الانتخابات، هي التي جعلت الحزب الحاكم في حجمه الحقيقي؛ حيث لم يحصل إلا على ٣٣ ٪ من المقاعد رغم كل التجاوزات الموجودة، فمقولة النظام أتى بالإخوان غير صحيحة، قد يكون استفاد من هذا الوضع بعد ذلك بوجود الإخوان، واستطاع بعد ضم المستقلين أن يضمن أغلبية تفوق الثلثين في المجلس يأخذ بها كل القرارات الحساسة، مثل: التعديلات الدستورية، ولكننا لسنا مسئولين عن ذلك؛ لأننا أدينا دورنا.

- أنا أسأل عن الجدوى من كل هذا بعد أن أعطيتم شرعية للنظام بدخولكم البرلمان واستخدمكم "كارت" ثم أحرقه؟

- وهل تطالبني بأن أقاطع الانتخابات البرلمانية مثلا حتى أترك المجال للحزب الوطني يرتع فيها.

- أليس يرتع الآن؟

- لكن وجود نواب من الإخوان يثري التجربة البرلمانية.

- يكفى عشرة نواب من الإخوان سيقومون بهذا الدور، بدلا من المحاكمات العسكرية، وإهدار ما بنته الجماعة في سنوات؟

- وجود هذا العدد يضطر الحزب الوطني إلى وجود ضعفه حتى يضمن الأغلبية في المجلس، ويستطيع أن يمرر ما يريد، فلو قارنت هذا بالدورة السابقة التي كان لنا فيها ١٧ نائبا رغم أنهم كانوا نوابا متميزين، لكن في النهاية كنت تجد أن نواب البرلمان في القاعة لا يصفون على ٤٠ نائبا، فأجبرنا الحزب الحاكم أن يتواجد بأعضائه، هذا بالإضافة إلى أن الـ١٧ نائبا كانوا لا يستطيعون تغطية أعمال اللجان كلها إلا بجهد كبير جدا.

- إذا اعتبرنا أن هذه إيجابية إلا أن هناك سلبية أكبر وهي أن النظام أصبح لديه مبرر في القيام بتعديلات دستورية أعادت الحياة السياسية في مصر ألف عام إلى الوراء.. ألم يكن من الأفضل تركيز جهدكم في تقوية المعارضة وتحريك الشارع وحل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية، ووضع حلول لملفي المرأة والأقباط؟

- كل هذا نمارسه ونفعله في آن واحد ووجود نواب في البرلمان لا يمنع أن نمد أيدينا للمعارضة والقوى الوطنية أو نحرك الشارع ولكن الحكومة تعوق هذه الأشياء أيضا كما أن الأحزاب القديمة تعقد اتفاقات مع النظام حتى تفشل أي اجتماع للمعارضة، لكننا لن نيأس، ونحن في خلال الأيام القليلة القادمة سندفع روح الحيوية في تحالف القوى الوطنية الذي كان موجودا عام ٢٠٠٤.

استجاوابات قصاصات صحف

- لـم تقدموا استجوابا يعلـق في أذهـان الناس ويؤرخ للحـياة البرلـمانية.. استجواباتكم ضعيفة، وعبارة عن قصاصات صحف، كما صرح بذلك سرور من قبل؟

- هذا البرلمان الموجود يعكس الأداء البرلماني في الحياة السياسية والتوازن للقوى السياسية الموجودة في الشارع، وفي حالة الانسداد السياسي والإقصاء تنطبق في البرلمان على سبيل المثال نحن قدمنا استجوابات عديدة لتجاوزات الداخلية ولفساد بيع وتسقيع الأراضي بالمستندات لـ١٣ شخصا من كبار القوم استولوا على مئات الآلاف من الأفدنة، هذه الاستجوابات لم تعرض ولم تر النور؛ لأن هناك انتقاء للاستجوابات ليس عجزا في الحصول على المستندات، ولكن هناك انتقاء من جانب مكتب المجلس فهو يختار استجوابات ليست لوزارات سيادية.. بالتأكيد ليست كل الاستجوابات بدرجة واحدة، لكن الاستجواب القوي الذي يقيل حكومة بأكملها لا يعرض أصلا.

- لم تقدموا أفضل مما قدمه المستقلون لا من الناحية الرقابية ولا من الناحية التشريعية؟

- نحن والمستقلون ننسق في كثير من القضايا والأطروحات ونلاحظ أن كثير من القضايا بيننا وبين المستقلين فيها اتفاق ليس هناك تميز للإخوان على المستقلين ولا للمستقلين على الإخوان هم معنا، ويجلسون بيننا كأنهم أفراد منا الأمر يختلف مع المعارضة الرسمية.

- لكن في النهاية ليس لديكم نائب بـ١٠٠ نائب؟

- لأننا جزء من المجتمع، والممارسة السياسية من أول الجامعة مؤممة، وما يستطيع أن يمارس فيه الإنسان السياسة كلها محظورات أمنية، وما في الشارع ينعكس علينا وعلى غيرنا.
- ولكن المفترض فيكم أنكم جماعة نهضوية إصلاحية تنهضون بالفرد داخلكم لينهض هو بالمجتمع ككل؟
- نحن على الجانب الآخر نعالج هذا الأمر بتدريب النواب على الممارسة البرلمانية والسياسية، وهناك تقدم بالفعل لكن البرلمان في السبعينيات والثمانينيات كان يضم أعضاء عاشوا في فترة حريات، وانعكس ذلك على الأداء البرلماني.
- هناك قصور في إدراج الأولويات وتورطتم في كثير من الفرعيات.. نائب يقدم طلب إحاطة عن هيفاء وهبي وآخر عن روبي وثالث عن الخمر؟
- هو ليس تورطا، أنا لا أستطيع أن أمنع نائبا من أداء دوره الرقابي، ولكن إذا قورنت هذه الأشياء بكم ما يؤدى من النواب فهي ضئيلة، وأنا ليست على رأسي بطحة أحسس عليها، هذه الأشياء إذا كانت مخالفة للقانون، ومخالفة للعرف العام، وتشكل إهدارا للمال العام، فلماذا لا يقوم بها النائب هل لإرضاء سين أو صاد، وإذا لم يفعلها نائب الكتلة البرلمانية يقولها غيره، ولكن أرجع إلى كم الأدوات البرلمانية الموجودة كم تمثل هذه أنا لا أقول للنائب أمتنع عن هذا، وذاك فللنائب مطلق الحرية في تقدير المسألة الرقابية إذا كانت فيها مخالفة قانونية أو دستورية أو إهدار للمال العام، وهذا أمر مطلوب.

الإخوان وأوباما

- أوباما الديمقراطي أتى.. هل تتوقعون نوعا من الحراك في ملف التحاور مع الغرب؟

- أنا لا أتصور ذلك لأننا لم نكن نتحاور أصلا قبل ذلك مع الجمهوريين لنتحاور مع الديمقراطيين.

- قابلتم نواب من الكونجرس ديمقراطيون؟

- لم يكن هذا حوارا، لكن كانت هناك لقاءات بروتوكولية ولقاءات برلمانية لم نكن متفردين فيها بوفد من الكونجرس أو غيره يحدثنا ونحدثه، وما يجري الآن وما كان يجري سابقا مع الإعلاميين، ومراكز البحوث حول القضايا المثارة، ورأي الإخوان في قضايا المرأة والتعددية، ونحن نعرض رؤيتنا في مثل هذه المستويات، أما الحوار فله أدبياته، ولابد أن يكون الحوار له أصول الندية بين المتحاورين ووضع آليات للحوار ومبادئ، وهذا ما لم يحدث في تاريخ الإخوان قط.

- أنا لا أتحدث عن المعاني المباشرة للمقابلة أنا أتحدث عن الرسائل من وراء ذلك، والتي فحواها "يا غرب نحن لسنا متطرفين".. أليس من حقكم إثبات ذلك؟

- هذه لا تحتاج إلى رسالة، فرأي الإخوان في الإرهاب والعنف رأي معلن ومنشور، وأصدر الإخوان وثيقة في ذلك، وأعلنت.

- الغرب لا يؤمن بذلك، الغرب يؤمن بأنكم الحركة الأم لكل الجماعات الإسلامية العنيفة في العالم؟

- الغرب يعلم تماما بأن الإخوان المسلمين بعيدين عن التطرف وعن الإرهاب؛ بدليل أن كل الإحداث الإرهابية التي تمت على مستوى العالم لم يتهم فيها أحد من الإخوان مجرد اتهام.

- مصر في مأزق فماذا يريد الإخوان من أنفسهم ومنا.. هناك نظام قمعي مستبد يخطط للبقاء أكبر قدر، وهناك معارضة هشة خائرة، والإخوان ليست عندهم

القدرة على فعل شيء أكثر من أنهم يضربون طيلة الوقت.. وفي النهاية تقول لي نحن ضد الضغوط الغربية.. إذن فلنمكث ١٠٠ عام قادمة حتى يأتي الفرج؟

- بداية نحن لا نراهن على الغرب، فالغرب له مصالحه، في عام ٢٠٠٤ حينما رأى الغرب أن هذه الأنظمة المستبدة صارت عبئا عليه صار مكروها من الشعوب في منطقة الشرق الأوسط رأى أن يضغط على هذه الأنظمة حتى تجرى انتخابات بصورة ديمقراطية حتى أتت هذه الانتخابات بالإخوان في مصر وبحماس في فلسطين أو في غيرها ماذا فعل الغرب؟ الغرب لا يريد ديمقراطية حقيقية، وهو يدعم الأنظمة الاستبدادية، نحن رهاننا الحقيقي على الشعوب..

انظر الحركات الاحتجاجية وإن كانت لمطالب فئوية أو مادية، ولكنها بداية يقظة شاملة يسكنها الحزب الوطني بمسكنات، ولكن ذلك لن يصمد طويلا، وسيجبر النظام على أحد حلين، إما أن يجري حزمة إصلاحات تفك حالة الانسداد السياسي، وتخفف الضغط عن الناس، ويعطي مساحة للمجتمع المدني، وأنا أشك في ذلك؛ لأنه لو أعطى حزمة من الإصلاحات، والناس تحركت بحرية كاملة؛ معنى ذلك أن هذا الحزب فاقد للشرعية، وأنه يحكم الشعب بأجهزة الأمن.

والحل الآخر أن تقوى المعارضة، وفي القلب منها الإخوان، وتضغط، وتنزل إلى الشارع، ويقوى المجتمع المدني؛ وحين إذن لابد أن يرضخ النظام أو يرحل، ولابد أن تكون هناك إرادة شعبية قة يرضخ لها النظام.

- أليس هذا تصور مثالي، فالنظام لن يهب الحرية لشعب مقموع، ولا الشعب قادر على انتزاعها من بين أنيابه؟

- سيتحول هذا الحراك الشعبي بالتأكيد إلى حراك سياسي، ولن تستطيع أن تفصل بين من يطالب برغيف الخبز أو بكوب ماء نظيف، وبين من يطالب بالحرية السياسية سيقتنع المواطن يوما أن السياسية هي التي تصنع كل هذا.

- الناس مش لاقية تاكل يا دكتور؟
- نعم.. هذا هو مربط الفرس.. الناس اللي مش لاقية تاكل هؤلاء الفقراء هم الشعب المصري الذي نراهن عليه لا نراهن على الخارج.
- لا على الداخل ولا على الخارج؟
- الداخل يحتاج إلى وقت.

أذهب إذا دعيت

- نشرنا تصريحات لكم قبل ذلك قلت فيها إنكم على استعداد لزيارة الكونجرس إذا دعيتم له، وقرأ الأمريكان، ولم يدعوكم أحد، وكان هذا في إدارة بوش الجمهوري المتشدد، الآن هل تتوقع أن توجه لكم إدارة أوباما الديمقراطي هذه الدعوة؟
- لا أتصور ذلك، ولكن إذا دعيت سأجيب.
- لماذا ستذهب؟
- إذا دعيت من الكونجرس أو إلى أي برلمان على مستوى العالم سأذهب ولا أتردد؛ لأقول وجهة نظري حول الديمقراطية وحقوق الإنسان.
- الكتاتني السياسي يذهب للكونجرس، ولا يعرف ماذا يعني ذلك.. بالتأكيد يعرف.. عندما تذهب إلى الكونجرس ماذا سيعنى ذلك؟
- أنا لم أذهب بعد.
- أنا أفترض افتراضا نظريا "عندما تذهب ماذا ستكون الرسالة الموجه"؟
- لا تؤخذ بهذا المعنى، أنا برلماني أحمل فكر وتوجه الإخوان المسلمين أستطيع أن أعبر عنه هناك خلاف في وجهات النظر، وبما أن الكونجرس يمثل الشعب

الأمريكي، وهناك فكرة مغلوطة عن الإخوان، فنحن أيضا نفهم أن الأمريكان نظرتهم لنا في المنطقة وللشعوب المنطقة نظرة أقل مما يجب فلو أتيحت لي أو لغيري أي فرصة لابد أن يوضح هذا من منطق الندية، ومن منطق القوة لا من منطق الاستجداء.. رئيس البرلمان الأوروبي جاء إلى هنا، وألقى في مجلس الشعب خطابا، وهو يمثل برلمانات الدول الأوروبية، نحن لنا الحق أن نعبر عن وجهة نظر أخرى كمعارضة.

- أنتم تعرفون أن الأمريكان يعرفون أنكم القوة الوحيدة التي تمتلك الشارع، وتعرفون أيضا أن الأمريكان لن يسمحوا لكم إلا بعد الاطمئنان أنكم مسالمون وستحمون مصالحهم ولن تحاربوا إسرائيل؟

- هذا في تصوري وهمٌ لابد أن تتخلص منه هذه الحكومات الضعيفة المنبطحة أمام الأمريكان، فهي التي تصور وتقنع شعوبها أنه ليس في الإمكان أفضل مما كان، هذا هو الذي يرضى عنه الأمريكان، وإذا رفضت الشعوب نظاما معينا سيضطر الأمريكان أن يتعاملوا مع هذا النظام حفاظا على مصالحهم، لكن هذه الأنظمة التي تفرط في جزء من السيادة تحت دعاوى تدخل الأمريكان.. ليست شعارات فلا تستطيع أمريكا أن تحارب شعبا بأكمله، أمريكا انهزمت في العراق وفي أفغانستان، فلابد أن نتخلص من أسطورة أمريكا.

نضوب في القيادة

- لا جديد أسفرت عنه انتخابات كتلتكم، الرئيس رئيس، والنائب نائب، والأعضاء أعضاء.. هل نضبت الكتلة عن أن تنجب قيادات جديدة؟

- بالعكس أنا سعيد بانتخابات هذا العام عن سابقيه؛ لأنه بدأت تظهر أفراد من الكتلة ينافسون.. فأنا كرئيس للكتلة في المرة الماضية أخذت ٥٦ صوتا، عدد

كبير، أما هذه المرة برز صبحي صالح إلى جانبي، وبرز حسين إبراهيم، فتقاسموا جزءا كبيرا من الأصوات هذه المرة.. وهم برزوا لأن هناك أعضاء رأت أنهم يمكن أن يقوموا بمقام رئيس الكتلة، وهذا لم يكن موجودا قبل ذلك، كان الناس في الماضي يرون الكتاتني، والآن يرون بجانبه صبحي صالح وحسين إبراهيم.. يمكن أن يروا المرة القادمة حسين إبراهيم وصبحي صالح أو غيرهما يصلح لقيادة الكتلة، وهذه المرة نافس صبحي صالح بشدة على مقعد النائب، وأجريت الإعادة بينه وبين حسين إبراهيم.. هذه إيجابية.

- من الـ٨٨ نائبا للكتلة تدور القيادة بين ١٠ على الأكثر.. هم الأكثر تفاعلا داخل المجلس، ولا يعرف الإعلام ولا الناس غيرهم.. أين الباقي؟

- عندنا نواب كثير أكفاء، ولكن يحتاجون إلى بروز إعلامي حتى تتعامل معهم أجهزة الإعلام.

- يعنى المشكلة فيهم أم في وسائل الإعلام؟

- المشكلة ليست فيهم، هناك تعتيم إعلامي، أتصور أن أجهزة الإعلام عندها قائمة بكثير من النواب، وهم موجودون في اللجان، ويتولون ملفات متخصصة، ونحن نحيل عليهم من أجل التعامل معهم إعلاميا؛ لأنهم أكفأ منا.

- الخبر المهم يفرض نفسه على وسائل الإعلام، والاستجواب الخطير، والشخصية الفاعلة والمؤثرة تفرض نفسها في النهاية؟

- انظر إلى استجوابات هذا العام، ستجد أن مقدميها ليسوا من الشخصيات المعروفة إعلاميا، باستثناء استجواب الدكتور حمدي حسن لوزير الداخلية لا يوجد أحد من قيادات الكتلة قدم استجوابا، بل عشرات الاستجوابات مقدمة من أشخاص يراهم الإعلام عاديين.

- لا مرشحون ولا برنامج في انتخاباتكم.. ألا يدل ذلك على أن ثقافة الديمقراطية ليست سائدة في الإخوان.. ليس عيبا أن أكون مرشحا، وليس عيبا أن أنافس ولا ألا أوفق؟

- هذا أسلوب من أساليب الانتخابات حينما تكون جمعية الناخبين محدودة، وهذا ليس بدعا هذا معمول به في القضاء وفي الجماعات.

- لكنكم ساسة من المفترض أن تقدموا نموذجا يراه المجتمع عندما تمارسه على نفسك فأنت تثبت للناس أنك تطبقه على غيرك، وهنا تقنع الناس؟

- نحن على قناعة بما نفعل، ونحن لا نعارض أنفسنا، ونعتقد أن هذه الطريقة تفرز القيادات المطلوبة.

- إذا كانت هذه إيجابية لهذه الطريقة فما هي سلبيتها؟

- هذه طريقة وهذه طريقة، ونحن ليس لدينا اعتراض أن يرشح أحد نفسه، لكننا ككتلة توافقنا على ذلك، لكن لسنا ضد الأسلوب الآخر، ومن الجائز بعد فترة لو ناقشنا هذا الموضوع واقترحنا تغييره واقتنعت الأغلبية أن أحد يرشح نفسه سنفعل.

- جاءتكم الفرصة أن تقدموا نموذجا ديمقراطيا كاملا تقدمه للناس بدون خوف من الضربات الأمنية فقدمتم نموذجا ديمقراطيا غير كامل، والغريب أنكم تعرفون أن العين عليكم والمصطادون لكم كثر؟

- نحن نرى أن هذه ديمقراطية كاملة، ولم ينتقص منها شيء ما دام أن كل نائب قال رأيه بصراحة، وصوت لمن يريد.

الإعلام الإشتراكي

- لماذا تشكون من التعتيم الإعلامي، وأنتم لديكم مواقع لا شغل لها إلا التغطية على نشاط نوابكم، ولا أحد يقترب منها؟

- ثقافة الإنترنت لم تنتشر بشكل كبير، فكم بالمائة مثلا يزور هذه المواقع.. الشاشة والفضائيات الأكثر انتشارا.

- ولكن الإنترنت أحد مصادر الفضائيات؟

- ولكن ما هي المساحة المعطاة لنا... هناك تعليمات للفضائيات بتقليل مساحة ظهورنا.. انظر العام الماضي كله كم من النواب ظهر وأخذ فرصة في الظهور حتى المداخلات قليلة، والغالبية العظمى تتم تليفونيا، وهذا بتوجيه من الأمن، مع أن القضية يثيرها نواب الإخوان، والذي يتحدث فيها في الإعلام غيرهم.

- موقع كتلتكم يتعامل بنفس الأسلوب، فلا يرى إلا نواب الكتلة، ولا يرى غيرهم، ولا يسمح بالردود، ولم نر يوما انتقادا لنائب.. يعرض إنجازات نواب الإخوان، وكأن غيرهم بلا إنجازات.. إعلام يشبه إعلام الاتحاد الاشتراكي في الماضي؟

- أنا لست متابعا جيدا للمواقع، لكن إذا كان هذا يحدث فهذا تقصير، ويجب على الموقع أن يغير سياسته، فهذا موقع برلماني لابد أن يغطي أنشطة البرلمان بشكل أوسع مع إعطاء أولوية لنواب الكتلة المحرومين من الإعلام، لكن لابد أن يؤمن بالرأي والرأي الآخر؛ لأننا سنستفيد من الرأي البناء الموضوعي لنا ولأدائنا، وعندي الشجاعة الأدبية أن أغير سياساتي إذا رأيت نقضا موضوعيا، وهذا شيء لفت نظري إليه، وسأوجه نظر الإخوة المسئولين عن الموقع له.

حسابات مع السلطة

- رفضتم التوقيع على مذكرة إسقاط النائب محمد إبراهيم سليمان.. أنتم تهاجمون كيانات عامة، ولا تقتربون من الأشخاص لحساباتكم مع السلطة؟

- نحن أمامنا أجندة كبيرة، ونتعامل مع النظام ككتلة واحدة، ولا نريد أن ندخل في شخصنة المواضيع؛ لأن لستة الأشخاص الذين عليهم ملاحظات طويلة جدا،

ولو بدأنا في هذا الأمر واحد تلو الآخر لقام الرأي العام وعاتبنا، وقال لنا مسكتم في قضايا الأشخاص، وتركتم القضايا الرئيسية.

- الغريب أنه إذا قال أحد للإخوان لماذا لا تركزون في قضية معينة يقولون لا.. نحن جماعة شاملة تعنى بجميع المسائل، إذا كنتم كذلك فلماذا لا تهاجمون الفساد بشكل عام، سواء تمثل في الأشخاص أو في كيانات عامة؟

- إذا كنت تتحدث عن الإخوان، فأنا أقول لك الكتلة استجوبت محمد إبراهيم سليمان، وهو وزير، وفي عنفوانه، واتهمناه بالفساد في تساقط العمارات، وفى أشياء كثيرة جدا.. فنحن ليست لنا مصلحة عند محمد إبراهيم سليمان أو غيره، لكن أنا أؤدي أداء برلمانيا، فهل أنا حينما أوقع على مذكرة كالتي قدمت هل ستسقط عضوية محمد إبراهيم سليمان؟ لا بالطبع، فالذي كان مقدما مجرد مذكرة، وسيجهضها الحزب بأغلبيته في أول جلسة من غير حتى أن تعرض للمناقشة.. إضافة إلى أن هذا ليس دور النواب، بل إنه دور رئيس المجلس بنص اللائحة التي تقول إن النائب إذا ترك الجلسة وهي منعقدة وخرج لبعض شئونه يخطر رئيس الجلسة، ولو تغيب النائب في الجلسة فلرئيس المجلس بما له من أجهزة معاونة، وأمانة عامة أن يتخذ ضده إجراءات.

أما دوري أنا فهو أن أحاسب رجال الحكومة بما أعطاه لي القانون والدستور من صلاحيات رقابية والسؤال: هل المذكرة ستسقط عضوية محمد إبراهيم سليمان أم لا؟ هذا هو بيت القصيد.. محمد إبراهيم سليمان ليس في السلطة الآن.. فنفترض أن عضويته قد سقطت ماذا سيحدث؟ ليس من حقي أن أقدم أداة رقابية لأعضاء مجلس الشعب، فهذا دور رئيس المجلس، دوري أن أقدم أدواتي الرقابية للحكومة نفسها.

- لماذا تستجدون الأغلبية للحصول على مقاعد داخل هيئات مكاتب اللجان.. تطلبون الكوته التي ترفضونها للأقباط والمرأة؟

- نحن لا نستجدي، ولكن هناك من الأعراف البرلمانية المستقرة التي تقضي بأن تشترك المعارضة في مكاتب اللجان النوعية في المجلس أين كان حجم المعارضة؟.. هذا يجرى في الدنيا كلها، لكن نحن ابتلينا بحزب إقصائي لا يرى إلا نفسه حتى ولو كان معه معارضة ومستقلون يمثلون ربع البرلمان، ونحن نعرض هذا من باب المواءمة السياسية وكل هدفنا أن ينظر العالم الخارجي لنا فيرى أن برلمان مصر وهو من أقدم البرلمانات الموجودة في المنطقة بدأ يكون فيه للمعارضة دور في إدارة المجلس؛ لأن المعارضة جزء من النظام.

- الحزب يعتبر هذا نوعا من فرض الكوته عليه، وأنتم ضد مبدأ الكوته للأقباط والمرأة؟

- مقارنة هذا الموضوع بالمرأة والأقباط هو مقارنة مع الفارق.. الأقباط والمرأة لهم جميع حقوق المواطنة، وأي كوته تمييز ضدهم، وانتقاص من حقوقهم لو أن النظام حريص على المرأة والأقباط فعلا فليقو الحياة السياسية وليقو المجتمع المدني الذي يمكن أن تظهر فيه المرأة بأدائها، ويقتنع بها المجتمع، وتتغير ثقافته تجاهها.

- ماذا فعلتم للمرأة والأقباط؟

- فعلنا الكثير.. أولا بالنسبة للمرأة نحن قدمنا في انتخابات ٢٠٠٠ وانتخابات ٢٠٠٥ الأستاذة جيهان الحلفاوي، والأستاذة مكارم الديري.

- أنا أتحدث عن تغيير ثقافة المجتمع تجاه المرأة والأقباط، وعن الحلول العملية لحل مشكلاتهم.. في خطابه الأخير طرح الرئيس مبارك اقتراحا لحل مشكلة تمثيل المرأة، فماذا طرحتم أنتم؟

- إعطاء المرأة حصة ليس حلا للمشكلة، الحل أن أتقدم بها في الانتخابات، وأوليها الثقة، وأقوم بعمل الدعاية اللازمة لها.. إذا قارنا مجتمعنا بغيرة من المجتمعات التي سبقتنا في هذا المجال فسنجد مساحة الحرية المعطاة للناس تخلق فرصا للكل في أن يظهر ويعطي ويقدم ويبادر، ولكن الممارسة في حد ذاتها، وما تفعله الشرطة في الانتخابات يجعل أي مصري بما له من تقاليد يربأ أن يعرض المرأة لهذه الممارسات التي لا يقوى عليها الرجال.

- أنا أتحدث عن طرح حلول ومبادرات لحل مشكلات يعاني منها الأقباط أو المرأة.. الحزب الوطني فكر في أن يجد حلا لقلة تمثيل المرأة في مجلس الشعب، واقترح مبارك زيادة تمثيلها بزيادة عدد المقاعد في حين أنكم حرمتموهما "المرأة والأقباط" من مجرد الترشح لمنصب الرئاسة في برنامجكم؟

- المرأة والأقباط لهم كل الحقوق، لكن الاستثناء الوحيد هو منصب الرئاسة؛ نظرا لوجود حكم شرعي في ذلك، وكان هذا أحد خيارات الإخوان، وهذا يلزم الإخوان به أنفسهم، ولا يلزمون به غيرهم، وإذا غير الإخوان رشح لرئاسة الدولة امرأة أو قبطيا فنحن لا نعترض عليه.

الصلح مع النظام

- هل يمكن بصفتكم نواب الشعب أن تكونوا حلقة وصل للصلح بين الجماعة والنظام؟

- لو أننا نعيش حياة طبيعية ليس فيها فكر إقصائي لقامت الكتلة بمد الجسور بين النظام والجماعة؛ حيث إننا نلتقي دائما مع رموز النظام، ونحن من جانبنا لا نمانع.. أنا على المستوي الشخصي وبعض زملائي بذلنا عدة محاولات للتفاهم أو لفتح

باب للتفاهم..هل ستظل حالة الاحتقان الموجودة بين الإخوان والنظام؟.. هذه الحالة لا تسعدنا.

- يعني فتحتم الملف قبل ذلك..؟

- محاولات ولكن قوبلنا بالرفض ولم نجد أي استجابة لهذه المحاولات ونحن على استعداد أن نكررها

- مبارك ليس عنده استعداد للحوار؟

- نحن لا نطلب من مبارك شخصيا، ولكن نطلب من رجال حول الرئيس بالتأكيد يناقشون هذا الموضوع معه.

- وممكن ألا يناقشوه إما لأنهم لا يريدون حل المشكلة لاستفادتهم من الوضع القائم أو لأنهم يعتقدون رفض مبارك المبدأ ذاته؟

- كنا نناقش رجالا حول الرئيس، ولم يردوا علينا لا بالإيجاب ولا بالنفي.. أبدينا رغبة عن إذا ما كانت هناك أشياء فلماذا لا نجلس ونتحاور فيها، لماذا هذا الإقصاء، لماذا هذه العصا الأمنية الغليظة، لماذا الاعتقالات، لماذا لا نتفاهم.

- لماذا يحدث هذا بعيدا عن أعين الناس وفي الكواليس، ولماذا لا تطرحون مبادرة تضمن حلا للمشكلة وتطرح حلولا؟

- بالتأكيد البدايات مهمة فإذا قبل النظام ورموز النظام الحوار سأعد أجندتي، لكن حينما يغلق الباب فما الجدوى.

- النظام لم يقل لا؟

- ولم يقل آه.. ذهب ولم يعد.

- لماذا لم تقابل الرئيس شخصيا كانت لديك فرصة يوم إلقاء خطاب افتتاح الدورة البرلمانية فلماذا لم تواجه وتطالبه بحل مشكلتكم بشكل مباشر.. أيعد هذا الأمر صعبا؟

- أنا لم أقم بهذه المحاولة، ولا أتصور أنه من الصعوبة مقابلة الرئيس، ولكن سنجعل الرئيس مرجعية حينما يفتح باب الحوار.. فللرئيس مشاغله، وهي كثيرة، وهناك أجهزة حول الرئيس معنية بهذه الملفات لو بدأت حوارا جادا لا نطلب شيئا لأنفسنا، ولكن لمصر.

نحن نواجه نقطة خطيرة جدا، وهي أن رموز النظام عندهم اعتقاد أن الإخوان يطرحون أنفسهم كبديل، وهذا غير صحيح، وغير واقعي، نحن نريد إصلاحا، ولم نحرص يوما أن نكون بديلا لأحد، لكننا موقنين أن مصر تمر بمرحلة حساسة في تاريخها يجب تضافر كل الجهود الموجودة، سواء كان الحزب الوطني أو الإخوان أو المعارضة والمستقلين وأساتذة الجامعات يجب أن يكون هناك حوار مجتمعي راقي للخروج من المأزق الحالي، هذا ما ننادى به، وأنا لو التقيت بالرئيس مبارك سأفتح معه حوارا حول ذلك، ولكن تصور أن الإخوان يعرضون أنفسهم كبديل يمكن أن يمثل حاجزا في هذا أتصور أننا سنحاول مرة أخرى في دور الانعقاد القادم إذا سمحت الفرصة لذلك.

في حوارنا الثاني مع الكتاتني قال[1] :

(لو طرحت على أجندة اللقاء مع وفد الكونجرس ملف الإصلاح السياسي لكنا تحدثنا فيها، لكنها لم تطرح، ونحن احترمنا ذلك).

(نحن لا نطرح أنفسنا كبديل، ولكننا نتعرض لحملة تشويه، وعملية خلط شديدة بين الإسلام الوسطي المعتدل وبين الحركات الراديكالية، والنظام يريدنا أن نظل راديكاليين في عيون الغرب).

(النظام يقلق من الحوار مع الأمريكان؛ لأنه صديق لهم ويرعى ملفات معينة في المنطقة وهو يريد أن يتحدث إلى الخارج بمفرده ولا يعطى لغيره أي فرصة).

عندما وجهت الأجهزة الأمنية ضرباتها الموسمية للجماعة اكتشفت هذه المرة أن الجماعة امتصت ضرباتها سريعا، بفضل العصب الجديد للجماعة، الذي صلب عودها، وهم البرلمانيون الإخوان الذين انتشروا في جميع أنحاء البلاد، وبسطوا بمكانتهم وحصانتهم مظلة عمل أعضاء الجماعة في ظلالها، فضيقت عليهم الأجهزة الأمنية لدرجة وصلت إلى اعتقال نائبين من نوابهم.

وقرأ الإخوان الرسالة بوضوح، لكن يبدوا أن الجماعة قد أرسلت رسائلها هي الأخرى، ولكن هل فعلا وجهت الجماعة رسالتها باتجاه الخارج، وأرسلت رسالتها إلى الأمريكان من خلال مقابلته زعيم الكتلة الكتاتني لوفد الكونجرس الأمريكي مرتين خلال شهرين؟..

.. الكتاتني قيادة تتصف بالوضوح والصراحة والاتزان، جلسنا معه في مقر الكتلة البرلمانية للإخوان بجسر السويس، فلم يرفض لنا سؤالا سألناه، فانتهزنا

---

(١) نشر بجريدة الدستور المصرية

بدورنا الفرصة وقمنا بمناقشته في المغزى الحقيقي من تصريحات السفير سليمان عواد، وعن حرب الرسائل والإشارات بينهم وبين النظام، وعن إيمانهم بدور الضغوط الغربية في الإصلاح، وعن محاولتهم كسر الحاجز النفسي الذي نجح النظام في خلقه بينهم وبين الاتصال بالآخر الغربي، وعن رد فعلهم الضعيف على ضربات النظام والذي لا يرضي قواعدهم... وهذا نص الحوار:

عواد يحذر

* المتحدث الرسمي باسم الرئاسة سليمان عواد قد انتقد اتصال الأمريكان بكم .... فما ردكم؟

** تصريح السفير سليمان عواد جانبه الصواب فيه، فهو يتهم الإدارة الأمريكية بازدواجية المعايير؛ إذ إنها لا تتعامل مع حماس أصلا لا مقاومة ولا سلطة، بينما حين تتعامل مع الإخوان في مصر تقول إنها تتعامل مع نواب الإخوان فقط لا مع الجماعة، ويقول إن هذا نوع من ازدواج المعايير.. فكان يجب على السفير عواد أن يعي أن دور القيادة المصرية أن تحث الإدارة الأمريكية على التعامل مع حكومة الوحدة الفلسطينية؛ لأنها منتخبة من الشعب الفلسطيني لا أن يزكي هذا.

فبتصريحاته كأنه كان يزكي امتناع الإدارة الأمريكية عن التعامل مع حكومة شرعية.. فكيف يحدث هذا من متحدث باسم أكبر مؤسسة في البلد، وهي مؤسسة الرئاسة؟ وكيف يتسنى له أن يقول إن الإدارة الأمريكية لا تتعامل مع حكومة منتخبة، ويعتبر هذا شيئا جيدا؟ بل إن ازدواجية المعايير تمارسه الحكومة المصرية في ملف حماس، ففي الوقت الذي تستقبل فيه رئيس السلطة أبو مازن، وتستقبل فيه آخرين ليسوا بدرجة وزراء استقبالات على أعلى مستوى فهي لا تستقبل بهذا القدر اللائق، بل أحيانا لا تستقبل رئيس الوزراء المنتخب إسماعيل هنية، ولا تستقبل

وزراء من حماس، فالحكومة المصرية تتعامل بنفس القدر مع الملف الفلسطيني.. لكن الأهم في تصريحات السفير عواد من وجهة نظري هو تدخله السافر في شئون السلطة التشريعية، فالوفد أتى ليزور مجلس الشعب أحد السلطات الثلاث، ويتمتع دستوريا بالاستقلالية الكاملة، والسفير سليمان عواد ينطق باسم السلطة التنفيذية فكيف يتدخل في شئون السلطة التشريعية وتشكيلها للوفد؟

الدكتور سرور وجه لي الدعوة، وهو رئيس السلطة التشريعية، ، ووجه لي الدعوة ولغيري، وحينما وجه لي الدعوة ليجري مواءمة بين الاتجاهات السياسية الموجودة، وهو بذلك يطبق لائحة المجلس، وأنا أمثل اتجاها سياسيا وثاني أكبر كتلة بعد الحزب الوطني في المجلس، فتدخل السفير عواد يعتبر إساءة لمجلس الشعب غير مقبولة، وتدخل في شئونه، وهذا التدخل مرفوض.

* السفير عواد اتهمكم بأنكم خطر على الأمن القومي، وتصريحه حمل في طياته العزم على ضرب جماعتكم حتى لو أرادت الولايات المتحدة عكس ذلك، وقال "إن الولايات المتحدة لها أن تفعل ما تشاء، ولكننا نحن لنا أن نفعل ما نشاء حماية للأمن القومي الوطني المصري.. الأمن القومي هو تشجيع مبادئ المواطنة ولا خلط السياسة بالدين".. فما ردكم؟

** أنا حقيقة أستغرب وأستهجن هذا التصريح؛ لأنه ليس بمجرد لقاء في مجلس الشعب يتم، وبرئاسة رئيس مجلس الشعب، وفي مكتبه يهدد الأمن القومي المصري، يعني الموضوع يحتاج إلى إيضاح، هل مجرد لقاء في مجلس الشعب المصري، وبرئاسة رئيسه، وهو الذي اختار الوفد، فهل هذا يهدد الأمن القومي المصري؟؟

هو أصلا مهدد بممارسات الحكومة المصرية التي جعلت الدور المصري يتراجع في المنطقة، وفي الملفات المحيطة مثل القضية الفلسطينية ولبنان وغيرها، هذا

هو التهديد الحقيقي للأمن القومي؛ بسبب ممارسات الحكومة، وليس بالممارسات التي تحدث في البرلمان، وفي مقر السلطة التشريعية.

* أعتقد أن السفير عواد قصد الجماعة ككل؟

** الجماعة لم تتحاور مع الأمريكان، ولا يستطيع أحد أن يزايد على وطنية الإخوان المسلمين، والإخوان المسلمون وكتلتهم البرلمانية أحرص ما يكونون على أمن مصر واستقرارها، ولو لم يكن الإخوان المسلمون أحرص على أمن مصر واستقرارها فإن لديهم من الوسائل ومن الإمكانات، ولكن يتعرضون للاعتقالات والمحاكم العسكرية، ولكنهم يتحلون بأقصى درجات ضبط النفس مع الاستفزاز الدائم، ووصفهم بالجماعة المحظورة، وهم موجودون في الجامعات، والنقابات المهنية، ومؤسسات المجتمع المدني، و٢٠٪ من البرلمان، ورغم ذلك تصفهم الصحف المسماة بالقومية، والناطقة بلسان النظام بالمحظورة!.

ماذا يقلق النظام

* ماذا يقلق النظام؟.... أريد تحليلكم لتصريح السفير عواد؟

** أتصور أن النظام صديق للإدارة الأمريكية، ويرعى ملفات معينة في المنطقة، ونتيجة الحراك السياسي في مصر، وهي مقبلة على مرحلة من مراحل التغيير للنظام شئنا أو أبينا، فالنظام يخشى أن تستمع الإدارة الأمريكية، وهي حليفة للنظام إلى أي وجهة نظر أخرى للشعب المصري، فضلا عن الإخوان المسلمين.. ليس الإخوان فقط، النظام يخشى من المعارضة كلها، وبالتالي فالنظام يريد أن يتحدث إلى الخارج بمفرده، ولا يعطى لا لمؤسسات المجتمع المدني ولا لأحزاب المعارضة ولا للإخوان ولا لغيرهم أي فرصة، فهو يحرم الجميع رغم أن الحديث كان عن برامج، وعن سياسات، وعن وجهات نظر، تعكس

بالأساس وجهات نظر الشعب، فالحزب الوطني لم يحز إلا على ٣٠ ٪ من الشعب المصري في الانتخابات الأخيرة، فهو لا يمثل الشعب المصري، بقية أعضاء مجلس الشعب المنتخبين على اختلاف انتماءاتهم، سواء مستقلين أو معارضة حزبية أو إخوان لهم أن يعبروا في مجلس الشعب أو غيره عن وجهة نظرهم، وهذا ليس خروجا على الشرعية، ولا استعلاء على النظام الحاكم، لكن الآن العالم مفتوح، تبادل وجهات النظر حول القضايا ذات الاهتمام المشترك، وإلا هل الوفود البرلمانية التي تأتي وتذهب في كل مكان تأتي للنزهة والفسحة، أم تأتي لتبادل الآراء ووجهات النظر مع نظرائهم مع اختلاف انتماءاتهم؟ هل حينما يذهب وفد من برلمان مصر إلى برلمان الاتحاد الأوروبي أو لأمريكا أو لغيرها هل هذا يعد تدخلا في شئونها، ما يحدث نوع من الدبلوماسية الشعبية، والدبلوماسية الشعبية غير الدبلوماسية الرسمية، فالرسمية تستطيع أن تتخذ قرارات، فالدبلوماسيون الرسميون عبر وزارة الخارجية يعقدون اتفاقيات ويبرمون معاهدات وينقلون وجهات نظر رسمية، أما الدبلوماسية الشعبية فتعكس وجهات نظر شعبية بمختلف أطيافها.

* ولكن هذا اللقاء لا يخلو من لغة الرموز والإشارات، رسالتكم للأمريكان تقول نحن يمكن لنا أن نتحاور معكم لا تقلقوا منا، وصولنا للسلطة لن يضر بمصالحكم، نحن لسنا متشددين.. نحن يمكن أن نكون بديلا؟

** نحن بداية لم نطرح أنفسنا بديلا لأحد، ولكننا نتعرض لحملة تشويه إعلامية وعملية خلط شديدة بين الإسلام الوسطى المعتدل وبين ما يسمى بالحركات الراديكالية، يعنى على سبيل المثال مؤسسة زغبى الأمريكية أجرت استطلاع رأي نهاية عام ٢٠٠٦ على الشعب الأمريكي حول معرفته بالإخوان المسلمين ٥٠ ٪ قالوا لا نعرف شيئا عن الإخوان، والباقي خلط بينهم وبين القاعدة..

أليس من حق الإخوان عبر وسائل الإعلام وغيرها، وكلما أتيحت الفرصة أن يعبروا عن منهجهم السلمي وقبولهم بالدولة المدنية الحديثة وآليات الديمقراطية وغيرها.

* إذن هذا الذي يثير قلق النظام؟

** وما الذي يثير قلق النظام؟... هل يريد النظام أن نظل راديكاليين في عيون الغرب.

* لقاءاتكم هذه قد تدمر مبررات النظام التي يسوقها للأمريكان بأن البديل القادم في حالة تطبيق ديمقراطية حقيقية هم الإخوان أعداء الغرب وأعداء مصالحكم ... وأنتم تريدون أن تفسدوا على النظام مخططه وتثبتوا للأمريكان أنكم لستم راديكاليين ولم لا تكونوا البديل؟

** نحن لم نسع للأمريكان ولا لغيرهم، الجماعة لم تسع للأمريكان ولم تخاطبهم، ولا نواب الجماعة سعوا إلى الأمريكان، الأمريكان هم الذين يأتون عبر المؤسسة الرسمية، ومجلس الشعب المصري، وهو الذي يشكل الوفود ويختارنا فيه بصفتنا نوابا في البرلمان، فلابد أن نتحدث ونعكس وجهة نظرنا وما نؤمن به، نحن لم نسع إلى لقاء الأمريكان بأنفسنا لا نوابا ولا جماعة، ولكن هم الذين يأتون إلى مصر، ويجلسون مع مختلف الاتجاهات في البرلمان، ونحن منهم.. العامل الآخر نحن أتينا للبرلمان بإرادة شعبية، ولم نأت بإرادة النظام، ولا بإرادة الأمريكان، ولا نراهن في قضية الإصلاح على الأمريكان، ولا على غيرهم، الإصلاح في مصر لابد أن يكون بأجندة مصرية خالصة.

نحن غير سعداء بحالة الاستقطاب الحالية الموجودة في الشارع بين الحزب الوطني والإخوان، نحن نرغب في ملء المسافة الخالية الموجودة بين الحزب الوطني

وبين الإخوان، وحينما تقوى الحياة السياسية الشعب سيختار حكامه الحقيقيين، وسيجد فرصة أكبر للاختيار، لكن حالة الاستقطاب الموجودة حاليا يصنعها الحزب الوطني خصيصا لصالحه، فهو يضعف جميع الأحزاب، ولا يوافق على إنشاء أحزاب، ويضطهد الإخوان لكي تصب كلها في مصلحته، وهذه سياسة فاشلة، والحزب الوطني إذا كان عنده من الأسلحة القوية فلينزل إلى الشارع.. إذا لماذا ينزعج النظام من مجرد لقاء في البرلمان؟ إذا كانت له قاعدة جماهيرية عريضة تسانده فلماذا ينزعج؟ هو يقول علينا جماعة محظورة، وقلة، وليس لنا وزن، فلماذا ينزعج؟ نحن لم نعرض أنفسنا كبديل، ونحن عندما يحين الوقت لكي نعرض أنفسنا سنعرض أنفسنا على الشعب المصري، وليس على الأمريكان في الوقت المناسب سنعرض أنفسنا على الشعب المصري، وليس على الأمريكان، ولا غيرهم.

* هل أنت مؤمن أن الإصلاح سيأتي من الداخل؟

** بالتأكيد.. مصر مختلفة عن أي بلد آخر.

* ولكن الضغوط الخارجية كانت عاملا أساسيا في حالة الحراك التي شهدتها مصر؟

** هذا لأن النظام ضعيف، وأعطى فرصة للتصريحات الخارجية التي تمس السيادة المصرية، فنسمع تصريحات غربية وأمريكية تطالب بالإسراع في عمليات الإصلاح السياسي في مصر والإصلاح الدستوري، ولو كان النظام أصلا عنده النية الجادة في عملية الإصلاح السياسي والدستوري وفق أجندة معينة لما سمح للخارج وللغرب عموما بأن يتحدث في حياتنا الداخلية، الصورة الداخلية والديكتاتورية والممارسات غير الديمقراطية مع وجود الفضائيات والإعلام أعطى صورة للغرب عما يعانيه المجتمع المصري من القهر، والاستبداد، وظلم، وسوء مستوى المعيشة، والتعليم، والصحة، وتردي في المرافق والخدمات كل

هذه الأشياء جعلت الخارج، سواء مؤسسات مجتمع مدني، أو غيرها، تطلب تغيير الحال.

ضد الضغوط

* هل أنتم ضد الضغوط الخارجية عموما حتى لو كانت في صالح المجتمع المصري؟

** حتى لو كانت في صالح المجتمع المصري.

* ولماذا؟ الضغوط الغربية يمكن أن تصدر من غير المؤسسات الرسمية؟ فلماذا تكون مغرضة بالضرورة؟

** الضغوط لابد أن تكون مغرضة بالضرورة حتى لو صدرت من مؤسسات مدنية... كل الضغوط التي تأتي من الخارج بالتأكيد وراءها مصلحة لمن يصدر هذا الضغوط والشعب المصري قادر في حالة الحراك السياسي عام ٢٠٠٥، والتي قمعها النظام بعد ذلك ليس معنى حالة الحراك التي كانت موجودة في ٢٠٠٥ غير ظاهرة للعيان على السطح أنها اختفت من الوجود هي موجودة في الحقيقة في الوقت المناسب الشعب المصري يتحرك للتغير إن لم يحدث تغيير.

* هل تريدون كسر الحاجز الذي فرضه النظام عليكم تدريجيا؟

** عن أي حاجز تتحدث، الإخوان مع مبدأ الحوار عامة، ولكن أنت تتحدث في بداية الحديث عن قضية محدودة، وهي لقاء وفد الكونجرس، أما إذا كنا نتحدث عن قضية الحوار عموما، فالإخوان يطرحون برامجهم ويلتقون مع مؤسسات المجتمع المدني المحلية والعالمية ومراكز البحث والصحف والإعلام... أليس هذا انتشار؟ عن أي حواجز تتحدث؟

* إذا كان مبدأ الحوار مع الشعوب الغربية غير مرفوض فلماذا تبدون أنكم قبل أن تأخذون الخطوة تحسبون لها ألف حساب.. لماذا لا تذهبون إلى الكونجرس.. واضح أن النظام نجح في حصاركم نفسيا؟

** نحن تحاورنا مع أعضاء الكونجرس مرتين خلال شهرين من خلال مجلس الشعب المصري، ولم توجه أي دعوة لنا، ولو وجهت لنا دعوة سندرسها.

* وهل نواب الكونجرس الذين أتوا إلى مجلس الشعب المصري كانت قد وجهت لهم دعوة؟

** وفد الكونجرس أتى في زيارة بروتوكولية تخطر بها الحكومة قبل ذلك.

* إذن ما المشكلة؟ أنتم زرتم إندونيسيا قبل ذلك وقمت بإخطار المجلس، ويمكن أن يتكرر هذا عند أي زيارة لدولة أخرى؟

** إندونيسيا موضوع مختلف، كان منتدى للبرلمانيين بدعوة من البرلمانيين بدعوة من البرلمان الإندونيسي يعني لم نذهب من تلقاء أنفسنا.. حينما أذهب لمكان يدعوني.

* حد علمي أنكم يمكن أن تذهبوا بدون دعوة بمجرد أخطار البرلمان هنا وهناك؟

** هذا الأمر قد يحتاج إلى ترتيبات.

* إذن ما قلته كان صحيحا كان صحيحا في أن النظام نجح في وضع حواجز بينكم وبين الغرب.. وأنتم تخشون كسر هذا الحاجز؟ ولذا فأنتم تحاولون جس النبض فهو يفتح عليكم أبواقه التي تبدوا أنها تخيفكم؟

** نحن لا نتراجع أمام ضغوط النظام، ولكن خطتنا في التحرك خطة محسوبة، ونحن أمامنا الآن من الملفات الداخلية الكم الذي يشغلنا عن الكثير من الملفات

الأخرى، ولكن مبدأ الحوار مع الآخر مقرر، لكن أؤكد أن الجماعة في هذا الملف بالذات إذا كان متعلقا بالأمريكان فالجماعة كجماعة ما زالت تؤكد حتى اليوم أنها لن تتحاور مع الأمريكان إلا بإخطار الخارجية المصرية، لكننا نمارس دورنا البرلماني كنواب في مجلس الشعب.

* قلتم إن اللقاء مع وفد الكونجرس الأمريكي إلى ملف الإصلاح السياسي في مصر.. فلماذا لم يتطرق ومتى يتطرق؟

** لست أنا الذي يضع أجندة اللقاء، فأجندة اللقاء، وأجندة الموضوعات أجندة معدة، وليس عندنا ما نخفيه لو كان في الأجندة فتح لملف الإصلاح السياسي لتحدثنا فيها لكن كانت الأجندة المعدة في حديث المجلس كانت الحديث في السياسة الأمريكية في المنطقة، ونحن نحترم ذلك لأن اللقاء كان إلى حد ما بروتوكولي كان فيه تبادل الكلمات والترحيب وتبادل الهدايا.. هدية من الكونجرس لرئيس المجلس وهدية وكتاب المجلس للكونجرس.

* يعنى ممكن الرئاسة المصرية غضبت من موضوع الهدية التي حصلت عليها؟

** الهدية تكون قاصرة على الضيوف حتى الهدية التي يأخذها رئيس المجلس توضع في المجلس.

* ما هي ضوابطكم تحديدا في الاتصال بالأمريكان؟

** أنت تسأل عن الإخوان أم عن نواب الإخوان؟

* عن نواب الإخوان؟

** نواب الإخوان يتصلون بالأمريكان في الإطار البرلماني؛ يعنى لا يوجد عندنا مانع من لقاء نظرائنا في الكونجرس، سواء بدعوة منا أو بدعوة منهم أما غير ذلك فنحن نمارس الدبلوماسية الشعبية فقط.

* لو وجهت لك دعوة إلى زيارة الكونجرس تزوره أم لا؟

** نعم.. ولما لا؟ أنا برلماني وهم برلمانيون وزي ما هم أتوا إلينا أنا مستعد أن أذهب إليهم.

* هل لهذا المقابلة علاقة بالضربات الأمنية للجماعة، ولكم كبرلمانيين إخوان تحديدا؛ بمعنى أنها كانت رد فعل من الجماعة على النظام الذي ضيق عليها، وعلى نوابها فأنتم الآن ترسلون لها رسالة بأن لديكم أوراق يمكن أن تضغطون بها على أعصابه "هل هي رسائل خفية بينكم وبين النظام؟".

** يا سيدي أكدت قبل ذلك أننا دعينا إلى اللقاء، ولم نفتعل المقابلة فكان بإمكان رئيس مجلس الشعب ألا يدعونا، وهو لم يدعنا إلى لقاء وفود برلمانية كثيرة جدا، وهناك وفود برلمانية حضرت إلى المجلس ولم يدعنا فحينها، ولا أتصور أن هناك ارتباطا بين توقيت هذا اللقاء وحضورنا فيه والملاحقة والضربات الأمنية التي يتعرض لها الإخوان هذه الأيام جراء دخول الإخوان الشورى عندنا الآن أكثر من ١٢٣ معتقلا في غضون أسبوع؛ لأن مثل هذه اللقاءات ومثل هذه الوفود أتصور أن برنامجها يعد من فترة، وأتصور أن هناك ربطا بين ما يتعرض له الإخوان وبين هذا اللقاء، ولا علاقة بين دعوتي للحضور وبين كل هذا، ولكن كان لقاء بروتوكولي جدا في تقديري حينما طلبوا من المجلس الشعب المصري طلبوا تمثيل الاتجاهات في الوفد ليسمعوا جميع الاتجاهات في المجلس.

* الدكتور سرور يدعوكم إلى الحضور، وهو من هو في النظام، ثم ينتقد السفير عواد... ما تعليقكم؟

** هذه هي شيزوفرينيا النظام بعينها، الرجل الثاني في النظام يدعونان ومؤسسة الرئاسة تهاجم هذه الدعوة.

* ألا ترى شيئا وراء هذا الموضوع... أنا لا أفهم شيئا؟

** ولا أنا، إذا عرفت حاجة قل لي.

* لماذا يبدو رد فعلكم ضعيف بعد الضربات التي وجهها النظام لجماعتكم عموما ولكم أنتم كبرلمانيين تحديدا.. رد فعلكم هذا لا يرضى قواعدكم.. هل لسياسة رد الفعل عندكم فلسفة معينة لا نعرفها؟

** من الذي قال لك إن رد فعلنا لا يرضي قواعدنا هذا كلام ليس عليه دليل الإخوان يتخذون رد الفعل المناسب في الوقت المناسب ولعلك تلمح واستشعر في كلامك أن الإخوان تعرضوا لضربات ومحاكمات عسكرية ولماذا لم ينزلوا إلى الشارع، وهم نزلوا في أمور أقل من ذلك تريد أن تسأل هذا.. فلكل وقت ظروفه ولكل وقت تستخدم الإخوان رد الفعل المناسب يعني قد تؤدى أداء قويا وفعالا ومسموعا وليس شرطا أن تنزل إلى الشارع.. أنت تعلم أن الإخوان نزلوا إلى الشارع بعشرات الآلاف في عام ٢٠٠٥ عقب تعديل المادة ٧٦ من الدستور الوقت في حينه عام ٢٠٠٥ كان الحراك سياسي هو موجود وكان الجو العام المصري في الشارع يعنى هذه التظاهرات في حينها وسيلة مناسبة أما الآن وفي ظل وجود بؤر توتر في المجتمع وإضرابات عمالية هنا وهناك والوضع غير مستقر فالإخوان حريصون على الاستقرار وعدم الإثارة وعدم البلبلة يعبرون بوسائل أخرى كالوقفات الاحتجاجية المحدودة في بعض الأماكن الأمس كان هناك وقفة احتجاجية أمام نقابة الصحفيين من أجل المحاكمات العسكرية، هناك أشياء كثيرة نعبر بها مؤتمرات وندوات وإعلام.

قلق وبلبلة

* لم يقل أحد للإخوان أنهم يخرجون لإثارة قلق وبلبلة، ولكن هل قيامكم بمظاهرة في وقت الإضرابات العمالية يحدث قلقا واضطرابا في الدولة؟ ولماذا المظاهرات

تفعل ذلك في مصر بالذات؟ المظاهرات والاضطرابات حق كفله الدستور بالأساس؟

** النظام لا يفهم ذلك إذا كان النظام رغم أن التظاهرات سلمية مسموح بها، ولكن النظام يستخدم حالة الطوارئ، ويستخدم قمع كل المعارضة والتظاهرات، ليس معنى ذلك أننا نرفض أسلوب التظاهر، ولكن لكل حادث حديث حينما ندرك أن الوقت يحتاج إلى مظاهرة سننفذها.

* يعني الأحداث التي مرت في الأشهر الماضية كلها لم تكن تستأهل مظاهرة؟

** في تقديرنا أنه كانت هناك وسائل أخرى غير التظاهر، وفي تقديرنا أن هذه الوسائل أدت إلى نجاحها، ونحن أصحاب الشأن، ونحن أقدر الناس على تقدير ذلك..

* ونحن من حقنا كشعب أن نعرف ما هي الإجراءات التي أخذتموها، وعلى أي أساس اتخذت وما هي فلسفتها؟

** عملنا عشرات المؤتمرات وعشرات الوقفات وخاطبنا مؤسسات المجتمع المدني.

* وماذا فعل كل هذا؟

** بالتأكيد فعل كثير.

* ولكن الضربات مستمرة؟

* حتى لو كانت هناك مظاهرات لم تجنى منها إلا مزيد من الاعتقالات.

* إذن أنتم ترون أن سياستكم هذه هي أصلح سياسة في مواجهة النظام في الوقت الحالي؟

** على الأقل في الوقت الحالي ومن حقنا أن نقدر موقفنا ونقدر التحرك الذي يتناسب معنا ومع ظروف المجتمع هذه خصوصية لنا نقدرها نحن.

* ومن حقنا أن نفهم على أي أساس تتخذون قراراتكم؟

** أنا قلت إنه في تقديرنا أنه حرصا على استقرار المجتمع وحرصنا على ذلك يجعلنا نغير حساباتنا ويجعلنا نختار الوسيلة المناسبة فكان في تقديرنا أن الوسائل المناسبة في هذا الرد.

* لكن واضح أنكم في مناسبات معينة تكون عندكم استعداد للتضحية بكثير من أعضائكم وكوادركم مثل دخول قراركم دخول الشورى، وفي مناسبة أخرى لا يكون عندكم استعداد للتضحية مثل التعديلات الدستورية والقبض على قيادات الجماعة وتحويلهم إلى محاكمات عسكرية ... لماذا هذا التناقض؟

** الشورى نحن لم نفعل شيئا كل ما فعلناه أننا تقدمنا إلى الترشيح.

* ولكنكم تعلمون التداعيات جيدا؟

** خيار دخول الشورى خيار إستراتيجي بالنسبة لنا، وخيار المشاركة خيار إستراتيجي.

الحصانة والتنظيم

* ما هي الأسباب التي دعت النظام إلى توجيه بعض ضرباته لكم تحديدا كبرلمانيين إخوان، وهل ستقول لي إنه دوركم في البرلمان؟

** بالتأكيد.. لو أنت تراقب دور الإخوان في مجلس الشعب في كشف الفساد وكم الاستجوابات.. ليس شرطا أن الاستجوابات ووسائل الرقابية التي قدمت للمجلس ليست العبرة بالنتيجة نحن نعلم النتيجة مسبقا بأن الحزب الوطني لن

يقيل وزيرا، ولن يسحب ثقة من حكومة، ولكن المستندات الدامغة على الفساد، وسوء الإدارة الحكومي هذا أمر أيضا أداء الإخوان كشف الحزب الوطني، وكشف أداء نوابه فوجه هذه الضربات كرسالة لنواب الإخوان ورسالة أيضا للجماعة أنت تعلم أن مقرات النواب المنتشرة على مستوى القطر أيام النواب شغالين أيام إجازة البرلمان شغالين في الدوائر، فأتصور أن هذا أمر مقصود التضييق على النواب.

* البعض زعم أن الأجهزة الأمنية عندما وجهة لكم ضرباته هذه المرة اكتشفت أن الجماعة امتصت ضرباتها بسرعة شديدة بفضل نوابها البرلمانيين الذين شكلوا عصبا جديدا لها وأصبحوا يشكلون مظلة يعمل أعضاء الجماعة تحت ظلالها لتنفيذ المشروع الإخواني الكبير... هل تتفقون مع هذا الرأي؟

** أنا أشرت لجزء من هذا، وقلت إنه ربما تكون هذه رسالة للإخوان حينما رفعت الحصانة عن نائبين من الإخوان أنا قلت في تصريحات لوسائل الإعلام إن النظام وجه لنا رسالة باعتقال مساعدي النواب في مرحلة أولى والتضييق على أنشطتهم فلما تصور أننا لم نفهم هذه الرسالة صعد من الأمر فقبض علة النواب ورفع الحصانة عنهم.. أنا قلت هذا وأعيه.

* أنتم أشرتم إلى فحوى الرسالة ولكن لماذا أخذت؟.. هل لدوركم البرلماني فقط أم لأنكم أصبحتم عاملا مهما وخطيرا بالنسبة للنظام في تحقيق المشروع الإخواني؟

** النظام لا يريد لأي أحد أن يمارس نشاطا؛ لأن مثل هذه الأنشطة تفضحه وتسبب له إحراجا شديدا أنشطة النواب في الدوائر؛ تسبب له إحراجا كبيرا.. حاجة بسيطة جدا بيعملها كل النواب القوافل الطبية النظام سخر إمكانيات وزارة الصحة وعمل قوافل طبية بديله وكتب عليها الحزب الوطني بأموال الحكومة التي من المفروض أن يستفيد منها الجميع يحرم منها نواب الإخوان.

النظام الآن يحاول عرقلة عمل الإخوان ويعمل أي حاجة نحن حاولنا أن نعمل أيام أزمة أكياس الدم الملوثة حملات تبرع بالدم فمنعنا ويتصور الحزب الوطني أنه يمكن أن يعمل بها عمل شعبي كل ما نحاول أن نعمل عمل شعبي وخدمي والنظام لن يستطيع أن يحاربنا في ذلك؛ لأننا عندنا خبرة تراكمية في ذلك وحولنا دوائر من الإخوان والخبراء بيعملوا معنا النظام يستخدم يسوقه لنوابه يستخدم المحافظين وأجهزة الحكم المحلي ويستخدم جهاز الدولة لمساعدة نوابه ليس جهدا شعبيا ولكن يستخدم إمكانات الدولة.

حديث المبادرة

* لماذا لا تطرحون مبادرة مباشرة للنظام لتحل قضيتكم تراجعون فيها أنفسكم لماذا دائما تنظرون إلى أنفسكم على اعتبار أن الخطأ دائما في الجانب الآخر وليس لديكم ثمة تقصير... فهل نسمع قريبا عن مبادرة بينكم وبين النظام بمقتضاها تسوون وضعكم القانوني في مقابل الكشف عن أعضائكم وعن وضعكم المالي وغيرها من ملفات شائكة.. هناك من يرى أن هذا الوضع الحالي تحبذه الجماعة؟

** هذا كلام غير صحيح.. نحن سياسيون أولا: وجهة نظرنا في قضايا الإصلاح طرحت في مبادرة للإصلاح عام ٢٠٠٤.. أعرف أنك لا تتحدث عن هذا نحن حاولنا وطرقنا أبواب النظام، فالنظام يغلق جميع الأبواب أمام الإخوان يعني يعاملنا كملف أمني وليس كملف سياسي نحن سياسيون فمن المفروض عليه وأمامه جماعة لها جمهور مثل الإخوان أن يجري مع الجماعة حوارا حول أجندة، أي أجندة بالتأكيد سيكون فيها نقاط اتفاق ونقاط اختلاف؟؟ نقاط الاتفاق نتفق عليها تحل بالتدريج ويصل إليها أي إنسان عاقل لكن النظام دأب على الغطرسة والكبر وسياسة الإقصاء فالسياسة التي يستخدمها النظام الآن هي

إقصاء الإخوان وهذه سياسة فاشلة لا تزيد الإخوان إلا قوة في الشارع نحن نطلب خلال هذا اللقاء ونمد أيدينا للجميع فليتحاور معنا النظام إذا شاء النظام بكبر وغطرسة يقول أن هذه جماعة محظورة ولا نتعامل مع جماعة محظورة كما يزعم وفي نفس الوقت هذه الجماعة المحظورة كما يزعم موجودة ملأ العين والبصر في كل مكان في مصر تجد الإخوان المسلمين.

* ولماذا لا تطرحون مبادرة مباشرة مع النظام تضعون فيها حلا لقضيتكم مباشرة، وتقولون هذه مبادرتنا لكم وتفضل... حتى وإن رفضها هو بعد ذلك يتحمل هو المسئولية أمام الشعب وأمام التاريخ؟

** دعونا لمرات مختلفة لحوار مع النظام ولم يستجب لنا وما زلنا نجدد هذه الدعوة، ولكن النظام يتعامل معنا كملف أمني وليس كملف سياسي بالعكس نحن نرحب بالحوا ليس بيننا وبين النظام فقط، ولكن بين النظام، وجميع القوى السياسية الموجودة في الشارع.

*ما هو هدفكم الحقيقي من دخول الشورى؟ هل هو مبدأ المشاركة وفقط؟ أم إنه مجرد خطوة في تحقيق المشروع الإخواني الكبير.

** دخول الشورى يتحقق معه عدة أهداف الأول هو مبدأ المشاركة لا المغالبة الذي ندخل به كل انتخابات والشورى الغرفة الثانية في البرلمان فلابد أن نشارك فيها بغض النظر عن النتائج ولا نتخلى عن دورنا فيها هذا الأمر هو الهدف الإستراتيجي.. الهدف الثاني أن تأتي هذه الانتخابات عقب قانون مباشرة الحقوق السياسية مباشرة والتعديلات الدستورية فلابد أن نخوض مثل هذه الانتخابات لكي نرى تطبيق هذا القانون كيف سيتم والتعديلات الدستورية وقانون مباشرة الحقوق السياسية وحظر النشاط الحزبي أو السياسي على أساس

ديني ومنها الدعاية نحن المعنيين بكل هذه الأشياء فكيف سنرى تطبيقها إن لم نمارس فكان هذا هون هدفنا من الدخول للشورى لكي نرى ما هي القضية؟ ونتمشى مع القوانين الجديدة لتوفيق الأوضاع لكي نوفق أوضاعنا مع القوانين الجديدة والسياسة الجديدة إضافة إلى أننا نسعى إلى تدريب كوادرنا يعنى بالتركيز في الكوادر التي تدخل الانتخابات حتى لو النظام زور ضدها ولم يتبجح فأنت تكسب كادر اجتماعي يمر على الناس فترة الدعاية وتكسب رمزا اجتماعيا تظهره في الوقت المناسب فترة الانتخابات فترة خصبه لتحرك رموز الإخوان داخل الدوائر فنحن نمارس حقنا الدستوري والقانوني وبنحقق عدة فوائد إبراز رموزنا وتدريبهم وإرساء مبدأ المشاركة لا المغالبة نحن عندما ترشحنا ب٢٠ عضو فقط كان فيه رسالة واضحة أننا لا نريد نتخطى رقم ال٢٥ الذي يمكن أن نمرر به مرشح لرئاسة الجمهورية، ورغم ذلك، ورغم هذه الرسالة الواضحة التي عبرنا صراحة إلا أن النظام يلاحقنا بالاعتقالات وبالضربات، ولكن هذه هي ضريبة المشاركة السياسية.

* يعني الإخوان يستفيدون على كل المحاور؟

الشعب المصري يستحق ألتضحية من أجله الشعب المصري ظلم من هذا النظام ومن الحكومات المتعاقبة فليس كثيرا على الشعب أن يجد منا تضحيات وحينما نخاطب الشعب المصري نخاطبه بإخلاص وبعاطفة حقيقية وحينما نقول للشعب المصري الكلمات التي كتبها الإمام البنا في الثلاثينيات يمكن أن نفدي الشعب المصري بأرواحنا إذ كان فيه الفداء نحن نشعر بصدق هذه المقولة حينما نقولها لأن الشعب المصري آن له أن يحيا حياة كريمة ولا يمكن أن يتحقق ذلك بدون تضحيات ونحن أول فصيل في مصر مستعد للتضحيات.

*جهاز أمن الدولة يشبه جماعتكم بالسلحفاة، في إشارة إلى أن لديكم مشروع يمشي ببطء ولكنه مستمر.. وهو بضربكم يحاول أن يوقف هذا الزحف ويوقف المشروع؟

** هم يحاولون أن يضربوا المشروع ولن يستطيعوا.. الإخوان متجذرين في كل مكان وأنا عندما أقول هذا النظام هذا النظام الحالي امتداد للنظام منذ ٢٣ يوليو الإخوان تعرضوا لضربات في ٥٤ و٦٥ وضربهم السادات في ٨١ وبعد كل ضربه يخرجوا منها أقوى من سابقها ومحاكمات عسكرية ٩٥ و٩٧ وسنة ٢٠٠٠ و٢٠٠٧ الإخوان بيدفعوا الضريبة وهذا لا يزيد الصف إلا ترابطا وثقة في القيادة والصف الإخواني يزداد انتشارا أفقيا ورأسيا ولعلك أحد الصحفيين المراقبين.. إلا إذا كنت ترى غير ذلك؟

* متى تعلنون الحزب؟ البعض يرى أنه محض خيال؟

** سيعلن برنامج الحزب قريبا بعد انتخابات الشورى.

*كلام أكيد؟

** أكيد إن شاء الله.

في هذا الحوار أجمعت هيئة كتلة الإخوان البرلمانية على أنهم : مستعدون لزيارة الكونجرس الأمريكي[1]

الإخوان وهويار

كان هذا الحوار غريب من نوعه فقد أجريته مع هيئة كتلة الإخوان البرلمانية مجتمعة ماعدا رئيسها الكتاتني ولكن الأغرب من الحوار نفسه هو الاستجابة لطلبي لإجرائه فقبلها بعدة أيام كنت قد نشرت خبرا في جريدة الدستور اليومية يتضمن موقف الجماعة في برنامج حزبها الذي كانت تتكتم عليه من المرأة والأقباط والمعاهدات الدولية بالإضافة إلى أني أكدت على أني امتلك نسخة من مسودة الحزب بعدها ثارت ثائرة قيادات الجماعة واتهم المسئولون عن مقر الكتلة البرلمانية في جسر السويس بالتقصير في حماية وأمن المقر وذهبت قيادات إلى هناك تحقق في ما جري واتهمت أنا بدون توجيه للاتهام بالاستيلاء على مسودات البرنامج وتمنيت حينها أن يستدعيني الإخوان لسؤالي فيما حدث لكنهم لم يمنحوني حقي في الدفاع عن شخصي وأصدرت تعليمات بعدم دخولي المقر مرة أخرى لكنني كان باستطاعتي إختراقه عندما كنت أشعر بالحنين إليه وإلى بدرومه ولياليه وإلى الحديث فيه مع اصدقائي العمال الصعايدة الذي جرأوا على مخالفة أوامر الحاج ماجد زمر مدير المبنى رغم قسوته وحدته في التعامل معهم .. بعد هذا الموقف شاع أو شيع عني أني صحفي أمن مع اني لم أقابل ضابط ولا حتى مخبر امن دولة في حياتي وأصبح هذا الاتهام – الاغتيال – مشهر في وجهي كلما كتبت شيئا لم يعجب بعض إخواننا لكن هذا السيف لم يثنيني يوما أن أكتب في هذا الملف غير ما أريد أن أقوله ولا أرى من

(١) نشر هذا الحوار في جريدة الدستور المصرية .

الذي يروج ذلك إلى مغرض قميء أو جاهل عبيط أو من أصابته عقد بعض الإخوان الذين يخرجون بطاريات موبابلاتهم عند مقابلات إخوانهم في التنظيم ... وأتذكر شئيا آخر طريف بعد إجراء هذا الحوار فقد كنت اخترت له هذا العنوان المدون أعلاه إلا أن الديسك في جريدة الدستور إضافة له ثلاثة كلمات أخرى فكان كالتالي : هئية كتلة نواب الإخوان : "نحن مستعدون لزيارة الكونجرس الأمريكي لأنه مش عيب ولا حرام " وعندما اتصلت بالدكتور محمد البلتاجي بعد النشر مباشرة لسؤاله في أمر آخر فوجئت به غاضبا ثائرا من

العنوان ليس من مضمون أنهم مستعدون لزيارة الكونجرس بل من جملة " لأنه مش عيب ولا حرام " وجهات نظر ... وإلى نص الحوار:

الإخوان وهويار

- في عز أزمتكم تذهبون إلى مقابلة هويار وتزورون منزل السفير الأمريكي وكأنكم تريدون زيادة الطين بلة فما أحوجكم لهذه الزيارة؟

حسين محمد إبراهيم (نائب رئيس الكتلة): هل الدعوة لمنزل السفير منفصلة عن الدعوة داخل المجلس؟ أنا من وجهة نظري أن اللقاء الذي تم في منزل السفير هو امتداد للقاء الذي تم داخل المجلس، وإذا لم يدع الدكتور سعد الكتاتني لخالف الدكتور فتحي سرور روح اللائحة؛ لأن اللائحة تقول في المادة الثانية منها إنه إذا سافر وفد برلماني للخارج فعلى مكتب المجلس أن يراعي تمثيل الاتجاهات السياسية.. وبكل الأعراف فزعيم المعارضة في مجلس الشعب هو الدكتور الكتاتني "هيقولوا مش معترفين بهيئة برلمانية مش معترفين بكتلة" الواقع يقول إن زعيم المعارضة في مجلس الشعب هو الدكتور الكتاتني فكيف يكون هناك وفد من الكونجرس على مستوى عال يأتي ليزور الكونجرس في مكتب رئيس المجلس

ورئيس المجلس لا يدعو زعيم المعارضة للاجتماع؟ وبالمناسبة الدكتور سرور لما قدم الكتاتني قال لهم هذا رئيس كتلة الإخوان المسلمين في البرلمان، ونحن نقول عليهم مستقلين، وهذا رئيس الكتلة فالواقع فرض نفسه، والذي يقفز على الواقع "يبقى مش تمام" فالواقع يقول إن هذا زعيم المعارضة وزعيم المعارضة لازم يحضر مثل هذا الاجتماع.

أما الدعوة في منزل السفير فلم تكن من أجل السفير، بل كانت على شرف وفد الكونجرس، ولكن إذا كنا نفصله عن هذا السياق "يبقى فيه كلام"، لكن هذا كان امتدادا لأمر طبيعي أن زعيم المعارضة في مجلس الشعب يكون موجودا في الاجتماع الذي عقده المجلس لبعض نوابه مع نواب الكونجرس.

- ولكن لا أحد يقنعني بأن قرار هذه الزيارة اتخذ بعيدا عن مكتب الإرشاد؟

حسين إبراهيم: لا أحد يقول إنها مسلمة، إنه استأذن مكتب الإرشاد في هذا الأمر.. نحن في أعمالنا البرلمانية وفي الأعمال اليومية في البرلمان تكون قيادة الكتلة هي صاحبة القرار، ونحن كبرلمانيين لا أحد ينتقص من أدوارنا البرلمانية، وليس لكي لا تكون هناك حساسية موجودة أن ننتقص من دورنا البرلماني ونقول: لا.. نحن لا نستطيع أن نجلس معكم لكي لا تكون هناك أزمة أو ضجة، فالدكتور الكتاتني كان لابد أن يقوم بدوره البرلماني كاملا، وأظن أن القاصي والداني يعلم أن محور الحديث كان عن القضية الفلسطينية، ووصلت رؤيتنا كنواب للإخوان في موضوع القضية الفلسطينية.

محمد البلتاجي (أمين عام الكتلة): هناك شكل، وهناك مضمون، وهناك مبادئ عندنا، وهناك مناخ عمل:

أما الشكل: فالمجلس والنظام حريصان على وجود هذا الشكل؛ لأنه لا يستطيع أمام الوفود إلا أن يتصرف بمثل هذا التصرف، وعلى سبيل المثال كان يزور

المجلس اليوم وفد برلماني من كندا، فما كان من الدكتور سرور ألا أن أخذ الأستاذ حسين محمد من يده لكي يظهر معه في الصورة ويعرفه بأنه "مسلم برازرز"، في الوقت الذي يقول فيه في القاعة "احنا معندناش حد اسمه إخوان مسلمين"، لكنه حريص أمام الآخر أن يقول نحن نظام لديه تعددية سياسية بدليل حتى الإخوان المسلمين موجودين معنا.

أما المضمون: فحوار الدكتور الكتاتني مع الوفد الأمريكي وفي السفارة لم يكن حوار مساومة ولا تنازل ولا توافق، بالعكس كان حوارا هجوميا هاجم فيه الكتاتني السياسة الأمريكية الطاغية في العراق وفلسطين.. وللعلم أنا ليست عندي حساسية، فأنا لم أحضر مع الأمريكان لكي أعقد معهم صفقات، ولا من أجل مساومات، ولا من أجل أن أستنجد بهم، ولا جلست معهم في حجرة مظلمة، نحن طلب منا من خلال رئيس المجلس أن نحضر فحضرنا لنسمعه ما نريد وليس ما يريد هو، وبالتالي فالدكتور الكتاتني تحدث عن القضية الفلسطينية والسياسة الأمريكية المدانة من الأمة العربية والإسلامية، وتحدث عن حق العودة، ولما قال له السفير: ولو وافقنا على حق العودة فأين يذهب اليهود؟ قال له: يعودون من حيث أتوا.

- ولكن جرى حديث عن التعديلات الدستورية؟

حسين إبراهيم: ولكن رئيس المجلس هو الذي طرحها، وقال عن التعديلات الدستورية إنها نقلة حضارية في تاريخ مصر، ولما استشعر الدكتور سرور أن هذا الموضوع ليس محل توافق الأعضاء الذين كانوا موجودين من المعارضة - وكان موجود محمود أباظة وكمال أحمد- قال: وقد تكون المعارضة لها رأي آخر، فقام الدكتور الكتاتني بشرح وجهة نظر المعارضة في التعديلات الدستورية.

سعد الحسيني (أمين عام مساعد): الكتاتني قال الذي يشرف كل مصري وكل وطني، وما قاله لا يثير زوابع، بل يثير سعادة المصريين الغيورين، نحن لقاؤنا بالأمريكان ليس مغنما، النظام هو الذي يلتقي بالأمريكان ليل نهار.

البلتاجي : "احنا معندناش بطحة نحسس عليها"، هل يمكن أن يتهم الإخوان وهم كانوا العنصر الفاعل قبلها بأسبوع في الحملة ضد الهيمنة الأمريكية والصهيونية، فموقفنا من الإدارة الأمريكية والصهيونية معروف "لا مفاوضات إلا بعد نيل الحقوق"، فالحوار كمبدأ غير مرفوض عندنا، ولكن حوارنا مع الأمريكان لا يكون إلا بعد خروجهم من العراق، ورفع تأييدهم الدائم لليهود، وأنا أتحدث عن الإدارة الأمريكية، أما بالنسبة للشعب الأمريكي فأنا حريص على توصيل رسالة له بأننا نحبذ الحوار.. أنا ليست عندي نقاط ضعف أخاف منها، وأستطيع أن أواجه الآخرين، وأعرض عليهم رأيي وفكري، والإحصائيات الرسمية تقول إن العقل الأمريكي يخلط بين الإخوان والقاعدة، أنا أحتاج أن أصحح هذا في عقل الشعب الأمريكي، وأنا حريص أن أتواصل معه ونحن نتواصل مع كل المؤسسات العلمية والبحثية الغربية، والدكتور الكتاتني كان قبل زيارة وفد الكونجرس بأسبوعين في جورج تاون في مؤتمر أكاديمي "أنا معنديش تخوفات من الحوار".

كسر العقدة

- واضح أنكم تحاولون كسر العقدة التي تسبب لكم فيها النظام الناصري (حيث اتهمكم بالاتصال بالسفارة الأمريكية في مطلع الخمسينات).. هل تعانون من فوبيا الاتصال بالغرب؟

البلتاجي: أنا علاقتي مع الشعوب مفتوحة ليس بها أي عقد، أما علاقتي بالإدارة الأمريكية فعليها تحفظ، وأعبر عنها من خلال رفضي حتى يصححوا

مواقفهم، وعندما عرض علينا اتفاقية مع دولة هولندا رفضناها في المجلس؛ لأنهم كان لهم موقف فسر بأنه إساءة يجب الاعتذار عنه.... وبالمناسبة وفد البرلمان الأوروبي كان قد زارنا مرتين في مقر أمانة الكتلة - يعني في بيتنا- والوفد الثاني كان يضم رئيس وزراء فرنسا أيام ميتران.

- الدكتور الكتاتني قال أنا لا أعبر عن الإخوان.. هل هذا يقنع أحدا؟

البلتاجي: هذا تصريح قاله الدكتور الكتاتني والإعلام نقله خطأ، الكتاتني قال أنا حضرت بصفتي برلمانيا، ولم أحضر بصفتي إخوان مسلمين.. نحن لا يوجد عندنا فصل، ونحن نؤدي برلمانيا باسم الإخوان المسلمين، لكنه قصد أن الجماعة ألزمت نفسها بالتزام تنفذه، هذا الالتزام هو أن الجماعة ألزمت نفسها بعدم الالتقاء بالأمريكان إلا في وجود الخارجية المصرية، لكن هذا لا ينطبق عليه كبرلماني مع أنه إخوان مسلمون، لكن لا حاجة لهذا؛ لأنه رجل برلماني وطبيعة دوره الوظيفي تحتم عليه أن يلتقي الآخرين بلا استئذان وبلا شروط.

حسين إبراهيم: يعني أذهب لوزير الداخلية حتى أقابل وفدا برلمانيا.. أنا أحاسب وزير الداخلية كبرلماني، ونحن حاسبنا وزير الداخلية على تصريحاته الأخيرة بعد ما قامت إسرائيل بعمل فيلم الأسرى، أم أذهب لأستأذن وزير الخارجية وأقول له هناك وفد من الكونجرس يمكن أن أقابله أم لا أقابله.

- ولكن زيارة الكتاتني لم تخل من لغة الإشارات؟

البلتاجي: أنا ليست على رأسي بطحة الإخوان المسلمين، هم آخر من يكون عنده حساسية بالاتصال بالأمريكان، فلا يحمل أحد راية الوقوف ضد المشروع الصهيوني قدر ما يحمله الإخوان "يعني أي حد تاني ممكن يكون عنده الإحساس ده إلا الإخوان المسلمين".

سعد الحسيني: يا سيدي كل ما يتعرض له الإخوان من إيذاء وكل ما يكاد للأمة الإسلامية من أفغانستان إلى العراق إلى فلسطين بسبب الأمريكان، يا سيدي لقاء الأمريكان هذا ليس مغنما.

- أليس الكونجرس ممثلا لشعب وأنتم ليست بينكم وبين الشعوب حساسية، فماذا لودعاكم الكونجرس إلى زيارته؟

حسين إبراهيم: وفد ينتقى من مجلس الشعب..لا.. ولكن أن يدعوا ممثلون عن البرلمان مصر وفيهم حسين إبراهيم فنعم.

- ولكن الحزب الوطني يذهب بمفرده لزيارة واشنطن لكنكم أنتم الذين في حاجة إلى شرح وجهة نظركم لممثلي الشعب الأمريكي الذي يخلط بين الإسلاميين المعتدلين وبين القاعدة، ولماذا تتركون الساحة خالية للصهاينة يلعبون بآلتهم الإعلامية الجبارة في أدمغة الشعوب الغربية؟

البلتاجي: نعم.. نذهب في الضوء وأمام الجميع، وفي أجندة معلومة لدى الجميع، وفي حضور الجميع، فليس عندنا حساسية من ذلك، ولكن يستحيل أن ندخل من الأبواب الخلفية للبيت الأبيض.

لغة إشارات

- "لقاء زعيم الأغلبية الديمقراطية ستينى هويار بسعد الكتاتني رئيس كتلة الإخوان يمثل دعما من الجانب الأمريكي لقوى غير مشروعة يمكن أن تستفيد منه هذه القوى في انتخابات مجلس الشورى المقبل على حساب مرشحين شرعيين لقوى شرعية" بعض ما قالته أمانة الأحزاب المعارضة بمجلس الشورى في البيان الذي أصدرته الأمانة المشكلة من أحزاب الأحرار والجيل والتكافل؟ ما تعليقكم؟

حسين إبراهيم: لم أر هذه البيان، وليس معلوما من الضرورة أن أقرأ بيانات الجيل والتكافل.. وهل الجيل والتكافل كان لهم مرشحون أساسا في مجلس الشعب؟ هم أحزاب لم تصل أساسا إلى درجة الترشيح في المجلس.. هناك نواب مستقلون ولكنه لم يستطع أن يصل إلى درجة نائب مستقل يستطيع ترشيح نفسه في مجلس الشعب، وأي شرعية يتحدثون عنها وهم في مستوى التعيين في مجلس الشورى.

- المتتبع لحركتكم منذ أحداث جامعة الأزهر وإلى الآن سيلاحظ تخبط وارتباك في القرارات ففي خضم أزمة الاعتقالات وتحويل قيادات من الجماعة للمحاكمات العسكرية أعلنتم عن عزمكم إنشاء حزب تراجع فيما بعد ليصبح برنامج فقط وبدت هذه الخطوة وكأنها تحديا للنظام ثم أعلن أحد كوادركم (د.أبو بركة) أنكم ستتقدمون به إلى لجنة شئون الأحزاب، ثم قررتم عدم نزولكم الشارع لحث الناس على مقاطعة الاستفتاء، حتى لم تقوموا بتعليق لافتة واحدة ضد تعديل الدستور، أعقب ذلك حركة إفراجات في صفوف المعتقلين الإخوان في الشرقية والفيوم وغيرها من المحافظات ثم أعلنتم تأجيل الإعلان عن الحزب إلى ما بعد الشورى وأنتم في حيرة من أمركم من تقرير دخول الشورى من عدمه (حسب تصريح المتحدث الرسمي د.حمدي حسن للدستور).. ثم أعلنتم بعدها بيوم واحد دخول الشورى.. ما سر هذا التخبط؟

حسين إبراهيم: من قال إننا لم نكن حاسمين أمرنا بالنسبة للشورى نزول أمر الشورى من عدمه يقرره مكتب الإرشاد بناء على آليات معينة بالتشاور مع المحافظات وهذا الأمر خارج النواب فما ذنب الإخوان أن يسأل المتحدث الرسمي باسم النواب وهو غير متحدث رسمي باسم الجماعة ولا يعرف المعلومة كاملة ثم إن المتحدث الرسمي باسم الكتلة لم يؤكد ولم ينفي قرار خوض الشورى إذن ليس

هناك تضارب وأحمد أبو بركة سأل في حوار نشر بعدها بشهر ونصف وفي سياق آخر فهل هذا تضارب؟.

- واضح أنكم أصبحتم تخافون من النظام الذي أصبحتم تعملون له ألف حساب بدليل أنكم نزلتم الشورى بـ٢٠ مرشح حتى لا يتأكد النظام من أن هدفكم هو تزكية مرشح للرئاسة؟

حسين إبراهيم: "أنا مش عايز أقول خوف ولا مش خوف" نحن نناضل نضال سلمي وهذا من حقنا وكل من يناضل نضال سلمي لابد أن يدفع الثمن هذا باختصار نحن من أجل حقوقنا وحقوق الشعب المصري التي سلبها النظام نحن نناضل ونناضل نضال سلمي والذي يناضل نضال سلمي لابد أن يدفع الثمن..

سعد الحسيني: نحن كإخوان معتادين على هذا، والنظام يظن أن الضربات تضعفنا لكنها تقوينا، وهذا سر نجاحنا، وسر إقبال الناس علينا، وهم بذلك يكونون مثلا وقدوة للصبر والاحتمال والإصرار نحن لن نساوم على مصالح الشعب المصري ولن نتخلى عن أدوارنا بسبب هذه الضربات ولو تعرض أي حزب من الأحزاب لواحد في المائة من هذه الضربات لكان انتهى من الوجود، والنظام المصري للأسف استطاع أن يدمر أو يروض تقريبا كل القوى السياسية في مصر ولم ينج من ذلك إلا الإخوان، هذا بفضل الله سبحانه وتعالى، ثم بفضل التمسك بمبادئهم وأهدافهم، ومع ذلك نحن حريصون على التواصل مع كل الأحزاب وحريصون على أن يكون هناك قاسم مشترك، وفي أزمة التعديلات الدستورية اتفقنا مع الوفد، وكنا حريصين على ذلك؛ لأن الإصلاح في مصر لن يتم من خلال فصيل واحد.. ونحن جماعة كبيرة مطالبون أن نحمل معنا كل الفصائل الأخرى، ونحن حريصون أن نتواصل، وأن يكون بيننا وبين الجميع تواصل، ولن نستعلي على أحد.

البلتاجي: نحن ندفع ضريبة اختيار الشعب لنا من نوفمبر ٢٠٠٥ وإلى الآن، كما تدفع حماس ضريبة نجاحها واختيار الشعب لها.. اعتقالات ومحاكمات عسكرية وفصل طلاب ومصادرة أموال، وهم بذلك يريدون منا أن نتراجع، أو أن نستفز للخروج عن نضالنا السلمي، لكننا لن نتراجع عن المطالبة بحقوق الشعب وبالإصلاح الحقيقي والوقوف ضد الفساد والاستبداد والتبعية.. لا تراجع.

تراجع تكتيكي

- قيل إنكم تراجعتم تكتيكيا؛ بدليل أنكم دخلتم الشورى بـ٢٠ مرشحا فقط، ثم وما العيب في التراجع التكتيكي لحماية أبنائكم الذين يحاكمون الآن عسكريا؟

الحسيني: أي إنسان يفكر لابد له أن يضع كل حساباته في الاعتبار؛ لكن في النهاية هدفنا صالح مصر، ولن نساوم على المبادئ أبدا، وإذا كانت قضية الضغوط هي التي تشغلنا لكنا تراجعنا من زمن، والذين في السجون يرسلون لنا رسائل ويقولون لنا اصمدوا "وشدوا حيلكوا ولا تتراجعوا".

حسين إبراهيم: أنا أسأل هل هذا الموضوع يعطينا خطوة للإصلاح أم نحن نتراجع؟ نحن لسنا على استعداد للتراجع، لكن لابد أن تكون هناك خطوة للإصلاح.. الإصلاح ليس من أجل الإخوان، الإصلاح من أجل الشعب كله، لا تقول لي ٤٠ و٥٠ المهم أن الذي نفعله هذا خطوة للأمام أم نحن نتراجع؟

القضية ليست قضية عشرين ينزلون أو خمسين، وأنا لا أستطيع ألا أنزل الانتخابات عشان "محدش يضربني"، وفي المقابل البلد تتراجع، أنا لست على استعداد أن تتراجع البلد خطوة، ونحن متأثرون أشد التأثر لكل المحبوسين، ونحن كبرلمانيين في انتخابات ٢٠٠٠ و٢٠٠٥ كنا متأثرين أشد التأثر لكل المحبوسين والمعتقلين، وكانت قلوبنا تعتصر ألما لكل إخواننا المعتقلين، لكن هذه ضريبة لابد أن تدفع.

البلتاجي: نحن لن نتراجع عن المشاركة، وقضية الظروف الضاغطة هذه إذا كانت ستجعلنا لا ندخل الانتخابات، وتجعلنا ندخل بشكل رمزي، كأن نسجل مثلا ب٣ أو ٤ مرشحين، لكن نحن حريصون على المشاركة الفعالة التي ممكن أن تنتج شيئا في صالح الوطن، لكن قضية النزول بأكثرية أو النزول بحجم كبير فنحن ليس موضوعنا الرئاسة، نحن موضوعنا أن البلد "واقعة وبتقع"، ونحن كبرلمانيين نرى ذلك جيدا.. البلد "تقع" في كل مجالات الحياة المختلفة، فنحن حريصون على أن نظل نشارك وسنشارك فعليا لأن حال البلد يفرض على كل وطني شريف أن يشارك وألا يتخلى.

- واضح أنه بعد قراركم عدم نزول الشارع في الاستفتاء على التعديلات حدثت حركة إفراجات في صفوف معتقليكم، والآن انتم تدخلون الشورى بـ٢٠ مرشحا فلماذا استبعد منطق الصفقات؟

سعد الحسيني: وما رأيك في اعتقال ٢٥ طالبا ثم ١٨ ثم ١٥ مؤخرا في دمنهور؟

البلتاجي: مثل ما قلت لك في البداية آخر من ينسب إليه الصفقات مع الأمريكان هم الإخوان، أقول لك أيضا إن آخر من ينسب إليه الصفقات مع النظام هم الإخوان؟

- لكن هناك إشارات وليست بالضرورة أن تكون الصفقة صريحة، بل يمكن أن تكون ضمنية؟

البلتاجي: وهل هناك تهدئة في المناخ العام معنا؟ لقد اعتقلت لنا أجهزة الأمن في نفس الأسبوع الذي أعلنا فيه خوضنا انتخابات الشورى ٢٠ طالبا و٤ من أساتذة الجامعات و٩ من قيادات الجماعة في البحيرة "يعني الجو مش بيقول إن فيه رسائل تهدئة".. لكن أنا حريص أن أبدو ببرنامجي الطبيعي ومشروعي تحت شعار

لا تراجع ولا استفزاز؛ بمعنى أني "مش هبطل وهنزل" كل الانتخابات طلابية وعمالية وشورى ومحليات؛ لأننا علينا فريضة وطنية ودستورية وتشريعية تفرض علينا أن نظل نشارك لكن بطبيعة مشروعي "مش عشان هو عايز كده" بطبيعة مشروعي أنا لا أسعى للسلطة هذا ليس هدفي، ولكن هدفي إصلاح المجتمع.

- ولماذا لم تنزلوا الشارع يوم الاستفتاء حتى لم تعلقوا لافتة واحدة؟

حسين إبراهيم: "مين اللي قال معلقناش" لم ننزل لكن الشعب استجاب لدعوة الإخوان وشركائهم في هذا الأمر؛ لأن قرار المقاطعة لم يكن قرار الإخوان وحدهم حتى في البرلمان، كنا حريصين ألا تكون كتلة الإخوان وحدهم هم الذين يقاطعون والمقاطعة نجحت بدليل تقارير المنظمات التي رصدت الاستفتاء، وقالت إن نسبة المشاركة كانت من ٣ إلى ٤ ٪.

البلتاجي: رغم تعتيم الإعلام الرسمي على نشاط البرلمان في مواجهة التعديلات الدستورية انظر إلى الفعاليات التي تمت في مواجهة التعديلات الدستورية من خلال الإخوان المسلمين التي جعلت النظام يستعجل في سلق التعديلات الدستورية داخل البرلمان واختصروا المسافة الزمنية وبعدما كان يتحدث عن ١٤ ألف مؤتمر للحزب الوطني عن التعديلات" لموا الدور "وجروا بسرعة لأنهم شعروا أن رسالتنا وصلت الناس.. كان هدفنا توصيل رسالة إلى الجماهير، وهذا الهدف تحقق فنزول الشارع لم يكن هدفا في ذاته.

حسين إبراهيم: هل هناك استفتاء في الدنيا بين موافقة البرلمان وعرضه على الشعب ٦ أيام وهناك ٣٤ مادة في الدستور شملت أبوابه كلها؟ نحن نجحنا في أن ننزع المشروعية السياسية عن هذه التعديلات، وأصبح هناك عوار سياسي؛ لأن هذه التعديلات مثلت الحزب الحاكم فقط.

- ماذا يعني تأجيل إعلان الحزب في هذه المرحلة ولماذا بعد انتخابات الشورى؟

سعد الحسيني: الإخوان لم يعلنوا موعدا لإعلان الحزب لكنهم قالوا صراحة نحن نعمل برنامج حزب من حق الشعب المصري أن يطلع عليه ويناقشنا فيه.. نحن ضد لجنة الأحزاب تلك اللجنة التي أنشئت خصيصا من أجلنا، ونحن لن نتقدم ببرنامج الحزب إليها لافتقادها المشروعية، ويكفينا أننا نتقدم بمشروع للأمة كلها تتفاعل معه بعد ذلك لكل حادث حديث؟

حسين إبراهيم: لجنة الأحزاب لم تنشأ لنا خصيصا، بل أنشأت للشعب المصري كله، لجنة الأحزاب لا توافق لنا ولا توافق لغيرنا، نحن قدمنا مشروع قانون للأحزاب حتى الآن مجمد في لجنة الاقتراحات في مجلس الشعب.

فلسفة التوازن

- لكن يبدوا أنكم لا تترددون في طرح الحزب الذي قد يضطركم لحسم بعض القضايا الشائكة مثل الموقف من الأقباط والمرأة والمعاهدات والاتفاقيات الدولية هذا الحسم الذي قد يفقدكم الكثير من شعبيتكم لدى الشارع ولدى بعض التيارات السلفية؛ وبالتالي فالأفضل لكم هو الإبقاء على سياسة التوازن بين التيارات العلمانية والتيارات السلفية المعمول بها حاليا؟

حسين إبراهيم: نحن لسنا خائفين من أحد، لا خايفين من هذا التيار ولا ذاك، ووجهة نظرنا أن لدينا الشجاعة أن نطرحها بكل قوة وبكل شجاعة، وبمنتهى الوضوح "معندناش حاجة نخفيها" ولا شيء معتقدين به وغير قادرين على الإفصاح عنه نحن سنعلن البرنامج قريبا وسيعرض، ومن حق الشعب المصري بكل تياراته أن يناقشه.

سعد الحسيني: أكثر فصيل يتأذى من الضبابية هو نحن، ونحن نحب أن نعمل في وضوح، ونحن نحب أن تكون مواقفنا واضحة جدا، والبرنامج سيكون واضحا جدا، ويجيب على كل التساؤلات، وسنكون أمناء مع أنفسنا، ولن نعرض إلا فكرتنا الإسلامية الصميمة، ولن نساوم أبدا على مبادئنا من أجل فلان أو علان، نحن نرى أن هناك حلا لهذا المجتمع كله بمسلميه ومسيحييه، ولن نساوم على مبادئنا.

البلتاجي: نحن أصحاب دعوة ومبادئ وقيم وثوابت يرتبط بها المشروع السياسي، فنحن أكثر الناس حرصا على توصيل قيمنا وثوابتنا بوضوح شديد بعيدا عن الإفراط والتفريط بما يصادم العلمانية وبما يصادم الغلو والتشدد في الدين، أنا لست حريصا على كسب الطرفين، بل العكس أنا حريص على توصيل مشروعي كما أفهمه بوسطية الإسلام، وبما يعارض العلمانية ويتقاطع معها، وبما يحاول أن يعيد المتشددين إلى دائرة الوسطية الإسلامية، لكن لا يحرص على كسبهم مقابل ضبابية في الموقف، نحن أصحاب مشروع دعوي يرتبط بوضوح بهذه الثوابت والقيم.

- لكن الحزب علماني بطبيعته؟

البلتاجي: "أنت عايز تتكلم عنا كإخوان مسلمين ولا عايز تلبس طاقية الإخوان المسلمين للأوضاع القائمة؟" أنا أتحدث عني كإخوان مسلمين، أنا مشروعي قائم على مبادئ وثوابت وقيم الإسلام، فأنا حريص على توصيل هذا إلى عموم الناس وتفهيمهم طبيعة حجم المسئولية الملقاة علينا في ظل تعقيدات الواقع الموجود، وفي ظل الضغوط الأمنية.. القطاع الكبير من اللجنة السياسية التي كان منوطا بها البرنامج تم اعتقاله في الفترة الأخيرة يوم أن أعلن عن تقديم الإخوان المسلمين لبرنامجهم في اليوم الثاني مباشرة اعتقل الدكتور محمد علي بشر المسئول الأول

عن البرنامج، ثم اعتقل الدكتور محمود غزلان، ثم قطاع كبير من اللجنة السياسية، حتى اعتقلوا مديري مكاتب النواب الذين يمثلون المساعد الأول للنائب.

سعد الحسيني: بالمناسبة مجلس الشعب من مدة استقبل ١٩ مساعد نائب في الكونجرس الأمريكي بحفاوة في ذات التوقيت الذي اعتقل فيه ١٩ مساعد نائب من نواب الشعب المصري.

البلتاجي: أنا لا يوجد لدي هدف من تأجيل برنامج الحزب، لكن في نفس الوقت أنا في وسط الظروف هذه "لازم ميحصلش علي ضغط"، فأجني ثمرة قبل أوانها؛ بمعنى أن أخرج المشروع سريعا بسبب ضغط الرأي العام؛ فبطبيعة الحال لابد أن يأخذ حقه في الدراسة والمراجعة والاعتماد، نحن جماعة كبيرة، وجماعة مؤسسية، يعني غير جائز أن يعلن الـ١٠ أو الـ٢٠ الذين يعدون برنامج الحزب تحت هذا الضغط بدون أخذ رأي الإخوان.. من أجل هذا أريد أن أؤكد أن التسريبات التي خرجت عن برنامج الحزب غير صحيحة وغير دقيقة؛ لسبب بسيط؛ لأننا جماعة مؤسسية لها نظام في اعتماد ما يصدر عنها حتى لو كان ٢٠ شخصا يعملون في إعداد برنامج الحزب فإعدادهم لا يعني أن هذا برنامج الحزب، فقد يحدث في هذا البرنامج تصحيحات وتصويبات بناء على نقاش داخل الإخوان قبل ما يعرض خارج الإخوان.

أجزم أن ما نشرته أنت في جريدة الدستور كان فيه أخطاء صوبت وأشياء حتما سيتم تصويبها.

التسريبات الصحفية

- واضح أن التسريبات الصحفية تسببت في مشكلة للجماعة؟

سعد الحسيني: نحن نحترم الإعلام وسيظل الإعلام يسعى للخبر ويسعى للإثارة ويسعى إلى متابعة صنع الحدث، ونحن لا نحرمه من حقه هذا، في نفس

الوقت نحن لنا أساليبنا المؤسسية في التعامل.. هناك من يتحدث باسم الإخوان المسلمين، وهناك من يتحدث باسم الكتلة، وهناك من يتحدث كشخص من الإخوان، ولكن القرار الرسمي في النهاية يصدر من مكتب الإرشاد.

نحن نحترم تماما حرية العمل الصحفي في الوصول للخبر والسبق به؛ لكن أخبار الإخوان أصبحت جزءا من الواقع الصحفي، وجزءا من العملية التسويقية للإعلام، لكن مع ذلك فالضغط الصحفي في تعجل صدور أخبار عن الإخوان من مصادر غير دقيقة لمجرد أن هذا جزء من التسويق أو الجاذبية في الخبر بلا شك يضر بالإخوان ويضر بالمهنية الصحفية.

- قررتم دخول الشورى تحت شعاركم الذي يسبب لكم الصداع (الإسلام هو الحل) فبرغم الصداع الذي يسببه لكم الشعار فإنكم متمسكون به... ما سر تمسككم بالشعار خاصة أنه ليس قرآنا ولن تأثموا بتركه؟

البلتاجي: الإسلام هو الحل كمحور لمشروع الإخوان المسلمين الإصلاحي وبرنامجهم السياسي، وهذا لن يتخلى عنه الإخوان المسلمون إلى أن يلقوا الله سبحانه وتعالى، ومن أجله وبمضمونه قتل حسن البنا، وعبد القادر عودة، وسيد قطب، وكل تضحيات الإخوان كانت في سبيل تعميق هذا المفهوم في الأمة.. الإسلام هو الحل كمعنى لطريق خروج الأمة من أزمتها لا طريق آخر جربنا الشرق وجربنا الغرب وجربنا المناهج المختلفة وواقع الأمة العربية والإسلامية ليس له مخرج إلا الإسلام بشموله ووسطيته وجماله وفاعليته للخروج من هذا الواقع، وهذا مشروع من أجله نعيش في سبيله ونموت.. وهذا الإطار مشروعنا السياسي أيضا لكن الشعار الانتخابي قابل أن يحدث حوله تغييرات.

أما ما فهمه البعض من حدوث تعارض في تصريحات لبعض الإخوان حول الموقف من شعار الإسلام هو الحل فهو خلط ما بين الموقف المبدئي بين الإسلام هو الحل كخيار لا تعديل ولا تغيير فيه للإخوان، وبين الموقف من الدعاية الانتخابية..

والموقف القانوني والدستوري في هذه اللحظة يتوافق مع شعار الإسلام هو الحل كدعاية انتخابية بحكم المحكمة الإدارية ٢٠٠٠ و٢٠٠٥ وأقر به الدكتور سرور من على منصة المجلس، ومثبت في مضابط المجلس من أن شعار الإسلام هو الحل شعار سياسي، وليس شعارا دينيا؛ يعني ليس شعارا دينيا ولا طائفيا حتى إن سرور اقترح علينا وقال ممكن تكونوا أذكياء وتغيروا شعار الإسلام هو الحل إلى شعار الشريعة هي الحل وتبقوا ١٠٠ ٪ أول المناصرين للدستور.. البعض قال إن مباشرة قانون الحقوق السياسية سيجرم شعار الإسلام هو الحل وهو نفس الكلام الذي قاله جمال مبارك في الكاتدرائية في العباسية (لن نسمع شعار الإسلام هو الحل) فيبدوا أنهم مفصلين قوانين لكن عندما يخرج مثل هذا القانون "نبقى نتفاهم فيه" لكن الآن هذا شعار دستوري وقانوني، فنحن بكل حال لن نتخلى عنه كمحور لمشروعنا الإصلاحي والسياسي لكن كدعاية انتخابية "هحطها" على الملصقات إلى الآن وضعي قانوني.

الإنجيل هو الحل!

- لكن الأقباط يمكن أن يرفعوا شعار الإنجيل هو الحل ونقلب دولة طائفية؟

الحسيني: يرفع كما يشاء، الحرية له كما يشاء، لا أنا أحجر عليه ولا هو يحجر علي، والحكم للشعب لماذا يحجر ٥ في المائة على ٩٥ في المائة.

وبالنسبة للنصارى لا يضرهم هذا، بل العكس إذا كان الإسلام هو الحل فهو الضمانة الأولى للوحدة الوطنية ولمبدأ المواطنة، ولم يعرف العالم المواطنة إلا من خلال

الإسلام، ولم يعرف المسيحيون المواطنة الحقة إلا من خلال الإسلام؛ هم اضطهدوا من الرومان الكاثوليك، ونحن أعطيناهم حق المواطنة كاملا، وحقوقهم مصونة بالدستور والقانون، ومصونة أيضا بالعقيدة والدين والخلق، فنحن لن نتنازل عنها حتى لو الدستور منعها، نحن نفتخر بهذا الشعار لأنه يسبق الحضارة الإنسانية في إرساء مبادئ المواطنة والعدالة والحريات وكرامة الإنسان.

البلتاجي: يوجد في العالم الغربي في أوروبا وأمريكا ٤٦ حزبا مسيحيا "محدش" قال لهم إن هذه طائفية، هناك دولتان في العالم لم يأت أحد لهم بسيره مع أنهما قائمتان على أساس ديني تماما من الألف إلى الياء كما في إسرائيل والفاتيكان، لكن نحن لا نتحدث عن هذا النموذج.. انجيلا ميركل نزلت الانتخابات تحت شعار القيم المسيحية هي الحل "ومحدش اتكلم "، وأنا هنا أسأل من يأتي بالاحتقان؟ عندما أقول الإسلام هو الحل يكون هناك خطان الخط الأول أدعو إليه المسلمين تحديدا وهو الإسلام كعقيدة وعبادة وأخلاق، وهناك خط أدعو إليه المجتمع المصري بمسلميه وأقباطه وهو الشريعة الإسلامية كقانون ونظام حاكم، فلماذا يقبل أخي القبطي المصري القانون عندما يجيء من فرنسا أو من أمريكا اللاتينية لكن لا يكون مقبولا لو جاء من الفقه الإسلامي.. إلا إذا كنا هنشتغل بطريقة "الواد ده ميشفش أمه"، وهي النكتة التي تحكي أن اثنين كان محكوم عليهما بالإعدام، فطلب الأول أن يرى أمه، أما الثاني فطلب أن لا يرى الأول أمه.

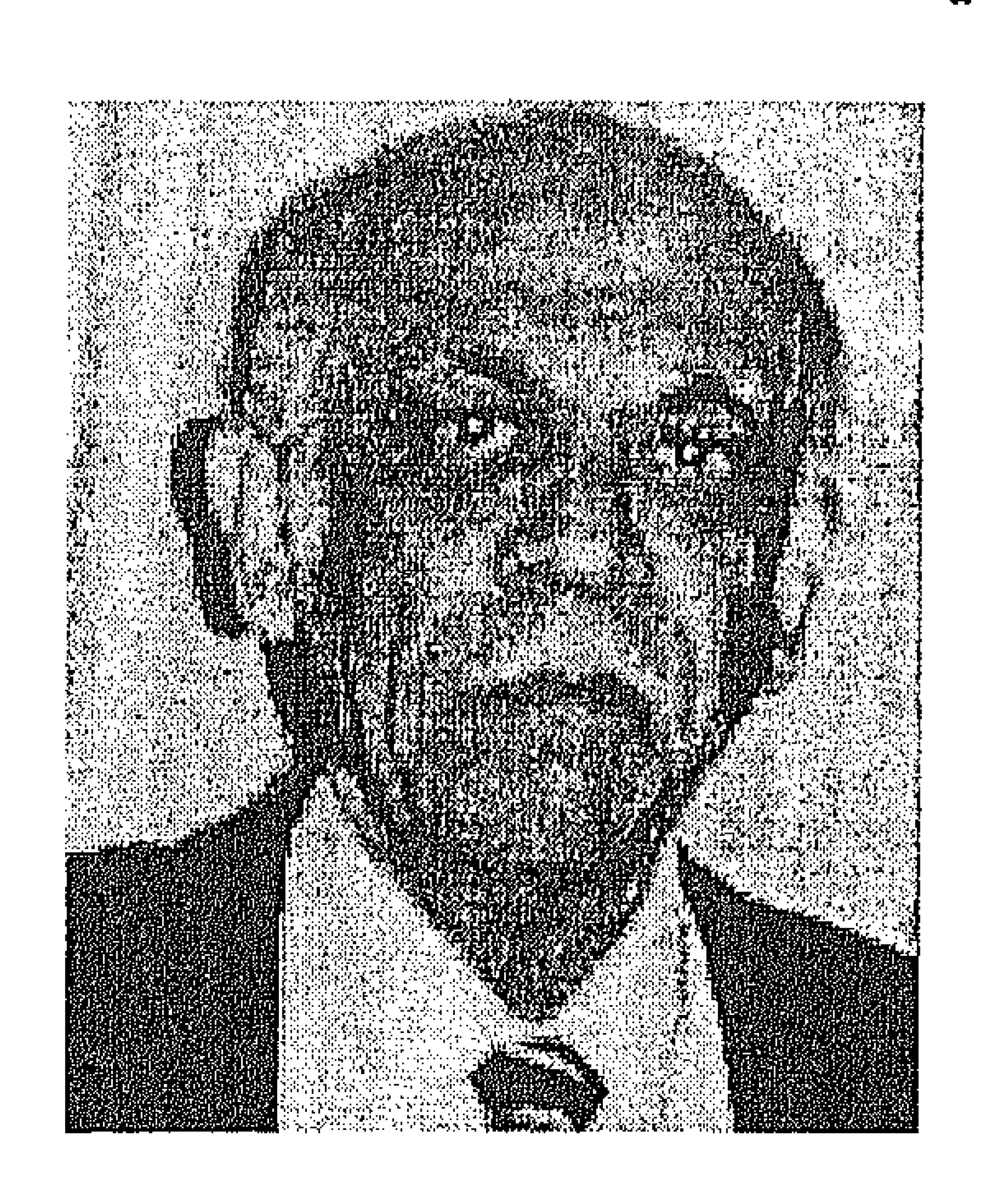
ونحن مع حق الأقباط الكامل في أن يروا حقوقهم غير منقوصة ونتناقش فيها.. حرية اعتقاد حرية عبادة.. حرية تعبير.. وظائف.. مناصب.. نتحدث فيها بالتفصيل ونحن مع المساواة في الحقوق والواجبات ١٠٠ ٪ لكن إذا كان مفهوم المواطنة عندهم أن يتخلى المسلمون عن دينهم "يبقى همه اللي بيلعبوا المسألة غلط".

الحسيني: يعني المواطنة أني أحرم من حقوقي؟ لم يجرؤ أحد من الأقباط المحترمين أن يصرح ويقول لعموم المسلمين إلغوا المادة الثانية من الدستور، ورموز الأقباط الواعية قالت نحن متمسكون بالمادة الثانية من الدستور، وعموم المسيحيين في مصر ليست عندهم أي مشاكل من الإسلام، ممكن يكون بعض الفئات المتعصبة الموجودة في كل مكان وزمان هي التي تعلي هذه القضايا، وتتكسب من ورائها، وهذه فئة لا تمثل المسيحيين في شيء.

البلتاجي: أنا هضرب مثل للأقباط كيف أن الإسلام هو الحل.. في كثير من الأحياء الشعبية على الأقل لا يجرؤ المسيحيون أن يفتحوا محل "أكل" لأن كثيرا من المسلمين يتأففون من التعامل في هذا الجانب خلال الأقباط، مع أن هذا ضد الدين يعني تصحيحنا لمفهوم الدين عند الناس "وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم" يجعل الأمور تكون في نصابها الصحيح...كثير من القضايا التي يعاني منها الإخوة المسيحيون نابعة عن عدم فهم الدين، وليس من عدم التمسك به، بل أكثر من هذا أنه في ظل علمانية الدولة يصبح فقه وأحكام الأسرة في الغالب وفي الواقع متخذة من الفقه الإسلامي وملزمة للشعب، وبالمساواة وفيهم الأقباط، في حين عند تطبيق الشريعة الإسلامية يصبح للأقباط تشريعاتهم الخاصة .

حوارات في التاريخ

(حقيقة النظام الخاص) في حوار مطول مع صقر النظام الخاص أحمد عادل كمال[1]



لم يكد يكمل الـ١٦ من العمر حتى أخذته يد القدر إلى مصيره "جماعة الإخوان المسلمين"، فالشاب الصغير كان منطويا يكره الاختلاط بالناس، ويعشق لعب الشطرنج والنرد مع والده، وبين ليلة وضحاها من ليالي وضحى عام ١٩٤٢ ضمته جماعة الإخوان المسلمين إليها بإصرار - على حد تعبيره- وانقلب الشاب الهادئ المنطوي إلى أحد قيادات النظام الخاص في الجماعة الكبرى، يتدرب على السلاح والقنابل، ويخطط للنسف والتفجير لمحاربة اليهود والإنجليز، كان مؤمنا ولا يزال بقضيته وبفكرة النظام الخاص التي أودت به في السجن والتعذيب مبكرا قبل أن يتعرض لها كثير من أعضاء الجماعة، فتم القبض عليه في حادث السيارة الجيب انشهير، وسجن بسببها من عام ١٩٤٨ إلى عام ١٩٥١.

---

(١) (نشر جزء من هذا الحوار بشبكة إسلام أون لاين نت).

ولخطورة الرجل فصله حسن الهضيبي من الجماعة بناء على رغبة جمال عبد الناصر؛ لأنه كان مصرا على بقاء النظام الخاص مع عبد الرحمن السندي، وكان يرى فيه حماية للدعوة، وبعد فصله سمع أمر المرشد الجديد وأطاع، مع أنه في داخله كان غير راض على الهضيبي وعلى سياساته التي رأى أنها كانت وبالا على الجماعة، فبعد تفكيك نظام السندي عمليا أطاح بهم عبد الناصر، وقذف بهم في درك السجن الحربي، وكان عادل كمال من أوائل المعتقلين مع أنه كان مفصولا من الجماعة...

وبعد مرور السنين لم يتغير كمال فهو ما زال يرى أن النظام الخاص يجب أن تقدم له تحية إعزاز وتقدير، وأن السندي كان رجلا مخلصا أخطأ خطأ وحيدا وهو قتله الخازندار قبل أخذ إذن الإمام، وأنه كان على حق في عدم موافقته على تفكيك النظام... فإلى نص الحوار:

من المدرسة إلى التنظيم

* نبدأ معك من البداية: كنت شابا في الـ١٦ من العمر لماذا اخترت الانضمام إلى الإخوان مع أن الساحة كانت مليئة بتيارات أخرى كثيرة؟

** أنا كنت في صغري منطويا لا أحب الخروج من البيت وأهوى جمع الطوابع والرسم ولعب الشطرنج، فجأة انقلبت بين عشية وضحاها من شاب انطوائي يكره الاختلاط بالناس إلى شاب سياسي ورياضي وحركي علني وسري.

* كيف حدث ذلك ولماذا؟

** أنا أحببت الإمام البنا رضوان الله عليه حبا شديدا، وهو الذي حببني في الدعوة وربطني بها، فأصبحت كل حياتي، وملأت روحي ووجداني -رحمه الله-، فأنا مدين له وللدعوة التي هداه الله إلى أن يدعو إليها بكل خير نلته في حياتي، فلم

يكن هناك مثله قط، كان فلتة زمانه، واستطاع أن يوجه طاقة الشباب نحو الهدى والتجرد والعمل للإسلام.

* كيف كانت البدايات؟

** عام ١٩٤٢ قامت مدرستي - مدرسة فاروق الثانوية بالعباسية - بمظاهرة في صبيحة اليوم الذي حاصرت فيه الدبابات سرايا عابدين، وأرغمت فاروق على أن يسند الوزارة إلى النحاس باشا، وكان ذلك في ٤ فبراير.. سرت مع المظاهرة وطرقت أذني فيها هتافات: الله أكبر ولله الحمد، الله غايتنا، الرسول زعيمنا، القرآن دستورنا، الجهاد في سبيل الله أسمى أمانينا.. سمعت الهتافات فلم أفهمها فأنا معتاد على هتافات يحيى فلان باشا، ويسقط فلان باشا، أو يسقط الاستعمار ويعيش جلالة الملك، فسألت زميلي حسين عبد السميع ما هذا يا حسين؟ فقال: هذه جمعية في السكاكيني، وبعد انتهت المظاهرة.

البنا والملك

* مقاطعا: كان الإخوان يتظاهرون من أجل الملك.. فهل كانت علاقة البنا بفاروق جيدة؟

** الذي أستطيع قوله إنه لم تكن هناك علاقات بين الإخوان وبين القصر، وأنا متأكد من هذا، أعرف أن هناك كثيرين قالوا إنه كانت هناك علاقات ولكن هذا غير صحيح.. الإمام البنا كان يرى أن هداية الله قريبة من كل إنسان حتى الملك، ولذلك كان يحاول أن يقابله عسى أن يجعل الله هدايته على يديه، وكان يرجوا عندما يقابله أن يهتدي، وأن يمشي في الطريق الصحيح، ويترك الشلل التي كان يصحبها، ولكن هذه الشلل كانت تحول دون ذلك أمثال بولي وأحمد حسنين وغيره.

* لكن الإخوان تظاهروا من أجل الملك؟

** نعم.. كانوا غاضبين مما جرى... الجميع كان غاضبا مما جرى للملك، وبعدها جمع جميع الأحزاب في سرايا عابدين.. محمد حسين هيكل والنحاس وأحمد ماهر وحافظ رمضان، وبعد أن قص عليهم الحكاية قال للنحاس باشا اذهب وألف وزاراتك، وعندها وقف أحمد باشا ماهر وقال هذا يعني أن النحاس جاء على أسنة رماح الإنجليز، فقال له النحاس اخرس يا قليل الأدب أنا لم آت إلا لحماية العرش والملك.

* كنتم غاضبين وقتها من النحاس.. والآن.. فهل ترى أن الرجل ظلم؟

** نعم، بالتأكيد، فقد كان رجلا وطنيا، وكان يرى أن النازيين أسوأ من الإنجليز وغير ديمقراطيين، فوجهة نظره التقت مع مصلحة الإنجليز، وهذا لا يعني أن الرجل غير وطني بل العكس.. صحيح أن مكرم عبيد بعدها انشق عنه، وعمل الكتاب الأسود؛ لكنه ذكر فيه سيئات الرجل، ولم يذكر حسناته، وكلنا لنا سيئات ولنا حسنات.

* أكمل لي قصة انضمامك للإخوان؟

** ذهبت أنا وحسين إلى الحلمية الجديدة؛ حيث المركز العام للإخوان المسلمين، وعلى ما أتذكر قادنا أنا وحسين شخص لا أتذكره إلى هناك فوجدناه محاطا بالبوليس، فذهبنا إلى منزل المرشد فلم نجده، ووجدنا الأستاذ عبد الحكيم عابدين؛ حيث قال لنا إن الأمر لا يدعو إلى القلق، وذهبت إلى بيتي وبعد أيام زارني حسين في منزلي ومعه خطاب لي من شعبة الظاهر يقولون فيها إنهم قلقون على غيابي فإذا لم أزرهم في وقت قريب سيقومون هم بزيارتي.. في هذا الوقت غاظتني هذه المسألة فأنا كنت لا أزور ولا أزار فذهبت إلى الشعبة لكي لا يأتون

لزيارتي، وهناك جلسنا تحت تكعيبة عنب كنا حوالي أربعين طالبا، وكان محاضر الليلة الأستاذ محمد الخضري، فأسرني بحديثه، فقد كان فياضا بالمعاني الروحية غزير المادة ومؤثرا، وكان ارتباطي بالإخوان.

البنا صنعة الله

* صف لنا البنا كما رأيته؟

** كان رجلا مذهلا، كان يشدنا إليه شدا عجيبا، كنا نسمعه بالساعات فلا نمل، وكان رجل ربانيا يعيش في القرآن والقرآن يعيش معه، وقد أحببته جدا جدا، فكان يرتدى أبسط الثياب وأنظفها، متواضعا جدا؛ لكنه كان جليلا مهيبا فيه جلال العابد ومهابة العالم، وكان السر في ذلك أنه كان مخلصا أشد الإخلاص، متفانيا في فكرته، متجردا لها، وكنا نشعر بأننا أمام عملاق ضخم صنعه الله على عينه واصطنعه لدعوته... الشيخ الشعراوي ذات مرة قال لي أنا عشقت أسلوب الإمام رحمه الله، وأنا مشيت على طريقته، وكان رحمه الله يفهمنا معنا الأخوة في الله فجعلنا مترابطين متحابين.

* من الذي جندك في النظام الخاص؟

** ضمني ولم يجندني.. الذي ضمني حسين عبد السميع، فهو الذي ضمني إلى النظام، وهو الذي أدخلني الإخوان أيضا ففي ١٩٤٦ دعاني حسين عبد السميع إلى منزله وقال لي هناك مقابلة هامة، ورفض أن يزيد على ذلك حرفا، وفى الموعد وجدت رجلا لم أكن أعرفه في انتظاري عرفني به حسين وانصرف، ثم بدأ يسألني في بعض الموضوعات العامة، وظل يسحبني في الحديث إلى أن وصل في نقاشه إلى الموقف من الاستعمار، ومن الحكومات العميلة، والوزارات الخائنة، وكنت حذرا معه لأني لم أكن أعرفه، ثم اتفقنا في النهاية على أن آخذ بفريضة

الجهاد، وهي التي تميز الإخوان عن غيرهم، ثم سألني: هل الواجب يحتم علينا أن نأخذ العدة فقلت، ولكن من أين السلاح، وكيف نتدرب بعيدا عن أعين الحكومة؟ فأجاب: هذا الأمر قد انتهينا منه، وخرج أحمد حجازي بعد أن بايعته على السمع والطاعة والكتمان.

انقلاب أم جهاد

* لأي هدف أنشئ النظام؟

** النظام أنشئ في البداية لجمع السلاح وإرساله لفلسطين، وكان هذا في عام ١٩٣٧ بعد طلب الحاج أمين الحسيني هذا، وقام الإمام البنا بجمعه من الأرياف، ولكن بعد أن بعث السلاح اكتشف المجاهدون في فلسطين أن به نسبة كبيرة فاسدة لا تعمل فأنشأ البنا النظام الخاص؛ لكي يكون هناك من يتعامل مع الأسلحة عن دراسة وعلم، كما أن الحاج أمين الحسيني أرسل للبنا، وقال له لدينا السلاح والمال نريد مجاهدين.

* هل يعقل أن جمع السلاح وإرساله إلى فلسطين كان يستدعي إنشاء نظام سري؟

** النظام الخاص في هذا الوقت كان محدودا، ولم يكن العدد كبيرا حتى عام ١٩٤٥ عندما انتهت الحرب العالمية، وجميع البلاد العربية والإسلامية محتلة والأمة، وبدون خلافة، وأتاتورك كان قد أعدم مسلمين في ميادين عامة حتى تنتهي فكرة الإسلام، والإمام البنا -رضي الله عنه- كان مخيرا بين الاستسلام وبين المقاومة، فاختار المقاومة رحمه الله.

* ألم يكن هناك هدف آخر لإنشاء النظام مثل حماية الجماعة، وهي في طريقها لتحقيق دولة إسلامية؟

** هذا لم يكن موجودا.

* ولكن حدث أن النظام تخلص ممن رأى أنهم عقبة في تحقيق هدفه وقتل مصريين مسلمين لأنه رآهم أعداء؟

** نعم هذا حدث؛ لكنها كانت أعمال فردية كان أولها اغتيال أحمد بك الخازندار، وهذه كان لها تأثير كبير على الدعوة، ولكن كما قلت لك وجود النظام كان ضروريا للمقاومة.

* أي مقاومة؟.. الإنجليز؟ لم يستهدفهم النظام الخاص إلا بمحاولة تفجير واحدة، وقبض بعدها على منفذيها، والباقي نفذها النظام ضد مصريين أو يهود مصريين... فماذا فعل النظام؟

** لا.. منذ عام ١٩٣٧ كان له دور كبير في جمع السلاح إلى فلسطين، ثم تهيئة الإخوان إلى الحرب ضد الصهاينة وقد كان.

من أجل الإنجليز

* ولكن كان الثمن هو صدام عنيف بين الإخوان والسعديين أودى بحياة النقراشي، ثم البنا، وتسبب في نكبة للجماعة ما زالت تعاني من آثارها إلى الآن؟

** فعلا هذا صحيح.. لكنه بدأ التوسع من ١٩٤٥، ومع ذلك في ١٩٤٧ كان عدده ٢٠٠٠ فقط، وبدأ عملياته عام ١٩٤٦ بعملية ضد الجنود الإنجليز في عيد الميلاد كنت من اقترح الهجوم عليهم، فقد كانوا يسكرون داخل محلات مخصصة لهم في وسط البلد، ثم يخرجون ليعربدوا في الشوارع، ويعتدوا على النساء والحرمات، وإذا تدخل شخص كانوا يضربونه بكعوب البنادق حتى لو أدى ذلك إلى قتله، فقرر النظام تلقين هؤلاء درسا، وكان المخطط أن يستلم كل أخ قنبلة شديدة الانفجار، ثم يلقي بها من تحت باب الحانة التي تمتلئ بهم لكن

لسوء الحظ بعد تسليم القنابل للإخوان، وصدرت الأوامر بالتنفيذ، جاء شخص في حوالي الساعة الثامنة مساء يقود سيارة، وألقى قنبلة أمام نادي الاتحاد المصري الإنجليزي وبعدها مباشرة أعلن البوليس المصري والبوليس الحربي الإنجليزي حالة الطوارئ، وانتشروا في الشوارع لمنع أي محاولة جديدة، وكانت التعليمات أن من يجد صعوبة في التنفيذ يعود بسرعة دون أن يغامر بنفسه، ومع ذلك فقد نفذ كثير من الإخوان عمليات ضد الجنود الإنجليز، وأصابوا كثيرا، وفي هذه الليلة كان ماهر رشدي حكمدار بوليس العاصمة يسير في لوري بوليس فاشتبه في شابين يسيران في شارع عبد الخالق ثروت فقبض عليهما ووجد معهما قنبلتين كانا محمود نفيس حمدي وصديقي حسين عبد السميع، وكانا أول صيد يقع منا.

قدوم الخازندار

* هذه القضية التي حكم فيها الخازندار على أعضاء النظام الخاص فقررتم قتله؟

** النقراشي كان لا يألو جهدا في ضرب العناصر الوطنية التي تقاوم الإنجليز، والسير رونالد كامبل قال له في اتصال تليفوني أنا واثق من أن سلطات الأمن تحت قيادتك تبذل ما في وسعها للقبض على مرتكبي الحادث، وهنا أريد أن أقول إن مجيء الخازندار إلى القاهرة لم يكن صدفة، فقد كانت هناك في الإسكندرية قضية مماثلة لعدد من الشبان الوطنيين اتهموا بالاعتداء على جنود حلفاء، ونظرت القضية أمام محكمة جنايات الإسكندرية برئاسة أحمد بك الخازندار رئيس محكمة استئناف الإسكندرية، وصدر الحكم ضد الشباب الوطني بأقصى عقوبة، فلما قبض على الإخوان الذين نفذوا عمليات الكريسماس صدر قرار بنقل الخازندار ليشغل وظيفة رئيس محكمة استئناف القاهرة،

وقدمت إليه القضيتان القضية المتهم فيها حسين ونفيس، والقضية المتهم فيها عبد المنعم عبد العال.

* في النهـاية حكم الخازندار بأحكام قانونية ولم يخرج عن الدستور، واستند في أحكامه على معاهدة ٣٦، وكانت معاهدة شرعية مصدقا عليها من البرلمان، فما كان المبرر لقتله؟

** في الحقيقة كان الخازندار مستفزا لنا كشباب ممتلئ بالحماسة والغيرة على وطنه ودينه.. أنا حضرت المحاكمة وترافع فيها فتحي رضوان وبنى دفاعه الأساسي على أن هؤلاء الشباب لم يفعلوا شيئا، فالبوليس قبض عليهم في الشارع ولم يكن هناك شهود، فصرخ الخازندار: "دول مسكوا معاهم قنابل يا أستاذ"؟ فرد رضوان: هذا دليل على أنهم لم يفجروا، فقال الخازندار: "أومال كانت معاهم بتعمل إيه"؟ قال رضوان: في هذه الليلة رميت قنابل كثيرة فرأى المتهم جسما غريبا في الشارع فأخذه حب استطلاع فوضعها في جيبه ليكتشفها فيما بعد، وقال فتحي رضوان: "ثم لو افترضنا أنهم يريدون التفجير فمن المستهدف إنه الاحتلال الجاثم على نفوسنا طيلة ٧٥ سنة، "فرأيت الخازندار انتفض من على المنصة وهو يصرخ: "أيه؟ انت بتقول إيه يا أستاذ؟ دول حلفاء جاءوا ليدافعوا عنا وموجودون بموجب معاهدة شرف؟ إيه ده؟ الله الله" فخرجت من المحكمة وقلت: هذا الرجل لابد أن نأخذ معه تصرفا.

* هل وافق البنا على عملية "الكريسماس"؟

** نعم كان موافقا على هذه العملية.

* وهل كان يعلم بعملية الخازندار؟

** لا لا.. كان لا يعلم، عبد الرحمن السندي كان المسئول عن قتل الخازندار، أرسل اثنين لكي يصطادوه، واستبعد ابتداء أن يضرب في المحكمة.

السندي مخلصا

* شخصية السندي كانت مثيرة للجدل والإخوان أنفسهم اختلفوا حوله، ونسب له صلاح شادي في كتابه حصاد العمر السبب في نكبة الجماعة.. صف لنا شخصية السندي من وجهة نظرك؟

** السندي كان رجلا مخلصا، وكان متشبعا بفكرة النظام الخاص بما لا يسمح معه كلام في أي مجال آخر، ولا شك أنه كانت له أخطاء منها مثلا أنه لم يرجع للإمام البنا في قرار قتل الخازندار؛ لكنه كان مؤمنا إيمانا لا حدود له بفرضية الجهاد في سبيل الله، وحبب ذلك إلى قلبه، فأفرغ ذلك الإيمان في النظام الخاص، أخلص له كل الإخلاص، كان يعشقه ويغار عليه، وضحى في ذلك بكل غال، وكان يربط كل تكليف بتوقيت، وكان سؤاله التقليدي متى؟ ثم يتبع متى بلماذا؟ ومع أنه كانت له قبضة حديدية إلا أن قلبه كان قلب طفل، ومع أنه كان مرهقا في متابعته إلا أنه كان عاطفيا لأبعد الحدود، وكان عنيدا وكان مريضا بالقلب، وكان الأطباء ينصحونه بالراحة، لكنه كان لا يستجيب ويقول إذا قعدت مرضت، وإذا تحركت شفيت؟

* رجل في قوة التزامه، وحماسه التنظيمي يعطي أمرا بقتل قاض مصري بدون إذن قائده، ويجلب الكوارث على جماعته؟

** بعد حادثة اغتيال الخازندار استدعى الإمام البنا قادة النظام، وكانوا خمسة، وقال لعبد الرحمن أنت أخطأت ٣ أخطاء، ثم بدأ بالثالث قائلا: تخطيطك كان سيئا بدليل أن الذين نفذوا قبض عليهم، والخطأ الثاني: أنك لم تستأذني ولم ترجع لي، أما الخطأ الأول: فإنه عمل غير مشروع يخالف شريعة الإسلام، والنبي قال إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم

هذا...، فقال السندي: قد أخطأ الخازندار، فقال البنا: نعم أخطأ، ولكن من الذي قال إنه أخطأ فلابد أن يقتل؟

بريء أم مذنب؟

* البنا أنشأ النظام الخاص، ووضع له أهدافه، والسندي كان قائده، وكان أولى الناس بمعرفة أهداف النظام، فكون السندي يأمر بقتل الخازندار إذن نستنتج أن فكرة قتل مصريين يعتبرون أعداء للجماعة كانت قائمة، واغتيال قادة في النظام كالنقراشي لم تكن مستبعدة من أهداف النظام ونشاطاته؟

** فكرة قتل الخازندار كانت فكرتنا جميعا في ذلك الوقت؛ لأن الخازندار كان خائنا من وجهة نظرنا.

* يقتل من أجل حكم قضائي، وبعض الكلام الذي صرح به في قاعة المحكمة؟

** كان ذلك اعتقادنا وفرحنا بمقتله، ولكن عندما قال البنا هذا الكلام انتكست أحاسيسنا في ذلك الوقت.

* هل كان في تصور البنا عندما وضع هذا النظام أن يكون نواة لتنظيم إسلامي كبير يقيم دولة إسلامية تستعيد دولة الخلافة، وتقف في وجه من يحاول أن يعرقل ذلك أيا كان عدوا خارجيا أو داخليا؟

** لم يكن في أهدافه الخلافات الداخلية بينه وبين الأحزاب الأخرى، ولذلك كان أمر عبد الرحمن بقتل الخازندار خطأ.. صحيح أن الذي ارتكبه رقم واحد في النظام، لكن لم يكن أمر رئيس الجماعة، وكانت الأمور ليست واضحة في أذهاننا لكن تعلمنا من الموقف.

** تعلمتم من ماذا؟ قد قتلتم النقراشي وقمت بأعمال مخالفة أخرى بعدها؟

* لكنها أخطاء لم تكن من السندي، كانت من أشخاص آخرين.

* صلاح شادي في كتابه حصاد العمر قال إن السندي تسبب في أخطاء كثيرة، حتى إنه كان السبب في تسليم الجماعة لعبد الناصر؟

** كانت هناك عدم محبة بين السندي وشادي.

* ما السبب؟

** شادي كان يريد أن يدخل النظام ويكون من قياداته، والسندي كان يرى أن شادي لا يصلح، فحدث "كراف" بينهما، وعندما كتب شادي حصاد العمر كان يريد أن يلبس السندي حتى أشياء شادي نفسه هو الذي ارتكبها.. فكون أن الجماعة مشيت في ركاب عبد الناصر فهذا بفعل صلاح شادي، وليس بسبب عبد الرحمن السندي.. ففي ليلة ٢٣ يوليو أرسل عبد الناصر صلاح شادي لزوجته لكي يطمئنها بأن الحركة نجحت فكانت العلاقة بينهما وطيدة، وكان هناك اتفاق بين جمال عبد الناصر وبين صلاح شادي وفريد عبد الخالق على أن تكون الحركة إسلامية، وأن يقيموا حكم الله، ولكن جمال خدعهم فكانت غفلة من صلاح شادي.

الإشارة بالقتل

* ولكن عبد الرحمن السندي اعترف في قضية السيارة الجيب بدون إكراه؟

** هذا غير صحيح، وأنا كنت من المتهمين في هذه القضية.. واحد يقول لي ماذا قال عبد الرحمن عن النظام الخاص في التحقيقات؟

* القصة التي رواها محمود جامع في كتابه عرفت الإخوان قال فيها: إن البنا قال للسندي من الذي أمر بقتل الخازندار؟ فرد السندي: فضيلتك. فقال البنا مندهشا:

أنا أنا كيف؟ فقال السندي عندما حكم الخازندار على شباب الحزب الوطني بأحكام قاسية، فقلت لفضيلتكم: ألا يستحق هذا المستشار القتل؟ فلم ترد علي فضيلتكم، فاعتبرت أن سكوتك موافقة على التنفيذ، فصرخ حسن البنا قائلا: من علمك هذا يا عبد الرحمن؟.. فرد: هذه أصول النظام السري ويكفي أن يكون بالإشارة.

** من أين جئت بهذه الرواية؟

* محمود جامع رواها عن حلمي عبد المجيد الذي كان أحد الخمسة المسئولين عن النظام الخاص وقت ذاك.

** إن كان البنا قائل لعبد الرحمن ذلك فالبنا محق، ولكن حد علمي أن الإمام البنا كان قد قال فعلا إ الخازندار رجل سيئ لكن لم يقل له السندي ألا يستحق هذا المستشار القتل؟ ولم ترد سيرة القتل على لسان السندي لحسن البنأ ولكن البنا كان قال أمام عبد الرحمن إن هذا الراجل سيئ ففهم عبد الرحمن ما فهم، وأحيانا يغير حرف واحد كثيرا في المعنى.

لماذا لم يفصل؟

* لماذا لم يفصل السندي بسبب خطئه؟

** لأنه عمل عملا كبيرا، وأنشأ نظاما كبيرا، ولم يكن أحد غيره يستطيع أن يسيره.. وأصدر البنا أوامره بعد ذلك بأن لا تنفذ عملية إلا بعد إذن كتابي منه، حتى إن أخوانا: مصطفى مشهور، وأحمد حسنين قالوا له "خلاص فضيلتك نحن اتفقنا وعرفنا، ولابد من الآن أن نعرف أن فضيلتك الذي أمرت بأي عملية وغير هذا فلا عمليات، والأمر الكتابي لا داعي له".

* ولكننكم عملتم بعد هذا عمليات من غير إذن البنا؟

** نعم، وكان خطأ السيد فايز رحمه الله عندما أمر بقتل النقراشي.

* ذكرت في كتابك أن فكرة النظام لم تكن فكرة البنا، بل كانت فكرة السندي، ومحمود عبد الحليم ذكر غير ذلك، وقال إنها كانت فكرة البنا؟

** كانت فكرة البنا عام ١٩٣٧ لجمع السلاح لفلسطين، ولكن النظام بدأ فعليا على يد عبد الرحمن السندي.. ولكن أعتقد الآن أن الفكرة ذاتها كانت فكرة الإمام البنا، وأن رواية محمود عبد الحليم صحيحة.

بناء ونكبة

* كنتم شبابا قامت على أكتافه الجماعة ثم نكبتها؛ بسبب عنفوانه وعدم انضباطه.. أليس كذلك؟

** كانت عمليات محدودة ومعدودة قتل الخازندار والنقراشي والمحكمة.

* وهل هذا شيء بسيط؟

** مفهوم مفهوم أوافقك الرأي.

* عبد الرحمن السندي كان عنده ٢٢ سنة عندما قاد النظام، أليس غريبا أن يثق البنا في مجموعة صغيرة من الشباب في أمور خطيرة كهذه؟

** كلنا كنا صغارا، حتى البنا نفسه كان شاباً.

* يكفي حادثة السيارة الجيب التي كنت مشاركا فيها.. كشفت التنظيم وتسببت في كوارث لها؟

** كانت غلطة من أغلاط سيد فايز.. كانت هناك حمولة كبيرة من المتفجرات والأسلحة وأوراق خاصة بالنظام موضوعة في حجرة زميل لنا في إعدادي كلية طب، فأخبرني هذا الزميل بأنه سينتقل إلى الإسكندرية فقلت لسيد فايز قبلها

بأسبوعين إن هذه لابد أن تنتقل على الفور قبل أن ينكشف أمرها إذا سافر صاحبنا، فوعدني وأهمل ولم يهتم، ثم بقيت الحمولة كما هي حتى يوم ١٥ نوفمبر ١٩٤٨. وفي صبيحة هذا اليوم أخبرني سيد فايز بأن الحمولة ستنقل إلى بيت إبراهيم محمود، فذهبت للبحث عن سيارة لنقل الحمولة، وبالمصادفة وجدت أحد إخواننا يقود عربة جيب من عربات الجيش الإنجليزي فأخبرته بالقصة فتحمس لنقل الحمولة، وبالفعل حملناها، وذهبنا إلى منزل إبراهيم محمود في العباسية، وبعدما أفرغنا الشحنة لاحظنا أن هناك شخصا يرقبنا، فأخبرنا إبراهيم بأنه مخبر خطيب ابنة أحد الجيران، فذهبنا سريعا لكي ننزل الحمولة من شقة إبراهيم، وفي هذا الوقت ذهب المخبر ليبلغ عناً وعندما أرجعنا الحمولة إلى السيارة الجيب وهممت بتشغيلها فوجئت أنها لا تدور فنظرنا خلفنا فوجدنا أن المخبر يصرخ يهود يهود فجرى الناس وراءناً وقبض علينا بعد أن أكالوا لنا الضرب.

بناء على طلب الجامعة

* بإنشائكم النظام الخاص ضيعتم شرعية الجماعةً ماذا كنتم تنتظرون من النقراشي؟ وكيف كانت تتصرف معكم الدولة وأنتم تخرجون على الشرعية؟

** الدولة هي التي اضطرتنا لذلك.

* كيف؟

** عندما ابتدأنا في جمع السلاح من أجل المجاهدين في فلسطين اكتشفنا أن سلاح الأرياف فاسداً فأخذنا إذنا لسيارتين من سيارات جريدة الإخوان لكي تذهبا إلى الصحراء الغربية لكي تجمع السلاح، فقد كان السلاح هناك كثيرا، والذخيرة كذلك، فعندما انهزمت جيوش الحلفاء تركت أسلحتها، وعندما ارتدت

جيوش المحور كانت تترك أسلحتها، وكل واحد من الجيشين كان لا يستخدم أسلحة الآخر، فكان اليهود يذهبون لجمع السلاح من هناك، وذهبنا نحن أيضا، وكنا قد أخذنا ترخيصا بذلك، لكن النقراشي ألغى هذا التصريح في توقيت خطير فقد كان لنا في فلسطين ٢٠٠٠ متطوع، وكان الأستاذ البنا لا يرى توجيه جيوش عربية للحرب، بل كان يرى أن فكرة ذهاب المتطوعين ستكون أجدى لأن اليهود كانوا عبارة عن متطوعين أيضا.

* صرفتم جزءا كبيرا من نشاطكم لحرب اليهود المصريين، وتتبع نشاطهم وفجرتم محال لهم.. ألم يكونوا مواطنين؟

** هذه المسألة جاءت بناء على رغبة الجامعة العربية من عبد الرحمن عزام باشا، فهو الذي قال للإمام البنا ذلك -أنا أقول لك هذا الكلام وأرجو أن تصدقني- لقد قال عزام للبنا وللإخوان إن اليهود يرتكبون مذابح في فلسطين فافعلوا أي شيء هنا.. لقد كان روح اليهود المصريين وقلوبهم مع الكيان الصهيوني، والعمليات التي حدثت ضد اليهود كان وراءها صلاح شادي، وليس النظام الخاص، كتفجيرات حارات اليهود وتفجير شيكوريل، كما أن هناك عمليات كانت ضد اليهود لم يفعلها الإخوان كتفجير داوود عدس وبنزايون، فقد كان وراءها مصر الفتاة.

هل يجوز شرعاً؟

* ولكن من الناحية الشرعية ألم يكن هذا مخالفا وحراما شرعاً؟

** هم كانوا مع قيام دولة إسرائيل.

* الشرع الإسلامي لا يأخذ بالشبهة ولا يحكم على الناس بالنوايا؟

** مفهوم مفهوم.

* ذكرت هذا في كتابك ولم يبدو عليك أنك تستجرمها أو حتى تراها خطأ؟

** جاءت بناء على طلب الجامعة العربية.

* ومتى كان الإخوان يأتمرون بأمر الجامعة أو حتى غيرها، ثم إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، هل معقول قفز الإخوان على الحكم الشرعي ومبادئ المواطنة من أجل رغبة عبد الرحمن عزام؟

** كان اليهود وقتها على قلب رجل واحد في كل العالم، فهم كانوا يفضلون أن تكون لهم دولة على أن يعيشوا أقلية في بلدانهم.

* ولكن كثيرا منهم يرى أن مصلحتهم في وجودهم في بلادهم، وأن قيام إسرائيل ضرهم بالفعل أكثر مما نفعهم، ومن الناحية الإستراتيجية كان ذلك ليس في صالح القضية الفلسطينية، فقد هجرتم اليهود من بلادهم مرغمين إلى فلسطين؟

** ربما ربما... كان هنا في مصر الجديدة أخ ترزي اسمه أمين عوض، وكان يمتلك مسدسا، وكان يضرب اليهود بمسدسه وهم في الشارع فقتل اثنين وأصاب كثيرين.

رصد الأحــزاب

* قمتم بعمليات رصد لرجال الأحزاب، وقمتم بحصرهم ودراسة مساكنهم ومسالكهم، وأنشأتم جهاز مخابرات لتتبع الشيوعية وسبعة أحزاب، وهيئات ونقابات العمال والبوليس السياسي، وأنشأتم جهاز عمليات، وجعلتم مكتبا لكل إقليم... وتلومون النقراشي على حل الجماعة؟

** وهذا هو الذي أخاف النقراشي وأقدم بسببه على حل الإخوان.

* ألا ترى أنه كان لديه المبرر؟

** النقراشي حل الإخوان وهم لهم جيش يحارب في فلسطين فاعتبرناها خيانة.

* ولكنك قلت لي قبل ذلك إن النظام أنشئ لا لكي يدخل في خلافات الأحزاب.. إذن لماذا كل هذه الدراسات؟

** كانت لمجرد التدريب.

* هل كان لدى البنا علم بذلك؟

** كانت هناك أشياء يعلم بها وأشياء لا يعلمها.. يعلم الأفعال المشروعة والأشياء غير المشروعة مثل قتل الخازندار والنقراشي لم يكن يعرفها.

* أنا أسأل في هذه النقطة هل كان يعرف إجراءكم لعمليات الرصد التي ذكرتها؟

** كان يعرف.

* ولماذا هذا كله؟

** كان يفيد الجماعة في معرفة سياسة كل شخص ومعرفة الذي يدور حوله.

* رصد لبيت رجل حزبي ماذا يفيد الجماعة؟

** لا لا.. كنا نفعل ذلك كنوع من التدريب وليس للتنفيذ، ولذلك فإن كل الورق الذي كان في السيارة الجيب كان قد أمر سيد فايز بحرقه قبلها بناء على تعليمات السندي.

مخابرات النظام

* هل صحيح أن جهاز مخابرات النظام تجسس على أعضاء في الجماعة؟

** ليس بالضبط؛ لكنهم عن طريق الصدفة عرفوا بعض الأشياء عن بعض الأشخاص.. فكان هناك شخص يعمل في جريدة الجماعة عرفنا عنه أنه كان على صلة براقصة يهودية، وكان يسكر مع شلته، وقالوا هذا للإمام البنا.

* ولكن هذه حرمة الحياة الشخصية؟

** كان أخونا هذا من مديري الجريدة، ومن ثم كان لابد من معرفة المرشد.

* لكن من ناحية المبدأ لا يجوز أن أراقب أشخاصا؟

** كان هناك رصد لغيره فجاء معهم بالصدفة.. كانت مشروعة أم غير مشروعة كانت هناك تعليمات بها أم لا أنا لا أعرف.. أنا شخصيا قمت بعمليات استعلامات عن يهود كانوا يجتمعون بشكل دوري في جمعيات لهم في حي الضاهر، وضُبطت التقرير التي كتبتها بخط يدي في قضية السيارة الجيب وجاءوا بخبير عرف أنها مكتوبة بخط يدي.

* أليس من الممكن أن يكون في ذهن البنا عندما أنشأ النظام أن يقيم به الدولة الإسلامية ولم يفصح لأحد بذلك؟

* لا لا إنشاء النظام الخاص كان في البداية من أجل فلسطين، ثم وجه بعد ذلك لتحرير بلادنا من الاستعمار.

* من الممكن أن تكون هذه فكرة إنشائه من البداية، لكن لا يمنع أن يكون له أهداف أخرى كإقامة الدولة الإسلامية، ويمكن قيام ثورة كالتي قامت بالفعل على يد الضباط.

** الذي أعلمه أنه كان في فكرته دخول الانتخابات وليس الثورة، وهو دخل فعلا الانتخابات ولكنها زورت في عهد النحاس، ومنعوها فعلا، وفي وزارة أحمد ماهر زورت بالفعل... النحاس باشا قال للبنا أنتم لن تنجحوا في الانتخابات لأن الإنجليز لا يريدون ذلك، ولذلك حاول البنا أن يحمي جماعته.

حس أمني

* علم البنا ذات يوم أن بعض عناصر البوليس قد اخترقت الجماعة؛ لكنه تركهم لكي يسرب للبوليس الذي يريد أن يسرب. هل هذا صحيح؟

** نعم كان عند الرجل حس أمني؛ لأنه كان ممكن أن يفصلهم من الجماعة لكن كان من الممكن أن يكون هناك غيرهم فأراد أن يكونوا تحت عينيه.

* لكن من ناحية المبدأ كان من الممكن أن يكون قد شك في أشخاص غير متورطين، ثم ماذا كان لديه من خطأ ليداريه.. المفترض أنه شفاف وليس لديه ما يخفيه؟

** لكن هم ليسوا كذلك، فلابد أن يكون لديه ما يخفيه لأنهم لا يرغبون في نجاحنا.

* النظام الخاص كان يعرف قاتل أحمد ماهر قبل مقتله أليس كذلك؟

** نعم يعرفه شخصيا، ويعرف أنه في جمعية سرية، وأنه كان يتدرب لكن لم يعرف النظام أنه كان سيقوم بقتل أحمد ماهر.

* زرعتم شخصا اسمه أسعد سيد أحمد ليتجسس على مصر الفتاة... هل هذا أسلوب جماعة دعوية تربوية قامت على مبادئ؟

** أحمد حسين زعيم مصر الفتاة وقتها كان شخصية مندفعة، وفي وقت من الأوقات بعث أشخاصا لكي ينفذوا تفجيرات وسط الإخوان أثناء محاضرة الثلاثاء، ولكن قبض عليهم شباب الإخوان هذا الذي حدث.. وبعث الإمام البنا له وقال له عندي أمانة تعالَ خدها... فهل أنتظر حتى يفجر لي أحمد حسين المركز العام؟

* لكن هذه جريمة كان من المفترض أن تأخذ مجراها القانوني لأنها تعلقت بحق المجتمع؟

** كان البنا يقدر أنه بهذا الأسلوب سيرتدع أحمد حسين من أن يفعلها مرة أخرى وقد كان.

* لكن أحمد حسين كان يزور المركز العام ويخطب هناك؟

** نعم لا شك أنه كان رجلا وطنيا، ولكن كان لديه رعونة وبعض الأفكار المغلوطة، وكون أنه استطاع أن يكون مصر الفتاة، ويكون له أنصار فلا شك أنه كانت لديه قدرات خاصة وكفاءات.

النقراشي وطنيا

* كنتم ساخطين على أحمد ماهر والنقراشي مع أنهم كانوا وطنيين، وكانت لهم وجهات نظر أثبت التاريخ أنها على الأقل كانت لها وجاهتها؛ فأحمد ماهر كان يرى من الألمان النازيين خطرا يفوق خطر الإنجليز، وفي دخول مصر الحرب ضد الألمان مصلحة لها من أكثر من جهة.

** في هذا الوقت كنا كارهين للإنجليز بشدة؛ لأنهم جسموا فوق صدورنا ٧٠ عاما، وكان هذا الرأي صادما لنا، ثم إن الذي قتل أحمد ماهر محمود العيسوي وليس من الإخوان.

* النقراشي كان يرى أن مصر غير مستعدة لدخول الحرب في ٤٨ أليس هذا حقيقة؟

** النقراشي كان يريد ترك فلسطين وحل الإخوان، كما كان خائفا من الانتخابات القادمة التي كان يسعى للفوز فيها بحزبه.

* هل ترى أن النقراشي كان لا يرغب في تحرير فلسطين؟

** قالها – الله يبارك له – عبد المجيد نافع كان من المحامين المدافعين عنا: النقراشي خائن، وخان بلده، وخان فلسطين.

* ألم تكن وجهة نظره صحيحة، وقال إن الجيوش غير مستعدة؟

** لا لم يقل ذلك.. لم يقل إن الجيش لا يذهب والمتطوعين يذهبون.. البنا هو الذي كان يرى ذلك.

* لكنه في النهاية أرسل جيشا ورجع مهزوما وهو ما كان يخشى منه؟

** لأنه أرسل جيشا مهلهلاً، وغير مؤهل، أرسل ذخيرة فاسدة.

* ما زلت على موقفك من النقراشي؟

** لا شك... لكن هذه مسألة، وكون أنه يقتل مسألة أخرى، والإمام البنا أصدر بيانا وقتها "ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين" مع أني لم أر هذا البيان.

هل كان يعلم

* إن كان البنا يعلم فتلك مصيبة، وإن كان لا يعلم فالمصيبة أعظم.. أليس هذا ما كنتم ترددونه بشأن عبد الناصر عندما كان يقال إنه كان لا يعلم بالتعذيب؟

** عبد الناصر كان يعلم ما يدور في السجون، وكان يصورها سينما، وأنا سأحكي لك قصة: كنت متهما بتكوين تنظيم اسمه "الطليعة"، وهو تنظيم وهمي لا وجود له، فجاءني نور عفيفي -وكان مدير المخابرات في وقت من الأوقات- في السجن الحربي، وقال لي أنا سأسألك سؤالا واحدا محددا: الرئيس عبد الناصر يريد أن يعرف الكلام الحقيقي من المفبرك في التحقيقات قلت له: كل القضية مفبركة من أولها إلى آخرها، وظهر عليه التصديق، ثم ذهب على أساس أنه سيرجع لجمال عبد الناصر ليخبره.. هذه الحكاية حكيتها لشخص يحب جمال عبد الناصر فقال لي: ولذا لم يحاكمك جمال عبد الناصر بعدها، فقلت: صحيح لكن التعذيب استمر، وكنت آخر اسم في آخر كشف خرج من السجن الحربي.

* قمتم بمظاهرة في جامعة القاهرة جهزتم فيها قنابل تحسبا لاحتمال صدام مع البوليس في يوم عيد ميلاد الملك، وقمتم بتحطيم مصابيح الكهرباء، وأغرقتم الجامعة بالمياه، وذهب فاروق بالرغم من اشتعال المظاهرات، وكان رد فعله أن

بعث لكم أحمد حسانين باشا ليسترضيكم، وأقال حكومة النقراشي بناء على رغبتكم مع أن الملك لم يكن مسئولا شخصيا... هل هذا الرجل "الملك" يستأهل منكم التمرد عليه والخروج على شرعية دولته؟

** شوف صحيح كان هناك تعذيب أيام فاروق، لكنه لا يسمى تعذيبا إذا قارنته بعصر جمال عبد الناصر، وكان الذي يقوم بالتعذيب ينكره أيام فاروق.. إبراهيم عبد الهادي حلف كذبا وقال: والله العظيم ما لم يحدث تعذيب، أما أيام عبد الناصر فالذي كان يقوم بالتعذيب يرقى لمرتبة أعلى.

* قمتم بتجهيز قنابل لاستخدامها ضد الشرطة... فماذا كان موقف البنا منكم؟

** لا أدري... لكن البوليس قبلها كان قد أطلق النار في مظاهرة كوبري عباس، وكانت مطالبنا مشروعة وكانت مظاهرة سلمية.

* أيا ما كان الأمر فلا يعطيكم المبرر ولا المشروعية لضرب البوليس بالقنابل.

** (صمت).

فاروق ظالما أم مظلوما؟

* ما ذنب الملك فيما كان يحدث للمُلك وهو يملك ولا يحكم... والمسئول الحكومة.

** مسئولية الجميع.

* ذكرت في مذكراتك أنه تم القبض على أعضاء من النظام الخاص وهم يتدربون على استعمال أسلحة في جبل المقطم، ثم ادعيتم بأنهم كانوا يتدربون من أجل فلسطين، ولم يكن الأمر كذلك، وجاء أمين الحسيني مفتي فلسطين وشهد بما ادعيتم... كنتم تأخذون فلسطين كواجهة؟

** كان لابد أن نخرجهم من القضية، فهل كنت تتوقع أن نقول كانوا يعملون لقلب نظام الحكم.. وكان الحاج أمين الحسيني معنا دوما، وشهد معنا في قضية

السيارة الجيب، وقال إن الإخوان مشتركون معه في الجهاد منذ ٣٦، وهذا حقيقي.

* ولكن التدريب لم يكن لأجل فلسطين؟

** كانت تدريبات لفلسطين وغير فلسطين، كانت تدريبات لتقوية الجهاز.

* الخازندار لم يحكم إلا بناء على اتفاقية قانونية، ما يعني أن حكمه دستوري استنادا إلى معاهدة ٣٦... فلماذا قتلتموه؟

** كان سلوكه استفزازيا داخل المحكمة وانتقده قضاة آخرون، وأنا كنت من المتحمسين ضده على أساس أنه ضد البلد ومع الإنجليز.

سر الخازندار

* كيف عرفت بأنهم سيقتلون الخازندار؟

** لأول مرة أقول هذا.. تم نقل الخازندار إلى القاهرة من الإسكندرية، ولم يكن أحد يعرف مكانه، وكان السندي لا يريد قتله في المحكمة.. حينها كنت أعمل في بنك القاهرة وفوجئت بأن الخازندار قد فتح حسابا عندنا، فأخذت معلومات عنه، ومنها عنوانه وبلغتها لقياداتي في النظام، وكنت أعلم بأن هناك تخطيطا لقتله.

* هل كنت ترغب في تقديم الدية لعائلة الخازندار؟

** سألت في هذا الموضوع، وكانت الإجابة أن القاتل ليس عليه دية، بل الدية على العاقلة، وهي هنا الدولة أو المجتمع، والحكومة دفعت تعويضا لعائلة الخازندار فنحن ليس علينا دية.

* الأهم من الدية هو الاعتذار عن قتله؟

** نعم أنا معك في هذا؟

* لماذا حاولت تهريب الجناة بعد قتل الخازندار، وهم مخطئون، وأنتم علمتم موقف البنا، وقال لكم إنه عمل غير شرعي؟

** لا بالعكس نحن اعتبرناهم مجنيا عليهم مثلهم مثل الخازندار؛ لأنهم فعلوها بحسن نية.

* هل كان البنا يعرف بموضوع التهريب؟

** لا أدري.

* كتبت مقالا للنشر في الأخبار ردا على مقال كتبه محمد أحمد الخازندار، وكان يريد أن يفتح ملف قضية والده، ماذا كنت تريد أن تقول له؟

** دافعت عن الخازندار ولا أهاجمه، قلت الذي حدث وقلت ماذا فعل الخازندار، وما الذي أغضبنا منه وما كان من موقف الإمام البنا.

* مع أنكم كنتم إرهابيين بمقاييس عصرنا الحالي إلا أن الحكومات الملكية سجنتك في حادث السيارة الجيب في سجن الأجانب وهو سجن ٣ نجوم، وتعاملتم بشكل قانوني وحوكمت محاكمة عادلة.

** كان هناك فرق بين العهد الملكي والجمهوري.

* في قضية السيارة الجيب دافع عنكم أحمد حسين وهو عدوكم.

** نعم.. جاء يدافع عن أسعد لكي يعرف هل كان في مصر الفتاة ودخل الإخوان، أم كان في الإخوان ودخل مصر الفتاة.

* ألم يكن هذا العهد فرصة لكم وضيعتموها فأعطاكم شرعية وسمح بانتشاركم، ثم خرجتم عليه، وأنشأتم نظاما خاصا مسلحا، ثم ضربت الجماعة بعد ذلك.. ألا ترى أن البنا تعجل الحصاد؟

** هذا قضاء الله وقدره، وعلى الأجيال الجديدة أن تتعلم.

* بداية نكبتكم كانت في عهد النقراشي أنتم صنعتم تنظيما سريا، وتغولتم عليه، وأضعفتموه، وتصادمتم معه، فاعتقلكم وحل جماعتكم وقتلتموه، وجاء إبراهيم عبد الهادي وقتل البنا، ووضعكم في السجون، وضعف النظام حتى انهار على يد تنظيم الضباط الذي عصف بكم جميعا.. عهد الملك فاروق كان أفضل عهدا لكم ولم يتكرر.. لماذا تراجعون أنفسكم؟

**..... من قال إننا لا نراجع أنفسنا.. نحن راجعنا أنفسنا كثيرا.

* ألم يكن للنقراشي مبرر في حل الجماعة بعد اكتشافه تنظيمها الخاص.. ماذا كنتم تتوقعون من رئيس الحكومة؟

** لا لم يكن له مبرر، النقراشي حل الجماعة ولها جيش في فلسطين، وهو نفسه شارك في قتل السير لي ستاك.

* السير لي ستاك رجل خواجة؟

** هناك مصريين يأخذون موقف الخواجات.. حل النقراشي الجماعة لكي يقضي على القضية الفلسطينية، وفعل أشياء لا تقل عن فعل الخواجات، والنقراشي هذا هو الذي فتح باب المعتقلات، وكسر هذا الحاجز وفتح الطريق للضباط يفعلون مثل ما فعل.

حقيقة أم تمثيلية

* لو لم ينشأ النظام الخاص لما حدثت نكبة للإخوان هل توافقني الرأي؟

** لا أدري.. ولكن سبب نكبة الإخوان كان عبد الناصر.

* لكنه ضرب الإخوان بعد المنشية التي تسبب فيها النظام الخاص أيضا؟

** لا.. المنشية تمثيلية.. محمود عبد اللطيف وهنداوي دوير كان مقبوضا عليهما قبل حادثة المنشية والبوليس الحربي خدهم وعذبهم وأخذ محمود وأعطى له مسدسا محشوا برصاص فشنك ضرب به عبد الناصر.

* أين الشهود؟

** أخبرني الدكتور عبد العزيز كامل بأن هنداوي دوير قبض عليه قبل أحداث المنصة بشهرين، فكامل كان يسكن في العمارة ذاتها التي يسكن فيها دوير.

* ولماذا لم يقل عبد العزيز كامل ذلك بنفسه؟

** عبد العزيز كامل كان رجلا فاضلا وعالما؛ لكنه كان يخاف بطش عبد الناصر، ورجل مثل هذا كان يضرب من عسكري جاهل بالشلاليت ويركعه ويعذبه ويهينه، وهو قال لي ذلك، وطلب مني ألا أنشر هذا الكلام.

* قلت إن أحد الأشخاص حاول أن يكلم الدكتور عبد العزيز كامل في التليفون ويسأله عن هذه الوقعة لكنه عنفه.. من هذا الشخص؟

** أنا لا أريد أن أقول.

* هذه حقيقة للتاريخ.

** (يضحك) لو رأيت السجن الحربي. وما كان يجري فيه لالتمست لنا العذر.

* لكن السجن الحربي هدم؟

** (صمت).

* لماذا لم يذكر الدكتور عبد العزيز علي هذه الواقعة في عهد السادات؟

** (ضحك) الرجل خلاص كان قد تاب.. كنت ذات يوم أجلس مع عبد العزيز علي فقال لي: كنت أجلس في يوم مع السادات فأتت سيرة الإخوان فتحدثت عنهم بتعاطف فقال لي السادات: "هيه انت هترجع تاني".. فخاف الرجل رغم

كل مميزاته، إلا أنه كان يخاف، ولكنه كان معذورا؛ لأن الزمن لم يكن غير مأمون.

* لماذا لم يحل البنا النظام الخاص بعد مقتل الخازندار؟

** كنا ما زلنا محتاجين له، وأيضا البلد كانت محتاجة له.

* لكنه جر الجماعة إلى الوراء؟

** لا.. في البلد احتلال.

* وماذا فعل النظام الخاص للاحتلال.. عملية تفجير لم تقتل أحدا وقبض على منفذيها.. هل هذا كل ما فعله النظام ضد الاحتلال؟

** النظام الخاص لم يأخذ فرصته.

* الحكمة كانت تقول بحل النظام كي لا تتكرر أخطاؤه؟

** كانت أخطاؤه فردية وكانت له إيجابياته.

* أنت كنت من الأربعة الذين تمسكوا بالنظام الخاص في عهد الهضيبي بعد الثورة، وكان الهضيبي قد حله عمليا؟

** الهضيبي جاء من خارج الإخوان كارها للنظام الخاص؛ بسبب مقتل الخازندار.

الهضيبي محقا

* ألم يكن محقاً؟

** الآن أرى أنه كان محقاً، لكن قتل الخازندار كان عملا فرديا تم من وراء المرشد.

* لكن كلمة "عمل فردي" هذه تقال عندما يكون المنفذ عضوا عاديا من أعضاء النظام وليس رئيسه شخصيا؟

** عبد الرحمن أخطأ خطأ واحدا ولم يخطئ بعدها، وقتل النقراشي كان عمل سيد فايز.

* أنت ترى أن وجود النظام كان حماية للجماعة من الضباط الأحرار وغيرهم، ولو لم يفكك الهضيبي نظام السندي كان من الممكن أن يحمي الجماعة من نظام عبد الناصر.

** عبد الناصر استغل الخلاف بين عبد الرحمن السندي وصلاح شادي، واتفق مع صلاح شادي على أن تقوم الحركة كما أخذ الموافقة من الهضيبي، ثم حاول صلاح شادي فصل الضباط عن عبد الرحمن السندي؛ لأن كره السندي كان الحاكم لتصرفات شادي، وكان معهم أبو المكارم عبد الحي وعبد المنعم عبد الرءوف وكانوا ناسا طيبين جدا، وكان فيهم صلاح وتقوى.

* هل كان لدى البنا علم بمحاولة تفجير المحكمة؟

** لا.. كانت فكرة سيد فايز؛ لأن المحكمة كان فيها أوراق قضية السيارة الجيب وسيد فايز كان يعتقد أنه عندما يفجر المحكمة ستضيع الأوراق، وكان له تقارير قد كتبها بخط يده، وكان خايف أن تعرف، ولذلك عندما قبض على عبد المجيد حسن لم يكن يريد الاعتراف في البداية، لكن عندما علم أن العملية كان وراءها دوافع شخصية اعترف.

* أنت لم تكن راضيا عن تولية الهضيبي مرشدا؟

** الهضيبي لم يكن من الإخوان وجاء من خارجها، والذين جاءوا به جاءوا به على أساس أن يكون مرشداً بشكل مؤقت.

* كيف؟

** بعد استشهاد البنا عقد الخمسة الكبار في الجماعة اجتماعا وهم: عبد الحكيم عابدين، ومنير دله، وعبد الرحمن الساعاتي، وأحمد حسن الباقوري وصالح

عشماوي، وهؤلاء كلهم اعتذروا، وفي نفس الوقت كان يستعد كل واحد منهم لتجميع أنصاره، فاقترح منير دله أن يأتي بواحد من خارج الجماعة يكون رمزا، ويكون بعدها الأمر لهم، وكان في ذهنه صهره محمد العشماوي باشا، وكان رجلا فاضلا، ولكنه اعتقد أنه لن يحظى بالقبول، فاقترح حسن بك الهضيبي، فوافقوا عليه لحين اجتماع الهيئة مرة أخرى، ولكن الهيئة لم تجتمع للظروف الأمنية حينها، وكان الهضيبي أيضا رجلا مريضا وكبير السن فظنوا أنه مؤقت على أي حال، ولكن الله أمد في عمره.

* يقال إنه كان من الإخوان، ولكن وظيفته حالت دون انضمامه لشعب الإخوان؟

** لم يكن خبيرا بالتنظيمات، ولم يكن متكلما، ولا داعية كالإمام البنا.

* هذا صدمكم طبعا؟

** طبعا.

* لم تكن راضيا عنه؟

** الذي جاء به الهيئة التأسيسية ونحن أطعنا أمر القيادة.

* فصلكم من الجماعة؟

** نعم.. الله يرحمه ويحسن إليه؟

من النظام إلى التنظيم

* فصلكم لأنكم كنتم تصرون على بقاء النظام الخاص؟

** صحيح لكن هو نفسه بعد ذلك ذهب لينشئ نظاماً خاصاً سموه التنظيم السري، وجاء بيوسف طلعت قائدا له، ويوسف طلعت كان من النظام الخاص، وكان جنديا، وهم كانوا يريدون جنديا مطيعا بخلاف عبد الرحمن السندي الذي يعمل رأسه برأس الأكبر منه.

* حتى مع البنا؟

** حتى مع البنا.. كان جريئا على عكس يوسف طلعت الذي كان جنديا مطيعا، وأنا سألته ذات يوم: كيف ستصنع نظاما خاصا؟ فقال: ببركة طاعة المرشد فقلت بركة طاعة المرشد تصنع تنظيما سرياً؟ وفي النهاية قبض عليهم كلهم وحوكموا في محكمة الشعب بدون ذنب ولا جريرة.

* ولكنه كان يفكر في نظام يكون تحت السيطرة، ولا يخطئ كسابقه ويجر الكوارث؟

** وماذا كانت النتيجة كان ضعيفا، وقاموا بتهريب الهضيبي، وكانت "شغلانه عك".

* لماذا فصلك الهضيبي؟

** من أجل النظام الخاص.

* ماذا فعلت عندما فصلت؟

** لا شيء.. قال جمال عبد الناصر للهضيبي إن وجود النظام معناه أنكم تضمرون لي شيئا، فإما أن تختار حل النظام، وإما سيكون لي معكم موقف، فالآن سبب وجود النظام هو وجود الاحتلال والحكومات الخائنة، والآن ليس هناك مبرر، فترتب على ذلك عملية فصلنا؛ لأننا كنا متمسكين بالنظام.

* هل استدعاكم الهضيبي وشرح لكم الوضع؟

** لا لم يحدث فصلنا دون أن يخبرنا.. ووقتها خرجت مجموعة من الهيئة التأسيسية وقالت لا يجوز فصل هؤلاء دون سؤالهم فأي متهم يوجه له سين وجيم.

* بعد الثورة هل قام النظام بعمل شيء؟

** لا لم يفعل شيئا.

* دعاك عبد الناصر - أنتم المفصولين - علـى الإفطار في رمضان... ماذا كان يريد منكم؟

** شرح لنا موقف الإخوان منه، وحاول التأكيد على أن موقفه سليم فلا يدري لماذا يقف الإخوان ضده؟

* وما صفتكم وقد فصلتم من الجماعة؟

** جمال عبد الناصر كان "يلعبها صح"، فكان يؤلب بعضنا على بعض، وكانت المجموعة المفصولة غاضبة مما جرى لها، وكان يهدف إلى التحرك ضد الهضيبي ومن معه.

* لكن فصلكم جاء بناء على رغبة عبد الناصر فكيف تذهبون إليه؟

** عبد الناصر كان (...) لكننا سنأخذ حقنا منه يوم القيامة.

* لماذا اعتقلت وأنت مفصول؟

** لأن جمال عبد الناصر كان يريدني أن أشتم الإخوان، ولكني رفضت.

* عبد الناصر طلب حل النظام الخاص، وعلل ذلك بأنه لم يعد له مبرر، ألا يدل ذلك على حسن النية من الرجل، ويلقي بالتبعة على قيادات الجماعة التي فضلت العمل السري؟

** كان تمسكنا بالنظام مسببا باستمرار وجود الإنجليز.

* لكن الرجل كان لديه جيش وبوليس، ورفع مبادئ لثورته أولها الحرية والاستقلال.

** الجيوش لم تكن صالحة لتلك المهمة، والعمليات كانت محتاجة لمتطوعين.

تنظيم عشماوي

* هل تعرف شيئا عن تنظيم علي عشماوي؟

** كانت تصرفاته تصرفات شخص خائن وعميل، صنع تنظيما وذهب للإبلاغ عنه، ولما كنا نتعلق من أرجلنا ونضرب بالكرابيج كان يجلس في يده كوب شاي يحتسيه ويضحك حتى نسمع جلجلة صوته.. وعندما يسألني المحققون ويقولون لي هل هذا أتى لك البيت –ويشيرون إلى عشماوي- فأقول: لا فيقول عشماوي: لا ذهبت له وبالأمارة كان عدد سلالم بيته كذا درجة.

* هل كان يكذب؟

** كان يكذب في أشياء وأشياء لا يكذب فيها.... كان قد أتى لي فعلا، وقال لي أنا "بعمل" تنظيم وأريدك أن تدخل معنا فيه، وكان غريبا في هذا الوقت أن يذهب شخص لشخص لا يعرفه ويقول له أنا "بعمل" تنظيم... كان مريبا.

* قلت إن عبد الرحمن نصير طلب من السندي اغتيال الهضيبي.. نصير لا يطلب من السندي ذلك إلا إذا كان يتوقعها من السندي؟

** هذا ما حدث كان هدفهم فرتكة الإخوان.

* ألم يذكر عبد الرحمن السندي ذلك للهضيبي؟

** لا لأنه لم يكن بينه وبين الهضيبي عمار.

* هل ذهبت لسوريا لكي تنشئ نظاما خاصا هناك؟

** كان هناك نظام خاص؛ لكن ذهبت لأعطيهم خبراتنا في هذا المجال، وكان معي في هذه الرحلة شيخ وأستاذ ما زال موجودا.

* من هو؟

** لا أريد ذكر اسمه، فمن الجائز أنه لا يحب ذلك.

* لماذا لم ترجع إلى الجماعة بعد خروجك من السجن؟

** لم أحاول أن أرجع.

* عندما تستذكر الماضي هل تشعر بأنه كان لك حلم وأمل ولم يتحققا؟

** هناك يوم أنا لا أشك فيه اسمه يوم الحساب "ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا".

* ما هو الشيء الذي تخاف من سؤال الله فيه يوم الحساب.

** موضوع أحمد بك الخازندار؛ لأنها عملية أنا شاركت فيها لا أستطيع أن أقول لربى "أنا مليش دعوة".

* لا تخاف من سؤالك عن النظام الخاص بشكل عام وما أحدثه من قتل للنقراشي، ولتفجيرات حارات اليهود، وغيرها أنت كنت واحدا منه ومن مؤسسيه؟

**قتل النقراشي لم يكن لا بأمر النظام ولا بأمر المرشد.. صحيح فرحنا بمقتله، ولكن عندما عرفنا أنها فعلت ولم يكن البنا يعرف وجهة نظرنا اختلفت، خاصة أن سيد فايز فعلها من أجل مصلحته الشخصية.

الهدنة هي الحل

* لو استقبلت من العمر ما استدبرت هل كنت تدخل الإخوان والنظام الخاص؟

** نعم.. بسبب الاحتلال وفلسطين، وأنا ضد الاستسلام، ومع المقاومة، "وأن هذه أمتكم أمة واحدة".

* هل مازلت تكره عبد الناصر؟

** نعم.. عذبني وعذب الإخوان.

* وأنت في السجن ما أكثر موقف ترك مرارة في صدرك ما زالت آثاره إلى الآن؟

** كانت كلها مرارة كان تعذيبا غير معقول.. حمزة البسيوني (مدير السجن الحربي) كان يختار عساكره من ضخام الجثث، فارغي العقول، الجهلة الذين لا يعرفون الله ولا يخافونه، وكان فينا من هو رابط الجأش مثل معروف الحضري الذي قال لحمزة البسيوني: يا حمزة عاملنا مثل اليهود عندما كانوا يعذبوننا ونحن في الأسر، وكان معروف وحمزة أسرى في معركة الفالوجا، وحمزة أمر بجلده ١٠٠ جلدة.

* كنت قد بعثت رسالة لمكتب الإرشاد فماذا قلت فيها؟

** كنت قد بعثت لعاكف رسالة قلت له فيها بهذا الشكل لن تكسب للدعوة ولا للمجتمع شيئا، فلو صعد نشاطكم فالمعتقلات موجودة، فلماذا لا تتفاهم مع الدولة، ويكون أساس هذا التفاهم أنكم ليس لكم شأن بالسلطة، دعوها لهم فهي أصلا في أيديهم... الجيش يحرسها والشرطة تحميها، وأنتم لن تأخذوها منهم.. تركِكم المشاركة والتنازع على السلطة في مقابل النشاط الاجتماعي محو الأمية والعشوائيات وخلافه، وهذه المجالات الدولة غير ناجحة فيها، واتفقوا على مدة، ويكون الوسطاء شخصيات مثل: طارق البشري، ومحمد عمارة، وسليم العوا، وأحمد رائف.

* أنت تريدها جماعة دعوية لا علاقة لها بالسياسة؟

** لا.. تكون سياسية طبعا السياسة جزء من الدين، ولكن أقصد لا تزاحم النظام في حكم الدولة.. كلمني عاكف هاتفيا، وقال لي أنت قلت لي حاجة نحن قلناها قبل ذلك لكنهم ليس لديهم استعداد أن يقبلوا، قلت له أنا أكلمك بأسس جديدة فقال: "لما نشوف" وشعرت أنه غير ميال لاقتراحي.

* هم يرون أن اقتراحك هذا عين ما ترغب فيه الدولة، وهي بذلك تكون قد انتصرت على الإخوان وأبعدتهم عن اللعبة، ولكن الإخوان يستفيدون من المشاركة السياسية فهي تعطيهم الخبرة، وتولد عندهم القادة المتمرسون؟

** هي وجهة نظر معتبرة لكن لكل شيء آخر فليكن، لكنك غير قادر على النظام حاليا، لكني قلت لعاكف إن الجماعة في محن منذ النقراشي وإلى الآن؟

* هل تأمل أن هذه الفتن تزول وعصر الإخوان يشرق؟

** الذين فوق الكراسي خائفون على مقاعدهم.

* إذا كان لديهم جيش وشرطة فلماذا يخافون من الإخوان؟

** على الأقل سيكون مضطرا إلى أن يزور الانتخابات ويحرج نفسه بسبب الإخوان، وعندما يضربها تكسب تعاطف الناس، أنا قلت لعاكف يا أخي "ريحه"، عاكف قال: نحن طرحنا الموضوع لكن ليست هناك إجابة.

* بأي شكل طرح عاكف الموضوع؟

** لا أدرى بأي شكل طرحه وتحدث مع من؟ لا أدري.. لكنه عندما يتحدث مع الرئاسة شيء وعندما يتحدث مع الداخلية شيء آخر؛ لأن الداخلية تكسب كثيرا من وراء هذا الوضع.

المنشية لم يكن مفبرك .... في الحوار مع المؤرخ الإخواني أحمد رائف[1]



* واحد من المؤرخين الإخوان الكبار يقول إن حادث المنشية لم يكن مفبركا.. ما الذي دعاك إلى قول ذلك؟

** لم أتصور أن يلقى هذا الحدث هذا الجدل الواسع أو العنيف، والذي يتسم أحيانا بالشدة في تلقي الأفكار حول هذا الحادث؛ لأننا إذا حققنا واقعة تاريخية - قد نختلف فيها - قد يرى واحد من المؤرخين رواية معينة أنها تدعو إلى اطمئنانه بعد جمع علامات كثيرة ومبررات كثيرة يجد أن هذه الرواية المعقولة أو الصحيحة، وقد يجد مؤرخ آخر أنها ليست معقولة وليست صحيحة، وفي النهاية يجب ألا يكون الاختلاف حول وقائع تاريخية رآها البعض من منظورات مختلفة تكون سببا في إحن أو ضغائن أو شيء آخر غير تحقيق الواقعة التاريخية.

وحادث المنشية أنا كما قلت فإن الإخوان لم يقوموا به كجماعة أو كهيئة أو كجهاز؛ ولكن قام به اثنان من الإخوان وعرف بهذا الأمر عدد آخر لا يقل عن أربعة

(١) (لم ينشر هذا الحوار بعد).

أو خمسة، وتصادف أن هذا العدد الآخر من كبار الإخوان كعبد القادر عودة ويوسف طلعت ومحمد فرغلي وآخرين مثل أحمد عادل كمال وأحمد زكي يوم الواقعة، وحاولوا منع هذا التنفيذ فلم يستطيعوا، وكانت السياسة العامة عند جماعة الإخوان في ذلك الوقت يشوبها شيء من الاضطراب وعدم وضوح الرؤية في التعامل مع جمال عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة، ولا يعلمون كيف يتصرفون معهم، ولكن المؤكد أنه كان هناك قطع بعدم اغتياله بقرار من المرشد العام حسن الهضيبي، وكان للمرشد العام في ذلك الزمن قداسة، وأوامره تنفذ بشكل أكثر دقة، وإيمانا بما يأمر، وحتى إن البعض مثل يوسف طلعت رحمه الله قال في حوار مع أحد الإخوان كان يسأله عن الأدوات التي يملكها والتي سيواجه بها المشاكل مع الحكومة فقال له: "خلي إيمانك بالله كبير وخلي ثقتك بالمرشد ليس لها حدود، ولم يكلمه عن الإعدادات وما يمكن أن يفعل".

* كل الذين ذكرتهم وقلت إنهم علموا بمحاولة الاغتيال قالوا إنه مفبرك ومنهم عادل كمال؟

** "الفبركة جاية منين"؟ الذي ضرب النار محمود عبد اللطيف، والذي أعطاه المسدس هنداوي دوير، والذي يقول إنها مفبركة يقول إن عبد الناصر عرف بنية هؤلاء في القتل فتاهم معهما على أن تترك القصة بشكل تمثيلي، ولكن هناك شخص ضرب النار له اسم وكينونة، فالخلاف هو حول هل هو قام بهذا العمل منفردا أم إنه استعمل من قبل عبد الناصر ورجاله، لكن هناك أشخاصا مثل عبد القادر عودة وعادل كمال كانوا يعلمون أن هناك أحد الأشخاص ذاهب لإطلاق النار على جمال عبد الناصر في الإسكندرية، وأنا لا أطمئن إلى حكاية التمثيل بين عبد الناصر وبين الضارب.

* إذا كنت ترى أن حادث المنشية حقيقي وليس مفبركا فلماذا ذكرت في كتابك سراديب الشيطان أنه كان مفبركا؟

** هناك فارق.. حتى الآن أنا أقول إن حادث المنشية ليس للجماعة علاقة به، إلا أن هناك أفرادا من جماعة الإخوان هم الذين قاموا به، ولم تكن هذه سياسة الجماعة ولا خطتها آنذاك، ولكن أنا قلت إن هناك أحدا من الإخوان ذهب لضرب جمال عبد الناصر في المنشية، وليس هذا الشخص متواطئا مع أحد؛ بمعنى أنه لم يكن متفقا عليه مع المباحث العامة أو العسكرية.

* اتهمك البعض بأن لك هوى ناصريا؟

** هذا ليس صحيحا فأنا أرى أن عبد الناصر هو سبب الهزيمة، وسبب التراجع في مصر، والذي قال هذا الكلام لم يقرأ ما كتبت.

* فؤاد علام قال في كتابه "الإخوان وأنا" إنك إخواني وناصري وكتبت رسالة لعبد الناصر تمدحه فيها وأنت في السجن الحربي؟

** لا أذكر هذا.. ولكن الذي أذكره جيدا أننا كنا في السجن مرغمين على مثل هذه الخطابات، وأن نكتب خطابات نتبرأ فيها من الإخوان وفؤاد علام قتل ثلاثة أمامي فقط.. وكان الاعتقال في ظروف شديدة القسوة، وبشع جدا، وكانوا قد أوهمونا بأن الذي يتبرأ من الإخوان ويؤيد جمال عبد الناصر يخرج من السجن، وجميع المعتقلين فعلوا ذلك إلا ٣١ شخصا ذكرتهم في كتاب البوابة السوداء وأنا لست منهم.

* علام استندت روايتك لحادث المنشية؟

** استندت إلى معرفة عميقة بالأشخاص وبصلات طويلة بهم أخذت سنينا.

* ولكن ما الذي أكد لك؟

** حسن الهضيبي عندما جاء مرشدا للإخوان حاول القضاء على النظام السري الخاص للجماعة، ولكن النظام السري كان مثل العفريت لا أحد يعرف حجمه، ولا مقدار أسلحته، ولا ماهية أشخاصه، وكان أصحاب النظام السري القديم يرفضون هذا المبدأ، ولا يريدون القضاء عليه، فعاكسوا في هذا الاتجاه، وحسن الهضيبي سمى أسماء معينة كان أولها اسم سيد فايز، وقتل بعدها، واختلف في قتلته، فكان هناك من قال إن الذي قتله هو جمال عبد الناصر، وهناك من قال إن الذين قتلوه كانوا أعضاء من النظام السري القديم؛ وذلك بهدف تكوين نظام سري جديد، وهو ما يعني وجود صراع بين النظام السري القديم والحديث، وكما فهمت من الأستاذ حسن الهضيبي شخصيا في جلسات طويلة معه أنه كان يريد أن يقضي على النظام السري القديم، فلقد قال لي حسن الهضيبي في معتقل طره ذات يوم: لو أن ضابطا في مباحث أمن الدولة قتل أحد الأشخاص هل تقول إن مباحث أمن الدولة كلها هي التي قتلت هذا الشخص إلا إذا كان هناك أوامر لهم من مباحث أمن الدولة، فإذا كان قد ذهب اثنان أو واحدا لقتل جمال عبد الناصر فهل هذا معناه أن جماعة الإخوان المسلمين هي التي قتلته؟ وكان الهضيبي أول شخص نبهني إلا أن حادث المنشية لم يفبرك، وأنه تم من غير تدخل من أحد، وكان هذا عام ٦٥، وتتبعت الخيوط مع كل من له علاقة بهذه القصة، ولكن فكرة أنها تمثيلية تستهوي الإخوان، وفكرة تظهرهم بمظهر المجني عليه والمغلوبين على أمرهم، وتصنع لهم نوعا من الدعاية التي يتصورون أنها كبيرة وعظيمة، مع أن ذكر الحقائق مجردة هي الدعاية الأعظم وشرف أكبر.

ما المشكلة أن أقول نعم هناك واحد من عندي حاول أن يغتال عبد الناصر، ولكني لم أعطه أوامر بذلك.. ما المشكلة؟ وما المشكلة أن تقول إن الجماعة مرت

بمرحلة اضطراب ولم أكن أعرف كيف أتصرف، وهذا الذي حدث للإخوان في مرحلة ما بعد ٥٤.. الأستاذ عادل كمال قال إن هنداوي دوير قبض عليه قبل الحادث نعم، وقبض عليه قبل الحادث مائة مرة وليس مرة واحدة.. لقد روى لي سعد حجاج زميل محمود عبد اللطيف في الخلية السرية أنه قال له: "انت شايف إن كل يومين تيجي المباحث لتأخذنا فأمكث هناك يومين أو ثلاثة ثم أرجع ومش عارف اشتغل، وهو كان رجلا فقيرا عنده محل تصليح وابورات الجاز، قال له أنا ناوي أروح طنطا يمكن يسيبوني شوية"، وذهب معه سعد حجاج زميله في الخلية والسكن إلى محطة قطار باب الحديد، وركبه قطار الثامنة والنصف المتوجه إلى الإسكندرية وهذا شاهد قال لي ذلك، وأنا عندي تسجيل معه بذلك، وهذا كان يوم ٢٦ أكتوبر يوم الحادث ولم يخبر محمود عبد اللطيف سعد حجاج بأنه ينوي اغتيال عبد الناصر لماذا؟ لأن الموضوع كان سريا بينه وبين هنداوي دوير، بالإضافة إلى أن شخصية هنداوي دوير تتسم بالعصبية والاندفاع، وكان حالما واهما، وربما كان يريد أن يقدم مفاجأة للإخوان بقتل جمال عبد الناصر، وهو كان مسئول الجهاز السري بإمبابه.

* د. محمود جامع روى أن عبد الناصر ذهب إلى محمد نجيب في هذا اليوم في منزله وأصر على أن يأخذه معه إلى المنشية، ولكن نجيب رفض حتى إن عبد الناصر دفعه، وقال له انت حر انشالله عنك ما رحت؟

** أنا ذكرت هذه الرواية في كتاب سراديب الشيطان، ورواها حلمي عبد المجيد، والذي لا يعرفه الكثيرون أن محمد نجيب كان يكره الإخوان جدا على العكس من عبد الناصر في البداية، وكان نجيب يشرب الخمر فلما سئل عن سبب كراهيته للإخوان قال "أنتم عايزين الإخوان ييجم يمنعوا الخمر ويقولوا لنا قال الله وقال الرسول"، ولكن التاريخ للأسف يؤخذ بالأهواء، وهو لابد أن يؤخذ مجردا، هناك حقيقة أن محمود عبد اللطيف ركب القطار الساعة الثامنة

والنصف، واختفى في الإسكندرية كما عرفنا أنه ذهب إلى لوكاندة السعادة، وبدل ملابسة واستراح، وفي تمام الساعة السادسة نزل للمنشية لكي يضرب جمال عبد الناصر.. لما علم يوسف طلعت يوم ٢٦ أخذ قرارا بإلغاء العملية وقام بالاتصال بإبراهيم الطيب وقام إبراهيم بالاتصال بهنداوي دوير وإبلاغه بالقرار فقال له هنداوي أنا لا أستطيع إيقاف العملية "واللي حصل حصل"، وكانت الاتصالات في هذا الزمن صعبة.

* ولكن أسلوب التنفيذ لم يكن أسلوب الإخوان، فأساليب الإخوان كانت تتسم بالدقة كان ذلك واضحا في عمليتي اغتيال النقراشي والخازندار؟

** وهذا هو أحد العوامل التي جعلت الكثير من أهل التاريخ يقولون إنها كانت مزيفة لسذاجتها وبساطتها.

* ولكن ما تعليلك لسذاجة تنفيذ العملية؟

** واحد غرد خارج السرب.. قال أعمل العملية وهي سهلة، ولم تكن هناك حراسة جيدة على عبد الناصر، وهم يعرفونه ويقتربون منه ويستطيعون ضربه، وهم كانوا سيقتلونه قبل حادث المنشية بشهرين في مؤتمر للموظفين، ولكن صدر قرار بإلغاء مثل هذه العمليات، وكان سعد حجاج ينوي ضرب جمال عبد الناصر بالرصاص، وهو الذي قال لي ذلك، وكان زميل محمود عبد اللطيف في الخلية ويرأسهما هنداوي دوير، وفي هذه الفترة كانت الدنيا "هوجة" وكان جمهور جمال عبد الناصر من الإخوان، ولم يكن عنده جمهور غير الإخوان وهم الذين يستقبلوه ويقومون بعمل الدعاية اللازمة له.

* لو أن شخصا عاديا جدا، وليس في تنظيم سري ومدرب لم يكن ليقدم على ضرب عبد الناصر من المنشية، إلا إذا تأكد له أنه سيتمكن منه، أما وإن هذا شخص في

تنظيم سري ويطلق النار من مسدس بكل هذه السذاجة ولم يكن معه من يساعده ويحمي ظهره هذا كله يدعو إلى التشكيك؟

** كان هذا من الأسباب التي جعلت الكثير يقول إنها تمثيلية، ولكنه ثبت أن هنداوي دوير أمر محمود عبد اللطيف بالذهاب إلى المنشية واصطياد جمال عبد الناصر وقتله، وتم هذا بشكل مضحك، فكان هناك جريدة اسمها الشعب أو القاهرة ذكرت أن جمال عبد الناصر سيخطب غدا في المنشية فذهب محمود عبد اللطيف لهنداوي، وقال له هذا الخبر فقال له هذه فرصتك اذهب وتخلص منه، ولم يكن هناك أحد يغطيه ولا يساعده، وهو ما جعل البعض يتشكك، ولكن الكل -حتى الذين اعترضوا عليها- قالوا: نحن ذهبنا لعبد القادر عودة وقلنا له، فخبط على المكتب، وكسر القزاز، وقال: "إزاي إن حاجة زي دي تحصل" وهذا يعطي انطباعا أن فيه أمر من واحد لواحد لتنفيذ عملية الاغتيال.

* لك أن تقول إن قيادات من الإخوان علمت بعملية الاغتيال يوم الحادث؟

** كان عندهم علم يوم ٢٦ أكتوبر أن هناك عملية لاغتيال عبد الناصر، ولكن لم يعط أحد من الإخوان أوامر بتنفيذ هذه العملية، ولكنهم فوجئوا بأن هناك علمية اغتيال ستتم، واستنكرها جدا عبد القادر عودة ومحمد فرغلي، ويوسف طلعت قال: "خلاص هنعمل ايه آدى الله وآدى حكمته خلاص نسيبه".

* على أي أساس حكمت المحكمة بالإعدام على قيادات الإخوان الهضيبي وطلعت وفرغلي وعودة.. على أساس أنهم أعطوا أوامر بالتنفيذ أم على أساس أنهم علموا ولم يبلغوا؟

** مرة من المرات تحدث جمال عبد الناصر مع القضاة وقال لهم نحن ندعم استقلال القضاء فقالوا له: ومحكمة الشعب والثورة فقال: "لا هذا موضوع تانى دي

محكمة سياسية برة القضاء واحنا مجبناش حد منكم احنا سياسيا عايزين كده وعايزين أحكام بعينها وهذا موضوع منته ليس لكم علاقة به".

* ما رأيك في الرواية التي قالت إن هنداوي دوير صرخ عندما سيق لينفذ فيه حكم الإعدام وقال: "لا فين جمال عبد الناصر احنا متفقناش على كده".

** في التحقيقات –وأنا حقق معي من قبل– أول كلمة يقولها المحقق هي أننا سنجعلك شاهد ملك، ولكن احك لنا كل شيء بالتفصيل، "وهنطلعك من القضية زي الشعرة من العجين، بس قل لنا التفاصيل"، وهم كانوا يريدون أن يعرفوا هل هناك من هو أعلى من هنداوي دوير أمر بعملية الاغتيال أم لا؟ ولكن هنداوي دوير لم يستطع أن يقول إن هناك من أمره بذلك والشخص الوحيد الذي اتهمه كان إبراهيم الطيب، ولكن الطيب نفى ذلك، وقال نحن تكلمنا كثيرا في عملية اغتيال عبد الناصر، ولكن لم يحدث أني أعطيت هنداوي دوير أمرا بقتله هذا موجود في محاكم الشعب التي طبعته الحكومة المصرية ونشرته، والهضيبي كان يرى أن الحادث قد تم، وكلنا نرى أنه قد تم، ومن يظن أنها لم تتم "غلطان" لأنه تم.

* قيل إن عبد الناصر عرف بأن هنداوي دوير يخطط لاغتياله فقبض عليه وعذبه وأمره باستمرار العملية، وقيل أيضا إن الرصاص كان فشنك؟

** عبد الناصر ليس بهذه الشجاعة بأن يأتي بشخص يضرب عليه نارا، ثم إن هناك شخصا بجانب عبد الناصر أصيب وهو ميرغني حمزة، وعبد الناصر زاره في المستشفى.

* إذا كان الحادث حقيقيا فإذا عبد الناصر شجاع؛ لأنه لم يهرب، ووقف وصرخ في الجماهير قائلا خلقت فيكم العزة، وخلقت فيكم الكرامة؟

** هذه هي ردة فعل المضروب.. ردة فعل عصبي تقع من أي مضروب.

* لكنه لم يهرب؟

** "يهرب يروح فين"؟ أنا رأيت المكان الذي كان يقف فيه عبد الناصر في المنشية، مكان لا يسمح بجري أحد، وهو وقف قال كلمتين، ثم أرغموه على الانبطاح تحت المنصة.. وهذه وجهة نظري أنه لم يكن بهذه الشجاعة وحوادث التاريخ تقول إنه ليس بهذه الشجاعة، ولها شواهد كثيرة.. ليس شجاعا لدرجة أن يأتي بشخص ليضرب عليه رصاصا، فهو لا يمتلك هذه الشجاعة، لا هو ولا غيره.

* لكن الرجل قاد انقلابا على النظام الملكي، وكان من الممكن أن تطاح برأسه جراء ذلك؟

** أنا لا أجرده من الشجاعة تماما، ولكن ليس بهذا القدر العظيم من الشجاعة.

* قيل إن الهضيبي كان يعلم واقعة الاغتيال وطرحت أمامه؟

** الرجل قال لي إن الجماعة ليست مدانة من الناحية القانونية، اثنان من الإخوان قاموا بالمحاولة دون أن يصدر أمر بذلك، فما ذنب الجماعة كلها؟

* ولكن الموضوع طرح على الهضيبي؟

** نعم طرح أمامه ألف مرة قبل الحادث، وكانت هناك أفكار مطروحة على الساحة.

* لكن من الناحية الفلسفية.. جماعة لم يكن لديها مانع في القتل من ناحية المبدأ، وواضح أن أعضاءها تربوا على أن ذلك وسيلة تبرر من أجل الغاية؟

** كانت ذلك ثقافة العصر.

* ولكن هذه جماعة إسلامية، ومن المفترض أن تمرر قراراتها على الشرع.. أم على أي أساس كان يقتل الأشخاص، هل أساس تكفيري؟

** لا.. لم يكن التكفير قد ظهر بعد، ولكن على أساس أنهم عملاء وخونة، والذي قتل النقراشي قتله على أساس أنه خائن وعميل، ولم أسمع بأنه قتله على أساس أنه كان كافرا.

* وهل كان يحل قتل هؤلاء من الناحية الشرعية على أساس اتهام لم يقم عليه دليل؟

** وجدوا من يقول ذلك أن قتلهم حلال من الناحية الشرعية ،والشيخ سيد سابق أفتى بقتل الخازندار والنقراشي على أساس أنهم يحاربون الدعوة والجماعة ويحاربون الإسلام والمسلمين، فيجوز قتلهم، وليس على أساس أنهم كفار ويجب ألا نفصل ذلك عن ثقافة العصر.

* أريد أن أعرف ما هي فلسفة وجود هذا النظام الخاص مع الأخذ في الاعتبار أنه قام بقتل مصريين رآهم الإخوان أعداء للدعوة يجب أن يحال بينهم وبينها، هل كان هناك سبب لإنشاء النظام وهو إزالة دولة وإقامة دولة إسلامية في المستقبل القريب؟

** أنشئ النظام لمحاربة اليهود والاستعمار في كل أنحاء العالم كل هذه الأهداف كانت موجودة، وأنا لي رأي في هذه القصة بعد الاضطلاع والبحث، وهو أن حسن البنا كان مشروعه الأساسي الانقلاب العسكري في مصر، وتحويل مصر من ملكية إلى جمهورية، وهذا كان رقم واحد عنده، ولذلك عمل أكثر من تنظيم سري: واحد في الجيش بقيادة الصاغ محمود لبيب، والثاني في الشرطة بقيادة صلاح شادي، وآخر مدني يرأسه عبد الرحمن السندي.

* فلماذا نبرئ الرجل من كل عملية كان يقوم بها الإخوان ويرددون دائما "البنا لم يكن يعلم بها"، لكنك تقول إن الرجل أقام النظام من أجل ذلك في الأساس؟

** هو أنشأ النظام لمحاربة اليهود والاستعمار، وأيضا لعمل انقلاب في مصر وكان يرى أنه يجب أن تتحول الجماعة كلها إلى نظام خاص، وكان يسير في هذا الاتجاه، فالرجل كانت سنه صغيرة، وشاب كانت خبراته السياسية ليست كبيرة جدا، وخبراته في التاريخ ليست كبيرة جدا، وكان لا يعلم أن إنشاء مثل هذه الأنظمة السرية من شأنها أن تتمرد عليه وتتصرف وحدها؛ فعبد الرحمن السندي كان يرى نفسه معادلا للمرشد العام الذي هو حسن البنا، وذلك لأن السندي كان يمثل القوة التي تحمي الجماعة.. القوة التي لا يعرف عنها شيئا، ومخازن الأسلحة الضخمة والذخيرة الكبيرة التي جمعت بعد الحرب العالمية والتي تركها الألمان والإنجليز في الصحراء الغربية، وعندما تطورت الأمور وحدث قتل الخازندار والنقراشي ظهرت شخصية النظام الذي بدا أن له وجهة نظر وتصور ورؤية أخرى مخالفة للسياسة العامة للجماعة ممثله في حسن البنا، فالسندي مثلا كان يبحث عن أي تلكيكة لقتل الخازندار، وعندما قام حسن البنا بعمل تحقيق قال له السندي أنت قلت لو كان ربنا يريحنا منه، فقال: هل هذه كلمة يقتل بها رجل قاض؟

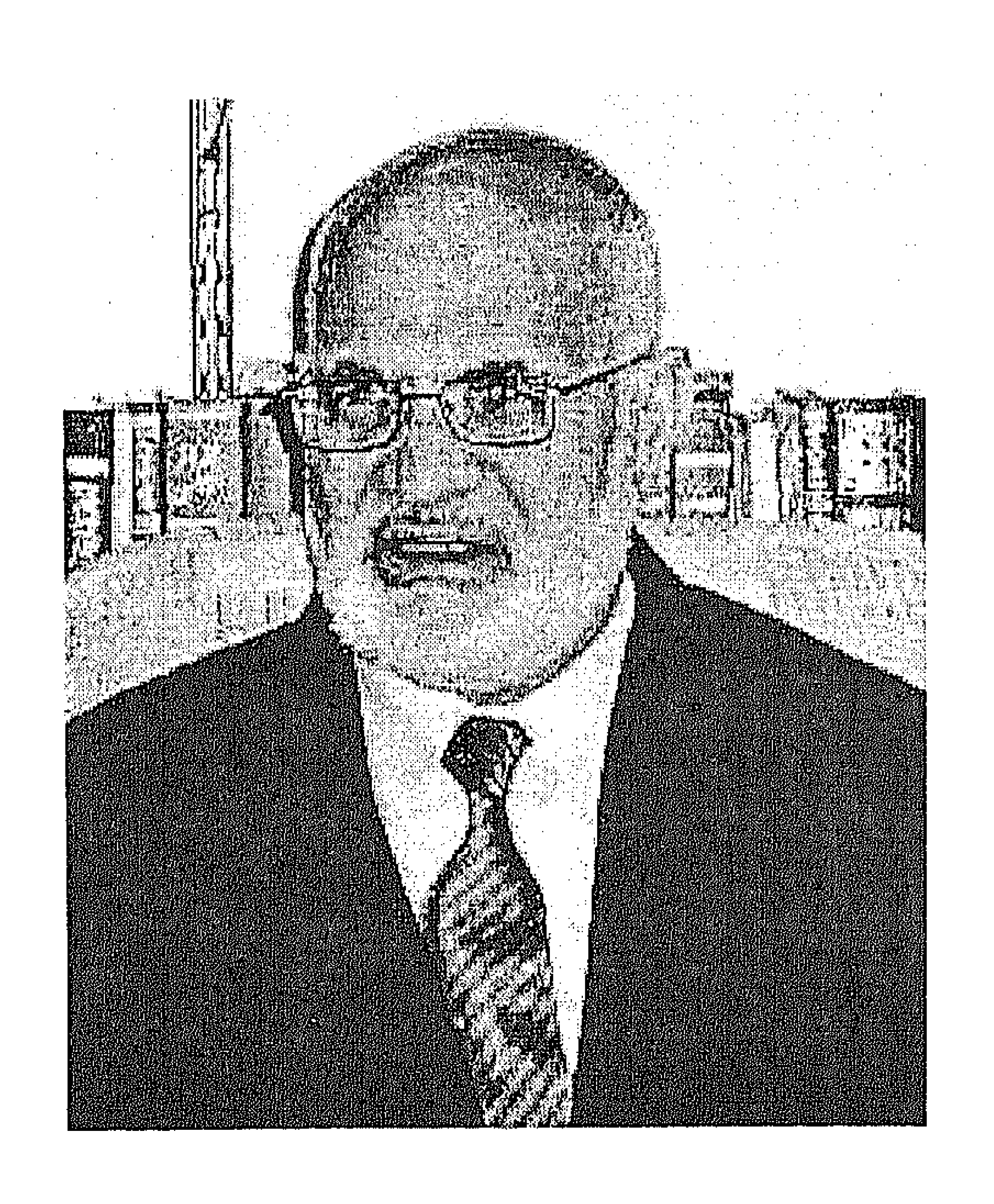
* ولماذا لم يفصل السندي؟

** لم يكن يستطيع.. فالأحداث كانت قد تلاحقت مقتل الخازندار، ثم قضية السيارة الجيب، وقبض على عبد الرحمن، وهو يحاسب لحساب الإخوان هل كانوا يفصلونه وهو يحاكم؟ وأعتقد أن البنا كان يرتب لتصفية الجهاز السري، ولكن الهضيبي عندما جاء كان أول شيء وضعه في أولوياته هو تصفية الجهاز السري.

* ولكن الهضيبي هو أيضا عمل نظاما خاصا أسماه التنظيم السري؟

** النظام الخاص جيش سري لا تتم تصفيته إلا باستيعابه عن طريق تغيير رئيسه، وأركان حربه، والمتحكمين عليه، ويأتي بمتحكمين عليه من عنده يعتقدون في رأيه، وبالتالي يحصرون الأسلحة والأشخاص، وبالتالي فيمكن القضاء عليهم، وهذه هي الأفكار التي كانت معروضة، ولكن لم تكن عملية.

الدمرداش العقالي :ـ البنا أوصي لعبدالناصر من بعده[1]



قضى الدمرداش العقالي عدة سنوات عضوًا في الجهاز الخاص للإخوان المسلمين، على حد قوله، وزعيمًا لطلبة الإخوان في الجامعة، مطلع الخمسينيات من القرن الماضي، لكنه ظهر عام ٢٠١٠ ليقول إن مؤسس الجماعة الشيخ حسن البنا كان يعد لمشروع انقلابي، وأنه أوصى قبل حادث اغتياله بساعات بأن تكون قيادة الإخوان من بعده لعبد الرحمن السندي من الجماعة وجمال عبد الناصر.

ويرى العقالي - كما جاء فيما نشر له في صحيفة "المصري اليوم" على عدد من الحلقات - أن عبد الناصر "كان نبتة إخوانية" ولم يخطئ خطأً واحدا في حق

(١) (نشر بموقع أون إسلام).

الجماعة!، وأن صدامه بالجماعة كان بسبب صراعات القيادة داخلها، كما برأ العقالي عبد الناصر من دم المستشار عبد القادر عودة،

وأرجع انقلاب سيد قطب على عبد الناصر إلى مصلحة شخصية. ضمن جملة من الاتهامات كانت مثار جدل، وهو ما دعانا إلى مقابلة الرجل للوقوف منه على حقيقة المنشور على لسان والتثبت من صحة ما قاله.

فإلى نص الحوار كاملا:

تصريحات قديمة أعيد نشرها

* ما سبب نشر مذكراتك الآن لمهاجمة قيادات الإخوان التاريخية، خاصة أننا على أبواب معركة انتخابية؟

** الحقيقة أنني لم أنشر مذكرات، لكني فوجئت بها منشورة في صحيفة "المصري اليوم"، وهذه ليست مذكرات، بل حوارات نشرت في مجلة "الأنباء" الكويتية منذ ٣٠ عاما، لكن الصحفي أعاد نشرها دون الرجوع إلي، وجاء النشر مخلا، لكنه توقف عند ٦ حلقات - استكملت فيها بعد - ولا أدري لما نشرت الآن؟ ولا لما توقفت؟ لكنني لا أريد أن أستبق نيات الصحفي حتى استوضحه.

هو لم يجر هذه الحوارات معي، لذلك استخدم عبارة "كتبها" التي تفيد أنها منقولة بتصرف منه وليست مذكرات طبق الأصل، وكنت انتظر حتى تفرغ "المصري اليوم" من النشر حتى أصحح ما أراه غامضا أو أكشف ما أراه ملتبسا.

الجذور الإخوانية لعبد الناصر

* كتب على لسانك، أن عبد الناصر لم يكن فقط جزءًا من حركة الإخوان المسلمين بل كان نبتة إخوانية منذ الأساس، مع أن معظم المصادر ذكرت أن علاقته

بالإخوان لم تكن الوحيدة وأنه كانت له علاقة بالحركات الوطنية والشيوعية الفاعلة على الساحة حتى (حدتو) الشيوعية؟

** علاقة عبد الناصر بالإخوان لاشك فيها، ولو قمت بجمع كل ما كتبه ضباط الثورة الذين كتبوا مذكرات -وعلى الأخص ما كان معروفا عنه أنه من الإخوان مثل المرحوم حسين أحمد حمودة- ستجده يذكر في كتابه (الإخوان والثورة) أن جمال عبد الناصر، وخالد محيي الدين، وكمال الدين حسين أقسموا اليمين أمام عبد الرحمن السندي، ممثل الإخوان، وبايعوا البنا في لقاء منذ سنة ١٩٤٢، لكن علاقة عبد الناصر بالجماعة تأكدت بسلوكيات الشيوعيين والاشتراكيين ضده بعد الوحدة مع سوريا..

ففي عام ١٩٥٨ جاءت كل فصائل سوريا إلى القاهرة بزعامة شكري القوتلي تطلب الوحدة مع مصر إلا أن الإخوان في سوريا بقيادة الشيخ مصطفى السباعي كانوا قد أقاموا الدنيا وأقعدوها عقب الخلاف مع الإخوان عام ١٩٥٤ وهاجموا عبد الناصر، وسيروا مظاهرات كبيرة جدا عام ١٩٥٤، إلا أنه بعد الوحدة كان مسلك عبد الناصر في دمشق حينما ذهب إليها واضحًا لدى الشيوعيين والاشتراكيين، بحيث أن الفريق عفيف الدجري رئيس أركان الجيش السوري الذي طلب الوحدة، وخالد مقداد زعيم الحزب الشيوعي، وأكرم الحوراني، وصلاح الدين البيطار، هربوا كلهم من سوريا، واعتبروا أن عبد الناصر قد التقى بجذوره الإخوانية ممثلة في مصطفى السباعي..

والفريق الذي قام بانقلاب الانفصال هم الذين قالوا ذلك في مذكراتهم التي اعتبروا فيها أن عبد الناصر كان قد التقى بجذوره الإخوانية، ومنهم موفق عصافة وهؤلاء - الذين قاموا بانقلاب الانفصال- كان عبد الناصر قد وضعهم في قيادة الجيش بناء على توجيهات الشيخ السباعي له، لأن السباعي كان يعتبرهم مستأمنين،

لكن للأسف الشديد الانشقاق داخل حركة الإخوان هناك على السباعي، وخروج بعض القيادات، هو الذي أدى لوقوع الانفصال، ومعقباته.

لكن جمال عبد الناصر حسن علاقته بالإخوان المسلمين، وهي العلاقة المتفق عليها أما علاقته (بحدتو) فكانت مجرد محاولات للشيوعيين ومصر الفتاة لضمه، وكان مازال صغيرا لديه تطلعات للعمل العام، ومن لديه تطلعات للعمل العام قد يمر على أكثر من قافلة سياسية، لكن المرور شيء والاعتناق والممارسة شيء آخر.

زار قبر حسن البنا يوم اعتقل الهضيبي

جمال عبد الناصر لم يقف على قبر في حياته إلا قبر حسن البنا، لم يكن من زوار القبور ولا وقف على أضرحة، لكنه زار قبر حسن البنا في اليوم الذي اعتقل فيه الهضيبي في يناير ١٩٥٤ والزيارة كانت مشفوعة بكلمات منه كما لو كان يشكوا إلى مؤسس الحركة.

والشيخ الغزالي، وهو أحد رموز الإخوان فكريا، كتب في مجلة "الدعوة" عقب الوقيعة بين عبد الناصر والإخوان كتب يتهم الهضيبي أنه ماسوني، وأنه مدسوس على الحركة الإسلامية، وكتب كتابات مستفيضة في هذا، وأتى برتبة الهضيبي في المحفل الماسوني.

وآخر تصريح للمرشد المرحوم حامد أبو النصر عندما سُأل عن علاقته بالإخوان فقال بالنص: "نعم كان عبد الناصر معنا، وكنا بنقعد على الحصيرة ناكل جبنة وعيش حاف، لكن ليس لأنه كان معنا أنه لا يختلف معنا".

فالثابت أن عبد الناصر كان من الإخوان، لكن الذي يبحثه المدقق التاريخي هو: فيما وقع الخلاف؟ فلولا حركة الإخوان المسلمين ما تغير التاريخ عن الملكية، ولا يمكن أن يتم تغيير في سلم الحياة السياسية في مصر من غير الإخوان، ومن غير

الطاقة الإسلامية التي تمثل نبض الشارع المصري، ولم يكن فاروق ليطرد لولا جمال عبد الناصر نبتة الإخوان المسلمين.

* لكنك في سبيل إثبات إخوانية عبد الناصر استدللت بوقائع مرسلة لا يؤيدها دليل، مثل تمكن الفكرة الإخوانية منه وإيمانه بأنه لا خلاص للأمة إلا من خلال الدين لمجرد مكثه في السودان الذي كان يعج بالتيارات الوطنية الإسلامية، التي كانت تصبغ الحس الوطني والقومي بالعاطفة الدينية منذ ثورة المهدي وحركة الميرغني؟

** ارجع لكتابات حسين أحمد حمودة، وهو معاصر لعبد الناصر في الدفعة والرتبة، وهو الذي اختلف مع عبد الناصر لا لأن عبد الناصر لم يكن من الإخوان بل لأنه كان من الإخوان ثم انقلب عليهم، ففي تصور حسين أن عبد الناصر إخواني خارج عن الصف وليس من خارجه.

عبد الناصر "أخ عامل"

* كون أن عبد الناصر بايع البنا والسندي لا يعني أنه كان إخوانيًّا أصيلا، فالجماعة كانت مفتوحة في ذلك الوقت، ثم إن خالد محيي الدين الشيوعي قد بايع، فهل كان إخواني هو الآخر؟

** لم يكن البنا ولا السندي – رحمهما الله – يقبلان بالبيعة أو يتصورانها إلا ممن اعتبر "أخا عاملا" ثم انسجم في الجهاز الخاص لأن البيعة هذه هي أخص البيعات في الإخوان، بمعنى أنه لا يأتي بأحد يبايع من الشارع، لكن خالد محيي الدين غير لونه بعد ذلك عكس عبد الناصر.

ثم إن خالد محيي الدين كان من أنصار محمد نجيب، وكان نجيب يعتبر أن الإخوان هم القوة التي خلف عبد الناصر، وحاول نجيب أن يخترق هذه القوة

لكسب حسن الهضيبي، والهضيبي رجل فاضل في أخلاقه الإنسانية، لكن لم يكن من الإخوان على الإطلاق، ولا كان مؤمنا بثورة ٢٣ يوليو بأي شكل، فقبل ثورة ٢٣ يوليو حاول الجهاز السري أن يجس نبض حسن الهضيبي فأرسل من يجس نبضه وكان في الإسكندرية، فحدثه الرسول أن البلد تموج بقلاقل والملك يغير كل أسبوع وزارة فهل يخاف فاروق من أن يقوم الجيش بحركة ما فكان رد فعل الهضيبي أنه انتفض، وكان جالسا فوقف منزعجاً، وقال: "تبقى هوجة زي هوجة عرابي ستؤخر البلد ١٠٠ سنة للوراء".

وتعبير هوجة عرابي الذي استعمله الهضيبي لم يكن يستخدمه في الأدبيات المصرية إلا أعوان أسرة محمد علي، والمجموعة التي كانت محسوبة على الإقطاع والقصر، وأعداء ثورة عرابي.

* تحدثت وكأن حركة الإخوان لها قيادتان واحدة في الجيش بقيادة عبد الناصر، والثانية مدنية بقيادة البنا والسندي، وأن هدفهما كان الاستيلاء على السلطة؟

** ليس هذا هو السياق، فالقيادة واحدة، وهي ممثلة في الإمام البنا، لكنه أنشأ جهازا خاصًّا له فرعان: فرع مدني يرأسه السندي وله القيادة، وفرع عسكري كان بقيادة عبد الناصر وعبد المنعم عبد الرءوف.

الدولة الإسلامية في وعي البنا

* لماذا تصدر عبد الناصر في واجهة القيادة مع أن المعروف أن عبد المنعم عبد الرءوف كان مسئول التنظيم العسكري؟

** عبد الرءوف كان القائد، لكن عبد الناصر كان الأكثر اعتمادا عند البنا.. كان السندي شديد الثقة في عبد الناصر فهو (بلدياته) فالسندي أسيوطي من "بني فهد" وعبد الناصر كذلك من "بني مر" ولذلك فالسندي كان يوحي للبنا بأن

عبد الناصر الأكثر قدرة على أن يجمع الضباط، وعبد الرءوف كان مشهودا له بالاستقامة والطهر، لكن كان قليل الحركة في تجميع الضباط، ومن يزعم أن البنا لم يكن له مخطط لتغيير الحكم فهو جاهل بكل كتابات البنا، وخطابه سنة ٣٨ في المؤتمر الخامس، وهو يقول: إنه لو توفر لي اثنا عشر ألفا منكم لخضت بهم البحار والجبال وأقمت الدولة الإسلامية..

فالبنا كان يحدد عام ١٩٥٥ منذ أن بدأ الجهاز السري موعدًا للقيام بحركة شعبية عسكرية، لكن عندما حدثت حرب فلسطين عام ٤٨ أذهبت المشروع، لأن البنا اضطر أن يكشف عن مقدراته العسكرية، لأن المتطوعين الذين أرسلوا قبل دخول الجيوش العربية فلسطين كانوا متطوعين متدربين، أبلوا في القتال بلاءً حسنا، وتلقوا تدريبا كبيرا جدا، هذا التدريب لم يتم إلا بجهاز، فانكشف أمر الجهاز.

* لكن الثابت أن مليشيات الإخوان ظلت إلى النهاية حتى صدر أمر ملكي بمنح بعضهم نوط الشرف العسكري من الطبقة الأولى، ورد ذلك في الصفحة الثالثة من جريدة "الأهرام" ٤ مارس ٤٩.

** هذا غير صحيح، الإخوان أدخلوا فلسطين في نوفمبر ١٩٤٧ بعد قرار التقسيم، ودخلوا أفرادا أفرادا إلى أن اكتملوا ٢٥٠ فردا، حلت جماعة الإخوان، وأمر البنا بعدم الإرسال فور قرار الحل، وقال المعركة هنا في مصر..

كان الجيش المصري قد دخل وتطوقت المجموعة المصرية المتقدمة في (الفالوجا) واعتقلت المجموعة الإخوانية التي مكثت في غزة فور حل الإخوان، ووضعوا قائد الجيش الفريق أحمد محمد علي المواوي في معسكر في غزة إلى أن تغلب الجيش الإسرائيلي على القوات المصرية، وكاد أن يدخل سيناء، فغيروا قيادة المواوي وأرسلوا اللواء فؤاد صادق، فوجد أن الجيش المصري عاجز عن أن يصد التسلل

الإسرائيلي فاستأذن القيادة المصرية في أن يفرج عن الإخوان المعتقلين في غزة، بناء على تعهد بينه وبينهم يقضي بأن يشترك الإخوان مع الجيش المصري في إيقاف الهجمة الإسرائيلية ثم يهبوا إلى المعتقل مرة أخرى، وقد حدث هذا فأعيدوا إلى المعتقل إلى أن حدثت الهدنة الأولى وعادوا من المعتقل إلى معتقل "الطور" وأفرج عنهم في إفراجات الإخوان عام ٥٠ بعد انتهاء الحرب بعامين، فليس صحيحا أن الإخوان ظلوا إلى انتهاء الحرب، وأنا أكاد أعرف أسماء الإخوان الذين ذهبوا فلسطين في هذه الفترة، لأنه بمجرد دخول الجيش المصري في ١٥ مايو ٤٨ كنا نحاول أن نشتري أسلحة للمجاهدين إلا أن الأستاذ البنا أمر بتوقف العملية، وحدث هيجان من المجموعات التي كانت تحت التدريب للسفر، فقال لهم البنا المعركة من هنا وليست من هناك.

* هل ترى أن مشروع البنا كان انقلابيًا؟ هو قال أن مشروعة إصلاحي يبدأ من الفرد والأسرة والمجتمع والدولة.

** لقد قال "نريد أن نصلح السلم من أسفل إلى أعلى" فتبين لنا أن السلم لا يأتي إلا من أعلى إلى أسفل.

* لكن البنا ندم على ما فعله الجهاز الخاص، وقام بمحاسبة السندي أمام الإخوان؟

** هذا الكلام من تخريجات الهضيبي وأنصاره، البنا أصدر بيان له عنوان له دلالة، وقال فيه (بيان للناس) الجهاز السري وصله هذا الجزء وفهمه جيدا (كتبنا بيان للناس ولكم الآيات في سورة آل عمران فالتزموها هذا بيان للناس وموعظة وهدى للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا) الرجل كان يريد أن يحافظ على القواعد، وفي نفس الوقت لم يكن يريد أن يعطي فرصة لإجهاضها، دعوة الإخوان المسلمين لخصها البنا في ٥ شعارات هتافية، لا تسمح بالتضليل حول مسيرته،

الذي يقول "الله غايتنا، والرسول زعيمنا، والجهاد في سبيل الله أسمى أمانينا" لا يمكن أن يدخل في هذا المنظومة استسلام .. يستحيل ذلك إنما الآخرين عندما أرادوا إدخال التعديلات خرجوا على هواهم.

الجهاز الخاص لم يبايع الهضيبي

* لكن الشائع أن البنا غضب من السندي وعزله عن قيادات النظام الخاص فكيف يوصي له بتولي مسئولية الإخوان من بعده؟

** هذا ليس صحيحا، بدليل أن الهضيبي أصدر قرار بفصل السندي من الإخوان، وإقالته من الجهاز الخاص، فكيف كان مقالا من البنا واحتاج الهضيبي أن يفصله، هذا غير صحيح، وعندما عين الهضيبي مرشدا وزع السندي منشورا على الجهاز الخاص قال فيه: "الملك فاروق قتل مرشدنا واختار لنا مرشدا من حاشيته فلا تبايعوا وتثبتوا حتى تتبينوا". فلم يبايع الجهاز الخاص الهضيبي وأنضم إلينا في عدم المبايعة: الشيخ الغزالي، وصالح عشماوي، وعبد الرحمن البنا، انضموا في عدم المبايعة، فبادر الهضيبي بفصلهم من الجماعة، وهذه معركة معروفة.

* أخطأت حينما ذكرت أن حادثة السيارة الجيب كانت بعد اغتيال البنا، والصحيح أنها كانت قبل اغتياله؟

** الحادثة قبل اغتيال البنا، لكن القبض على السندي كان بعد اغتيال البنا، ولم يكن على الفور، وكان موجودا وممارسا لمهامه ويوجه تعليماته بعد قتل النقراشي، وبعد استشهاد البنا أعد السندي خطة لقتل إبراهيم عبد الهادي على طريق المعادي، وهي حادثة معروفة، كما أعد محاولة لقتل رئيس مجلس النواب، وهذه معروفة أيضا.

حسن البنا أوصى لعبد الناصر من بعده

* قلت أن البنا أوصى للسندي وعبد الناصر بخلافته فلماذا لم تظهر هذه الوصية؟ أين هي الآن؟

** هذه الوصية أبلغت للواء صالح حرب، رئيس جمعية الشبان المسلمين، والبنا لم يخرج من بيته إلا هذه المرة، للوصول لصالح حرب يبلغه هذه الوصية، وهي لا تحتاج إلى توثيق، فصالح حرب كان على صلة وثيقة بالبنا، وكان إسلاميا، وكان مشهودا له، وقال له البنا: "يا صالح عبد الرحمن السندي هو المسئول عن الجماعة، وإذا لم يتيسر فجمال عبد الناصر حسين".

* لكنك ضد رواية أن البنا كان غاضبا من السندي.

** لا والله لم يكن غاضبا .. كان في الإمام البنا تُقية كامنة، فهو يوجه الجهاز السري، "هذا بيان للناس ولكم الآيات في سورة آل عمران فالتزموها"، وأرجع إلى آيات سورة آل عمران ستفهم ما أقول.

الهضيبي ملكي

* اتهمت الهضيبي أنه كان ملكيا، والمعروف أنه رفض الانحناء لفاروق، ووضع صورته في دورة المياه؟

** يا سيدي، في عام ٥١ كانت سمعة فاروق لدي الشعب المصري أصبحت في الأرض، وكانت فضائح أمه وأخواته و (بلاويه) أصبحت معروفة للعامة، ولم يستطع زعيم مصري أن يصف فاروق بأنه ملك كريم إلا الهضيبي، بعد مقابلة الملك قال "مقابلة كريمة من ملك كريم"، هذه عندنا في الجهاز الخاص توصيف خطير فاعتبرناها سقطة كبيرة.

* كان لديه وجه وتبرير، وما كان المنتظر من الهضيبي عند مقابلة الملك؟ ثم لماذا تغضب عليه عندما غضب من الإفراج عن قتلة النقراشي، هو رجل قانون ولا يرضى أن يفلت الجاني مع عقابه؟

** أنا لست هنا في مقام تبريرات تصرفات الهضيبي، الواقع أن السندي لم يكن يقر ما تقوله أنت الآن، لأن السندي الذي دبر لقتل النقراشي لا يمكن أن يقبل هذا التبرير، لأن السندي يرى أن الذين حاربوا الإخوان إنما أصابوا الإسلام في أمر فظيع جداً.

الباقوري ناقم

* لماذا كنت تستدل على الولاء للملك بمجرد قرابة هنا أو هناك لأحد الأشخاص المقربين من الملك؟ ألا ترى أن هذا ليس دليلا على الولاء في حد ذاته ؟

** الذي حدث أن الباقوري عندما علم ـ بعد حل الإخوان ـ بوجود الجهاز الخاص غضب وثار، كما غضب أعضاء مكتب الإرشاد، الذين لم يكن يعلمون بوجود الجهاز، وأصابتهم حالة ثورة ضد حسن البنا، ولهذا قال الشيخ عبد المعز عبد الستار – وكان عضو مكتب الإرشاد – "لم نكن نعرف من يقود الإخوان حتى ظننا أنها يقودها الشيطان" .. والأستاذ البنا كان يتحاشى أن يكون للأزهريين دور في صلب الجماعة، كان يراهم مجرد مظهر خارجي، ولذلك قد تعجب أن الأزهريين وهم كثر في الجماعة لم يتولوا مناصب في عصب الإخوان، لأن البنا كانت له حلقة مع الأزهر، وعندما اكتشف الشيخ الباقوري هذا كان ثائرا جدا على البنا.

* لكن أدبيات الجماعة تقبل أن يكون هناك قياديا لا يعرف شيئًا عن أمر ما ولا يسأل فيما لا يعنيه، وهذا مقبول عند الإخوان فلماذا يغضب الباقوري؟

** يغضب لأنه كان وكيلا للجماعة هو وصالح عشماوي، وكلاهما كانا لا يعرفا شيئا عن الجهاز السري، فلما حدث الحل والاعتقال والمصائب التي حدثت، أصبحوا في حالة نقمة.

* هل لازمت النقمة هذه الباقوري حتى بعد اغتيال البنا؟

** النقمة ظلت إلى أن قامت الثورة، والباقوري نفسه كان يتطلع إلى منصب المرشد بعد البنا، والغزالي هو الذي قاد عملية وقفه وقال له: "نحن لا نأكل من عيش السراي".

* لكن الإخوان هم الذين اختاروا الهضيبي فكيف جاء برغبة الملك؟

** لم يجتمع أحد من الإخوان ليأتي بالهضيبي، بل انتخب بالتمرير من الهيئة التأسيسية، لأن الإخوان كانت منحلة، وفاروق كان يريد أن يحصل على مرشد له ولاء قبل أن يعيدهم لمواجهة الوفد. وكانوا في هذا الوقت يقولون عنها "المحظورة" مثل هذه الأيام، والتمرير كان كله خديعة وتآمر.

قطب والوزارة

* اتهمت سيد قطب بأن خلافه مع الثورة كان خلافا شخصيا، وانه انقلب على عبد الناصر لأنه لم يعطه وزارة المعارف، أليس كل هذا اتهاما في النوايا لا يرقى لمستوى الدليل؟

** خلاف قطب خلافا شخصيا محضا، وأريد أن أقول لك شيئا، لقد قابلت محمد قطب، أخو سيد قطب، في الرياض، وعاتبته، وسألته لما كان الالتحام بعبد الناصر ثم الانفصال عنه، هل كان بعد تأليف الوزارة، وربما بما كتبه لعبد الفتاح الترامسي زميله، فقال: فعلا الأستاذ سيد كان ناقما بعد هذا، لكن ليس هذا السبب الوحيد.

* لماذا برأت عبد الناصر من المستشار عبد القادر عودة ومجموعته؟

** الباقوري كان له مذكرات، قال فيها ذلك، فذكر في مذكراته أنه: في الاجتماع المشترك للوزارة ومجلس قيادة الثورة أراد عبد الناصر أن يخفف الحكم عن جميع المحكوم عليهم ماعدا محمود عبد اللطيف، وهنداوي دوير، لكن جمال سالم الذي كان رئيس المحكمة العسكرية، وكان مختلفا مع عبد الناصر في مجلس قيادة الثورة خاف أن يعتبره الإخوان العدو، وهدد عبد الناصر قائلا: "أنت عايزني أحكم بالإعدام وأنت تخفف لينتقم مني الإخوان"، هذا كلام الباقوري في مذكراته التي نشرت في مجلة "المسلمون".

* إذا كان عبد الناصر إخوانيا لم يختلف إلا مع القيادة فقط ، فلماذا اعتقل كل الإخوان ولم يبق على أحد، وعذب الجميع في سجونه؟

** البنا وعبد الناصر والهضيبي والسندي وغيرهم بين يدي الله الآن، لكنني أقولها للتاريخ: عبد الناصر لم يخطئ خطأ عمدي واحد في حق الإخوان، بل كل ما صدر منه كان ردود أفعال، وردود الأفعال عندما نزعت عن جذورها بدت كما أنها عدوان.. فعبد الناصر لم يخطئ أبداً، والدليل هو اقتناع الشيخ السباعي بعد محاكمات ٥٤، وهناك أدلة فرعية كثيرة على ذلك، فعبد الناصر ـ بعد النكسة ـ أتي بعبد العزيز كامل، نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف، وهو أحد أقطاب الإخوان، وقال له: "أنا أريد أن تبدأ تربية للناس في المساجد، ليعرفوا أن الثورة إسلامية وستبقى إسلامية"، والذين قتلوا على يد عبد الناصر من الإخوان لن يكونوا واحد في المائة من الذين قتلوا في السجون الآن من غير محاكمات منذ أن تولى السادات إلى عهدنا هذا.. ولو كان لكل الناس أن ينتقدوا دخول عبد الناصر فالإخوان وحدهم هم اللذين يجب أن يتذكروا أنه دخل بناء على توجيه

حسن البنا، ففي يناير ٤٨ قامت ثورة ابن الوزير في اليمن وقتلوا الأمام يحي وهذه الثورة كان المؤثر الأساس فيها الشيخ الفضيل الورتلاني أحد أقطاب الإخوان في اليمن ونسبت إلى حسن البنا بكاملها، فلم يتبرأ حسن البنا منها، وعندما دخل عبد الناصر دخل برؤية أن هذا ما كان يجب أن يتغير.

الإخوان يردون على العقالي:

كيف يوصي البنا بناصر وهو غير مؤهل[١]

في رده على المستشار الدمرداش العقالي يرى الباحث الإخواني، إسماعيل تركي، أن ما جاء على لسان العقالي حوى "مغالطات وأخطاء تاريخية". وفي حديث خاص لأون إسلام، نفى أن يكون مؤسس الجماعة الشيخ حسن البنا قد أوصى لجمال عبد الناصر بتولي مسؤولية الإخوان من بعده "لأن عبد الناصر عند وفاة الإمام البنا كان شابًّا في نهاية العقد الثالث من عمره، ولم تكن ثقافته الشرعية تؤهله".

كما ينفي تركي وهو مدير "مركز البصائر للدراسات والبحوث" صحة الحديث عن أن خليفة البنا المستشار حسن الهضيبي جاء بإرادة ملكية ولم يكن مقبولا من الإخوان، مشيرا إلى أن رجل القضاء حسن الهضيبي اشترط موافقة جميع أعضاء الهيئة التأسيسية وعدم اعتراض أي منهم حتى يقبل أن يكون مرشدًا، وهو ما حدث فقد وافق الجميع باستثناء حامد أبو النصر الذي امتنع عن التصويت.

ويوضح أن الهضيبي حين أهداه الملك فاروق صورته وضعها في دورة المياه، ولم يضعها في صالون منزله أو في المركز العام. مكذبا أيضا القول بأنه (الهضيبي) لم يوافق على ثورة يوليو ١٩٥٢ معتبرا ذلك "هراء" لأن الثورة "تأخرت يوما" حتى يتم استئذان الهضيبي، "وقد ذهب إلى الإسكندرية المهندس حلمي عبد المجيد؛ حيث يقيم المرشد واستأذنه في قيام الثورة، وقد وافق الهضيبي على ذلك". ويرى تركي في زيارة عبد الناصر قبر حسن البنا "محاولة لإيهام الإخوان بأنه ليس مختلفًا مع الإخوان، وأنه مختلف فقط مع حسن الهضيبي".

---

(١) (نشر بشبكة أون إسلام) .

الأمر الوحيد الذي اتفقاعليه المستشار الدمرداش العقالي ومدير مركز البصائر هو انتهاء جمال عبد الناصر للجماعة، انتهاء كاملا .

فإلى نص الحوار:

* ما تعليقك على ما وصف بـ "المذكرات" التي نشرت للمستشار الدمرداش العقالي؟

** هذه المذكرات التي كتبها الصحفي سليمان الحكيم حول مذكرات المستشار الدمرداش العقالي حوت الكثير من المغالطات والأخطاء التاريخية، وقد حاول الكاتب في مقدمته الإيهام بأن المستشار الدمرداش العقالي كان من زعماء "النظام الخاص" وزعماء طلبة الإخوان، وهذا غير حقيقي؛ فالمستشار لا يعدو أن يكون في تلك الفترة واحدا من طلبة الإخوان، وقد يكون ممن شارك في النظام الخاص بعد عودة الجماعة في عام ١٩٥١م.

كما حاول الكاتب أن يجعل المستشار الدمرداش العقالي ندًّا لسيد قطب (المفكر الإسلامي)، فيقول: «إنهما كانا صديقين في مرحلة الطفولة والشباب»، واستدل على ذلك بأنهما من نفس البلدة، وهو دليل عجيب؛ إذ الثابت أن فارق السن بينهما حوالي ثلاثين عامًا، فمتى كانت صداقة الطفولة والشباب.

ثم إن الكاتب حاول أن يوهم القارئ بأنه التقى المستشار الدمرداش العقالي وسجل ذكرياته، والحقيقية أن هذه الكلمات المنشورة سبق أن نشرت في جريدة "الأنباء" الكويتية من فترة طويلة، والمدقق فيها كتب يمكن أن يتبين أنها كتبت منذ فترة طويلة، فقد ذكر في أثناء الحديث وصف للمستشار مأمون الهضيبي (المرشد الأسبق توفي عام ٢٠٠٤) بأنه المتحدث الرسمي باسم الإخوان الآن.

كان عبد الناصر "شابا" عند وفاة البنا

* دعنا نناقش مضمون المذكرات أو الحوارات، فما ردك على أن البنا كان قد أوصى قبل مقتله لعبد الرحمن السندي وجمال عبد الناصر بمسئولية الإخوان؟

** هذا محض خيال؛ لأن عبد الناصر عند وفاة الإمام البنا (١٩٤٩) كان شابًّا في نهاية العقد الثالث من عمره، ولم تكن ثقافته الشرعية تؤهله لا هو ولا السندي لأن يكون أحدهما مرشدًا للإخوان، فضلاً عن أن صالح حرب - الذي قيل أنه تسلم هذه الوصية -كان في أسوان عند اشتداد أزمة الإخوان مع حكومة إبراهيم عبد الهادي (رئيس وزراء في عهد الملكية)، كما أن عبد الناصر كان يمكن أن يستفيد من هذه الوثيقة في خلافه مع المستشار الهضيبي (توفي ١٩٧٣) الذي استخدم فيه كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة؛ فلماذا لم يستخدم هذه الوثيقة؟ فضلاً عن أن القريبين من السندي والمؤيدين له لم يذكر أحد منهم هذه الوثيقة، وقد كتبوا الكثير عن الخلاف بين السندي والهضيبي، وكانوا أقرب إلى السندي من المستشار الدمرداش العقالي، مثل أحمد عادل كمال، ومحمود الصباغ؟! لكن الذي لا خلاف عليه مع المستشار العقالي أن عبد الناصر كان من الإخوان، وكان في الصف الأول من ضباط الإخوان في الجيش المصري.

* هل حقا كان الباقوري ناقما على البنا بسبب أن البنا قد أخفى عنه التنظيم الخاص؟

** هذا عكس الحقيقية؛ لأن النظام الخاص اكتشف في ١٥ نوفمبر عام ١٩٤٨م، وحلت الجماعة في ٨ ديسمبر ١٩٤٨م، وعندما اعتقل كل الإخوان وضيق الخناق على الإمام البنا أوصى (أحمد حسن) الباقوري بالعمل كمرشد للجماعة في حالة غيابه، وحتى تعود للجماعة مشروعيتها، ثم يختار الإخوان مرشدًا لهم، وقد أدى الباقوري المهمة المنوط بها حتى عادت الجماعة، كما أن الباقوري (عينه عبد الناصر وزيرا للأوقاف بعد الثورة) لم يذكر الإمام بسوء طوال حياته.

الثورة تأخرت يوما حتى استئذان الهضيبي

* العقالي حاول إثبات أن الهصيبي جاء بإرادة الملك لكي يقف بالجماعة عند أبواب القصر الملكي؟

** الثابت تاريخيًّا أن الإخوان لم يفكروا في اختيار مرشدًا جديدًا لهم إلا بعد خروجهم من السجون، في عهد وزارة الوفد، وقد انحصر الاختيار بين أربعة لا خامس لهم، وهم: عبد الرحمن البنا، وعبد الحكيم عابدين، والباقوري، وصالح عشماوي، والذي كان مرشح النظام الخاص، واستمر الخلاف حتى اقترح الأستاذ منير الدلة وبعض الإخوان في السلك القضائي اسم المستشار حسن الهضيبي حسمًا للخلاف، والذي رفض المهمة في البداية، ثم اشترط موافقة جميع أعضاء الهيئة التأسيسية وعدم اعتراض أي منهم حتى يقبل أن يكون مرشدًا، وقد وافق الجميع باستثناء الأستاذ حامد أبو النصر (المرشد العام الرابع للجماعة توفي عام ١٩٩٦) الذي امتنع عن التصويت.

أما القول بأنه قابل الملك وقال عن المقابلة: «إنها مقابلة كريم لملك كريم»، والزعم بأن أحد من السياسيين لم يكن يجرؤ على وصف الملك بهذا الوصف؛ فالثابت أن الهضيبي حين أهداه الملك فاروق صورته في تلك المقابلة وضعها الهضيبي في دورة المياه، ولم يضعها في صالون منزله أو في المركز العام، كما أن النحاس باشا حين كلفه الملك في عام ١٩٥٠م بالوزارة رجا الملك أن يسمح له بتقبيل يده الكريمة، ولم يكن أحد يجرؤ على إعلان النقد للملك، بل إن شيخ الأزهر عبد المجيد سليم (تولى المشيخة في العهد الملكي قبل ثورة ١٩٥٢) حين ذكر عبارته الشهيرة (تقطير هنا وتبذير هناك)، وذلك تعليقًا على ما صرف على تجديد يخت الملك وضغط ميزانية الأزهر، أقيل من منصبه.

* وماذا عن علاقة الهضيبي بالملك عن طريق المستشار نجيب سالم ناظر الخاصة الملكية؟

** هذا النسب سابق على تعيين نجيب سالم ناظرًا للخاصة الملكية، كما أن تعيين نجيب سالم نفسه تمَّ؛ لأنه كان رئيسًا لإحدى محاكم الاستئناف، وتمَّ تعيينه بعد خروجه على المعاش من القضاء، وذلك توفيرًا للنفقات؛ حيث إنه كان يحصل من الخاصة الملكية على الفارق بين المرتب والمعاش، ولا يحصل على راتب كامل من الخاصة الملكية، وكان هذا تقليدًا معمول به لتوفير النفقات.

* لكن الهضيبي لم يوافق على الثورة ورفضها في بدايتها، كما قال العقالي؟

** هذا هراء لأن الثورة تأخرت يوما حتى يتم استئذان المرشد حسن الهضيبي، وقد ذهب إلى الإسكندرية المهندس حلمي عبد المجيد؛ حيث يقيم المرشد واستأذنه في قيام الثورة، وقد وافق الهضيبي على ذلك، وكان المهندس حلمي عبد المجيد في ذلك الوقت هو مسئول النظام الخاص، وليس عبد الرحمن السندي.

* وماذا عن اعتراضه على خروج المشاركين في أحداث العنف السابقة على الثورة؟

** هذا محض خيال؛ لأن الذي اعترض عليه الهضيبي هو محاكمة المدنيين عسكريًّا، وكان ذلك بمناسبة محاكمة إبراهيم عبد الهادي عسكريًّا.

* لكن العقالي ذكر أن الخلاف بين عبد الناصر والهضيبي بدأ بخلاف بين السندي والهضيبي، وأن عبد الناصر كان على الحياد.

** هذا مجافاة للحقيقة، فقد حرص عبد الناصر مع السندي على إجبار المرشد حسن الهضيبي على الاستقالة، وكذلك ساعده وحرَّضه على حصار المركز العام.

عبد الناصر أطلق الشيوعيين للاستهزاء بالشيخ الغزالي

* وما رأيك في زيارة عبد الناصر لقبر حسن البنا؟

** هي محاولة إيهام الإخوان بأنه ليس مختلفًا مع الإخوان، وأنه مختلف فقط مع حسن الهضيبي، ونجح في استدراج بعض الإخوان لهذا الفخ، ثم عاد واستدار عليهم فحبس الباقوري في بيته ما يقارب الخمس سنوات، وعرَّض به في خطبه، وأطلق الشيوعيين للاستهزاء بالشيخ الغزالي والنيل منه.

* ذكر العقالي أن مظاهرة عابدين كانت للشيوعيين؟

** هذه أحد العجائب، فالمعروف أن هذه المظاهرة كانت إخوانية دفع الشهيد عبد القادر عودة ثمنها رقبته، كما أن هذه المظاهرة لا سيما الجزء الطلابي منها والذي خرج من جامعة القاهرة قادها المرحوم الدكتور عبد الصبور شاهين باعتباره وجه إخواني غير معروف، وقادها حتى خرجت من باب الجامعة، ثم قادها الإخوان من الطلاب المشهورين، وقد أبلغ الدكتور عبد الصبور شاهين بهذا التكليف الدكتور رشاد بيومي نائب المرشد الحالي، وهو لا يزال حيا يرزق، ويمكن سؤاله في ذلك.

كما أنه من المشاهد المشهورة في تلك المظاهر أن (المعلم إبراهيم كروم) فتوة بولاق كان يمتطي صهوة جواده، ويطلق أعيرة نارية في الهواء، وهو معروف بأنه كان من الإخوان، كما أن المظاهرة لم يستطع أحد صرفها إلا الشهيد عبد القادر عودة.

قطب لم يسمع بالبنا إلا بعد اغتياله

* هل كانت هناك منافسة بين حسن البنا وسيد قطب وأن قطب كان يصف حسن البنا بحسن الصباح؟

** سيد قطب باعترافه أقر بأنه لم يسمع عن حسن البنا إلا عندما وجد الأمريكان يشربون نخب اغتياله.

* وهل الخلاف بين سيد قطب وعبد الناصر كان خلافًا شخصيًّا حينما اتجه عبد الناصر لتعيينه وزيرًا للمعارف في وزارة محمد نجيب، وذلك بعد إقالة وزارة علي ماهر، وأن عبد الناصر خلف وعده، وعيَّن كمال الدين حسين بدلاً منه، لذلك نقم عليه سيد قطب؟

** هو محض خيال يخالف التاريخ والواقع، وذلك لأن وزارة علي ماهر (تولى الوزارة في عهد كل من الملكين فؤاد الأول وفاروق) استمرت خمسة وأربعين يومًا فقط لا غير، ثم جاءت وزارة نجيب بعد ذلك، وكان وزير المعارف فيها إسماعيل القباني وليس كمال الدين حسن؛ فكيف يصبح هذا السبب مع الكلام السابق بأن سيد قطب تولى منصب سكرتير عام مساعد لجمال عبد الناصر الذي أصبح سكرتيرًا عامًّا لهيئة التحرير، والثابت تاريخيًّا أن هيئة التحرير تشكلت بعد تلك الوزارة بفترة غير وجيزة؟!

ويبدو من هذه الأحاديث أن المستشار الدمرداش العقالي ذو خيال واسع، وأنه صاحب رؤية يحاول إثباتها والتدليل عليها بوقائع وأحداث لا ظل للحقيقة فيها، كما أنه يعيد ترتيب الوقائع التاريخية لا حسب ترتيبها الزمني، ولكن حسب ما يساعد في التدليل على رؤيته .

المحتويات

البرلمانيون ٢٥٣

حوارات في التاريخ ٣١٥

جماعة في أزمة

كثير من القيادات التنظيمة الاخوانية تعتقد أن الأمن يقف محركا وموجها بل وآمرا للميكنة الإعلامية التي يبسط خيوطه عليها لشن حرب هوجاء وسافرة على الجماعة، ونتيجة لهذا التصور يتم إسقاط كل من ينتقد الجماعة في سلة الخادمين لأهداف الأمن "عدو الجماعة" ويغض رجال الجماعة الطرف عن أن الغالبية من منتقديها ينتمون إلى تيارات وطنية لا يستطيع أحد ان يجردها من إخلاصها ووطنيتها وصدق نيتها، وحتى لو شنت هذه الإقلام هجوما على الجماعة فهو حقها ولا أحد يملك الحق في إخراسها تحت وطأة الضغوطات النفسية الناتجة عن مقولات ترويجية تهدف إلى إعطاء اعتقاد بأن الحملات الإعلامية ضد الجماعة تقف ورائها الأجهزة الأمنية ...

مع ان هذا التنظيم هو من وضع الجماعة في مرمى "الضربات الإعلامية".. فالتنظيم لايرى لأحد الحق في معرفة ما يدور بداخله ويعتبر الكتمان في حد ذاته جزءا من عقيدته الدينية شكل هذا جزء خطير وهام من المكون النفسي للجماعة وأضاف عليها صفة "المجهولة" وأضفى عليها هالة من القداسة بحيث اعتبرت أن مجرد انكشاف مشكلات وخلافات واختلافات داخلها يجرح هيبتها وعورة تحاول سترها عن قواعدها ومجتمعها.

